ܡܟܬܒܢܘܬ ܙܒܢܐ
ܠܡܪܝ ܡܝܟܐܝܠ ܪܒܐ

تاريخ
مار ميخائيل السرياني الكبير
بطريرك أنطاكية

الجزء الثالث

فصـل

في مقررات مجمع قالينيقوس (الرقة)
انتخاب البطريرك ديونيسيوس التلمحري

بعد الانتهاء مما ذكرناه أعلاه، نهض في اليوم التالي أحد الشيوخ وقال: ان الغاية من انعقاد هذا المجمع المقدس، هي انتخاب رئيس لنا بالدرجة الأولى، ومن ثم البحث في شؤون أخرى، غير أن المجتمعين رأوا ضرورة بحث الشؤون الكنسية، فتم ذلك بعونه تعالى، خلال أربعين يوماً دون أن ننقسم على ذواتنا، أو تحدث بيننا أي ضجة. فعلينا الآن أن نشرع في تحقيق غاية مسعانا الخيِّر فنطرح عن أذهاننا كل فكر عالمي ضار أو يقود الى المحاباة. فاذا وافقتم، فاني اقترح أن نصوم ثلاثة أيام مواظبين على الصلاة ليل نهار، وضارعين الى الله أن يعد لكنيسته من يعرف أنه سيرعاها بتقوى وقداسة. فاذا كان تعالى يحضر حيثما اجتمع ثلاثة باسمه، فكم بالأحرى يكون حضوره، اذا اجتمع ٤٥ باسمه ؟. فاستحسن الحاضرون رأي الشيخ وصاموا ثلاثة أيام مواصلين السهر والصلاة، ثم جلسوا بحسب درجاتهم وقرروا أن يُسأل كل واحد عما فكر فيه خلال أيام الصلاة، والى أي شخص اتجه رأيه، وعما اذا يوجد في ديره شخص مناسب. فأجاب العديد منهم بعدم وجود شخص مناسب في أديرتهم، فيما ذكر آخرون بعض الشخصيات البارزة، أحدهم الملفان البارع مار اثناسيوس وأخيراً وقف ثاودور، وهو أسقف من دير مار يعقوب في كيسوم وقال: لقد جاءنا راهب من دير قنسرين ومكث عندنا سنتين وامتحناه فوجدناه أهلاً لهذه الخدمة. وبقوله هذا فتح الباب أمام غيره من الأساقفة الذين كانوا قد وضعوا الراهب المذكور نصب أعينهم، فشهد جميعهم في حقه. فقرر المجمع أن يدخل الأساقفة أمام المذبح ليتم

الانتخاب، فأجمع الكل، وهم ماثلون أمام مائدة الحياة، على انتخاب الراهب ديونيسيوس من دير قنسرين، وكتبوا محضر الاتفاق ووقعوا عليه بالاجماع.

لما كان مجمع التقى والسلام هذا قد التأم بفعل الروح القدس، فان كل الأمور سارت بايحاء الروح القدس نفسه، وكانت الثقة كبيرة بالنتائج الحسنة. وبفعل الروح، أجمعنا على انتخاب ورسامة رئيس ليكون، بعد الله ضابط الكل، بطريركاً لكرسي انطاكية الرسولي: الأخ ديونيسيوس من دير مار يوحنا بن افتونيا. وقد اتفقنا على هذا أمام الصليب المقدس ووقعنا عليه.

التواقيع : باسيليوس مطران تكريت، وافقت على نتيجة الاننتخاب ووقعت، وكذا فعل عبد الأحد المرجي، ويوحنا المرعشي، وانسطاس الدمشقي بواسطة ثاودوسيوس الرهاوي، وجورجي أسقف قنسرين بواسطة نائبه وسواهم. وبعد التوقيع عينوا خمسة أساقفة وتوما أرخدياقون نصيبين وبعض الرهبان ليتوجهوا ويأتوا به. واذ علم ابيرام والجبيون بأن المجمع انتخب رئيساً، وتم الاتفاق على عبارة « نكسر خبزاً سماوياً» وشعر بخيبة أمله، غضب وجمع اتباعه وقال: انظروا مافعل الأساقفة، فقد اختاروا رئيساً منِ الدير والمدينة التي ألغت عبارة «الخبز السماوي» فاستحلفكم بالله الاّ تودعوا جسدي القبر لدى موتي حتى تقيموا رئيساً يحل محلي، وأن لاتتصالحوا مع هؤلاء. فقال الرهبان: لم يكن هذا وعدك، بل قلت: اني سأتنازل عن الرئاسة اذا ما تفوه الرئيس المنتخب بهذه العبارة ولو مرة واحدة، وعند ذاك سنخضع له جميعنا، فعليك اذن أن تنتظر حتى يرسم الرئيس ونرى وجهة نظره. غير ان المنافق حرم أولئك الرهبان، وخرج مع الغرباء (الرهبان) الموالين له واتجهوا الى القورسيين ليتستروا على نفاقهم ببعض الشقاة الموجودين هناك. أما الجيبون الذين لم يخضعوا له، فقد جاءوا الى المجتمعين وطلبوا العفو.

وهنا يقول ديونيسيوس مايلي: لقد التزمت جانب الشجاعة والجرأة في كتابتي للأحداث من بداية هذا الكتاب وحتى الآن، فلم امتدح أو أذم أحداً بدافع المحاباة والانحياز، والآن وقد وصلت الى هذا الفصل، فضلت أن التزم الصمت، وان يكتب مؤرخ آخر ما يخص ضعفي، في حال وجود من له خبرة كافية بشؤوني كالتي لي، فيتحدث بلا خوف عن أخطائي وعدم كفاءتي، ويشهر بما يمكن أن أُلام فيه، ويذكر هو لا أنا، الاصلاحات التي تستوجب الثناء. ولكن حيث انه لا يوجد من له خبرة بشؤوني الخاصة مثلي، فان الواقع يفرض علي أن أذكر كلا الأمرين مراعياً جانب الحق ومتحاشياً الآراء التافهة ومهملا المديح، لئلا يعتقد محبو الانتقاد بأني أعفف نفسي، أنا الذي أعرف ذاتي بأني أصغر وأضعف الناس، ولا أدري كيف تورط الآباء، ولا أقول انخدعوا بثقتهم فيَّ، لكنهم انصاعوا للأحاديث الغريبة، نظراً الى براءة تفكيرهم، وعلموا من كثيرين كيف أتدبر مثل هذا الأمر. فقد كانوا قد وقفوا على أرائي، حيث اني دُعيت الى كرامة الاسقفية مرتين، وكنت أهرب من مكان الى آخر وهذا ما جعلهم ان يظنوا باني سأهرب لدى سماعي بالنبأ، فأرسلوا راهبين شجاعين الى دير مار يعقوب حيث كنت اقيم، نظراً الى تشتت رهبان دير قنسرين، فدخلا الي ليلاً واصطاداني، فارتبكت، واذ لم أجد لي مهرباً، لذت بالصمت، فاقيمت علي حراسة كمجرم حتى وصل الاساقفة، فبكيت وخررت امامهم، لكنهم لم يرأفوا بي، فاقتادوني من ذلك السكون الى وسط المجمع وانا احاول الافلات منهم، وكشفت لهم معايبي وضعفي وعدم كفاءتي، غير انهم حمّلوني العبء عنوة، قائلين: ان قضاء الله سيحل بمن سيتمرد، ولم يتوانوا حتى من ترك كراسيهم والمثول أمام ضعفي. ومن هنا شعرت باني اجوب بحر الظلمات، وقد تلاشى كل أمل في الهروب. وكنت اعتقد بأن اقتبال الكهنوت صعب لا سيما بالنسبة الى بائس مثلي، وحتى الى الذين وصلوا الى ذروة الفضيلة، لكنني رأيت ان الاصرار على عدم الطاعة خطر جداً، لذا رسموني شماساً يوم الجمعة في دير العمود، وكاهناً يوم السبت، في دير مار زكا، ويوم الاحد الفاتح من

آب عام ١١٢٩ مي رقوني الى درجة رئاسة الكهنوت في كنيسة الرقة الكبرى ونادوا بي وارثاً للكرسي، أنا الذي لا استحق ان أحل سيور الأحذية، مستشهداً الله بأني لم أُبتل بمحبة الزعامة، حتى ولم تخطر على بالي قط مثل هذه الرغبة التي تراود الكثيرين.

وحيث انك طلبت اليّ ايها العزيز ايوانيس، أن أكتب اخبار ما جّد من أحداث في أيامنا، فاننا، بعد الاتكال على الله، سنتناول تلك التي عقبت دعوتنا، سواء ما يخص شؤون الكنيسة او العالم، أو ما يخص الكنوز المشتركة. واذ قبلت كرسي البطريرك قرياقس، فاني أخوض معه المعركة التي لا هوادة فيها مع الجبيين، عذاباً لجسدي، ورضّا لعظامي، لكي أُردع فلا أتكبر بسبب الموهبة العظمى الممنوحة لي.

لما ختم المجمع أعماله، وجهت اهتمامي نحو الخلافات الكنسية واخترت عشرة أساقفة وتوجهنا نحو بلد بيت بالش، واستدعيت الجبيين ليحضروا لكي نتفاوض من أجل السلام. فقالوا للوفد: لن نحضر ما لم يثبت عبارة «الخبز السماوي». ولما قطعنا الأمل من الجبيين، توجهنا نحو القورسيين المجتمعين في قورس، وبينهم كهنة وشمامسة، فتحدثنا اليهم في موضوع السلام، واذ علموا بأننا لا نحظر عبارة « الخبز السماوي » مالوا الينا، فلما رأى ابيرام وأتباعه ان أهل المنطقة أطاعونا، استشاطوا غضباً، وعزموا على عدم ابقاء هؤلاء البسطاء في المدينة، واختطفوا العديد منهم. أما نحن فقد انتقلنا من قورس الى انطاكية في تشرين عام ١١٣١، حيث باشر الاساقفة بمراسيم التنصيب بعد تلاوة قرار المجمع.

رسالة التنصيب (سوسطاطيقون)

الى المؤمنين الحقيقيين، أحبائنا بالرب، الكهنة والشمامسة والشعب محب المسيح الذي في شتات مدينة انطاكية العظمى وكورتها المجمع المقدس المنعقد بالروح القدس في مدينة الرقيين.

لكم وافر السلام والرحمة بمخلصنا المسيح: ولئن نحن واياكم أحياء، بيد أن صروف هذا الزمان قد حرمتنا من بعضنا البعض، مذ كان مار قرياقس الملاح الحكيم الماهر يقود سفينتنا، ذاك الذي ينعم بالاقامة مع القديسين منتظراً مجازاة عادلة من الله لاعماله، لكي بسببها يُميَّز في يوم الدين لمتعة مشاهدة الثالوث الاقدس مع الابرار الذين سبقوه. فلم نستحسن اهمال تلك القيادة والالتزام باخرى مهما كانت، فان خليفة ذاك ومثبت الكنيسة المقدسة الذي يستحق هذه القيادة أكثر من الكل بشهادة الجميع هو الذي ينتخب من قبلنا بفعل الروح القدس. لما رحل موسى ودفن بيد الله، واختطف ايليا الى السماء بمركبة، رأى الله أن يقيم خلفاء لهما لنسل يعقوب أي اسرائيل المعروف، ولكيما يقسم أرض الميعاد للأسباط الاثني عشر بدقة وبحسب الأسهم، ويبيد بمعجزة كثرة الكنعانيين، وأمر بالالتزام بكل ماهو شرعي وأقات الشعب السجين (في البرية) بخبز من السماء الذي كان يرمز حقيقة لا خيالا، الى جسد واحد من الثالوث، الله الكلمة، الذي يُكسر للمؤمنين. هكذا رأينا أن الله قد سر حقاً باختيار الروح القدس للبطريرك مار ديونيسيوس الذي، اذ فشلت جميع محاولات انتخاب غيره أفلحت في انتخاب سيادته، نظراً الى رزانته وخلقه وحسن تصرفه ونقاء سيرته وجهوده من أجل التعاليم الالهية. فقد انتخبنا هذا بروح واحدة وبفعل الروح القدس، وبسابق توسطكم، وزكيناه ليكون رئيساً لكنيستنا نحن الارثوذكس، وقد أقمنا احتفالا بهيجاً مع أبناء الكنيسة القريبين من هنا.

واتشحت الكنيسة بوشاح الغبطة والفرح. وان هذا لدليل على أهمية الاتفاق وفاعليته الايجابية.

فبمشاركتكم ايانا نعمة هذه البهجة، وابداء خضوعكم التام كالأولين، وقبولكم رعاتكم بل سائر رعاة كنيسة الله، ومعانقتكم اياهم بكلتا الذراعين، ومراعاتكم حسن النظام في كل شيء تكونون قد أبرزتم هيبة مدينة الله على أحسن صورة، وصرتم قدوة حسنة للآخرين، لكي يقتدوا بكم عن طريق هذا الأب القديس وراعي الرعاة ورئيس الكل بعد المسيح الاله. دعاؤنا الى الله الأب الضابط الكل، الذي منحنا مثل هذه الموهبة العظمى والبركة التي بها وبواسطته نستطيع الدنو منه ونستحق النعم غير الزائلة والحياة غير الفانية. بنعمة ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح وروحه القدس من أجل مجده آمين. وقد ذيل بتوقيع جميع الأساقفة.

فصـل

يتناول الأحداث التي جرت في دولة المسلمين في عهد المأمون. وتلك التي جرت في دولة الروم في عهد الملك ميخائيل. والأحداث التي جرت في الكنيسة في عهد مار ديونيسيوس

بينما كان ابراهيم أمير حران يتنزه في حديقته العالية، شاهد أبنية جديدة فسأل عنها سقاته الوثنيين، فقالوا: انها كنائس جديدة أنشأها المسيحيون في عهدك، الأمر الذي ولّد في المسلمين عدم الثقة بك لسماحك لهؤلاء أن يبنوا مالم يُبن في عهد الروم، وهم يتهمونك بأخذ الرشوة، فثار غضبه وأمر بهدم تلك الكنائس الجديدة. وقبل أن تغيب الشمس كان مذبح كنيستنا الكبرى في حران ومذبح كنيسة والدة الله قد دمرا، كما دمر جزء من كنيسة مار جرجس وبعض كنائس الخلقيدونيين واليهود والنساطرة. فشرعت الطوائف تدعو للرأفة بها. وفي تلك الليلة غيَّر الله رأيه، فندم، وفي الصباح دعا المسيحيين وأوعز اليهم أن يعيدوا بناء ما هدم، فأنجزوه خلال أيام قلائل.

في هذه السنة احتبس المطر، فلم تثمر الغلال، فشح القمح والخمر والزيت. وفيها قاوم الناس باسيليوس مطران تكريت لعجرفته وتصرفاته غير المهذبة، ليس بالنسبة الى أبناء الكنيسة فحسب، بل كان أحياناً يتكابر حتى على وثنيي تكريت. ولم يكتف بالتدخل في شؤون الكنيسة، بل تدخل أيضاً في ما يخص الضرائب العامة التي ليست من شأنه، وتقرب كثيراً من الحاكم، كما تدخل في مايخص الجزية حتى بلغ الى درجة فرض الجزية على المسلمين، وقد لحق الأذى بالشعب بسببه، وقتلت في الشوارع

جميع الخنازير، ورغم كل ذلك لم يرعو، بل اصطحب جماعة ونـزل الـى بغداد ليقدم شكوى ضد المسلمين، فلحق به المسلمون ودخلوا أولاً وقدموا مذكرة ضد المسيحين في ما يخص النواقيس والصلبان والخمر، مدعين أن الخنازر تدخل المساجد، واتهموا المطران باسيليوس والرئيس عبدون بشتم نبيهم. فصدر قرار بالغاء الشعائر المسيحية والقاء القبض على باسيليوس وعبدون، فهرب المطران، أما عبدون فقدم شهادة للمسيح، حيث أغراه المأمون بالأموال والمناصب ليشهر اسلامه، ثم استعمل التهديد والوعيد والعذاب دون أن يفلح فزجه في السجن، وبعد أن أمضى سبعة أشهر في السجن تحت التعذيب رحل أخيراً مستشهداً بحد السيف في وسط دار القضاء، وعلق على خشبة، وقد رافقت استشهاده آيات وعجاب كثيرة وعظيمة. أما باسيليوس الذي كان يتوعد المسلمين باخراجهم من بيوتهم، فلم يعد يستطيع حتى الدخول الى تكريت، فهجر كرسيه بقصد التمرد على كرسي انطاكية. والأنكى من هذا فانه لم يتعظ بما حلّ به.

سنة ١١٣٠عاد المأمون الى بغداد من خرسان، على أثر سماعه عن تولية عمه ابراهيم الحكم، وعن انقسامات وحروب أهل بغداد، وجلوس حسن في الكوفة وطاهر في رفيقا منفردين. فلما وصل المأمون الى بغداد، ترك البغداديون ابراهيم، ونصبوه على عرش والده. أما ابراهيم فهرب واختفى، وصعد طاهر لمقابلة المأمون فقبله. ثم عينه حاكماً في خرسان سنة ١١٣٢ نظراً الى ثقته به. وبعد سفره استقدم ابنه عبد الله وأكرمه ووضعه مكان والده وأمر أن يتولى القضاء مدى الحياة، فنشط المتمردون، واشترى نصر حصن بيث بالش وجمع قواته ونزل الى نهر هاني بالقرب من الرقة. ولما خرج عليه عيسى مع جماعة من السوقة، أجهز على جمعيهم وعاث في القرى نهباً وسبياً، فانزعج المأمون من ذلك، فأرسل شبيب قائد الجيش على رأس سبعة آلاف من المقاتلين لمجابهة نصر، ففزع وأرسل الى المأمون وفداً يحمل رسالة خضوع، فأجابه: ان كنت صادقاً، هلم وطأ بساطي فأكرمك. غير أنه كان بقصد

مماطلة الخليفة، فاستعد شبيب للحرب وقسم نصر قواته ثلاثة معسكرات ومنع الفرس من امدادهم بالطعام، فاضطر، بدافع الجوع، الى الاندفاع نحو الحرب، فسقط عدد كبير من الجانبين، وفر المسلمون وأخذ الفرس ينهبون السوقة ويأكلون ويشربون ويبذخون ويوجهون الاهانة الى الذين داخل السور. واذ جبن جنود الفرس المتعجرفون، عاد اليهم نصر، فهزموا أمامه خوفاً، فشعر شبيب بضعف العرب، فذهب الى انطاكية ليأتي بالذهب الذي جلب من مصر في عهد هرقل، فتسلل ليلا، فشعر به نصر فأدركه واستطاع أن يفصل ثلاثة آلاف من رجاله، وأمره برمي سلاحهم ففعلوا، وقبض عليهم، ومن ثمٍ طارد شبيب وأدركوه فخاف الفرس وصرخ نصر قائلا: سأعطي فرساً والف دينار لكل من يتبعني، فتبعه عدد كبير، واضطر شبيب الى الهرب والعودة الى بغداد مع النفر القليل الذي تبقى معه، وهو يجر اذيال الخزي الذي يستحقه لأنه لم يكن يردع قواته من ارتكاب الجرائم بحق المساكين. أما نصر فسيطر بجيشه على الفرس وقتل حتى الذين تبعوه والذين رموا سلاحهم. ولدى عودته من محاربة شبيب، طرق مسامعه ان جماعة اليمنيين الذين في منبج، أعادوا بناء القرى الواقعة على شاطىء نهر شغور الذي يسميه المسلمون ساجور. فكمن لهم نصر مع جيشه لدى ذهابهم الى العمل، وفتك بهم بما فيهم النساء، ومن كافة الأعمار. واذ حلَّ الناجون في دير بوريم، أحرق الدير فاحترق العديد العديد منهم، وكان الجنود يقبضون على اللذين يرمون أنفسهم الى أسفل ويقتلونهم بحد السيف. وهكذا هلك عدد كبير من أولئك المساكين ، فقطعوا رؤوسهم وحملوها معهم الى سروج.

في نيسان عام ١١٣٠ توفي مرقس بابا الاسكندرية بعد تسعة أشهر من تنصيب مار ديونيسيوس، فخلفه يعقوب. وفي عام ١١٣١ سافر مار ديونيسيوس صحبة الأساقفة الى ما بين النهرين ومنها الى بغداد، ليحصل على فرمان من المأمون أسوة بأسلافه البطاركة، فصدر الفرمان بمسعى طاهر الذي في عهده ومساعيه عقد مجمع انتخابه. لقد كتب

البطريرك نفسه عن باسيل التكريتي يقول: انه لم يكن راهباً في دير ما، بل كان علمانياً عندما دعي الى الأسقفية ، لذا كان حاقداً على الماتيين، وحاول أن يتمرد علينا، ظناً منه ان باستطاعته حمل أبناء المشرق على التمرد على الكرسي الانطاكي، وأقامته جاثليقاً كما فعل برصوم النصيبيني. وحيث انه لم يفلح في تدبير شيء ما في عهد مار قرياقس لكونه تكريتياً، توهم بأنه يستطيع أن يفلح في عهدنا بواسطة التكارتة. فأخذ يبث ضدي سموم الحقد فيهم قائلا: ان هذا البطريرك عدوكم. وكان يقول للأساقفة، حتى متى نخضع لسيطرة الغربيين الذين يسلبوننا ما نجمعه من أموال، ولم لا يعتبرون كرسينا مثل كرسي مصر مساوياً لهم في الرتبة؟ غير أن الرب لم يسمح أن ينفذ ما كان يجول في خاطره، نظراً الى محبة التكارتة لنا، الذين كتبوا الينا ونحن في بغداد، لنعيِّد عندهم. فكان يقول لهم ذاك: ان الأساقفة الذين يرافقونه، يريدونه أن يعود بسرعة الى بلاده ليحتفل بتقديس الميرون. وكتب الينا يقول: ليست الظروف مؤاتية لزيارتكم تكريت لأن الحكام هنا يضغطون كثيراً على المؤمنين، فلما عرفنا سوء نيته عرجنا الى الموصل، ثم قصدنا مدينة قرقسيون بطريق الفرات. وبعد مراسيم الأعياد وتقديس الميرون توجهنا نحو قرى الخابور، ووصلنا الى نصيبين ودارا وكفرتوت مدينة بين النهرين.

لقد تمرد على الكنيسة أحد رهبان دير الجب الخارجي لأنه لم يُرسم خلفاً لاستاذه باكوس، اذ قد خيَّب أمله مجمع الرقة الذي لم يرشحه لاقتباله الأسقفية من قبل ابيرام. واذ رأى أن ديرهم قد أهمل، جاء الينا مرغماً طالباً السلام، فطلبنا اليه والذين معه أن يرددوا عبارة « الخبز السماوي » وحرموا للحال ابيرام والموالين له، ووعدوا بعدم الاتحاد معه بعد. وعلى هذا الأساس سامحناهم وناولناهم الأسرار على اعتبارهم منشقين عائدين.

لما جاء عثمان التميمي الذي سيطر على سورية الداخلية وحمص وفينيقيا، الى دير قنسرين بطريق الفرات، وشاهد الكنيسة الفخمة التي احترقت وتهدمت، طلبنا اليه اعادة بنائها، فرحب بنا وأعطانا فرماناً في بنائها وزّودنا برسائل الى الحكام لمساعدتنا في ترميم الكنائس والأديرة، كما أخبرته بالتمرد الذي حدث في دير اوسيبونا في كورة انطاكية منذ عهد البطريك قرياقس، وموالاة رهبانه لابيرام. فكتب الى أمير الغرب ليطرد اتباع ابيرام منه ويسلّمه لنا. وهكذا عاد الينا بعد أن سرقوا الكتب والآنية الفاخرة التي فيه.

في أبيرام المتمرد

سنة ١١٣٩ نزل الى بغداد وجلب فرماناً يخوله أن يكون بطريركاً. وقد عنفه عبد الله بن طاهر مرات عديدة ولامه على تمرده. وفي تلك السنة عقد مجمع من ٤٠ أسقفاً مع البطريرك ديونيسيوس في دير اسفولس بالقرب من رأس العين، بخصوص فيلكسينوس أسقف نصيبين المنحىً عن كرسيه. وكان خصومه نونا أرخدياقون نصيبين وأبا رائطة التكريتي وهما فيلسوفان بليغان، فرفض الدعوة لحضور المجمع وذهب الى نصيبين من دون اذن، فحرمه المجمع مع ابيرام، ثم اتفق المحرومان.

فصــل

في بدء حكم ثاوفيل ملك الروم، ونجاح خليفة المسلمين المأمون (عبد الله) ووقاحة ابيرام، ومآتي مار ديونيسيوس

في هذه الفترة، قذف بحر قليقية حوتاً كبيراً طوله أربعون ذراعاً وثخنه أكثر من طوله، وقد وصفها البعض بقطعة من جبل أو وحش هائل. واقتطع أهل المنطقة من لحمه وشووه، وأخذوا قسماً منه الى انطاكية كما يقول ديونيسيوس الذي روى أنه شاهد أكثر من أربعين جرة مملوءة من مخه، وبنفس الكمية من الجرار مملوءة من زيته الذي استعمل للانارة والطهي.

سنة ١١٣٠ توفي ميخائيل ملك الروم، وحكم ثاوفيل، فقدم له البلغاريون والأكراد المسلمون الطاعة، وكان هؤلاء الاكراد قد تسلموا من أبائهم فكرة قيام ملك يدعى المهدي العتيد أن يقود الشعوب الى الايمان بالله، وانه سيورّث ملكه لآخر تستمر خلافته الى ما لانهاية. والمؤمنون به، سيبعثون بعد موتهم بأربعين يوماً ويعدون الى ذويهم ومن ثم ينتقلون الى مكان مجهول. وقد ظهر في هذه الأيام ذاك المدعو المهدي وكان يضع برقعاً على وجهه، ويدعي حيناً بأنه المسيح، وحيناً آخر بأنه الروح القدس، وكان عدد أتباعه وأمواله يزداد يوماً فيوماً، واجتمعت عنده زرافات زرافات من الأمم باسم النهب والسلب، واتخذ مقراً له في جبال كردستان المنيعة، وانتشرت عبادته في الجزيرة وأرمينيا، ودمر بازبدي وطورعبدين، وكان يفتك بالجميع دون تمييز، وقد عبده المجوس واعتبروا كل من لايعبده غريباً ، حتى أن الخليفة المأمون خاف منه. وعندما جاءوا لنهب دير قرتمين والقرى المجاورة، أخذت الغيرة حسن الذي كان يحترم

جداً معتقدات المسيحيين، فباغتهم بالهجوم فاندحر الأكراد وهزموا، واضطر ذاك الذي ألّهوه الى الهروب مع نفر، من أمام حسن، الى منطقة اسحق بن آشور الذي قبض عليه وسجنه، لكن الأكراد هجموا على بيت اسحق لانقاذ ملكهم، الا أن اسحق بادر الى قطع رأس المهدي وأخذه مع أمواله وأفراد أسرته وهرب. فلما دخل الأكراد لم يجدوا سوى جثة المهدي. وبعد فترة خاض اسحق وجنده قتالا مع المسلمين، فكمن الأكراد لذويه وأفراد أسرته، غير أن امرأة وثنية بثت الخبر في القرية، فدخل الراهب شقيق زوجة اسحق مع جماعة من الناس، الحصن، ثم جاء الأكراد وقتلوا الموجودين وقاتلوا بالحجارة الذين داخل الحصن، والتجأ المؤمنون الى البيوت محتمين بصلاة ذلك الراهب العفيف المقترنة بالركوع، والذي كان يتضرع الى المسيح وهو حامل صندوقاً يحتوي على ذخائر القديسين. وكانت أخته تحثه على المزيد من الصلاة وقد ألقت رضيعها أمام الرب وناشدت المسيح قائلة: أرأف بعبيدك من أجل هذا الطفل الذي مازالت أثار المعمودية في وجهه.

لما أوشك الأكراد على دخول الحصن بسبب احتراق الأبواب، أخذ راهب آخر رمحاً مثل فنحاس، وألقى بنفسه من السور ووصل الى زعيمهم وطعنه، باسم الله، وقتله دون أن يستطيعوا الحاق الأذى به، وأمضى المؤمنون الليل ساهرين. أما زوجة اسحق التقية، فقد قررت الموت ولا السقوط بأيدي الوثنيين، فتقلدت سيفاً مذهباً لكي يجذبهم لمعانه فيقتلوها، واستعدت للخروج مع مطلع الصباح. غير أن الرب الذي يستجيب من يدعوه بايمان، جعل الأكراد أن يتراجعوا عن مهاجمة الحصن الذي أوشكوا أن يستولوا عليه ويوجهوا أنظارهم الى نهب الذين في المنطقة قبل هروبهم. فسمع اسحق الخبر وأرسل مشاة الى الحصن فعادوا مكتئبين والتقوا بشباب مستغرقين في الصلاة، وسيوفهم مربوطة مع بعضها. وفي اليوم التالي وصل اسحق مع جيشه النشط، ولأنهم كانوا قد تعبوا من جراء القتال، لم يسمعوا صوت حرسهم. فلما حاولوا الهروب

لم يتمكنوا بسبب الثلوج. وهكذا أجهز على جميعهم. والى هذا المصير انتهى المهدي والذين معه. وخلف هرون المهدي في زعامتهم فقتله علي، ثم قام بابك راعي البقر، والتجأ الى ثاوفيل ملك الروم.

لما علم المأمون بما فعله نصر بشبيب، دعا عبد الله بن طاهر ووعده بمنصب كبير، كما فعل فرعون ليوسف، وبعد أن قبل المسؤولية أخذ عشرين ألف مقاتل ووصل الى الرقة سنة ١١٣٤ فخضع له كافة زعماء الفرس. ولما علم نصر بأن عبد الله رجل هادئ ومتواضع، توهم بأن صفاته هذه تشير الى ضعفه، فحرض أتباعه لمجابهته قبل أن يباغتهم، فلما وصلوا الى نهر الخابور، جابههم عبد الله ب ١٢ ألف مقاتل، فهرب عرب نصر من مكان الى آخر. فاذا شوهد اليوم مثلا في بقاع حران، اذا بهم في اليوم التالي بالقرب من الرقة. واذ رأى عبد الله صعوبة القبض على نصر بالمطاردة، اتجه نحو المدن المدن التي يستقر فيها مثل سروج وكيسوم. ولدى وصوله الى بالش، سخر منه الذين على السور، فأمر بعدم الرد عليهم، وأرسل قائد جيشه عوزير والتقى بنصر في قرية صرين وقتل أربعين من عربه فدب بينهم الذعر، وسيطر بالقوة على حصن نصر وهو مركز قيادته وأسر الثلاثماية رجل المتواجدين فيه وأرسلهم الى معتقل رفيقا، وجاء عبد الله الى سروج وأمر بجمع الغلال والتبن ليزود بها الجيش لدى هجومه على كيسوم. فوقع أهل الجزيرة والغرب في ضيق حتى أنهم فضلوا الموت، واضطروا الى حصد الحنطة والشعير وغيرها من البزور قبل ميعادها. أما نصر فاخذ يطوف ويقتل الحصادين ويحرق كل ما يجده. فلما سمع عبد الله بالمآسي التي سببها نصر، (هاجم) بلدة بالش وأخذ يمطرها بالحجارة، فأكره نصر المسيحيين على الصعود الى السور بالبكاء والعويل لكي يعرف عبد الله أنه يهاجم المسيحيين وليس العرب، وحيث أنه كان يرفق بالمسيحيين أمر أن توجه الحجارة الى المدينة لئلا تطال المسيحيين، وأن يحفروا تحت السور بالمعدات ففتحوا فيه ثغرة وسيطروا على المدينة والقوا القبض على المتمردين وأوثقوهم

بسلاسل وأرسلوهم الى بغداد. ولما علم عثمان بن تمام حاكم سورية الداخلية وقنسرين وحمص وفينقيا بذلك، قدم خضوعه لعبد الله، فرحب به.

أما نصر اللعين، فكان يتجول في منطقة سروج يفتك بالفرس والمسيحيين، ومنهم عبد الله قائد جيش الفرس، فاغتاظ ابن طاهر جداً ، وتأهب لمهاجمة كيسوم معقل المتمرد نصر. فلما علم بذلك أنفذ رسالة يتعهد فيها بالخضوع ويعرض أولاده رهائن، فأجاب: ان لم يأت هو شخصياً لا أعطيه الأمان. وفي تشرين عام ١١٣٥ هجم عبد الله على كيسوم، وابتنوا بيوتاً استعداداً للشتاء، واقاموا أبراجاً ليرموا منها حجارة كبيرة، كل منها بقدر حمل حمار. فقد كان لكيسوم خمسة أسوار وخندق. فأمر نصر أن تصعد نساء مسيحيات وهن حاملات أطفالهن ويبكين ويولولن ويلتمسن أن لا يُرجمن بالحجارة داخل المدينة، بل على السور فقط. غير أن نصر فتح أخيراً أبواب المدينة بعد أن راى أن معظم أتباعه استسلموا للأمير، وأرسل أولاده الثلاثة ومعهم ٢٠٠ حمل سميد و٣٠٠ جمل محملة بالشعير و٥٠٠ رأس غنم و١٠ خيول و١٠ عبيد وثلاث جواري وثلاثة وثلاثة خصيان مع فضة وذهب وهدايا لجميع الزعماء، قائلا: اقبل هديتي، وليمكث أبنائي عندك حتى الصباح فاحضر أنا أيضاً. فقبل هديته وأوعز الى الشباب أن يعودوا الى ذويهم لئلا يقلقوا من ناحيتهم. وفي الصباح خرج نصر وترجل من بعيد ثم دنا من عبد الله وقبّل رجله ويده. فترجل حينذاك الأمير، وجلس كلاهما يتجاذبان أطراف الحديث سراً . ثم سمح الأمير لنصر بالدخول الى المدينة على أمل أن يتوجه الى الرقة بعد ٢٥ يوماً. واذ كان الأمير وديعاً، صدقه، وأوعز الى قواته أن يبيعوا كل ما هيأوه للشتاء، فخرج أبناء كيسوم بحريتهم. وبعد أن غادر عبد الله، أخذ نصر يعيد بناء وتحصين كيسوم. وأخبر عبد الله المأمون باستسلام نصر ففرح، ثم توجه عبد الله الى شميشاط، فحاول

المتمرد يابش الذي كان فيها التملص، لكن الأمير قبض عليه وأرسله مخفوراً الى معتقل رفيقا.

في هذه الأثناء توفي طاهر في خرسان، فأرسل الخليفة الابن الثاني لطاهر ليخلف أباه، وكتب رسالة مؤاساة الى عبد الله، وقال له: لطالما استسلم نصر، اذهب أنت الى مصر وأحلٍّ الوفاق هناك، لكن المأمون كان قد ضرب مؤخرة السفينة، لأن نصر تمرد من جديد. ولما كتب اليه عبد الله ليحضر ويلتقي به، اجاب: انني مستعد لمحاربتك، أما من جهة ابني منصور فلا تعتقله في بغداد فحسب، بل لك أن تشويه بالنار وتأكله. فأشعر عبد الله المأمون بذلك، فغضب الخليفة وقضى على عبد الله بالموت لأنه ترك نصر بعد أن صار في قبضته. فأسرع عبد الله وحاصر كيسوم للمرة الثانية في آب. فحدث ضيق في المنطقة بسبب اكراه الناس على اعداد الطعام للجيش، فانتشرت المجاعة في كل مكان، وقبل الشروع بالحرب، دنا عيسى قائد الجيش من السور وقال: يانصر، أنا عيسى أتحدث اليك. لقد اقترفت جرائم أكثر من قدرتك، ولما عدت قبلك الملك الرؤوف، فاخرج الآن وقابل الأمير، فقد أخذت جزاء تمردك، واني أكفلك. أجاب نصر، ان هذا الكلام لا يدخل مسمعي، ولا وفاق لي معكم، كما ليس للذئاب وفاق مع الحملان. واشتبك الطرفان بقتال عنيف، وقتل معظم سكان المدينة بالحجارة، ولم يدع نصر أحداً يبكي على الميت، بل كانوا يدفنونهم كالكلاب. وكان يقطع بالسيف رأس كل من يهرب من المعركة أو ينزل من السور، ولما اشتد القتال وانهار السور الخارجي، أصعد نصر النساء الى السور وهن حاملات أطفالهن وباكيات، فأمر عبد الله بايقاف القتال لدى سماعه الصراخ. وبنى الجيش بيوتاً للشتاء. واذ رأى نصر أن الجوع قد استحكم في المدينة، وأخذ الناس يأكلون لحم الحمار حتى بيع رأس الحمار بعشرة فلوس، وان لا أمل له، ولم يفلح في الهروب، أرسل الى عبد الله ليقبله، فأجابه، ولئن كنت لا تستحق، ولكن بسبب صراخ المساكين أرسل ولديك مع أربعين شخصاً لأتحدث اليهم.

فلما ذهبوا قال: اذا اعتبرتم أنفسكم رهائن فسنوقف القتال حتى يأتينا الجواب من الخليفة، فأجابوا بصوت عال: اصنع مايريك الله اياه. ووصل جواب الخليفة مخولا عبد الله أن يتصرف معهم كما يشاء. فخرج نصر بكل بساطة يحرسه بضعة رجال فقط وقابل عبد الله وطلب منه مدينة كيسوم فرفض، ثم هتف الطرفان، ما أعظمك يالله للخلاص الذي أعددته. وللحال أرسل ذوو نصر الى قرية صغيرة كان قد ابتناها في سروج بالقرب من أنقاض مدينة قديمة تدعى ديميتير التي كان قد دمرها سنحريب وسُخر رجالها لحمل طوب سورها على رقابهم ورميها في الفرات. وكان قديماً وعلى بعد ١٢ ميلا من الفرات، أربع مدن في سروج، ديميتير التي ذكرناها، وبطنان المعروفة بـ «مأوى الأسود» وكان قدوتها مار يعقوب (السروجي) الزائر قبل رسامته أسقفاً، وتعرف اليوم بـ «حصن ابن نوتا» فدكت اسوار كيسوم بايعاز من الأمير، واستسلم نصر ورفاقه، وطلبوا الى الحراس أن يعدوا لهم خيولا وبغالا. تم هذا الخلاص في آذار سنة ١١٣٦، وقد تكبدت الجزيرة والغرب عذاباً من المتمردين مدة ١٤ سنة، حتى تمكن عبد الله، هذ الرجل الرزين، أن يشيع فيه السلام بصورة تامة.

محاولة ابيرام الحصول على فرمان

لما جاء الأمير عبد الله الى الرقة، زاره ابرام المتمرد وزمرته للحصول منه على فرمان. وحضر هناك البطريرك مار ديونيسيوس ودخل أولا الى الأمير، فسأله عن أبيرام وزمرته، فأخبره عن تمرد جماعته على البطريرك قرياقس، وعن بقية مساوئهم، وان غايتهم من الفرمان هي اثارة الشغب في المنطقة، لعدم وجود من يواليهم. فأوعز الأمير بدخول ذلك الشقي، فسأله: مارتبتك ؟ أجاب: بطريرك. فاعترضت عليه لأنه كذب، وتحدث هو عن مسألة العبارة (الخبز السماوي). فسأل الأمير، وما موضوع هذه العبارة ؟ أجاب البطريرك: لقد اتخذوا هذه

العبارة التي نتخاصم بسببها، غطاء لحبهم للزعامة، وقد وردت في الانجيل، ونحن نستعملها في صلاتنا ضرورة. فنحن لانستعمل الانجيل كله دائماً في الكنيسة، انما نتلو جزءاً منه أحياناً أو نفسره للشعب، وأحياناً أخرى نقرن صلواتنا ببعض أيات منه كما تفعلون أنتم، فانكم لاتتلون كل كتابكم في صلاتكم، لكن الامام يتلو جزءاً منه عندما يؤّم المصلين أو يقتبس آية منه ويبني عليها موعظته دون أن يعترض عليه الحضور على تلاوة هذا الجزء أو ذاك كما يفعل هؤلاء المتمردون في الكنيسة. وبعد أن رويت القصة بكاملها باللغة العربية، جعله الرب أن يكرمني جداً، وأمر الحاجب أن يسأل ألوف المسيحيين الوافين خارجاً عن رئيسهم. فنادى من هو رئيسكم ؟ فأجابوا. أن ابيرام ليس رئيسنا، لا بل ليس مسيحياً. وقد اثنى علينا المؤرخ كثيراً لكننا لم ندون حديثه عنا.

بعد أن تمحص عبد الله الأمور ورأى الفرمان الصادر عن والده طاهر، نظر الى أبيرام شزراً وقال: اني أرى أنك رجل كذاب وفُصلّ وان الرئاسة هي لهذا البطريرك. فأمر بانتزاع برنسه (قباعته) للحال وزجره قائلا: لا أريد أن أسمع انك لبست القباعة مرة أخرى أو أمسكت عصا بيدك، أو أن تُدعى بطريركاً. فاذهب وصن نفسك وسرح أتباعك من الرهبان، واذا سمعت انك تجولت في المدن، يكون دمك عليك، وهكذا صرف ابيرام وزبانيته بعد أن أخذوا جزءاً نفاقهم.

غير أن الله، وبعلة آثامنا، اذن أن تُذل الكنيسة بعض الوقت، حيث تنمر المتمردون بسبب الراهب الذي رسمه ابيرام والذي كنا قد سامحناه، بيد أنه عاد الى قيئه بتأثير برصوم المدعو ثاودوسيوس أسقف الرقة الذي انزعج بعودة الجبيين. فلم يتوقف عن المشاغبة، وعمل شأن غيره، على اعاقة الوحدة التي حققها البطريرك قرياقس مع اليوليانيين. ومثلما أثر ثاودوسيوس على جبرائيل فتراجع، هكذا فعل أيضاً بهذا الراهب، عيره وهزء به حتى دعا ابيرام الى ديره وسلم اليه فرمان الجب

الخارجي، فأعطاه نفقات وأبلغ أخاه سمعان في بغداد ليحصل له على رسالة توصية. فلما رأى العلويون فرمان علي بن أبي طالب، ساعدوه وحصلوا على فرمان لابيرام يخوله حق التجوال في المدن. فعاد سمعان الداري من بغداد حاملا الفرمان لأخيه ابيرام وجمع عصابة من الرهبان ليقابلوا الأمير عبد الله، فأرسل في طلبنا وحضرنا من انطاكية. وبعد أن دخلت الى الأمير استدعى الآخرين، فلما نظر الأمير القباعة على رأسه، تحدق به شزراً وقال: لِمَ لبست القباعة ولم تتقيد بأمري ؟ أجاب: انه مجرد غطاء الرأس وليست قباعة. فسألني عما اذا الأمر كذلك، وأبدى ارتياحاً عندما أكدت ما قاله الشقي. لكننا طعنّا في صحة الفرمان فيحين انهم أكدوه، وقد ردهم الأمير في عدة أمور، وانتهينا الى أن يستحصل الأمير أمراً بالغاء ذلك الفرمان. وخلال ٢٦ يوماً وصل كتاب من المأمون الى عبد الله جاء فيه فيه « لقد رفع الينا المسيحيون مذكرة يشكون فيها من ابيرام الذي يزعم انه بطريرك في الوقت الذي لهم ديونيسيوس بطريكاً. فاستدع بعاقبة تلك المنطقة واستفتهم حول من يريدون الخضوع له. فثبت رئاسته ومدَّ له يد العون بما يناسب ولا يتعارض مع العدالة » فاذن لي الأمير بالدخول وترك ابيرام خارجاً وقال لي: أعطيك رسالة تلغي فرمان ابيرام وتضعه تحت سلطانك وتعزل كل من يقاومك، ثم دعا حاجبه وقال: امسك بيد البطريرك وأخرج، وادع ابيرام وزمرته وسلمهم اليه ليحكم عليهم كما يشاء، فخرج حيث كان آلاف المسيحيين والمسلمين مجتمعين، واجلسني على وسادته وقال للمتمردين: ان الأمير يأمركم بأن تخضعوا للبطريرك المخول أن يطردكم أو يعزلكم. وأمر أبيرام أن ينحني أمامي. ثم التفت اليَّ وقال: هوذا الآن، بين يديك، افعل به ماتشاء. وقد ظن الحضور بأني سآمر بضربهم وجَبّهم. أما أنا فأخذت أنصحهم وقلت: بما أنكم قد سُلِمتم الي، فاني أنصحكم على أن تملأوا قلوبكم من مخافة الله وتتركوا محاولة شق الكنيسة، ولينصرف كل واحد الى بلده ثم أمرت برفع القباعة من رأس أبيرام كعلامة لانتزاع منه الرئاسة التي أخذها بالعصيان. فخرجوا يجرون أذيال الخجل واتجهوا الى

قورس القريبة من نهر كبتاي بمنطقة جرجر وهم يشيعون ويقولون ان الأمير قبلنا وأعطانا أمراً برسامة أساقفة وبمثل هذه الأوهام كانوا يخدعون أهل القرى السذج.

فلما علمنا بهذا، أخذنا فرماناً من الأمير ورسائل الى عماله، ووصلنا الى جبرين بمنطقة قوريقس، فلما قرأ عامله هناك رسالة الأمير، أمر بجلب أبيرام فورا مع زمرته مخفورين كاللصوص، وسألني عما أريد أن يفعل بهم، فقلت: أريد تأديبهم قليلا أمام القرويين الموالين لهم، كما طلبت نزع الاسكيم من ابيرام وصليبا ونوح المدعوين أساقفة. وبعد أن فضحنا كذبهم أمام الجميع، قلت للحاكم، أرسلهم الى السجن، فتذمر القريون، فأوعز الى الفرس أن يطردوهم بالعصي، فعاد كل الى بيته. وبعد ثلاثة أيام انتقل ذلك العامل من جبرين فطلبنا اليه أن يرسلهم الى سجن حلب، فأثاروا هناك ضجة وادعوا أنهم مغبونون، وساعدهم الخلقيدونيون في حلب بقصد اهانتنا. فأرسل والي حلب بطلبنا. ولما شرحنا له واقع الأمر، أوعز بايدعهم السجن فأمضوا فيه عشرين يوماً فرأى الغربيون مذلتهم، ثم أرسلوا الينا وسطاء متعهدين بعدم الاستعلاء علينا الى الأبد، ومبدين استعداهم للتوقيع على كل ما نريد، فوافقنا، وكتب أمير المنطقة وثيقة وقع عليها القورسيون، محرمين على أنفسهم دخول قورس أو اثارة أي نوع من الشغب، فتمتعت الكنيسة ببعض الراحة بعيدة عن أذى المتمردين. ولما نقل الأمير عبد الله الى مصر، نكث المتمردون بعهدهم، ودخلوا قورس لكنهم لم يفلحوا في اثارة الشغب.

فصــل

في الفساد الذي زرعه المتمردون في مصر في عهد المأمون خليفة المسلمين، وما حدث في البصرة في هذه الفترة. والقضية التي أثيرت في الكنيسة والتي من أجلها سافر البطريرك ديونيسيوس الى مصر

لقد سرَّ المأمون لدى تلقيه نبأ اعتقال نصر الذي أرسل اليه مع بقية المتمردين الى بغداد، ورغم كل طغيان نصر فقد أحب المسيحيين، وكان يفرض جزية مضاعفة على الذين ينحرفون عن المسيحية، وكان يقول: لطالما تدفعون لي الجزية، لكل واحد ملء الحرية أن يتبع الدين الذي يشاء، وقد ارتد فعلا الكثيرون من المساجد الى الكنائس. وكان يقطع رأس من يغتصب امرأة، وقتل العديد من أتباعه لهذا السبب.

أناب عبد الله عنه أخاه محمد، وتوجه الى المناطق الغربية، ففتح فلسطين سلماً ، وأخضع حسن المتمرد في صور والزمه بعدم مغادرة حيِّه، واذ أخلَّ بوعده، أرسل فقتله. ثم اتجه صوب القدس وأدى الصلاة في العتبات المقدسة التي لهم هناك. وطاف في الأماكن التي تجول فيها المسيح الرب، ثم نزل الى مصر.

سنة ١١٣٦ أخذت الغيرة أبناء البصرة، فركب السفن نحو ثلاثين ألف منهم متجهين الى البحرين ليقتلوا سكانها لممارستهم القرصنة في البحر ومنعهم التجار والسفن القادمة من الهند والصين وفارس، من الوصول الى البصرة وبغداد. ولدى نزولهم الى البر، شعر بهم أبناء البحرين فهربوا بعوائلهم الى احدى الجزر، وكان لتلك الجزيرة معبر

يؤدي الى طريق وعر لايستطيع الغريب سلوكه، واذ حاول البصريون الوصول اليهم، انجرفوا نحو العمق، فلحق بهم البحرانيون بالقوارب وأغرقوا جميعهم.

محاولة القريشيين اغتيال المأمون

في هذه الأثناء نُمي الى المأمون أن بني قريش يتآمرون عليه، فقبض على أربعة من رؤسائهم وسجنهم مكبلا اياهم بالأغلال. واذ قطعوا أملهم من الحياة، اتفقوا سراً مع البعض ليضرموا ناراً في السوق الكبيرة المسماة « الكرخ »، حتى اذا حضر الخليفة هناك، أرسلوا من يغتاله. فشعر الخليفة بهذه المؤامرة، فذهب ليلا الى السجن وقتل القريشيين وعاد الى بلاطه. وفي الصباح علق الجثث على أعمدة خشبية، فدب الذعر في الجميع، ولم يصدق أفراد حاشيته بأن عزوفه عن قتلهم لم يكن ضعفاً بل رحمة. وألقي القبض أيضاً على ابراهيم عم الخليفة، غير أن الخليفة لم يعدمه نظراً الى شيخوخته. وقد كان هذا قد تعلم العزف على قيثارتهم، فكان يشتري صبياناً وبنات ويثقفهم ثم يبيعهم بآلاف الدنانير.

في الوقت الذي كان نصر معلناً العصيان في سورية، كان العصاة قد عاثوا الفساد في مصر أيضاً، ثم سيطر عليها شخصان هما ساري وجزوري وفرضا الجزية وجمعا أموالا طائلة. وبعد وفاتهما، خلف عوبيد أباه ساري على الفسطاط والمقاطعة الجنوبية، وخلف احمد والده جزوري على المقاطعة الشمالية من مصر بالرغم من أن الشعب القادم من اندليوس كان مسيطراً على الاسكندرية. ولما وصل عبد الله بن طاهر الى العريش سنة ١١٣٧ زاره احمد، فتعهد له بالابقاء على ثروته، وكان والده جزوري قد جمع ذهباً وصبه على شكل لبنات ودفنه، وقال لذويه اني أخجل من الارض، وذلك لكثرة الذهب الذي أودعه فيها. أما ابن ساري الذي كان أكثر ثراء، وكانت مدينته محصنة، ويمتلك ثمانين الف رجل،

معظمهم ماديون، فتصدى له، فخاف عبد الله لانه كان قد ترك جيشه في فلسطين، فأوفد اليه ثلاثة رجال مسنين ليفاوضوه بخصوص السلام، فقال بصلافة: اني تحت طاعة الخليفة وعامل له. فاختر أنت أحد الأمور الثلاثة، أما أن تكلف واحداً من قبلك بجمع الجزية من مصر عندما أصبح مسؤولاً عنها، أو اطلب الجزية وأنا أرسلها دون أن تأتي الى هنا، أو استعد للقتال. فلم يحرك عبد الله ساكناً حتى وصلت قواته التي كانت في الغرب والجزيرة ، وقاتلت ابن ساري. وفي نيسان غزا الفسطاط. فلما رأى عوبيد ان وطيس الحرب قد اشتعل، وقطعت عليه طرف الامدادات، أرسل يقول لعبد الله. يا أميري أود أن تحل نعمة السلام دون توسط أحد، وعليه فاني سأغادر غداً . فأجاب الأمير، حيث انك اتخذت هذا الموقف، فأنا أيضاً أتعهد بسلامة أسرتك وكل ممتلكاتك. فتوجه ابن ساري على الفور الى عبد الله، وتم السلام وتناولا الطعام سوية.

الاندليوسيون في الاسكندرية

لدى استيلائهم على الاسكندرية، أخرج الاندليوسيون منها المسيحيين واليهود، وسكنوا دورهم، فطلب اليهم عبد الله أن يرسلوا عشرة ليختار أحدهم رئيساً لهم، فأرسلوا بعض رعاعهم فطردهم وامر أن يُرسل فلان أو فلان، فلم يذعنوا. فحاصر قلعتها في آذار عام ١١٣٨ لأن المدينة كانت خربة إلا من أنقاض الكنائس العظيمة والبيوت الفخمة، ولا يتواجد السكان سوى في الضواحي. وبعد تسعة أشهر من الحصار والقتال استسلموا وطلبوا أن يشتروا بيوتاً لسكناهم فرفض المسيحيون، الأمر الذي اضطرهم الى العودة الى بلادهم، في حين أُرسل خمسون منهم مع عوائلهم الى الرقة. وبعد أن أحكم سيطرته على مصر، وضع نصب عينيه السيطرة على أفريقيا برمتها، فأرسل وقبض على ثمانين شخصاً كانوا عائدين من مكة، وأمرهم أن يكتبوا الى مواطنيهم ليتوجهوا الى الأمير ليقيم لهم رئيساً منهم. فلما علم الأفارقة بالقبض على رفاقهم،

واستناداً الى ماسمعوه عن معاملة عبدالله بن طاهر الطيبة، شخصوا اليه، فعين اثنين ممن توسم فيهما العدالة، واصطحب الباقين الى الخليفة المأمون، ثم ذهب الى الرقة سنة ١١٣٩ وأسكن الذين اصطحبهم في بنازريون بقيليقية.

ابتدأ هدم كنائس المسيحيين في تكريت أولا، كما أشرنا في الحديث عن باسيليوس، ثم انتقل هذا التأديب الى الجزيرة والغرب. وفي سنة ١١٣٦، طالنا التأديب بسبب خطايانا. فأثار علينا ابليس حرب تدمير الكنائس. فقد كان ليقظان في الرها، كاتب خلقيدوني يكره المسيحيين يدعى وليد. فلما شكوه ليقظان زاد في اكرامه نظراً الى المساوئ التي كان يلحقها بالمسيحيين، فلم يحتمل الرهاويون، فتوجهوا الى مصر لمقابلة الأمير عبدالله ورفعوا شكوى ضد كليهما فلما شعر وليد بأنه سيسقط لا محالة، حرض يقظان على هدم كنائسهم. فكتب الى حاكم الرقة ليزيد من ضغطه على الرهاويين وعلى مطرانهم ثاودوسيوس. واذ كان يبغض المسيحيين هو الآخر، تحدث في الموضوع مع الأمير محمد، فانخدع بكلامه، وأصدر أمراً بهدم كافة الأبنية الحديثة، فهدموا كنيسة الأربعين شهيداً والقلاية الأسقفية ومخزن الكنيسة وجرن المعمودية والمنبر وغير ذلك من الأشياء التي كان قد نظمها ثاودوسيوس، كما هدموا دير النساء للخلقيدونيين واحدى كنائسهم، وشيدوا مسجداً أمام الكنيسة القديمة في طترافولون، في الموقع المعروف ب « مجلس السبت » وهو بناء تعلوه قبة، كان يجتمع فيه الشيوخ والرؤساء بعد رتبة الصباح، يتجاذبون أطراف أحاديث كتابية وكنسية وسواها، حتى ميعاد الغداء. وطلب اليهم أيضاً تسليم عبيدهم ليعتنقوا الاسلام، فلما علم بهذا مسلموا حران اندفعوا نحو الكنيسة ليهدموها ويزعجوا المسيحيين.

البطريرك دوينيسيوس يزور أمير مصر

لدى سماعنا هذه الأنباء، ونحن في نصيبين، اصطحبنا الأساقفة وسافرنا الى مصر لمقابلة الأمير عبدالله. فركبنا السفينة من يافا، أما ثاودوسيوس والآخرون فسافروا بطريق البر. وهاج البحر وأوشكت السفينة على الغرق، واشتدت العاصفة حتى قطعنا الرجاء من الحياة. وبعد يومين قُذفنا الى ميناء مدينة تانيس حيث استقبلنا أكثر من ثلاث ربوات من سكانها، وهي في شبه جزيرة تحيط بها سواحل نهر النيل وبحر أدرياس، كما أنها محاطة بالماء بدلا من السور ووصلوا الينا على الزوارق واندفعوا لنيل البركة، ومنذ الصباح وحتى المساء بالكاد استطعنا الوصول الى حدود المدينة من شدة الازدحام، حتى جاء جند من المدينة وفرقوا الشعب بالعصي وأخذونا الى الكنيسة فزارنا يعقوب بابا الاسكندرية وأساقفته ورحبوا بنا معبرين عن سرورهم بوصول بطريرك آخر الى الاسكندرية بعد مار سويريوس. فتحدثنا عن الاتحاد الذي حققه مار اثناسيوس الجمال مع انسطاس بعد الانشقاق الذي حدث بين البطريرك ودميان. فبدا لنا عدم اكتراثهم بمعرفة التاريخ حيث أنهم تعثروا بالكلام، لكن يعقوب ولئن كان ضعيفاً في المعرفة والادارة، الا أنه كان فاضلا تقياً. لقد تأخرنا كثيراً في المدن، لأن الشعب لم يكن ليسمح بمغادرتنا المدينة الا بعد اقامة الذبيحة ومناولتهم، ذلك أن المصريين يعتزون كثيراً بتناولهم من يد البطريرك، لذا سبقنا ثاودوسيوس وأخبر الأمير عمَّا صادفنا في البحر. ولما دخلنا اليه في معسكر الفرس، عاتبني لسلوكي طريق البحر، ونظراً الى احترامه لي قاله: مالذي دعاك أن تأتي الى مصر وأنت شيخ ولك مثل هذه الرئاسة، فان رسالة منك كانت تفي بالغرض، فتضمنها ماتريده لاسيما وان أخاك هو صاحب الأمر. فأجبت: ياصاحب العظمة، ان هذا المطران يسعى لشخصه بسبب ماكابدته الرها. أما أنا فأكثر تألماً لهدم كنائسنا وابطال شعائرنا. وكان مقابلتنا له لانشغاله نهاراً بالحرب، وكان حديثنا مفيداً. وسلمت اليه رسائل أهل الجزيرة

والغرب وشكاواهم من عماله، ورويت له مأساة مدينة تانيس المصرية المؤلمة التي ولئن كانت تعج بالسكان والكنائس، الا أننا لم نجد فقراً أشد من فقر سكانها الذين قالوا لنا، ان سبب ذلك يعود الى أن مدينتهم محاطة وليس لهم مجال ليزرعوا أياً من الغلال، كما ليس بامكانهم أن يمتلكوا شيئاً، حتى مياه شربهم يأتون بها من مكان بعيد ويشترون جرة بأربعة قروش، وان حرفتهم هي الحياكة، حيث تغزل النساء القطن وينسج الرجال بأجور يومية يتسلمونها من التجار أصحاب العمل مقدار نصف قرش. وقالوا لنا أيضاً: أن أجور عملنا لاتسد رمقنا، والانكى أنه قد فرضت علينا جزية بمقدار خمسة دنانير على كل فرد. واذا عجزنا عن تأديتها، زجونا في السجون حتى نضطر أن نقدم أولادنا وبناتنا ليخدموا كعبيد مدة سنتين بدينار واحد فقط. وان صادف ان ولدت امرأة أو بنت عندهم، يستشهدوننا بالله ان لانبوح بذلك. وكثيراً ما يصادف ميعاد الجزية الثانية قبل وقت تحرير زيجه شخص ما. لذا طلبوا اليّ أن أطلعك أيها الأمير على مأساتهم لكي ترأف بهم فأمر أن يدفعوا الجزية أسوة بأهل الجزيرة، أي ٤٨ قرشاً للكبار و٢٤ للوسط و١٢ للوسط و ١٢ للفقراء، وذلك بحسب احصاء الرؤوس.

ثم زودنا بتوصية باعادة بناء كل ماتهدم في الرها، وبمنع هدم أية كنيسة في أي مكان، وأنفذ رسالة الى أخيه محمد ذيلها بتوقيعه جاء فيها « ياهذا » لاأعتقد بانك آلة أعلى من كرسينا، فان معسكري قد امتلأ من الأساقفة والرهبان الأكرمين الرافعين شكوى ضدك، متذمرين من الظلم الذي تكبدوه منك من جراء هدمك كنائسهم، لاسيما البطريرك وأخوه مطران الرها، وأنا أعرفك شاباً غير مهذب. ولايخفاك، فاني أعرف الذين حرضوك للتعدي على المسيحيين، فهم لا يودون تقريبك الى الله بعملهم هذا، بل اكمالا لرغبتهم لاغير. وبعد جدال طويل أوصاه بالامتناع عن أذانا وسلمنا الرسالة، فتناولها المطران من يد أحد الكتّاب وفتحها ونسخها، ثم أعاد غلقها. فلما تسلمها محمد أمر بوقف العاصفة، فخرج السجناء.

لقد تم هذا الخلاص سنة ١١٣٧. في حين تم خراب الكنائس في ولاية يقطان الذي صعد بعد خمسة أشهر على رأس جيش الى بلاد الروم، حيث قتل وقضي على جيشه. وكان ذنبه على جنبه.

فصل

يتناول الأحداث التي جرت في الكنيسة، ومعارضة فيلكسينوس أسقف نصيبين ولعازر أسقف بغداد اللذين بسببهما سافر البطريرك ديونيسيوس الى بغداد ليقابل المأمون خليفة المسلمين. وهو الذي كتب عن هذا بدقة متناهية

نتحدث هنا عن الحرب التي أثارها ابليس ضدنا سنة ١١٣٩ لنشترك نحن أيضاً بالالام من أجل الكنيسة، كما فعل أسلافنا الاساقفة عندما تكالب بعضهم على حب الزعامة مثل سركيس الزدقنيني ضد سويريوس بن مشاقة، ودنحا مطران تكريت ضد يوليان، وأثناسيوس واسحق ضد ايوانيس، ويوحنا وداود ضد جاورجي، وابيرام ضد قرياقس، فهؤلاء عملوا على تمزيق الكنيسة بدافع حب الزعامة. ففي الوقت الذي كان الرب قد أبعد عنا انشقاق البدع، ابتلانا بشكاوى وتذمر المرعيث من أساقفتهم، وتوجيه تهم غير لائقة برؤساء الكهنة.

فقد حذرنا فيلكسينوس أسقف نصيبين من دخولها، حتى الانتهاء من التحقيق في التهم الرديئة التي وجهها اليه الأرخدياقون نونا الرجل الشهير بفضله. وقد استغرقنا ست سنوات في التحقيق في قضيته على أمل أن يوجد الرب حلاً ومخرجاً يحسن له، كي لا تهان الكنيسة المقدسة بسبب التحقيق معه. واذ لم يكف عن اثارة الشغب وخلق الانشقاق في المدينة، جمعنا ٤٠ اسقفاً في رأس العين وعزلناه، فاستخف بأحكام الله وتوجه مع تابعيه الى القروسطيين وجذب اليه أبيرام وزبانيته الذين كانوا يصرون أسنانهم على فيلكسينوس خلال المجمع الذي عقده البطريرك قرياقس في جبرين، وأدخلوا الى كنيسة نصيبين، ذاك الذي حرمه كل من

البطاركة قرياقس ومرقس ويعقوب وأساقفة سورية ومصر. وهكذا انقسمت كنيسة نصيبين شطرين.

قرار المأمون بخصوص رئاسة الكنيسة، وزيارة البطريرك له

في هذه الأثناء، أصدر المأمون قراراً يقضي بعدم معارضة أية مجموعة من عشرة أشخاص فأكثر تريد اقامة رئيس لها، وذلك من أجل اضعافنا والتحكم فينا. الأمر الذي دعانا الى زيارته لالغاء هذا القرار، حيث ساد الخوف بعد انقسام اليهود على أثر اقامة الذين في طبرية شخصاً يدعى داود حبراً لهم، في حين أقام الذين في بابل شخصاً آخر يدعى دانيال من شيعة الكنعانيين الذين يحلون السبت ويحفظون الاربعاء. فلما وصلت قضيتهم الى المأمون قرر أن يختار كل جانب من يشاء رئيساً له.

لما بلغنا العاصمة وقبل أن نمثل أمام الخليفة، أثار ابليس فتنة أكثر شراً من فتنة أهل نصيبين، وذلك بالتهم التي قدمها أهل بغداد الينا ضد أسقفهم لعازر، والتي كانوا قد قدموها الينا قبل سنتين في انطاكية، فلم نناصر المشتكين طمعاً بالمصالحة، ولما اضطررنا الى قراءة التحقيق وثبتت لدينا التهم، قررنا عزله، الامر الذي لم نفكر به قط حتى ذهابنا الى تكريت حيث كان ينبغي أن يتم التحقيق لئلا تُهان طغمتنا في مثل تلك المدينة . فلما انشقت كنيسة بغداد، وصلت قضيتهم الى الخليفة، وعزا أصحاب لعازر سبب ذلك الشغب، الينا. غير أن الخليفة المسالم هدأ من غضبه لدى علمه بأننا جئنا لزيارته حاملين له الهدايا. وبعد فترة سمح لنا بالدخول اليه فوقف الاساقفة عن بعد، وأذن لي فقط بالدنو منه حيث كان يتنزه في بستانه ممتطياً فرسه. فبسط الي يده كالعادة المألوفة لدى الخلفاء

الذين يمدون أيديهم باحترام لأول الداخلين اليهم. فسألني: ما شأنك وكيف تسير الامور عندكم ؟ أجبت: اننا نتمتع بسلام بوجودك، كما قال بولس لفيلكس، وقد تحسنت ظروف شعبنا في عهدك، وعليه فنحن لا نقدم لك الشكر فحسب، أيها الملك الظافر، بل ونصلي من أجل أن يطيل الرب حياتك، ثم أشار الي لاسترسل في الحديث. وحيث أني علمت بأن مذكرات قدمت اليه بخصوص لعازر، أردت أن يفتح لي باب الحديث عن طريق هذا (الموضوع) فقلت:

لم يكن لنا وللأساقفة أي غرض من مجيئنا الى هنا، سوى زيارتك والدعاء لك، ولكن لما طال مكوثنا هنا، صادف وان رفعت الينا شكوى ضد أسقف هذه المدينة من قبل من كانوا موالين له، واذ ثبتت تهم الشكوى من خلال التحقيق وشهادة الشهود، انتزعنا منه السلطة، فقاومنا مع بعض المتمردين متشبثاً بقرارك القاضي « بأن كل مجموعة مؤلفة من عشرة أشخاص فما فوق بامكانها اقامة رئيس لها، ولا يحق لأحد مقاومته». انه لأمر لا يصدق أن يصدر من عدالة ملك، ونحن نؤيد معاقبة من يتجاسر ويكذب على الخليفة. فأجاب: لقد سبق وصدر عني هذا القرار بالنسبة الى اليهود، ونحن لسنا ملزمين باقامة رئيس لكم ما دمتم خاضعين لحكمنا. فقلت: أيها الملك العادل، أين عدالة أحكامكم ومتى صدر قرار مثل هذا من خليفة مثلك. فأنتم تعرفون أن بيننا وبينكم عهوداً ووثائق موقعة ومختومة بخاتم الخلفاء الذين فتحوا المدن. وبناء على ذلك استسلمنا لكم، فاذا نكثتم بتلك العهود، ومنعتم عنا شعائرنا ورئاستنا، تكونون قد ألحقتم الغبن بنا، لأن أمورنا ستضطرب وسننتهي الى محاربة بعضنا البعض، ولن تغدوا حكامنا. قلت هذا وأنا أصرخ وأحرك يدي تجاهه كالذي يخاصم زميله من أجل تقسيم الغنيمة، كما رفع هو الآخر صوته كمن يبارز نداً له دون أن يمتعض من الدالة التي أظهرتها نحوه. ثم سألني عن كيفية اصدار القرار ضد لعازر، فأسمعته القصة من أولها. بعد ذلك أبرز الشكوى التي رفعها الموالون له ضدنا، وأخيراً قال: أيها

المسيحيون، انكم تزعجوننا كثيراً وتوذوننا، لا سيما انتم اليعاقبة كما هو واضح من الشكاوى التي تقدمونها الينا ضد بعضكم البعض، فامض الآن وعد الي غداً.

لقد تعجب أساقفتنا وجنوده بالدالة التي تحدثت بها اليه بقوة الله، وبطول أناته علي. وبعد عشرة أيام قلنا للعازر المارديني من حاشية الخليفة أن يذكره بوعده ففعل. وكان هناك يحيى بن أكثم قاضي قضاتهم، فأمر الخليفة بحضوره في اليوم التالي مع الفقهاء. وفي الصباح دخلت اليه لوحدي ووقف معظم الاساقفة على الباب فرأيته جالساً على أريكته وقد انتظم حوله قضاة بغداد وعلماؤها، فسلمت ودعوت له، فأمر بأن أجلس قبالته ، وقال لي: لقد أنحيت علي باللائمة ظلماً أيها البطريرك، بسبب القرار الذي أصدرته بحقكم، لذا جمعت الفقهاء لأتحدث اليك أمامهم. ثم التفت صوب الشيوخ وقال: ماذا ترون هل يستوجب علينا أن نعين حكاماً من المسيحيين ما دامت الدولة لنا، أم انهم بحسب القرار الذي أصدرته فيهم وفي اليهود، يتمتعون بالسلام الذي نوفره لهم اذا ما أخلصوا لنا الطاعة والتزموا بالهدوء، ولن يكون من يكرههم على تغيير ايمانهم وتقاليدهم ؟ فكان جوابهم لهذا السؤال الموجه اليهم مقترناً بالزيف، اذ قالوا: ترى من مثلك له خبرة في الاحكام، أو من أصدر حكماً أكثر عدلاً من هذا ؟ فلم أرد بشيء على قرار المشايخ هذا المزعج، بل قلت للمأمون، لو سمحت فاني أود أتحدث عن سر المسيحيين، وبعد أن أذن لي قلت:

عندما أشرق ديننا في العالم بواسطة تعاليم المسيح الذي أنقذنا من عبادة الاوثان، وبعد أن أكمل تدبيره، وقبل أن يصعد الى السماء، دعا تلاميذه وأوصاهم أن يكرزوا بالايمان به، فجذب التلاميذ الكثيرين الى الايمان بفعل المعجزات، ولما كان الموت أمراً محتماً، سلموا الرسالة الى الأخرين ... قبل انتقالهم وقسموا المسكونة أربعة أقسام، وأقاموا رئيساً

على كل قسم دعوه بطريركاً، وجعلوا كراسيهم في مدن كبرى هي، رومية والاسكندرية والقسطنطينية وانطاكية، وهؤلاء رسموا أساقفة وأقاموا رئيساً لكل عشرة أساقفة، سموه مطراناً وخولوه صلاحية اقامة أسقف بديل في حالة وفاة أحد أساقفته، وخولوا الأساقفة صلاحية رسامة كهنة وشمامسة والرتب الادنى منها، ومن هنا فان سلطة البطريرك تطال الاساقفة والكهنة والشمامسة، ولا يجوز لأي من الذين ينضوون تحت سلطة البطريرك أن يقاومه أو يبطل قرارا أصدره أو يعارضه في ما يفعل، الا اذا انحرف عن الايمان. وفي هذه الحالة يجتمع ثلاثة بطاركة ويحاكمونه. ولا تزال هذه القوانين سارية المفعول حتى اليوم. ومنذ أيام المسيح وحتى اليوم، لم يغير ملك ما تقاليدنا، لا سيما خلفاء المسلمين، وقد ثبت أباؤك المرحومون الرئاسة لنا، وكانوا يزّودوننا بالفرامين، وأنت نفسك أعطيتني فرماناً في بدء حكمك، لذا، وحيث أنك تلتزم جانب العدالة، آمل أن لا تسنّ لنا قوانين جديدة، لا سيما لم يقم خليفة أكثر حكمة ومنطقاً وكبر نفس منك.

أما بخصوص الشكوى التي قدمها ضدي ذلك الاسقف المعزول، فليعلم الخليفة أن بعض الاشرار من المسيحيين الذين يُعزلون، اعتادوا على اقامة شكوى ضدنا، ولأنهم يعلمون ان لا سند لهم من جهة القوانين الكنسية، فهم يلتجأون اليكم واشين بنا أمامكم متهمين ايانا بأننا أعداء المسلمين، أو اننا نشتم نبيكم وسواها من الأمور الخبيثة التي عاقبتها الموت. ثم رويت له قصة داود اسقف دارا مع البطريرك جاورجي، وقصة الجبيين وابيرام مع البطريرك قرياقس، وختمت حديثي بالطلب اليه أن يرفض الشكوى المقدمة ضدنا، فأجاب: لقد سمعنا عن معاملة الأسلاف لكم، ونحن أيضاً نعاملكم بما يليق، لكن لماذا تتمسكون أنتم معشر المسيحيين بهذا الأمر أكثر من سائر الاديان ؟ قلت: ان أولئك هم الآخرون قلقون وهم يتوقعون من زيارتي لكم أن يشملهم التخلص من هذا القرار. لكن رئاستنا تختلف عما هي لدى المجوس واليهود. فهؤلاء

يسمون رؤساءهم ملوكاً ويتسلمون الرئاسة بالوراثة، ويؤدون لملوكهم بعض الواجبات كالضريبة التي لا وجود لها عندنا. فهناك ثلاثة أنواع من الرئاسة في هذه الحياة، طبيعية وجبرية وارادية ، فالطبيعية كرئاسة الاب على الاولاد، ورئاسة الرجل على المرأة، وفيها يتساوى جميع البشر، أما الجبرية، فاما أن تعطى من الله أو تأتي نتيجة الخوف من السيف كما هي شأن ممالك العالم. فان رئاستكم هي أصيلة، أما رئاسة الذين هم تحت نفوذكم ويجبون الضرائب والرسوم ليقدموها لكم فهي استعارية، لأن دأبهم هو جمع المال للذي له الرئاسة العليا. أما الرئاسة عندنا فتأتي نتيجة الانتخاب واتفاق آراء الشعب، ونحن ننظر اليها ككهنوت لا كرئاسة (مدنية). ومثلما ان الامام يئم المصلين عندكم ويعظ ويوجه الى عمل الصلاح، هكذا يئم البطريرك والاساقفة عندنا، المصلين ويحثونهم على التمسك بالشريعة، ويصدرون عقاباً بحق المذنبين، لكن ليس ضرباً وقتلاً كما تفعلون، بل بالتجريد من الرتبة، سواء أكان المذنب أسقفاً أم كاهناً، واذا كان علمانياً يُبسل من الكنيسة. فنحن اذن لسنا كسائر الشعوب الاخرى أيها الخليفة، وان الخسارة التي تلحق بنا من جراء الغاء رئاستنا، لا تتمثل بالمادة، بل تمس عقيدتنا وتبعدنا عن الله. نحن لا نفكر أن نشارككم الرئاسة، وكل ما يهمنا هو أن لا تهان شريعتنا باعطاء الرئاسة لكل من يرغب وفي أي ظرف كان. حينئذ قال: نحن لا نمنعكم من تجريد من يقاومكم من رتبته، أما أن تطردوا شخصاً من الكنيسة أو تمنعوه من الصلاة، فهذا ما لا نسمح لكم به. ثم أوعز الى كاتبه أن يتلو كتاب قاضي الموصل. ولما همّ بالقراءة، التفت الي الخليفة وقال: اصغ ايها البطريرك وانظر كم نحتمل منكم.

فلما تليت لاحظت انه يبخس بالمسيحيين فلم أتحمل فقلت: حفظك الله أيها الخليفة، ان أبناء الموصل واقفون على بابك منذ عدة أيام منتظرين أن يقدموا شكوى ضد قاضيهم الذي بالغ في ظلمهم، فهلاً أمرت بدخولهم واستمعت الى شكواهم ؟ فقال: هل بامكانك أن تتحدث باسمهم ؟

قلت: يدعي المواصلة أنهم سلموا مدينتهم للمسلمين طوعا، وقد تعهد فاتحها بعدم هدم أية كنيسة أو ابطال شريعتهم. غير أن هذا القاضي هدم كنيستهم الكبرى وألغى شريعتهم. فأوعز الى يحيى قاضي القضاة أن يستمع الى المواصلة حول فتح مدينتهم، فاذا كانوا قد سلموها فعلاً ، لهم أن يتمتعوا بالتعهد الذي أعطاهم فاتحها. أما من جهتنا فقال: اننا لا نتدخل بينكم، ولك اذا تمرد عليك أحد الاساقفة الذي تحت سيطرتك وثارت فتنة بسببه، فنأمر أن تبقى أوقاف كنيسته تحت توليتكم ولا يحق له ادارة شؤون كنيسته باستثناء الصلاة فيها. ثم قال للقاضي اسحق، « انظر اذا ثبت ان لعازر هو تحت سيطرة البطريرك، نفذ فيه أمرنا، وامنعه واتباعه من اثارة الشغب ». وهكذا غادرناه ولم يكن لي من سند سوى الروح القدس الذي وعد بارشاد الذين يجاهدون من أجل المسيح. حقاً انه لمن الصعب عليه أن يسلم، وهو ملك، بأنه قد غلب. لكننا فهمنا بعد مغادرتنا انه ارتاح لحديثنا معه. فقد قال الفقهاء للشعب المتجمع خارجاً « كان حديث رئيسكم رائعاً وقد امتدحنا شجاعته، فعليكم أن تتمسكوا به وتحترموه لأننا لم نرَ مسيحياً بقوة الاقناع مثله. تم هذا الحدث في آذار ١١٤٠.

فصل

في بعض الاحداث التي جرت في عهود ثلاثة من ملوك الروم المدونة أسماؤهم في فصل السابق . وسير أمور الكنيسة التي أدرجها البطريرك مار ديونيسيوس في كتابه بصورة متقنة .

اذا كان القديس ايوانيس قد سئم من الاطالة في تفسيره لمثل لعازر، فها نحن قد أمضينا أربعة أيام في الحديث عن مثل هذا الرجل الذي ينعته الانجيل « الوديع » حتى انه استحق حضن ابراهيم، قلنا هذا لكي لانسأم من اطالة الحديث عن الحديث عن الذي يشبهه بالاسم لا بالسيرة، ولا كمن يستحق الحديث عنه، بل لكي نظهر كيف أن الخليفة أصدر قراراً ضدنا ولم يلحق الأذى بالكنيسة بفضل نعمة الله، فرسمنا مطراناً لبغداد بدلا من لعازر، انتعشت به تلك الكنيسة.

في تشرين عام ١١٤١ غادرنا بغداد الى تكريت نزولا الى الحاح الشعب بغية انقاذهم من باسيليوس الذي قدموا ضده عدة شكاوى، والذي كان يزعجهم برسائله حتى بعد أن طرده المسلمون، ويحثهم على كراهية بعضهم البعض، ولنا. ولما عزمنا على عقد اجتماع بخصوصه في الموصل أو بلد، سمعنا أنه مريض في دير خارج بلد يدعى دير، فأوفدنا اليه ثلاثة أساقفة فوجده مصاباً بداء الآكلة وقد تشوه وجهه ونتن وانتزع لحم لثته، ولم يستطيعون الدنو منه لكراهة رائحته. فأجاب بتعلثم من وراء الثوب الذي وضعه على وجهه، « اذهبوا وقولوا للأساقفة أنا على خير مايرام وعما قليل سآتي اليكم »، ولما حاولوا رؤية وجهه لم يسمح لهم، فعادوا وقصوا الخبر علينا، فاستغربنا من موقفه، كيف أنه لم يتنازل عن كبريائه وهو على شفير الموت وليستسلم ليد الله الضابط الكل، غير أنه

توفي بعد يوم واحد، فقمنا بدفنه، ففرح خصومه كثيرا، لاسيما المشرقيون الذين تحرروا من النزاع الذي أثاره بينهم، كما خلفت وفاته جواً من السلام. حيث كنا في حيرة من الأمر، لئلا ينشق المشارقة عنا بفعل فساده، فاستدعينا دانيال: من دير بيقوم ورسمناه مطراناً لتكريت، وغادرنا الى سورية في كانون الأول سنة ١١٤١. وفي تلك السنة توفي مار يعقوب بابا الاسكندرية وخلفه مار سمعان، لكنه توفي بعد خمسة أشهر فقط من تسلمه زمام البطريركية، فرسم البطريرك يوسف.

يقول البطريرك ديونيسيوس: ان رجلاً حكيماً في عاصمة الروم، زامن أربعة ملوك ووقف على أخبارهم عن كثب، تحدث الي عنهم، فقال عن سطوريق الذي سبقت الاشارة اليه، بأنه احتمل كثيراً من البلغار كما احتمل من أخته فدرقوفيا التي دست له السم لتتخلص منه ويصفو جو الحكم لزوجها ميخائيل الذي تسلم الحكم بطريقة خبيثة، لكنه لم يهنأ بما اصطاده خبثه. فقد يئس منه زعماء الروم وقرروا قتله لأنه كان يبدد خزينة مملكتهم. فشعر بالمؤامرة وفكر كيف ينقذ حياته من الموت .. فلما عاد لاون سطراطيغوس من حرب البلغار منتصراً، خرج الملك لاستقباله وهو يحمل التاج، فترجل لاون لينحني أمام الملك، وترجل هو الآخر ووضع التاج على لاون وقال: تسلم المللك فانه جدير بك، وانحنى أمامه أولا، ثم استطرد: ما دمت قد فزت بالنصر فان التاج يليق بك، فحسن هذا التدبير للروم، فجلس لاون على العرش. وقص ميخائيل وزوجته شعر رأسيهما وترهبا. وجبَّ الروم أولاده الأربعة، مات اثنان منهم وعاش الآخران.

بعد تسلمه الحكم، نُمي الى لاون أن بطريرك القسطنطينية جدد بدعة « التماثيل » فخاصمه. وكان ذلك الشقي قد عارض السجود لتماثيل القديسين وحتى للصليب، زاعماً أن الصليب ليس أعظم من التماثيل، غير مميز بين السجود لاسم الله من السجود للانسان، ومن الطبيعي أن يكون

تمثال على الصليب الذي يعلقه المرء في عنقه. وفيما كان الملك والبطريرك يخوضان هذا الصراع، سقط الروم في ضلال آخر. فقد كان في العاصمة منذ أجيال بعيدة عمود ضخم، ونظراً الى ارتفاعه الشاهق لم يتمكن أحد من الوصول الى قمته التي أقيم عليها تمثال نحاسي يعلو رأسه تاج ويسمونه أغسطس قيصر ويتخذونه موضوعاً لسحرهم. فاذا مال التاج، حل الموت في المدينة. وفي هذه الأثناء مال التاج، وبالكاد وجد شخص فني ليصعد ويعيده الى مكان عليه، فاستدعاه البطريرك وأعطاه تماثيل صغيرة سراً، وأوصاه أن يظهرها للناس بعد أن يفرغ من اصلاح التاج، ويدعي أنه وجدها في التاج. وقد قصد من وراء ذلك أن يقول ان عبادة الأصنام تقليد قديم لدى الروم. فلما نزل وأبرز التماثيل، سأله الملك أحقاً وجدتها هناك ؟ أجاب: حقاً وجدتها هناك. فسأله أيضاً، هل كانت مكشوفة أم مخفية ؟ قال، أنها كانت تحت الفضاء. فأمر الملك بأن يرش عليها الماء، وللحال اختفت الصور ولم يبق في الأطر شيء. فلما انكشفت الخدعة، واعترف الرجل بتدبير البطريرك لها، أمر الملك بنفي البطريرك وأقام ثاودودوط بدلا منه.

ومن هنا اغتر لاون، وعادى الساجدين للتماثيل وقتل العديد العديد من زعماء الروم. واذ شعر الزعماء بأنه سيقضي على جميعهم، قرروا قتله واعادة ميخائيل، فعلم بذلك وقبض على ميخائيل وكبّله وزجه في السجن وقرر أن يصلبه يوم الجمعة العظيمة ، فالتمست منه زوجته الا يقتله في ذلك اليوم. فأرسل ميخائيل الى الزعماء الموالين له يقول: ان لم تجدوا وسيلة للخلاص، فسوف أقول انكم شركائي في التآمر على الملك، فاضطر الرؤساء وهجموا على الملك لاون وقتلوه في المذبح، بعد أن حكم سبع سنوات ونصف، وأخرجوا ميخائيل من السجن وسلموه مقاليد الحكم، وهو يهودي الأصل من مدينة أمورين، تنصر جده. وبعد أربع سنوات من حكمه، ماتت زوجته ثقلا فأرسل وأخرج حفيدة قسطنطين من الدير وتزوجها. وحيث أن الروم لايملكون عليهم من يتزوج ثانية،

وضعوا التاج على رأس ابنه ثاوفيلس، وعاش أربع سنوات أخرى بعد أن ملك ابنه دون أن يضع تاجاً أو يجلس على العرش. أما زوجته فقد وضعت طفلا، أنفت أن تربي طفلا من أصل يهودي خشية أن يدنس المملكة، وهي حفيدة الملكة ايريني، لذا قتلته. وبعد وفاة ميخائيل حلقت رأسها ودخلت الدير، وهكذا ملك ثاوفيلس.

فصــل

في غزو ثاوفيلس ملك الروم لأرمينيا الصغرى وميله نحو المسلمين. وما جرى من أحداث في الكنيسة والمسيح الدجال الذي اتفق مع رجل شخص وضيع وافتضح أمره فيما بعد

في عام ١١٤١ نفسه، زار البطريرك ديونيسيوس المـأمون خليفـة المسلمين أثناء وجوده في كيسوم، ولما غـادر الخليفـة الـى دمشـق، رافقـه البطريـرك، وهنـاك قبـل الخليفـة، بتوسـط لعـازر المـارديني، الهدايـا التـي حملها البطريرك له، وأرسل يقول للبطريرك، أمكث هنا لكـي ترافقنـا الـى مصر فنرسلك في وفاة الـى أهـل بياميـا فـي مصـر السفلى ليرجعوا عن تمردهم ويقدموا خضوعهم. وفي شباط وصل المأمون الـى مصـر يرافقـه البطريرك ديونيسيوس للمرة الثانية كما هو نفسه وقال: لما بلغنا كرما أول مدينـة فـي مصـر، استدعاني الخليفـة عـن طريـق فـاضل مديـر شـؤونه (مكتبـه). فدخلـت فصـافحني وقـال: لقـد سـمعت أيهـا البطريـرك بتمـرد المسيحيين الأقباط المعروفين ب « بياميين » الذين لم يتعظـوا بمـا جـرى لهم في الحرب الأولـى، ولـولا انـي رحيم ولا رغبـة لـي فـي القتـل، لمـا أرسلتك اليهم، لكن اصطحب الأساقفة الذين معك وجماعة من المصريين، وسافر الى المتمردين وأعطهم تعهداً بالأمان، وليحضروا مـع قواتهـم الـى المكـان الـذي اختـاره لاقـامتهم، وان لـم يذعنـوا أهلكتهـم بحـد السـيف، فاستعطفته أن يبقيهم في منطقتهم فرفض، مصمماً على أحد الأمريـن، أمـا ترك بلدهم أو القتل، وأمر أن يرافقنـي بطريـرك مصـر، فسـافرنا بطريـق النهـر، وبعـد ثمانيـة أيـام التحـق بنـا البطريـرك يوسـف. فنزلنـا الـى اقليـم بشـروط حيـث يقيمـون فوجدنـاهم مجتمعيـن فـي احـدى الجـزر المحاطـة بالقصب والبردي. فجـاء الينـا رؤسـائهم فلمنـاهم علـى تمردهـم وعلـى مـا

ارتكبوه من أعمال القتل، فاشتكوا من الحاكم. ولما أطلعناهم على قرار مغادرتهم بلدهم اغتاظوا وطلبوا الينا أن نستأذن الخليفة ليقابلهم فيطلعوه على مايحتملونه من حاكمهم أبي زيد الذي ضاعف عليهم الجزية، وكان يسجنهم في الليل فتأتي نساؤهم لهم بالطعام، فيهجم عليهم الجند وينجسونهن. كما كان يفكر بقتل الكثيرين منهم حتى ابادة جميعهم لئلا يشكوه لدى الخليفة. والزم الافشين بأن يجمع ارزاق الجيش من قراهم ويقتل رجالهم. وصادف أن رأى بعض الجنود امرأة فحاولوا اغتصابها فصرخت، وسمع الذين في الجزيرة صراخها فاندفعوا نحوها وقاتلوا، فقتل منهم وقتلوا. فتعكر بذلك صفو الأمن ثم تلاشى كلياً.

بعد أن قدم البلغار ولاءهم لثاوفيلس ملك الروم، ووالاه أيضاً الاكراد والعرب الفارون واللاجئون اليه ، فكر في السيطرة على المسلمين، فخرج عليهم وحاصر زوبطرا ونصبوا السلالم وصعدوا فقتلوا وقُتلوا، وفتحوا المدينة، وسيطر الروم والبرابرة الذين معهم، وقتلوا الرجال والنساء والاطفال دون رحمة، وساقوا النساء الى السبي وهن عاريات، وبعد أن نهبوا المدينة أحرقوها وغادروا، فأعاد المسلمون بناءها.. وفي السنة التالية تمرد البطريق مانوئيل على الملك ثاوفيلس، فجاء الى المأمون خليفة المسلمين وحثه على دخول بلاد الروم. ولما جاء الى حران منع هدم كنيستين، وحذر من هدم اية كنيسة الا بأمر منه. وسمع عن جمال كنيسة الرها فذهب لمشاهدتها وسأل الاسقف عن واردها فأجاب: ان معظم الوارد هو لتغطية الضريبة المفروضة عليها، فأمر الخليفة أن تعفى الفنادق والحوانيت وما شابه من الضرائب. وعمم هذا القرار في أرجاء الجزيرة، لكن المسلمين ألغوه بعد فترة وجيزة.

دخل المأمون بلاد الروم في حزيران، وسيطر على أربع قلاع في قبادوقية وعاد ليشتي في دمشق. وفي أيار سنة ١١٤٢ دخل ثانية بلاد الروم وأغار على حصن لقلون فلم يفلح في احتلاله، فرجع الى كيسوم

حيث التقى به البطريرك ديونيسيوس. ولما علم بتمرد المصريين ذهب الى دمشق وأرسل القائدين كيرد وأفشين ليصلحا أمور مصر. ثم سمع ان عوجيف فتح حصن لقلون واستسلم سكانه دون مقاومة بسبب شدة الجوع .. في هذه الاثناء ترك مانوئيل المسلمين وعاد الى ثاوفيلس ملك الروم. فأقسم المأمون على أن يدخل بلاد الروم ويسيطر عليهم، فخاف ثاوفيلس وأرسل بطلب السلام لقاء دفعه الجزية، فأجاب المأمون: ان شرطي للسلام هو خضوعكم لي اضافة الى دفع الجزية سنوياً مهما كانت الكمية، فأنا لا أناقش حول الكثرة أو القلة. فلما سمع ملك الروم جواب خليفة المسلمين الذي يشبه جواب ناحاش العموني، سكت ولم يحر جواباً. وفي قيليقية زار المأمون رجل رومي يدّعي انه من سلالة الملوك، وطلب اليه أن يقيمه ملكاً، فصدق ذلك المخادع وأوعز الى أيوب بطريرك الخلقيدونيين الانطاكي أن ينصبه ملكاً، لأنه علم أن الملك لا يُنصب بدون البطريرك، فصلى عليه ووضع تاجاً على رأسه بعد أن تقاضى ثلاثة آلاف دينار ذهباً وأحجاراً كريمة. فاجتمع أساقفة القسطنطينية وحرموا أيوب، كما فشل ذاك الذي نُصب ملكاً ولم يتبعه أحد. وبعد أن أمضى سنتين في معسكر المسلمين، أشهر اسلامه على يد ابي اسحق مجدفاً على المسيح وساخراً من العقائد المسيحية.

لقد استولى المأمون على عدة قلاع رومية سلماً وبعطايا سخية جداً. وفي ايلول عاد ليشتي في كيسوم، وأمر بهدم سور قورس وقنسرين وكافة الحصون المتواجدة في سورية وبين النهرين. وأقام المأمون في سلعس من بداية سنة ١١٤٤ لغاية آذار. وكبّد الناس ضيقات كثيرة بجمعه الغلال والتبن بكثرة حتى ان معظمها تلف بسبب تزايد المطر والثلج. ثم أخذ المأمون يجمع قطعاناً من الجمال استعداداً لدخول بلاد الروم مرة اخرى، فلعنه الناس لضغطه الشديد عليهم، وأمر ابنه عباس أن يضمن دفع الجزية من عامليه، ومن ضاعف الجزية يمنح حرية التصرف كما يشاء. وفي أيار دخل المأمون بلاد الروم وجمع الفنيين لاعادة بناء مدينة

طأونا التي كان المسلمون قد دمروها. ومرض المأمون ومات في تموز سنة ١١٤٤.

كلمة « السريان »

يقول البطريرك ديونيسيوس: كثيراً ما نستعمل كلمة « سورية عندما نتحدث عن الغرب، وعبارة « الهلال الخصيب وبين النهرين » لدى ذكرنا الجزيرة. غير أننا لاحظنا ان البسطاء لا يفعلون هذا، لكنهم يدعون منطقة مابين النهرين سورية رسمياً، ويسمون سكان غربي الفرات « سوريين » استعارياً. وهنا نقول: ان « سورية » اسم جنس وهو نوعان، فان اسم السوريين يطلق رسميا على الذين يقطنون منطقة غربي الفرات الممتدة من جبل أمنون الواقع شمال أنطاكية حتى حدود فلسطين جنوباً، ومن البحر حتى نهر الفرات عرضاً. ترى لماذا سميت «سورية»؟

نقول: في فترة اغتراب بني اسرائيل في مصر، وُجد شقيقان في هذه المنطقة، يدعى احدهما سورس والآخر قيليكس، وتخاصما حباً بالزعامة، فذهب قيلبكس مع جيشه الى المنطقة التي هي ضمن جبل أمنون المعروف اليوم بالجبل الأسود، حيث أقام له مُلكاً وسميت المنطقة باسمه « قيليقية ». أما سورس فسيطر على منطقة غربي الفرات فدعيت باسمه «سورية ». وانقسمت فيما بعد الى عدة دويلات. لقد ذكرت هذا لأن البعض يدعون عدم قيام ملك من السريان. ومن جهة اخرى فان بني اسرائيل دخلوا أرض الموعد وأسسوا مملكة خاصة كما أسس أهل صور مملكة خاصة أيضاً. كما دعي ملوك الآراميين الذين حكموا دمشق، سرياناً. ونجد في الترجمة السبعينية ما يلي «... جمع بنهدد ملك سورية جيشه وصعد الى السامرة» (سفر الملوك). وكذلك قال جند ملك سورية له «ان آله اسرائيل هو آله جبال وليس آله أودية» و « قال ملك اسرائيل لجنده الا تعلمون ان راماث وجلعود هي لنا ونحن ساكتون عن اعادتها

من يدي ملك سورية». فالساكنون غربي الفرات هم سريان رسمياً، ويسمون سوريين من باب الاستعارة. وهم يتكلمون اللغة الآرامية سواء الذين هم في غربي الفرات أم في شرقيه أي في المنطقة الممتدة من البحر وحتى فارس، حيث قام ملوك كثيرون. ففي الرها قام ملوك من آل أبجر، وحكم آل سنطروس في مدينة نطيرا في أرض العرب، وحكم آل نينوس في نينوى، وحكم آل نبوخذنصر في بابل، ذاك الذي تكلم بالآرامية لدى الحديث عن حلم التمثال وتفسيره. نورد هذا لنؤكد أن السريان هم حقيقة سكان منطقة الغرب وأبناء الجزيرة أي النهرين، الذين يسكنون شرقي نهر الفرات، وان أصل اللغة السريانية وأساسها هي مدينة الرها.

سنة ١١٤١ سقط برد كثيف ودمر الزرع، عقبه جراد أتى على الكروم والزيتون. واستقر وغرز، وفي السنة التالية قضى على كافة الزروع والكروم والأشجار. وفي السنة الثالثة وهي ١١٤٤ سقط ثلج واشتد البرد كثيراً، وجمد نهر الفرات وغيره وعبرها الناس مشياً، وماتت الاسماك وقذفت خارجاً، وجمدت الخمر في الجرار.. وفي هذه الفترة دخل المأمون الى مصر مصطحباً البطريرك ووجد النيل قد جمد، الأمر الذي لم يُسمع من قبل.. وفي عام ١١٤٤ حدثت مجاعة كبرى في خرسان أقوى من المجاعة التي حدثت في السامرة، فكانوا يطحنون الحنطة مع قصالة التبن ويخبزونها، كما كانوا يجففون سعف النخل وينعمونها ويصنعون منها خبزاً ويجمعون نواة التمر ويطحنونها ويأكلون. حتى ان امرأة ذبحت طفلاً وطبخته لتأكله، ولما اكتشفوها اعترفت بأنها أكلت عدة أطفال فقتلوها. كما أن رجلاً غريباً مات في الفندق، فاجتمع عدد من الرجال والنساء وقطعوا لحمه بالسكاكين وأكلوه نيّاً مسرورين. لقد سمعنا هذه الاخبار من رجل مسن نزيه من مدينة أفرا في خرسان.

فصـل

يتضمن الأخبار التي دونها البطريرك ديونيسيوس عمّا شاهده في مصر لدى زيارته اياها صحبة المأمون

يقول الطوباوي: لما اخبرنا القائد أفشين برفض المتمردين الاستسلام، استطرد قائلاً: اذن فالسلام غير وارد، فاذهبوا وقولوا للخليفة ان لا مكان للسلام. وباشر يحاربهم، فاضرموا النار في القرى والكروم والبساتين والكنائس في أرجاء الاقليم كلها. أما البياميون فكانوا يطعنون الفرس ويرمونهم بالسهام والحراب من بين القصب، واستقدموا جيرانهم وحرضوهم ضدهم فقتلوا وقُتلوا. ولدى مقابلتنا الخليفة اطلعته على كل الامور، بما في ذلك الظلم الذي الحقه ابو الوزير بالاقباط والذي سببه عدم تحقيق السلام، وكيف أن أبناء المنطقة يشتكون منه ومن اثنين آخرين. وكان يصغي الي بارتياح، واني لم أقع تحت تأثير غيرتي. وقد تجرأت ونصحته واستشهدت الله عليه مذكراً اياه بالحساب الذي سيقدمه لربه عن الرعية المؤتمن عليها، مستشهداً بقول النبي «بالحق تكلمت أمام الملوك ولم أخجل». فقال: ان هؤلاء العمال لا يتصرفون بحسب ارادتي، وانا لا احبذ ان اثقل على الناس، لا بل اني اشفق على أعدائي الروم، فكيف لا أشفق على رعيتي ؟ وباذن الله سأصحح كل شيء. وفي اليوم التالي دعاني كاتبه وهو الذي حقق في موضوع هؤلاء المظلومين، لكي أقص عليه ظلم عمال مصر لينقل الخبر مجدداً للخليفة وابي اسحق المسؤول عن هؤلاء العمال. ومن جهتي، كنت دائماً احذر ابا اسحق لكونه انساناً لا يعرف الرحمة، لكني عدت وقلت له: علينا أن نخشى الله لا الانسان. ثم رويت له القصة من أولها مضيفاً ما كنت قد سهيت عنه أمام الخليفة. بعد

ذلك اذن لي الخليفة بالذهاب الى دمشق. وفيما يلي ادون مشاهداتي في مصر، آملاً أن لا تسبب خيبة أمل للسامعين، بل تحذيراً لهم.

ان انطباعنا عن البابا مار يوسف والاساقفة هو انهم اناس أعفاء، ودعاء، واغنياء بمحبة الله. وقد كنا موضع تكريمهم، حيث انهم أولونا الكرامة التي للبابا سواء من الناحية الروحية أم الجسدية، طيلة فترة مكوثنا معهم. لكننا لاحظنا فيهم بعض العادات التي لا تتماشى وفضيلتهم، والبعيدة عن روح كيرلس وديوسقوروس وطيمثاوس الذين سنوا قوانين للكنيسة، ومنها اهمالهم الهذيذ في الكتب المقدسة، لاسيما الرهبان الذين كانوا قد تجردوا من هذه النعمة. وتركيز الودعاء منهم على العمل اليدوي وتلاوة المزامير فقط. كما انصب اهتمام الخدام على جمع المال، وليس على العلم والمعرفة ليقدم ثمناً للرئاسة التي يفكرون في اقتبالها مستقبلاً، اذ لم يكن باستطاعة أحد أن يفوز بالرئاسة بأقل من ٢٠٠ أو ٣٠٠ درهم. واذا وجد شخص مثقف وعالم ولا يملك مالاً فان وصوله الى رتبة رئاسية يعتبر عندهم من المستحيلات. ولما انتقدناهم على هذا التصرف، أجابوا: اننا التجأنا الى هذا الاسلوب، بسبب الديون المترتبة على كنيسة الاسكندرية، لأننا عاجزون عن ايفائها.

ولما قلت: ان هذا الاجراء هو ضد قوانين الرسل، ان من يأخذ الكهنوت عن طريق الرشوة يستوجب الحرم مع الذي يرسمه. قالوا: ان اخذ المال من المرتسم أمر قبيح، لذا نطلب اليه أن يحرر اية حاجة من حاجات الكنيسة المرهونة، فضحكت عوضاً عن البكاء وقلت لسذاجتهم ما قاله المسيح لتلاميذه عندما قالوا « يوجد عندنا سيفان » أجاب: انهما يكفيان. ومن عاداتهم، عدم تعميد الذكر قبل اكماله اربعين يوماً، والانثى ثلاثين، فكان العديد من الاطفال يموتون بلا عماد. كما كانوا يخالفون القوانين في عدة قضايا اخرى، فكتبنا بعض الملاحظات وأعطيناها اياهم.

شاهدنا الكنوز التي ذكرها ارميا في مدينة ساليوبوليس عاصمة المصريين التي كان فوطيفار حمو يوسف حبرها، وفيها اعمدة ضخمة طول كل منها أكثر من ٦٠ ذراعاً ومحيطها ستة أذرع، مركبة على قواعد بعرض عشرة أذرع لكي يبلغ ارتفاعها ٧٠ ذراعاً، وقد نقشت صور الهة الوثنيين وكتابات حبرية على طول العمود، لم يفلح أحد في قراءتها. انه لمشهد مدهش. فانها لم تصنع من حجارة رخوة بل من المرمر المتين. وما يشبه هذه، تلك التي في بعلبك وهي احدى عجائب الدنيا السبع كما يقال، ولئن كانت عجيبة، غير ان طول واحدها ٤٠ ذراعاً، أما تلك التي في مصر فأكثر من ٦٠. ان العقل يتيه عندما يفكر في كيفية قلعها، وطريقة نقلها الى تلك المناطق. ترى بأية مهارة استطاعوا نصبها فوق القواعد ؟ فلو اجتمع نحو الف رجل لما استطاعوا زعزتها من الارض بمقدار اصبع واحدة. وكان على قمتها تيجان نحاسية بيضاء تشبه الخوذة التي يضعها الجندي على رأسه في أثناء الحرب، تزن كل منها أكثر من ألف رطل، وبالرغم من أن المدينة خربت منذ ميلاد المسيح، ما كان بمقدور أحد الصعود عليها لجلب النحاس، لا من المصريين ولا من العرب الطموحين، كما فعل المسلمون بالتمثال الذي كان في جزيرة رودس، الذي حطموه وأخذوا منه ثلاثة آلاف حمل نحاس. واذا ما تساءل أحد، كيف اذن تنبأ ارميا بأن المسيح سيكسر أنصاب بيت شمشي، وها هي ذي لا تنكسر ؟ نجيب: ليعلم، ان المسيح قد أبطل وحطم عبادتها كآلهة، وترك هذه الاعمدة كعلامة للأجيال اللاحقة لكي يدرك المسيحيون مدى سيطرة ابليس على الناس حتى ان عبيده يهتمون به بهذا المقدار. وكان في تلك المدينة أكثر من خمسمائة تمثال مشوهة الصور نصبت في شوارع المدينة وخارج ابوابها، وقد شغل كل منها مساحة ٤٠ ذراعاً. وعلمنا انها كانت المركز الديني لوثنيي كافة المناطق، وشاهدنا كذلك في مصر الاهرام التي ذكرها ثاولوغوس في كتاباته، وهي ليست مخازن يوسف كما ذهب بعضهم، لكنها مقابر عجيبة شيدت فوق مدافن الملوك القدماء، وهي مسطحة ومملوءة وليست مجوفة أو فارغة من

الداخل، خالية من الأبواب. ورأينا الى جانب احدها ثغرة يبلغ عمقها نحو ٥٠ ذراعاً، رصفت جدرانها بالحجر الذي حطمه الناس فيما بعد ليروا فيما اذا كانت مجوفة أم لا ؟

تبلغ مساحة كل من الاهرام خمسمائة ذراع طولاً وخمسمائة عرضاً و ٢٥٠ ارتفاعاً. ودعيت أهرام لأنها مسطحة. وفيما أن قاعدتها خمسمائة ذراع فان قمتها هي ذراع واحد، ويتراوح حجم كل حجرة من حجارتها من خمسة الى عشرة أذرع، تظهر من بعيد وكأنها جبال ضخمة. وشاهدنا الى جانبها صخرة كالجبل أو كتلّ مستدير وقد نحتت وصنع منها تمثال لعبادة ملوكهم (أبو الهول)، كما شاهدنا بيتاً مشيداً على نهر النيل قبل أن يتشعب الى أربعة روافد، يشبه صهريجاً مربعاً يتوسطه عمود من حجر، نقشت عليه درجات لقياس مياه النهر لدى فيضانه خلال ايلول. حيث تدخل المياه الى هذا البيت، فيعرف المسؤولون مدى ارتفاع منسوب المياه يومياً. فاذا انخفض منسوب المياه الى أكثر من ١٤ درجة وهي درجة معدل الفيضان، فان بقعة صغيرة فقط تروى من أرض مصر، فلا تأتي بالمحصول المطلوب في تلك السنة، ولا تجمع الضرائب. واذا ارتفع منسوب المياه الى ١٥ أو ١٦ درجة يكون المحصول معتدلاً وكذلك تكون الضرائب. واذا ارتفع منسوب المياه الى ١٧ أو ١٨ درجة، فان أرض مصر تروى برمتها وتجمع الضرائب كاملة. أما اذا ارتفعت المياه الى ٢٠ درجة، فان الفيضان يتلف كل المحصول في تلك السنة. وخلاصة القول: فان المسؤولين يستطيعون أن يعرفوا من مقياس ذلك العمود، مبلغ الضرائب التي تجمع من مصر سنوياً.

لقد نزل أحد ملوكهم، وأوقف الحرب مع البياميين واستدعى زعماءهم وأمرهم بمغادرة تلك المنطقة، فأطلعوه على سوء المعاملة التي لاقوها، ويخشون، اذا غادروا، أن لا يجدوا مورداً لمعيشتهم لأنهم يعتمدون على القصب وصيد الأسماك، غير أنهم أذعنوا له أخيراً وغادروا

بالسفن الى انطاكية ومنها الى بغداد، وكـان عددهـم نحـو ثلاثـة آلاف وقد مات معظمهم في الطريق، واستعبد الاسرى منهم، وعددهم نحو خمسـمائة نفس، للمسلمين الذين أخذوهم الى دمشق وباعوهم هنـاك، الامـر الـذي لـم يجر من قبل في بـلاد المسـلمين، أي بيـع مـن يخضـع للجزيـة. غير أننـا وبعون الله، شجعنا المؤمنين على شـرائهم وبذلـك قـد تحـرروا، لكنهـم لـم يعودوا الى بلادهم بسبب المجاعة المنتشرة هناك، حيـث هـاجر الكثـيرون منهم الى سـورية ليشـبعوا خـبزاً. وأصـدر الخليفـة أمـراً الـى عمالـه بعدم الاساءة الى المصريين أو قتلهم، كما خفض الضرائب عنهم الى النصـف. وبعد مغـادرة الخليفـة مصـر، كـثرت المضايقـات علـى المصرييـن، فكـان الفرس يدخلون القرى ويوثقون الناس بشكل مجاميع، تضـم كـل مجموعـة عشرة أو عشرين شخصاً ويرسلونهم الى الفسطاط دون التـأكد مـن ذنبهـم أو براءتهـم، وقضـي علـى الكثـيرين مـن دون ذنـب. وقـد عـرض الذيــن ربطوا وسيقوا للقتل، رشوة علـى الذيـن يقودونهـم مقـابل اطـلاقهـم، فقـالوا لهم: لقد سلمتم الينا بالعدد، فتريثوا ريثما نأسر من نصـادفهم فـي الطريـق ونطلقكم. فلاقاهم ثلاثة رجال، قسّ ومسلمان، كان احدهما إمامـاً للمسـجد، فقبض عليهم بدلاً عمّن دفع الرشوة، واذ لم يفسح لهم المجـال أن يتكلمـوا، قتلوا, وهكذا كانت جثـث القتـل الأبريـاء تمـلأ الطـرق. وفـي هـذه الفـترة، انتشرت في مصر الحروب والسبي والجوع والأوبئة.

فصـل

في وفاة المأمون وخلافة أبي اسحق حيث تنفس ثاوفيلس ملك الروم الصعداء. ونزول البطريرك ديونيسيوس الى الشرق. وما الى ذلك

يقول القديس ديونيسيوس: في حزيران عام ١١٤٥ توجهنا للسلام على الخليفة ابي اسحق الذي نصب حديثاً، فوصلنا الى نصيبين وصالحنا أبناء كنيستنا الذين شقهم، منذ سنوات ، فيلكسينوس المتمرد، وفور اتحادهم معنا طردوه عند ابيرام القذر المقيم في منطقة القروسطيين. وفي الموصل وقعنا في حيص بيص بسبب اختلاف الكنائس حول المناداة باسم المطارنة، حيث كان المواصلة يلقبون قوروس من دير مار متى مطراناً، في حين لم يعترف التكارتة بذلك. وأخيراً وبقوة الله، استطعنا أن نوفق بينهم لدى نزولنا الى تكريت لرسامة مطران لهم، حيث وجدنا حلاً ارتضاه الطرفان، فكتبنا ما يلي: « باسم الآب والابن والروح القدس. عندما حضرنا الى تكريت، أنا ديونيسيوس البطريرك برحمة الله، مع من حضر من الأساقفة، عثمان اسقف التغالبة، ادى اسقف كرما، ايليا اسقف نرسيم، توما اسقف سجستان، موسى اسقف بلد، قرياقس اسقف الموصل، يوحنا اسقف بغداد: لننتخب ونرسم مطراناً للمدينة المشار اليها ولسائر المشرق، وقفنا على سبب النزاع بين دير مار متى واسقفهم قرياقس مع التكارتة القاطنين مدينة الموصل. ولدى بحثنا الموضوع، قال الماتيون: انه لتقليد قديم عندهم أن ينادى بالاسقف الذي يرسم لمنطقة نينوى، مطراناً في كنيستهم، وطالبوا تكارتة الموصل أن يفعلوا كذلك في كنيستهم. فرد عليهم تكارتة الموصل قائلين: لا يمكن اطلاقاً أن ينادى به سوى كأسقف عادي، ونرفض رفضاً باتاً أن يكون مطران آخر غير مطران تكريت. فجمعنا

كهنة وشمامسة ورهبان وأعيان تكريت وتداولنا معهم في كيفية ايجاد دواء لهذا الداء . فلما لاحظنا ان المناداة به لا تمس كرامة مطران تكريت ، لا بل انه يزداد كرامة بازدياد من هم تحت نفوذه ، توصلنا الى حل يرضي التكارتة ورهبان مار متى ، وهو أن ينادى بقرياقس مطراناً في كنائس تكارتة الموصل اسوة بباقي الكنائس مرتين في السنة . الاولى ، يوم أحد الشعانين حينما يجتمع المؤمنون لتبريك الزيتون في كنيسة التكارتة ، والثانية ، لدى تقديس الميرون . أما بقية أيام السنة فينادي التكارتة كما يشاؤون .

وقد وجدنا في المذكرة التي يقول الماتيون أن قرياقس كتبها قبل وفاته، ما يوجب المناداة باسقف الموصل مطراناً في كنائس التكارتة، كما وجدنا ذلك في الرسالة التي وضعها مجمع الرقة. واستناداً الى هذا تم الاتفاق بين الماتيين والتكارتة على أن ينادى باسقف الموصل مطراناً، وفي الوقت نفسه يكون خاضعاً لمطران تكريت. وقد صممنا على أن نزيد من كرامة كرسي تكريت، فأكدنا على قانون سابق ينص على أن يقوم الاساقفة بالرسامات وتقديس المذابح في كل الكنائس، كل بالطريقة التي يناسبها. ولكن في حالة حضور المطران الى المدينة، على اسقفها أن يفسح له المجال ليقوم بهذه الخدمات في كنائسه، نظراً الى أولويته بين أساقفة المشرق، حيث انه يلي البطريرك. ولمطران تكريت أن يدعو الى الاجتماع متى شاء الاساقفة الذين تحت سلطته. وفي حالة نشوب خلاف بين الاسقف ورعيته، فهو الذي يفصل بينهم. واذا شُكي الاسقف، فانه يدعوه ويحقق معه ويصدر الحكم بحقه بمقتضى القوانين. وعلى المطران قرياقس ومن يخلفه الخضوع لمطران تكريت في هذه الشؤون.

لقد رتبنا هذه الامور في تشرين الثاني سنة ١١٤٦ في تكريت، وبعد ذلك تم انتخاب ورسامة مار توما مطراناً لتكريت. وفيما كنا نتأهب

لزيارة الخليفة، وردتنا انباء من الغرب، فعدنا الى الجزيرة لمعالجة البواعث التي دعتنا للعودة، ومن ثم ننزل من جديد للسلام على الخليفة.

خلافة أبي اسحق (المعتصم)

على أثر وفاة المأمون في بلاد الروم، حدثت بلبلة بين المسلمين استمرت ثلاثة أيام، لأن البعض أرادوا أن يملك عباس، وآخرون أبو اسحق. وفيما هم مجتمعون أُزيح ستار الباب وخرج عباس وقال: ان الخلافة هي لابي اسحق، فصلوا من أجل حفظه، فعمت الدهشة المعسكر. وأحرقوا أبنية والغلات وكل أسباب المعيشة وهربوا. أما ابو اسحق فخاف أن ينزل الى بغداد لتسلم ملك آبائه لئلا يُرفض لكونه حصل على الخلافة بالقوة لا بالاتفاق. فلما وصل ابو اسحق الملقب « المعتصم » الى بغداد في تشرين، استقبلوه مرحبين به، رغم انهم لم يرضوا به، تحسباً لقسوته. وبعد أن تثبت في الملك، باشر بانشاء مبان جميلة لاقامته، وفتح قنوات للمياه، وغرس حدائق للتنزه، وأرسل قواته لمحاربة الزطيين الذين في وسط المياه التي يصب فيها دجلة والفرات، لأنهم شعب متمرد ومصدر ازعاج للخلفاء، حيث انهم يضربون ويقتلون ويسلبون التجار الذيم يقصدون بغداد من البصرة والهند والصين. ولم يستطع الجيش قهرهم لكونهم يقاتلون في الزوارق. فأرسل اليهم الأقباط الذين كان قد سباهم والمعتادين على الحياة في المياه. فكانوا يغطسون في الماء كالسمك دون أن يراهم أحد ويمطرون الزطيين بالنبال ويهربون، وهكذا هزّم البياميون الزطيين. وقبض عليهم وعلى نسائهم وأطفالهم وزجوا في سجن بغداد ثم اعدموا.

حظوة الأقباط لدى الخليفة

بعد الانتصار الذي حققه الأقباط ضد الزطيين، أحبهم الخليفة واختار منهم جماعة يعملون في خدمته وحدائقه وبساتينه، وآخرين لينسجوا أقمشة قطنية، نظراً الى اشتهار المصريين بهذه الحرفة. واذن للبقية بالعودة الى وطنهم. فلما وصلوا الى البحر وركبوا السفن ليعودوا الى مصر، لاحقتهم العدالة هناك، فقد ثارت زوبعة أغرقتهم جميعاً في البحر.

سنة ١١٤٦أرسل أبو اسحق ابن عمه طاهر لمحاربة شعب مادي المتمرد والساكن في جبل صادق فقتل منهم نحو خمسة آلاف وسيطر على تلك الجبال، وأرسل أفشين على بابك الكورمي بعد أن دمر كثيراً من قوات المسلمين. وفي السنة نفسها دبر عمر واصحابه من أبناء ملطية كمائن ضد الروم، فلاقاهم الملك ثاوفيلس وهزمهم في بادىء الأمر، فجمع المسلمون شملهم وانتصروا على الروم، وقتل العديد منهم حينما ولوا الادبار، ونجا الملك مع نفر قليل، فدخل المسلمون بلاطه ونهبوا حتى فراشه وثيابه، وملأوا جرارهم من أمواله.

شوهد في هذه الفترة بالقرب من البحرين، حوت كبير يبلغ طوله نحو ميل، فخاف البحرانيون أن يجوبوا البحر، وحتى الغواصون على اللؤلؤ، امتنعوا عن النزول الى البحر. وظل يقلق المنطقة لمدة ثلاثة أشهر. وكان الناس يخرجون للدعاء الى الله لنقذهم منه، حتى قيض الله سمكة صغيرة طولها شبر واحد، دخلت في اذن ذلك الحوت وقضت عليه فقذفته الامواج الى الساحل، وأخذ الناس يقتطعون من لحمه ويشوونه، واذ لم يستو ملحوه وجففوه في الشمس ثم طحنوه وأكلوه .

في هذا الزمان، أتوا الى عبد الله بن طاهر حاكم خرسان، بمولود لماً يبلغ السنة من عمره، لكنه في كامل قامة الرجال وقد ظهر شعر وجهه. انه لأمر عجيب يفوق الطبيعة.. سنة ١١٤٦ جاء سيل جارف من نهر مدينة زوبطرا الواقعة على الحدود خلال الليل والناس نائمون، وارتفعت المياه فوق السور الذي انهار أمام قوة ذلك السيل وغطت المياه الشوارع والبيوت، وغرق نحو ثلاثة آلاف نفس داخل البيوت، ثم انهار السور من الجهة المقابلة، فانسابت المياه، فسقط العديد من البيوت والبنايات بسبب المياه، كما فاض دجلة ودمر بيوتاً وبنايات في بغداد .. في هذه السنة أثار مسلمو حران حرباً ضد المسيجيين، فهدموا فجر عيد القيامة، كنيستي مار جرجس ومار أحودامة المشيدتين حديثاً. وبسبب خلافاتهم، لحقت بالمسيحية اللعنة القائلة « حوّل الرب اعيادهم حزناً.. والخ ».

فصــل

في حملة ثاوفيلس ملك الروم الثانية على بلاد المسلمين. وزيارة جاورجي ملك النوبيين لأبي اسحق خليفة المسلمين. والمدن الحديثة التي أراد أن يشيدها خليفة المسلمين. وزيارة البطريرك ديونيسيوس الثالثة لبغداد والنزاع الذي نشب بين نساطرة بغداد والخلقيدونيين في أنطاكية

قال البطريرك مار ديونيسيوس عن زيارته الثالثة لبغداد في مطلع عام ١١٤٧ دخلت الى الخليفة ابي اسحق كما اعتدت أن أفعل مع أخيه، فاستقبلني في المدينة الحديثة التي أنشأها بين كلا النهرين. وكان ملك النوبيين قد وصل الى بغداد منذ شباط دون أن يقابله، والذي كتب الي لدى وصوله الى الرقة، بعد أن أمضى فترة طويلة في الطريق، يطلب زيارتي لأخذ البركة، فأجبته: « لا يمكنني ذلك قبل مقابلتي للخليفة، وبامكانك أن تسبقني وسوف أراك هناك ». وقد ذكرت الخليفة بشأنه وقلت له، اني أود أن ألقاه لكونه من أبناء عقيدتي. ولم أعرف سبب ذلك التأخير، وبعد أن قابل الخليفة جاورجي وأكرمه بتوسط طبيبه سليمان، قال لي: اذهب والتق بذلك النوبي، فرافقني بعض الاساقفة والمؤمنين، فوجدناه شاباً ذكياً، ابن عشرين سنة، بهي الطلعة مهندماً ومهذباً، ذا هيئة تليق بالملوكية، وتحدثنا اليه بواسطة مترجم ولمسنا بأنه ارثوذكسي حقيقي غيور على الايمان، يأنف مخالطة الهراطقة. وقدمنا الذبيحة يوم الاحد وناولناه والذين معه، وكانوا حاملين معهم طقماً كاملاً من آنية القداس. وبعد أن أخذنا فرماناً من الخليفة وعدنا، أكرمنا ملك النوبيين ببعض الهدايا الذهبية والفضية التي تليق أن تقدم له من قبل أمثالي لتبقى ذكرى في مملكتهم.

وفي طريق عودتنا من بغداد سنة ١١٤٨ نمي الينا خبر وفاة ابيرام فتوجهنا فوراً الى منطقة القروسطيين لنستميلهم الينا. غير أن فيلكسينوس اسقف نصيبين الآثم، وصليبا والراهب سمعان، رسموا شقيق ابيرام، ووضع فيلكسينوس المعزول عليه يده القذرة، لأن أنباء ازدهار الكنيسة كانت تزعجه. واذ علم ابناء المنطقة بهذا الاجراء، انزعجوا لمعرفتهم بصفاقة سمعان الوقح. فجاؤوا الى مجمعنا في جبرين، فسامحناهم وتباحثنا بخصوص الرسامة التي اقتبلها بعض الكهنة والشمامسة عندهم من المتمرد، وبخصوص المتزوجين أكثر من مرة ولم يمنعوا عن الخدمة، قلنا ان هؤلاء مجردون عن الرسامة بمقتضى القوانين، لأن ابيرام مجرد من الاسقفية. وتنازلنا معهم الى أن نعطيهم نفس الرسامة التي تعطى للعائدين عن الهرطقات. أما المتزوجون لأكثر من مرة فلم نقبلهم، ومن أجل صالحهم كتبنا وثيقة المصالحة على أمل أن يعودوا الينا في اليوم التالي فنعفو عنهم. فجمع الكهنة المتزوجون لأكثر من مرة بعض الرعاع أمثالهم وأقاموا الدنيا وأقعدوها قائلين: لماذا نترك الذين لبوا رغباتنا ولم يرفضوا لنا طلباً أو يمنعونا عن أي مكان في الكنيسة ونتبع من لا يرأف بنا ؟ فانخدع أولئك الشقاة التافهون بمثل هذا الكلام وعادوا الى قيّهم. أما أصحاب الافكار السليمة فعادوا الينا، والذين جبنوا أخذوا يعرجون على الجنبين، فهم يمتدحوننا من جهة ويذمون سمعان، ومن جهة اخرى كانوا يشتركون معهم في بعض المناسبات بتأثير أقربائهم، ومثلهم مثل السامريين الذين كتب عنهم « انهم يخافون الله ويعبدون الهتهم ». ولكن مهما كان الأمر، فقد تكسر جناح جماعة ابيرام، ولم يعد بامكانهم اطلاقاً أن يؤثروا بشيء خيراً كان أم شراً. مثلما أن أصنام الامم (ناقص نحو ١٥ سطراً).. والامتعة ومسك وعنبر وعشرة جمال مزينة من التي اعتاد الملوك ركوبها، وأوعز أن يكون موضع تكريم في كافة المدن حتى وصوله الى بلاده، وأن تعطى له يومياً ثلاثون ديناراً كنفقات.

انشقاق بين صفوف النساطرة

في هذه الفترة، حدث انشقاق بين الخلقيدونيين الانطاكيين، وكذلك بين النساطرة في أعقاب وفاة جاثليقهم سبريشوع. فتركوا الخيار لبختيشوع وسليمان طبيبي الخليفة، فاختار سليمان ابراهيم اسقف حدث، فيما اختار بختيشوع ماري مطران بيت لافاط ، ومن هنا بدأ انشقاقهم. فالاساقفة الذين قبلوا ماري أخذوه الى سليق وقطيسفون اذ لا يجوز رسامة الجاثليق الا هناك. فلما علم سليمان انزعج فقدم شكوى لدى ابي اسحق ضد الاساقفة الذين اخذوا بخيار بختيشوع، قائلاً: «انهم لم يأخذوا بنظر الاعتبار علاقتي بجلالتكم وخدمتي لكم منذ صباي حتى شيخوختي». فأخذته الغيرة وأمر بتكبيل ماري بالسلاسل، وأقاموا ابراهيم اسقف حدث جاثليقاً بأمر الخليفة، وهكذا انشق النساطرة شطرين، أحدهما ينادي بماري جاثليقاً، والثاني بابراهيم. كما قسمت كنائسهم، فكانت تقام في كل كنيسة خدمتان وذبيحتان لعدة سنوات حتى توفي ماري واستقرت الرئاسة لابراهيم.

لقد ترك الخليفة ابو اسحق بغداد، وسكن بين رافدين يتفرعان من دجلة ويسقيان منطقة الآراميين، وهما قطلوب الكبير وقطلوب الصغير، لأنه أحب هذه المنطقة أكثر من بغداد لتوفر الهدوء والصيد فيها. وكان أحد الملوك قد خرب هذه المدينة، فاراد هرون الرشيد والد ابي اسحق اعادة بنائها. وبعد أن بنى السور وأوشكت على الانتهاء تركها وبنى قرية شومرا الواقعة بين آثور وبابل واتخذها مقراً له. وكانت شومرا قرية صغيرة مشيدة على نهر دجلة، ولم تكن لها أية ميزة طبيعية، والسكنى فيها غير مريحة، وهي محرومة من كل خيرات الله، لكنه أحبها من أجل الصيد، فأنشأها وشق اليها قنوات من دجلة وغرس فيها جنائن وبساتين ونخيلاً، وجلب من مصر غرسات البلسم والبردي الذي يصنع منه الورق.

لقد سئم الكثيرون من أتباع بابك والقائد نصر من محاربة الفرس، ففروا الى بلاد الروم وتنصروا على يد الملك ثاوفيلس الذي توهم، بعد استسلام هؤلاء، بأنه سيقهر المسلمين فأرسل يطلب الضرائب من أرمينيا الكبرى مهدداً بخرابها في حالة الرفض. واذ لم يكن لهم جيش، استعملوا الحكمة وأدوا الضريبة، فظن ثاوفيلس بأن الامور تسير بحسب هواه. وفي صيف ١١٤٨ خرج ثانية على زوبطرا التي كان البرابرة قد فتكوا بمن فيها من اليهود والمسيحيين لدى استيلائهم عليها. وبلغ بهم الخبث الى هتك النساء وشق بطونهن. وبعد أن سبوا المدينة وأحرقوها، اتجهوا صوب ملطية وفعلوا الشيء نفسه وأرسلوا السبايا الى بلاد الروم. ثم اجتازوا الى هنزيط ومنطقة ارشميشاط وحاصروا المدينة، فخاف المسلمون المقيمون فيها بعد سماعهم بدمار زوبطرا، ورأوا اما أن يتركوا المدينة أو يدفعوا الجزية للروم، لأن الفرس لم ينجدوهم لانهماكهم في محاربة بابك. ولحنقهم على أبي اسحق الذي كبدهم جزية باهظة. وبسبب مهاجمة الروم المسلمين، ضيقوا علينا كثيراً وكادوا يقضون علينا لولا أن سمعوا ان الروم نهبوا مسيحيي زوبطرا وشددوا الخناق على مسيحيي الرها بسبب شخص رهاوي وقح يدعى شومنا، تبع الروم وحثهم على ابادة المسلمين. وفيما كان الروم محاصرين ارشميشاط، اتفق المسلمون من آل ربيعة مع أهل ملطية على محاربتهم، لكنهم هزموا وسقط منهم نحو اربعة آلاف قتيل، فاحرق الروم ارشميشاط ودمروها، واجتازوا الى منطقة ارمينيا واعملوا فيها سبياً وحرقاً، ثم عادوا وعسكروا بالقرب من ملطية، وهدد ثاوفيلس أهلها بالتخريب والدمار كما فعل بزوبطرا، ما لم يفتحوا أبوابها، وان فعلوا كان لهم الأمان. فخرج اليه القاضي والزعماء وتحدثوا اليه بالحسنى وطلبوا أن يمهلهم فترة ووعدوه باعطائهم له رهائن كدليل على عدم نصب كمائن في بلاده. وبعد أن قدموا له الهدايا واسرى الروم الذين كانوا عندهم، رحل خشية أن تدركه قوات المسلمين.

لقد انزعج ابو اسحق من تصرفات الروم، فأرسل اليهم عوجيف على رأس اربعة آلاف شخص، لكن الروم تغلبوا ودمروا جيشه، ونجا مع قلة، ثم قاد جيشاً آخر ودخل في الشتاء وسبى الشعب ونهب الماشية والخيول وعاد. ولما وصلوا الى مناطقنا قطعوا الطرق كالأعداء وسلبوا كل من صادفوه. أما بابك الكرمي فبعد أن شعر بضعف حزبه، حمل ما استطاع من الاموال ودفن البقية في الارض وهرب مع تسعة من رجاله الى بلاد الروم، فوصلوا الى قرية أحد القادة يدعى اسطيفان في ارمنيا، فتظاهر بالترحيب به وأدخله الى بيته وأوثقه بالاصفاد وأخبر الخليفة أبا اسحق الذي فرح جداً بالقاء القبض على عدوه الذي أباد مئة ألف، وأرسل هدايا الى اسطيفان وطلب أن يساق اليه بابك فاستجاب. فأمر اولاً ببتر ذراعه اليمنى ثم اليسرى، ثم بتر طرفيه وأخيراً قطع رأسه وعلقه على خشبة وأعطى أمواله ومركزه لأفشين. وبعد فترة اكتشف أفشين ما كان قد دفنه بابك من أموال. ونظراً الى توفر الأموال لديه، فقد تمرد هو الآخر.

الخليفة وملوك النوبيين

سنة ١١٤٧ زار جاورجي ابن ملك النوبيين خليفة المسلمين. وقد اعتاد ملوك النوبيين منذ أمد طويل، أن يقدموا لخلفاء المسلمين سنوياً عبداً أسود، وقردة مدربة ومروضة على تقليد تصرفات الناس، وحيوانات تدعى زرافة وعاجا وجلود النمور. ومقابل ذلك كان خلفاء المسلمين يعطون لملوك النوبيين، كذا كيل من القمح من بلاد مصر وكذا كيل من زيت الزيتون، وأواني وثياباً فاخرة. كما أذنوا له أن يجبي الضرائب من النوبيين الساكنين في بلاد المسلمين. وبموجب هذا الاتفاق لم يعد المسلمون يسبون النوبيين، ولا النوبيون يجتازون مدينة ساوني الحدودية من ناحية مصر، ويدخلون الى أراضي المسلمين. ولكن هذا الوفاق نقض بسبب الاضطراب الذي ساد العالم منذ أيام هرون على أثر اتساع نطاق نفوذ الذين استخفوا بالنوبيين وأبطلوا العادة، فلم يعد النوبيون يرسلون

شيئاً الى المسلمين ولا المسلمون الى النوبيين. فلما علم المعتصم بهذه القطيعة، دعا شخصاً من حاشيته وأرسله الى ملك النوبيين ليرسل الحقوق كالعادة المألوفة ، مهدداً إياه بالغزو في حالة الامتناع. ولدى وصول الموفد وجد أن الملك بابديس قد مات، وان زعيماً يدعى زكريا ليس من سلالة الملوك، يقوم بإدارة شؤون الدولة، لكن زوجته المنحدرة من أرومة الملوك أنجبت له ابنا دعي جاورجي، فوضعوا له التاج، في حين استمر والده يدير دفة الأمور حتى بلغ سن الرشد. واذ أدرك زكريا من الموفد مايدور في ذهن المسلمين، أرسل ابنه الى أبي اسحق علّه يجد نعمة لديه، وبهذه الطريقة يكمل رغباته. لذا قال لموفد الخليفة، لا أحبذ أن يتم الحوار بيننا عن طريق الرسائل، بل سأرسل ابني الذي يملك على النوبيين، للسلام على خليفتكم. فنقل الموفد هذه الرغبة الى الخليفة، فاذن بمجيئه وأمر عماله في مصر أن يستقبلوه بترحاب واحترام. فلما علم أبو اسحق بوصوله الى فسطاط مصر، كتب الى الحكام ليستأجروا جمالا لكل أفراد أسرته ويعطوه ثلاثين ديناراً يومياً كنفقات. ويستقبله حكام المدن بمايليق به كملك.

ففي الرقة، استقبله أمير الجزيرة واحتفى به المسيحيون والمسلمون، وتهافتوا عليه وكأنما شيء غريب حدث في بلدهم. فقد كان يركب جملا مسرجاً بسرج غريب يختلف عن سرج منطقتنا، تعلوه مظلة موشاة بأقمشة فاخرة، وعلى قمتها صليب ذهبي. وأمسك عصى بإحدى يديه وصليباً بالثانية، والى جانبيه يسير شباب نوبيون حاملين صلباناً بأيديهم، ويتقدمه أسقف راكب وبيده صليب، وجميع هذه الصلبان من ذهب، وجميع الفرسان والعبيد الذين معه، هم من السود. وكان يرافقه أسقفان آخران توفيا في الطريق، كما توفي بعض مرافقيه بسبب الثلج والجليد. لم يكن أبناء الرقة قد نظروا مثل هذه المشاهد من قبل.

بعد أن أمضى عيد الميلاد في الرقة، نـزل الـى بغـداد فـاحتفى بـه الجيش في الشوارع، وحـل فـي أحـد القصـور الملكيـة، ومكـث هنـاك مـن شباط حتى آب. أما سبب تأخيره فهو: ان نوبياً ممن كانوا يجبون ضرائـب الملك مـن النوبييـن الذيـن فـي بـلاد المسـلمين، تمـرد علـى الملـك وأشـهر اسـلامه، فقبـض عليـه وكبلـه بالسلاسـل، فكتـب ذاك الشـقي الـى خليفـة المسلمين يقول «ان هذا رجل محتال وليس ابن ملك». فأرسل الخليفة الـى مصر من يحقق في أمر ذلك المتمرد. لذا تأخر دخول جاورجي الـى ابـي اسحق، ولما أكدّ التحقيق بأنه ملك وابن ملك، أرسل بطلبـه، وأمـر القـوات العسكرية أن تستقبله بكامل أسلحتهم وزينتهم، فاجتاز بينهم وهم منتظمـون على جانبي الطريـق، يعلـو رأسـه اكليـل، ويعلـو تاجـه صليـب. وهيـأ أبـو اسحق مجلساً أكثر عدداً من المأمون، ولما دخل أمسكه مـن يـده وأجلسـه أمامه. وعرف عـن طريـق المـترجم، انـه جـاء للسـلام عليـه، فرحـب بـه بحرارة ونفحه بهدايا ثمينة ذهبية وفضية.

فصل

في دخول ابي اسحق خليفة المسلمين ارض الروم، واندحار ثاوفيلس ملك الروم. وهدم مدينة امورين المؤلم. وأحداث فضائية. وبعض الاحداث الكنسية التي جرت في هذه الفترة

عندما كانت تسوء العلاقات التي بين الممالك، كانت الكنيسة تتمتع بشيء من الاستقرار، فالمؤمنون كانوا يقعون دائماً تحت وطأة الضرائب الباهظة التي يفرضها الحكام، كما كانوا ضحية الحروب والنزاعات التي تنشب بين الملوك. ولكن الاضطهاد الذي أثاره ابليس في سروج، كان بسبب النزاعات والفتن التي جرت بين صفوف المؤمنين والقائمين على ادارة الكنيسة. وكان ذلك عن طريق رجل مسلم ساقته غيرة شريرة الى البحث عن الذين ارتدوا الى الاسلام ثم عادوا الى المسيحية، واكراههم على العودة الى الاسلام من جديد، فالقى القبض على الكثيرين الذين احتملوا العذاب بشجاعة. غير ان هذه الزوبعة هدأت فيما بعد بواسطة امرأة من قرية بسمان صمدت في الجهاد ولم تتخاذل ابداً أمام قسوة العذاب مثل الذين سقطوا. فلما وقف حاكم الرقة على أمرها وأُخذت اليه، أثر كلامها الذكي والحكيم به، فاستدعى ذلك الرجل وأمر بضربه وزجه في السجن. وهكذا تمَّ الخلاص.

انشقاق في صفوف الخلقيدونيين

حدث في هذه الفترة انشقاق في كنيسة الخلقيدونيين الانطاكية، ولحقت الاهانة جميع رؤساء الكهنة لدى اجتماعهم لانتخاب خلف لبطريركهم أيوب. اذ رشح آل شماساً صديقاً لأيوب، فيما رشح خصوم

أيوب اسطاثاوس تلميذ باسيليوس مطران صور، وكان عامل انطاكية يساند انتخاب الأخير لكونه من أبناء صور، فاستدعى المعارضين وألزمهم بالموافقة. وان القس الذي حمل الرسالة الى اسطاثاوس قال له قبل أن يسلمها اليه: اني موفد اليك والى نيقلاوس الدمشقي. ولكن اذا أعطيتني كذا دينار سأنتخبك. وازاء طلبه المال، سحب اسطاوثاوس ترشيحه، فمحا اسمه من الرسالة وكتب اسم نيقلاوس، فرحب بعض الأساقفة به ورسموه في حلب، فاقسم حزب اسطاوثاوس على رفضه. فلما زار نيقلاوس انطاكية استقبله بعضهم في حين رجمه البعض الآخر بالحجارة. وكان المسلمون واليهود يسخرون منهم ويقذفون المسيحيين بالتراب، وأخيراً انتصر جماعة اسطاثاوس فلم يسمحوا لنيقلاوس بالدخول الى كنيستهم، وحذرهم أرخدياقون الكنيسة الكبرى من أن يتخطوا عتبة المدينة باعتباره نائباً للبطريرك، وله الصلاحية أن يحدد مناطق نفوذ الأساقفة. فظلوا خارج المدينة مدة شهرين، ثم التجأوا الى ابي سعيد أمير سورية واستحصلوا أمراً منه الى عامل انطاكية ليسمح بدخوله الى الموالين له. فدخل محاطاً بالمسلمين الذين كانوا يضربون المعارضين، فيما هتف المسلمون واليهود قائلين: انكم أيها المرتدون تستحقون أن تستقبلوا رئيسكم بضرب العصي بدلا من الصلبان والشموع والأناشيد. ولدى وصولهم الى كنيسة قاسينا، أغلق المعارضون الأبواب، فكسرها الجنود ورضوهم وأرسلوهم الى السجن. وفي الكنيسة حدثت مناحة وقتل عندما أخرجوا الكرسي الفضي ليجلس عليه. وفي اليوم التالي فتح نيقلاوس خزانة الكنيسة وأخرج الآنية الذهبية والفضية وأعطاها للعامل وجنده، واستعمل القوة مع المعارضين ليتناولوا منه قربانه، غير أنهم كانوا يرمونه من أفواههم ويطأونه. وعيَّن الأمير رجلا يتقاضى منهم ثلاثين ديناراً شهرياً، ليجلس في المذبح ويراقبهم لئلا يقتل بعضهم البعض.

وحصل حزب اسطاثاوس على أمر من الأمير برسامته، فرسمه أسقف الرقة المعزول وأسقف آخر، بطريركاً دون أن يكون قد اقتبل

درجة الكهنوت بعد. وحيث انه لا يُعترف برئاسته ما لم يجلس على الكرسي، لذا رشى عامل انطاكية بخمسمائة دينار، فأخبر حزب نيقلاوس وأخرجوا الكرسي اذ كانوا قد أخفوه، فجلس عليه اسطاثاوس يحيط به الجند ، ثم قسموا الكنائس. واجتمع نفر من الطرفين في كنيسة والدة الله في قاسينا وتراشقوا بالحرومات. وفي كنيسة الرقة كان يقدم الذبيحة كاهنان على مذبح واحد. كل من جهة ويحرم أحدهما الآخر.

سنة ١١٤٩ استعد الخليفة أبو اسحق للدخول الى بلاد الروم، فقسم جيشه الى معسكرين، الأول بأمرة أفشين، فدخل وادي حدث. وقاد الخليفة المعسكر الثاني فدخل وادي طرسوس خمسون ألف محارب وثلاثون ألف من التجار ومستأجري الدواب والعبيد، ونحو خمسين ألف جمل وعشرين بغل، ماخلا خيول الملك والجيش. وفي صفصف، اكتشفوا جاسوساً للروم فقتلوه، ولدى وصولهم الى مدينة نيقية الخربة، هدموا أسوارها، ومن هناك رحلوا الى أنقرا التي هجرها أهلها وهربوا الى مدينة أمورين الكبيرة، فأمر الخليفة بهدم سور أنقرا المشيد بحجارة ضخمة جداً، وقبضوا على تسع مركبات تنقل اناساً من أنقرا وأتوا بها الى المعسكر. وجاء الملك ثاوفيلس الى معسكر أفشين المؤلف من ثلاثين ألفا، فقتل الروم ثلاثة آلاف من المسلمين، وللفور أرسل الله مطراً غزيراً فتوقف القتال وتبدد معسكر الروم، وانعزل، ثاوفيلس مع ألفي جندي حتى اعتقد الباقون بأنه قتل فهربوا الى القسطنطينية. فلما توقف المطر وصحا الجو ورأى ثاوفيلس ان الروم تبددوا ترجل والذين معه وتجمعوا حول الملك، فأحاطت بهم قوات أفشين البالغة ثلاثين ألفاً، لكنهم لم يتمكنوا من ايقاع الأذى بالألفين اللذين مع ثاوفيلس، فجاؤا بالمنجنيقات ليرجموهم بالحجارة، فانتفض الروم وشقوا صفوف المسلمين وهم يقاتلون، ولما خيم الظلام هدأ القتال. فأضاء الروم معسكرهم ورحلوا الى أمورين مسرعين فنجا ثاوفيلس.

بعد ذلك أوفدت اليه والدته شخصاً يخبره بأن الروم الذين وصلوا الى العاصمة، أشاعوا أنك قتلت، وسوف يقيمون ملكاً آخر، فأسرع بالقدوم. فحرك ثاوفيلس القوات التي في أمورين وأمر بغلق الأبواب، فصارت أمورين كالوعلة التي تئن على أولادها. فلما وصل الى القسطنطينية قتل الرؤساء الذين أرادوا أن يقيموا ملكاً آخر، وعاد الى أمورين وشاهد الدمار الذي تركه المسلمون فيها، فلام نفسه لأنه خرب زوبطرا أولا، وتنبه الى أنه ضرب مؤخرة السفينة فقط. فأرسل البطريق باسيليوس الى أبي اسحق حاملا رسالتين وهدايا، يعترف في الأولى بذنبه ويطلب الى البطريق اطيوس أن يطلق سراح الأسرى المسلمين ليتحقق السلام. وضمّن الثانية شتائم وتهديدات في حالة رفضه للسلام. فرحب بحرارة برسالة، وطلب أن يطلق الروم سراح جميع الأسرى المسلمين، ونصر الكردي وابنه وعمانوئيل. فأجاب باسيليوس. هذا غير ممكن، فقال: اذن ارحل. ثم سلم اليه رسالة التهديد، فقرأها واستشاط غضباً وأعاد هدايا ملك الروم مع موفده، وأمر أبا سعيد قائد الجيش ان يُعد مكامن في ارض الروم، وخوله السلطة على بين النهرين وسورية. ولدى وصوله الى حلب. أمر بكسر جرار الخمر كما سكبت خمر الزقاق في الشوارع. فزاره أسقف خلقيدوني وطلب اليه الرأفة بالمسيحيين، غير أنه قال: لاتتعب نفسك أيها الأسقف، فأنتم شعب اكرهه جداً ولا يمكن أن يجد مني حسنة، فصلوا أن تكون نهايتي مع الروم لئلا أراكم.

فلما تحرك ليدخل أرض الروم، أخذ المقاتلين الى ناحية، وترك الرئيس بشير مع أبناء المصيصة في ناحية أخرى، وبعد أن غنم بشير وأسر الكثيرين، لحق به نصر زعيم الأكراد وأنقذ اسرى الروم، فأدركه أبو سعيد فتخاذل نصر فقتله بشير وعلق رأسه على الرمح. فلما رأى الأكراد أن زعيمهم قتل، تصوروا الموت أمامهم، فترجلوا وسحبوه وقاتلوا راجلين حتى انتهوا، فأوعز الأمير بجمع رؤوسهم وجاء بها الى المصيصة وملحوها ليرسلوها الى الخليفة، فاكتشف ان معظمهم من أبناء

المصيصة حيث تعرفت النساء على رؤوس أزواجهن، فكانت مناحة كبرى وانقلب فرحهم حزناً. أما الخليفة فسر جداً بمقتل نصر الذي دمر زوبطرا، وعلق وساماً ذهبياً في عنق بشير ونفحه بالهدايا.

مأساة مدينة أمورين

كان لأبي اسحق خليفة المسلمين ولد يدعى داود يكره المسيحيين، وبتأثيره أصدر والده قراراً بمنع وضع صليب خارج الكنائس أو دق النواقيس ورفع الأصوات أثناء الصلاة أو في الطريق خلال تشييع الجنازة، وحرم وجود خمر في المدن أو في الطرقات. فغدا الناس فريسة للعَمَلة الذين كانوا يتعاملون بهذا القرار بقدر ما يُدفع لهم.

(في عام ١١٤٩ ظهر مذنب في الجهتين الشمالية والجنوبية وامتدت أشعته الى الغرب ودام ١٦ يوماً. وكان يظهر في الفجر حتى اختفاء نور الشمس).. لما رأى أبو اسحق خليقة المسلمين ان الأمور في بلاد الروم لاتسير بحسب رغبته، استاء وقال: لقد أخطأنا بدخولنا هنا. فلما همَّ بالخروج، قال له كاتبه أحمد، لايجدر بملك مثلك أن يترك المنطقة دون أن يجني فائدة ما، فان مدينة أمورين ليست بعيدة عنا، لنذهب ونحتلها. فأخذ بمشورته مثل احتوفيل، فلما رأى الخليفة تحصيناتها، أقام حولها تلالا ترابية، وأخذوا يقذفون المدينة من الخارج بحجارة المنجنيقات، وظللوا الشمس بسهام أقواسهم وهم يرشقون الذين على السور، في حين أقام آخرون خيماً مغطاة بالجلود لحماية الذين كانوا يحفرون أنفاقاً تحت السور. أما الذين في الداخل، فكانوا يقاتلون بالسهام واللبن والعرادات (آلة أصغر من المنجنيق)، ويرشقون الذين يقتربون من السور بالحصى ليبعدوهم، حتى صاروا وكأن سحابة من الرمل والرماد تغطيهم. وقد قتل من كلا الجانبين ثلاثة آلف شخص خلال ثلاثة أيام من القتال، وأخيراً اهتدوا الى بقعة متخلخلة في السور، فصوبوا اليها

المنجنيقات والعرادات حتى انهارت بعد عدة أيام من قذف الحجـارة، فنـاح الذيـن فـي الداخـل، وانشـرح الذيـن فـي الخـارج. فـاجتمع المقـاتلون حـول الثلمة، وارتفع عدد الجثث بحيث حالت دون دخولها الذين في الخـارج، فانزعج أبو اسحق وجمع جنده وعبيده الأتراك الذين وضعهم فـي المقدمـة يتبعهم الجيش، وأمر بقتل كل من يهرب. فطلب الروم أن يلتقوا به، فـأذن لهم، فجاء الأسقف وثلاثة زعماء وطلبوا الرحيل عن المدينـة، فقسـى قلبـه ولـم يوافـق، فلما همـوا بـالرجوع، التفـت اليـه واحـد مـن الزعمـاء يدعـى جوادين ووعده بتسليم المدينـة بالحيلـة، فرحـب الخليفـة بـالفكرة وأعطـاه عشرة آلاف درهم، فأعطاهم كلمة السر حيث قال: عندما أقف على السور وأرفع قبعتي من رأسي، اعلموا إني نحيَّت المقـاتلين عـن الثلمـة، فتقدمـوا وادخلوا.

لدى رؤيته جودين يعود الى الخليفة، أدرك الأسقف انه سيسلم اليه المدينة، فأخبر أهل المدينة بذلك، فاتجه بعضهـم صـوب الكنيسـة وهتفـوا: يارب ارحم، وآخرون هتفوا وهم فـي بيوتهـم، وغيرهم نزلـوا الـى الآبـار والجباب، واحتضنت النساء أولادهن كالدجاجة كي لايفارقوهن سـواء الـى السيف أم الى العبودية. وأخذت سيوف المسلمين تعبث فساداً وتكوّم أكداساً أكداساً من الجثث. وبعد أن ارتوى سـيفهم مـن الـدم، صـدر أمـر بـالتوقف عن القتل والشروع باخراج الناس ونهب المدينة، ثـم دخـل الخليفـة المدنـة وانبهر لجمال الأبنية والشوارع، لكنه انزعج مـن نبـأ بلغـه، فـأضرم فيهـا النار وأحرقها. وكانت تزخر بأديرة النساء، وسبيت أكثر مـن ألـف راهبـة الى جانب اللواتي قتلن واللواتي أُعطين للجنود الأتراك والماديين لإذلالهن المجد للأحكام غير المدركة.

لقد احترق جميع الذين كانو مختبئين في البيوت وقلالي الكنـائس. ثم جمعت غنائم المدينة في مكان واحـد، ورأى الخليفـة أن النـاس مـازالوا كثرة، فقتـل اربعـة آلاف رجـل آخريـن، واختطفـت كافـة الأوانـي الذهبيـة

والفضية والنحاسية، بل خطف الجند الناس ايضاً، فارتفع عويل وبكاء الرجال والنساء والاطفال الذين كانوا يختطفون من أيدي آبائهم. فلما سمع الخليفة صوت العويل، تأثر لأنه لم يأمر باختطاف الناس، فنهض غاضباً وقتل بيده ثلاثة رجال لاقاهم وهم يصطحبون عبيداً، وأمر باعادة الناس الى حيث كانوا مجتمعين. فأعطى بعضهم لقواته والبعض الآخر لرؤساء جيش الأتراك، ولحاشيته وباع بعضهم للتجار، حيث كانت تباع العائلة جملة دون التمييز بين الأبناء والآباء.

تم خراب أمورين في ٦ تموز عام ١١٤٩، وفيها اضمحلت المملكتان، مملكة الروم بسبب ما أدركهم من نكبات، ومملكة العرب الذين زعموا، انهم عرفوا عن طريق السحر، بأن مملكتهم ستزول يوم يفتحون مدينة أمورين الحصينة، اذ لم يستطع أحد احتلالها قبل أبي اسحق الذي فتحها خلال ١٢ يوماً، ووجد فيها شعباً كثيراً وأموالا طائلة هي أموال المدن المجاورة المخزونة فيها. على هذه الصورة كانت نهايتهم.

فصـل

في نهاية الملكين ابي اسحق خليفة المسلمين وثاوفيلس ملك الروم اللذين تصالحا وتوفيا بعد فترة وجيزة. والاحداث الرهيبة التي جرت. وظهور المتمردين مرة اخرى في مناطق المسلمين. ونص الاحتجاج والالتماس الذي قدمه الطوباوي مار ديونيسيوس في ختام كتابه. ووفاته التي حلت في هذه الفترة

ان الاحداث التي دونها مار ديونيسيوس التلمحري الواردة في هذا الكتاب، دونت بشكل دقيق، وقد ذيل كتابه في آخر ايامه بكلمة التماس مقترنة بالنصح والارشاد، هذا نصها:

«لقد اشتد الضيق على الناس في هذه الفترة أكثر من اية فترة اخرى من حكم العرب، بسبب جشع الحكام. فان اية زيادة في الضرائب كانت من حصة الحاكم، وكان يفرضها بسبب هواه. وقد عُين مدراء لكل دائرة لكي يبتلعوا المساكين بشكل أو آخر. ففي الرقة، عينوا حاكماً يدعى قادي، وجابياً للضرائب، وعاملاً لمراقبة عابثي الفساد، وآخر لمراقبة الناس وارسال اخبار المنطقة الى الخليفة، وآخر على غلات الصوافي، وآخر للنظر في تظلم الناس، لكنه كان يظلم أكثر من الكل. وهذا ما فعلوه في كل مدينة. ولكي يتطلع الناس الى اية درجة من الخبث أوصل الجشع الحكام، أسرد بعض أعمالهم.

لما سمع علي حاكم دمشق أن ثريّاً توفي، استدعى أولاده واتهمهم بقتل والدهم، فأجابوا بأنه مات موت ربه. قال: كلا، بل قتلتموه لكي

ترثوه. فكبلهم بالسلاسل وزجهم في السجن. وفي الليل أمر باخراج والدهم من القبر وذبحه واعادة دفنه. وفي الصباح دعاهم وقال لهم: ان كنتم صادقين أخرجوا اباكم من القبر، ففعلوا دون أن يدروا بما جرى فوجدوه مذبوحاً، فجلدهم وصادر ثروتهم.. وكان يشتري جمالاً هزيلة ويفرض على القرى تسمينها في الشتاء، ولشدة ضعفها كانت تموت، فكان يدعي بأنها جمال الخليفة فيأخذ ثلاثين ديناراً ثمناً لكل واحد.. فيما كان حاكم قورس يتجول من قرية الى اخرى شاهد جملاً يتبول في الطريق فقال لصاحبه لماذا تدع جملك يتبول في الطريق، فان المسلمين سيمرون من هنا وينزلقون ويسقطون، فسجنه مع جماله حتى دفع له. وفي اليوم التالي شاهد شخصاً سقط من حماره وفدغ رأسه، واذ علم بأنه حماره وانه نفر وأسقطه، أمر بقتل الحمار باعتباره قاتل صاحبه. فاضطر المسكين الى دفع دينارين للحاكم، وأنقذ الحمار.. عندما كان يشتكي شخص على آخر، كان يسحب كليهما ويفرض عليهما الجزاء، فامتنع الناس من رفع الشكاوي اليه، وتمسكوا مضطرين بالوصية القائلة «لا تجاز الشر بالشر».
وكان الحكام يمنعون من جني الكروم في مواسمها حتى يتقاضوا من كل واحد ألف دينار عن الكروم، وكذا الأمر بالنسبة الى المعاصر، اذ كانوا يمنعون عن العصر حتى يدفعوا ما يطلبون، وكانوا يختمون الخمر التي في الجرار حتى يتقاضوا من البائعين والشارين. وكانوا يفرضون الضرائب حتى على الطرقات وأبواب المدن، ويأخذون قسماً من الأكداس أثناء الحصاد. وكذلك يفعلون خلال جني الزيتون. كل هذه القرارات الجائرة أصدرها أحمد بن أبي داود.

واذا ما تحدثنا عن أعمال أفراد عشيرته (الاتباع) يتيه العقل ويعقل اللسان من كثرة جرائمهم. فقد تجبروا ولم يستطع أحد أن يقاومهم أو يردعهم عن اشباع رغباتهم فكان (التابع) يحل فدان المسيحي من حقله، ويحرث حقله هو، ويسخر الرجل وعائلته لحصاد حقله والعمل معه، ولم يكن الحاكم ليردعهم. واذا ما رغب التابع في قرية ما، ضاعف على

ابنائها الضرائب حتى يضطروا الى بيعها فيشتريها بأبخس الأثمان. وبهذا الاسلوب اغتصب أحمد عدة قرى. وقد احتمل الناس حتى المسلمين الكثير من العنف من الحكام والاتباع.

ادرج ادناه احدى قصصهم التي تدعو الى السخرية وتفضح رياءهم. فلقد دخل زوجة أحد مسلمي المنطقة شيطان من النوع الذي يتكلم من الداخل، فأتى والدها بساحر ليخرج الشيطان، غير ان الشيطان شتم الساحر أمام الجمهور الذي احتشد ليشاهد هذا الوهم. ولما فشلت تمتمات الساحر، اعتمد سيفاً وهدد بقتل الشيطان، فصرخ الروح الشرير بفم المرأة قائلا: اسمعوا ايها المحتشدون، فأنا ولئن كنت من ابناء الأرض غير اني انتمي بجنسي الى عنصر الاتباع، فأنا تابع من أصدقاء أحمد ابن أبي داود، وان هذا يحاول قتلي. فلما سمع الساحر اسم « الاتباع » هرب لئلا يقتلوه، غير ان الاتباع حاولوا الانتقام من الشيطان الذي التجأ اليهم. وهكذا التجأ الكثير من الناس الى الاتباع مثل الشيطان لكي يحموهم من الحكام الذين على يدهم ويد اتباعهم كانت تتطاير غلات المساكين، ولم يكن من يغيث، ولم يكن الملك يفتح أبوابه للناس. والأنكى، أن الله ايضاً غض طرفه، فان دعونا لا يستجيب لأننا اغضبناه بأعمالنا السيئة، ولأننا، كما يقول الرسول، صرنا نتحدث بالاثم والغش ونفكر بالسوء والامور المشينة. وبسبب هذه الاعمال وامثالها، أسلم الله المسيحيين بأيدي الأعداء، فتسلط عليهم مبغضوهم الذين حاولوا القضاء على الحرية التي تضمنتها شرائع المسيحيين، الى جانب ما كبدوهم من المآسي.

وعليه، فإني بألم شديد وحزن عميق، أدون هذا التأديب، لكي أظهر كيف أن الله أفاض غضبه علينا واستل سيفه وامتد قوسه، مهيأ لنا وسائل الغضب. والآن أقول: حتى متى احتملكم ؟ مالذي كان علي أن أعمله ولم أعمله، وقد استهنتم بالتوبة وقسيتم قلبكم بسبب طول أناتي لكم. اكتنزتم لكم كنز رجز ليوم الغضب. وقد تردون علي قائلين: لماذا، وأنت

تمسك بزمام الكنيسة، لاتسهر عليها بجدية لكي يسمع الرب صلاتك ويبعد عنها غضبه كما فعل موسى الذي صلى من أجل اسرائيل فاستجيب ؟ ولمثل هؤلاء أقول: أنا أيضاً خاطئ كسائر الناس، ولا دالة لي كدالة موسى. وقد يقال: أن تقواك أُئتُمنت على نواميس الرب غير المدركة، وأعطيت وكالة على هذه الحياة المتنوعة التي تعتبر ادارتها فن الفنون ومعرفة المعارف، وقد أدركت بالخبرة الصعوبة التي يلاقيها الرعاة لاسيما اذا كان لهم قلب حساس، يكون له كالسوس بالنسبة الى العظام. ليس لي أن أعطي صورة لفطنتك عن مدى العذاب الذي أعانيه. فكم من ليلة قضيتها دون نوم وكم من نهار لم أذق طعم الراحة، إضافة الى الأفكار المزعجة التي تحرق القلب وتنشر الحمى في الجسد، لأن كل واحد انتحى جانباً وليس من يفهم ويطلب الله. فلو كنت قديساً مثل موسى، ورؤوفاً مثل أرميا كان باستطاعتي أن أفيد الشعب الذي يصر على موقفه ولا يغيره. فموسى لم يصلِّ لمفرده ولئن كان صامتاً، لكنه شارك الشعب في الصلاة. فما رفعوا أنظارهم ورأوا المصريين. خافوا كثيراً كما كتب فصرخوا الى الله. فصرخة الشعب وتوبته فتحت الباب أمام صلاة موسى. أما نحن، من منا هو تائب، أو من يقبل الارشاد ويتقيد بالقوانين ولا يهزأ ويهز رأسه ويسخر من القوانين وواضعي القوانين. انه لمن العدل أن يقال لنا ما قيل لأرميا «لاتصلِّ لأجل هذا الشعب، لأني لا أسمعك» وقوله أيضاً «ان وقف موسى وصموئيل أمامي لاتكون نفسي نحو هذا الشعب» (١٥).

وعليه نقول مع ارميا «الويل لنا لأننا أخطأنا» فسكر قلبنا وأظلمت أبصارنا. كما نصرخ مع بولس «هوذا الزمان قصير» و «أدركهم الغضب الى النهاية». واليوم، توجد علامات كثيرة، احداها، التأديب الذي يقول عنه الرسول « عند مجيئه سيظهر ابن الهلاك» لذا فاني أرثي لحالي أنا الشقي الذي، بسبب خطاياي، أوشكت أن أجرع الكأس حتى الثمالة، وأتألم ويحزن قلبي عندما أرى بأم عيني المآسي التي يتكبدها أبناء الكنيسة، وفي كل يوم تضاف الينا نكبات جديدة. واني الآن أتخيل العقاب الرهيب الذي

لامناص منه، والعتيد أن يكون في الآخـرة، وأنـا واقـف علـى البـاب. وان الحل الوحيد من وثاقات الخطيئة هو الموت الذي اشتاق اليه كأفضل شيء ايجابي بالنسبة الي. وعلى أمل بلوغ ذلك اليوم فاني أتذكـر وأغـذي نفسـي بما كتبه أحـد القديسين الى شخص كان يتألم من أجل الكنيسة مثلـي، حيـث قال لاتستسلم للخيال فـي مـا يخـص آلام الكنيسـة العامـة، بـل غـذ نفسـك بالرجاء والفضيلة، وتذكر ماقاله الرب لتلاميذه «ان كانوا قـد اضطهدونـي فسيضطهدونكم» ومـا قالـه بولس لطيمثـاوس «وجميـع الذيـن يريـدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يضطهدون».

بعد احتلاله أمورين وتدميرها حرقا، علم أبو اسحق أن ابـن أخيـه عباس ينوي قتله، فقبض على كاتبه وطبيبه النسطوري فكشـفا لـه مؤمـراة عباس والمشتركين معه، وفضحـا ايضـاً تواطـؤه مـع تـاوفيل ملـك الـروم، والشـرط الـذي وضعـه علـى أهـل بغـداد، ومفـاده أن ينـادوا فـي الشـوارع والمساجد بالعباس خليفة فور سماعهم بمقتل ابـي اسـحق والقـائد عوجيـف وكبلهما ووضعهما على الجمال وغادر أموريـن التـي لـم ينـج منهـا سـوى نزر يسير، واصطحب معه البطريق اطيس والوالي وبودين المسلم، وعـاد فخوراً الى بـلاده. فـي حيـن توفـي عبـاس فـي منبـج تحـت تـأثير العـذاب والجوع ووجه الخليفـة رسالة عامة جاء فيها «ليطلـع الجميـع، ان عبـاس بن المأمون ظهر عدواً لمملكتنا وانه كان يهـيء لتسليم معسكر المسـلمين للروم، فيجب على الجميع أن يلعنوه».

في هذه الأثناء غزا الروم انطاكية عن طريق ميناء البحر ونهبـوا التجار وسبوا أهلها وعادوا على متن سفنهم، لذا أمـر ابـو اسـحق أن يبنـى حصـن فـي المينـاء.. وفـي هـذا الوقـت، فكـر منكشـور ابـن اخـت افشـين بالعصيان، فأخذ يسلب التجار، ومنهم احد تجار أرمينيا، فذهب ليشكو أمره الى أفشين، فكتب اليه ليعيد الأمـوال، وفـي الوقـت نفسـه كتـب اليـه سـراً يقول: لماذا لم تقتله ؟ لذا قتله وأرسل رأسه الى الخليفـة مدعيـاً بأنـه رأس

صهر بابك، وقد قتله لأنه عزم على اعلان العصيان. ففرح الخليفة وطاف بالرأس في شوارع شومرا. وأخبر منكشور، قاتل التجار، عن تاجر مسلم في ارمينيا، فأرسل في طلبه، فرفض الذهاب لعلمه بما ارتكبه سابقاً، ولأنه سيستولي على أمواله لا محالة. فألب له جيشاً وأعلن العصيان. فأخبر منكشور الخليفة بعصيانه، فأرسل الخليفة من يقول له: لا بد من مجيئك طوعاً أو قسراً، فحضر بكل سهولة واطلع الخليفة على ما فعله منكشور بالتاجر الذي قطع رأسه وأرسله الى الخليفة زاعماً بأنه كان مزمعاً على التمرد. وقدم للخليفة براهين كثيرة على هذا. فأرسل الخليفة قوة من الجيش وقبضوا على منكشور، فاعترف بأن أفشين حرضه على العصيان، لكن أفشين أنكر وكذبه. فقتل الخليفة منكشور في السجن وعزل أفشين.

سنة ١١٥٢ غزا أبو سعيد بلاد الروم وسبى، فلاحقه الروم في قيليقية وانتصروا عليه وأبادوا السبايا. ثم كرر أبو سعيد غزوه للروم وعاد يجر أذيال العار. وبالمقابل غزا الروم حدث ومرعش ومنطقة ملطية.. في هذه الأثناء أرسل ثاوفيل ملك الروم هدايا الى أبي اسحق خليفة المسلمين وطلب تبادل الأسرى بين الروم والمسلمين، فقبل أبو اسحق الهدايا وقدم له بالمقابل هدايا أفخر قائلاً: نحن العرب نأبى أن نقارن المسلمين بالروم لأن الله أعطاهم كرامة أعظم، ولكن اذا قدمت لي أسرى المسلمين دون مقابل، فسنكافئكم اضعافاً، واعلم اننا نحن المنتصرين. فعاد الوفد ومعهم خمسون حمل جمل من الهدايا الفاخرة. وهكذا تم السلام بين الملكين. أما أفشين الذي ارتفع مثل كفرناحوم ثم هبط الى الهاوية برذل الخليفة اياه بسبب ابن اخته، فقد فكر بالعصيان واغتيال الخليفة، فأخذ رفاقه من الخرسانيين ليذهب الى خرسان ويقتل عبد الله بن طاهر ويتسلم ملك آبائه في خرسان. ولكن القي القبض على رسوله فأخبر الخليفة بالمهمة التي أرسله بها أفشين، وسلم اليه رسائل كتبت باللغة الخرسانية، فكتب الخليفة الى عبد الله ليقبض على حسن بن أفشين حاكم خرسان ليحول دون

عصيانه اذا ما علم باعتقال والده. وأمر الخليفة أن يطرح أفشين في أعماق الأرض وتصادر جميع أملاكه. فكتب ابن طاهر الى ابن أفشين أن يأتي بأمر الخليفة ويستلم مكانه، فصدق وتوجه الى نحشور فقبض عليه، وكبله ابن عبد الله وقال له: بأمر الخليفة أن توقع التفريق بزوجتك ففعل حسن مكرهاً، فأرسلت الى ابيها أشنوق صحبة العبيد وأسرة حسن، وأرسل حسن مكبلاً الى الخليفة فسجن في الاعماق مع والده الذي مات تحت العذاب واشيع عنه بأنه لم يكن مختوناً، ويسجد للصنم الذي وجد في بيته.

سنة ١١٥٣ ظهر في فلسطين شخص يدعى تميم الملقب بأبي حرب، زعم انه ملك، فتبعه ثلاثون ألفاً من الجياع والعراة، وكان يغطي وجهه بالمنديل ويتظاهر بالغيرة على شريعة النبي، وانه جاء من اجل المستضعفين. ولم يكن ليأخذ جزية أكثر من أربعة قروش، ففرح به الكثيرون. غير أنه لم يستمر على هذا الاسلوب، بل أخذ يسلب ويقتل. فصعد الى القدس، فهجرها المسلمون والمسيحيون واليهود، ودخل الجوامع والكنائس. وبعد أن اغتصب كل شيء حاول أن يحرق كنيسة القيامة وغيرها، فأرسل له البطريرك مالاً وفيراً. ثم أرسل اليه رجاء على رأس ثمانية آلاف. ولما وصلوا الى الرقة وردهم نبأ وفاة ابي اسحق، فاستعدوا للنهب، غير أن الله أشفق، اذ ورد للحال نبأ خلافة ابنه هرون، فتراجع المتمردون وهدأت الحالة. بيد أن اربيوس الدمشقي جمع خمسة آلاف رجل فسلب وقتل، فلحق به رجاء وقتل أربعة آلاف من رجاله وتشتت الباقون. ثم وجه رجاء أنظاره الى أبي حرب، ومسك أحد جواسيسه، وبعد أن أخبره عن مكانه، أكرمه وأجزل له العطاء وأرسله الى أبي حرب ليدعوه الى السلام، وقال: انه لن يتحرك من مكانه حتى يأتيه الجواب، لكنه غادر مساء ذلك اليوم، وفي الصباح هجم على أبي حرب وقتل ثمانية آلاف، وأسر الفاً مع أبي حرب وهو مصاب، وأرسلهم الى الخليفة.

في هذه الأثناء، أخذ أهل نصيبين ودارا وآمد يمارسون اللصوصية. فأرسلت اليهم قوة من الفرس. ودار قتال بالقرب من دارا، فقتلوا نحو ألف مسلم، ونهبوا كل شيء، ولم يقتلوا المسيحيين لأنهم كانوا ناقمين على المسلمين، ونجا عدد كبير من المسلمين بحملهم صلباناً.. مات أبو اسحق وترك ثروة هائلة، لأنه كان يستوفي الضرائب عن كل شيء حتى الأموات، وبنى مدينة سامراء وأغناها، بلغت كلفة انشاء الحمام ٣٢ الفاً من الفضة. وكان يتقاضى ضريبة الدخول الى شامرا ٣٠ ألفاً من الفضة سنوياً. كان شبقاً ومدمناً على شرب الخمر، تحرر بموته ثمانية آلاف عبد، وترك ٤٠ الف فرس خاصة للركوب و ٢٠ الف بغل خاصة بالحمل، و ٣٠ ألف سائس من العبيد.. في نفس السنة التي توفي فيها، توفي كذلك ثاوفيل ملك اليونان.

في أيار عام ١١٥٤ ظهرت في الجهة الشمالية من السماء، علامة حمراء كالنار، وتكرر ظهورها في ٢٦ نيسان لثلاث ليال متتالية، حيث كانت تظهر في الجهة الشمالية في أول الليل وتستمر حتى الصباح، كما كانت تشاهد أشعة مضيئة كالمشاعل. وفي العاشر من الشهر نفسه أرسل الله غمامة كثيفة ممطرة، لم نسمع أو نرى حتى ولا الشيوخ نظيراً لها، حيث أن السيول جرفت حجارة ضخمة، واستحالت البقاع الى بحيرات، وأصابت حران أضرار جسيمة من جراء انسياب جداول من جبل حسما والجبل المعروف ب «راكب رأسه» أي المنفذ، وتكوينها نهراً عظيماً اجتاح قرى المنطقة حتى بيت قوبا، فامتلأت الدور والفنادق والحوانيت بالماء وسقطت، وفي بعض المناطق سقطت البيوت على الناس وأغرقتهم. ولولا أن السيل حدث في النهار فجمع الحاكم الناس وأقاموا سدوداً، لبادت المدينة بأسرها. ووصل الفيضان الى الرقة، تاركاً وراءه دماراً وخراباً.. بعد ذلك، حدث رعد هائل في قيليقية ارمينيا في حزيران، فسقطت ثمانية أبراج من سورها وعدة دور، ومات نحو مئتي نفس، وظل الناس في العراء مدة شهرين خوفاً من الرعود التي لم تهدأ ليل نهار.. وفي تموز

تلك السنة شب حريق في بغداد والبصرة في نفس اليوم ونفس الساعة، فاحترق أكثر من ١٥ ألف حانوت في بغداد وكذلك في البصرة. وفي اليوم ذاته انقلبت احدى المدن في خرسان وغطت سكانها واستحالت الى تل، ولم ينج منها سوى رجل وحمار فقط.. وفي ٢٤ أيلول ظهرت في الجهة الشمالية من السماء ما يشبه سحابة نارية ابتدأت من الشرق واتجهت نحو الشمال ثم نحو الغرب، وكان جزؤها العلوي أحمر كالدم، والسفلي كلون القمر، وكان نوره ينعكس، في الجهة الشرقية، على كافة الأسوار والبيوت، في حين كانت الجهة الجنوبية مظلمة. وكانت هذه العلامة تشاهد اعتباراً من الساعة الثانية مساءً حتى صياح الديك، حيث يسود الظلام أكثر حلكة.. سنة ١١٥٤ ذابت ثلوج الجبال بسبب كثرة الأمطار وغزارتها، قبل ميعادها، ففاضت الأنهار والجداول في كانون، وفاض دجلة في شومرا وقضى على أكثر من عشرة آلاف نسمة، ودمر معظم الأبنية.

في هذه الفترة سيطر على آل ربيعة القتلة وسفاكي الدماء، شخص من قبيلتهم يدعى مالك، وقبض على معظم قطاع الطرق منهم وسجنهم في مدينة بلد، فكسروا أبواب السجن ليهربوا، فشعر أهل بلد وقتلوا ثلاثة منهم، فاجتمع نحو خمسمائة من أقرباء القتلة وخربوا مناطق العرب ودمروا القرى. ولما علم آل حسن رئيس بني ربيعة، خرجوا للنهب، وكان الخليفة قد سيطر على قراهم مقابل ثلاثة آلاف درهم التي كانت في ذمة أبيهم حسن من بقايا الضرائب. وخربوا مناطق نصيبين وسنجار وطورعبدين وجبل قردو. فأرسل الخليفة نجدة الى مالك، فطاردهم، وملأ من جثث بني ربيعة الجبال والبقاع.. في هذه الأثناء كان في دمشق حاكمان، الواحد مسؤول عن جمع الضرائب ومتطلبات البلد ويدعى رجاء والآخر واسمه علي، مسؤول عن القتال وحماية المناطق من العابثين ورفع رجاء شكوى ضد علي الى الخليفة فخوله السلطة على المنطقة بأسرها، واذ علم علي، كتب رسالة عن لسان الخليفة يعتبره

الحاكم المطلق على المنطقة، فاستدعى رجاء وذبحه وأولاده واستولى على ممتلكاتهم الخاصة التي بلغت ثلاثين الفاً، مع اربعين الف اخرى هي ضرائب الخليفة، وذهب وفضة وثياب وأشياء اخرى، وفيما أخذ علي يفتك بالناس، وصل عمال آخرون وكبلوه بالسلاسل. وفيما كانت المدينة واقفة على شفير الهلاك، جاء عون الله، حين طلب الخليفة أن يرسل اليه علي، فتظاهر بالجنون وكأن روحاً شريراً قد دخله، وبذلك نجا من الموت.

سنة ١١٣٥ خلا الشتاء من المطر فلم تنبت الزروع حتى أيار حيث توالى سقوط الثلوج واشتد البرد. فشح القمح وقل الدخل وساد الجوع والمرض والموت. والأنكى من هذا، تلك الضرائب الباهظة القاسية، وخبث الحكام المتعطشين الى دماء المساكين، ولم يكن الفقير يدري الى أين يفر، كما لا يدري هل يسد رمق أبنائه الجياع أم يجمع الضريبة للمحصلين الأوباش، أو يعتني بالمرضى من أفراد اسرته. وكان بود الكثيرين من الفقراء الخروج لالتقاط حطب للنار أو أعشاب ليأكلوها بدلاً من الخبز، لكنهم لم يتمكنوا بسبب البرد القارص، فكان الجوع والبرد ينهشهم في البيت. ولما لم يجد الأغنياء خبزاً ولا زرعاً في الأرض، قرروا عدم بيع القمح لئلا ينتفع الفقراء. وفي نيسان سقطت الأمطار وتحسنت الزروع، وأرسل الله برداً ودمر عدة قرى في الجزيرة والغرب، ثم أرسل جراداً وزحافاً يأكل الزروع المتأخرة، ونمت الأشواك، وهبت عاصفة قلعت الأشجار من اصولها وقذفتها في الفضاء، وشوهدت اتربة الحقول تنتقل الى حقول مزروعة وتغطي الزروع فتغدو وكأنها بيادر الحنطة. وفي هذا الشتاء نفسه احتشدت الجيوش في منطقة قردو لمحاربة موسى المتمرد زعيم الأكراد، فاحتمل ابناء المنطقة ضيقاً شديداً بسبب الجنود الذين كانوا يحلون في بيوتهم يأكلون ويشربون، فعم الغلاء فبيع كيل الملح بأربعين قرشاً واوقيتا جبن بقرش، وخمسون جوزة بقرش، في حين كانت المنطقة تصدر الجوز والجبن. ولم يتمكن الفرس من الأكراد، لأن الاخيرين لا يخرجون للقتال الا بعد أن يأكلوا ويشربوا ويناموا، في

حين جمدّ البرد القارس الفرس وتناثرت أصابعهم ، وقتل منهم نحو ١٥ ألفاً. وانتشر وباء واستمر سنتين، بدأ في مابين النهرين واجتاز الى الغرب، وكان تأثيره أشد في فلسطين وساحل البحر، فاقفرت عدة قرى، وظلت الحقول بلا حصاد. وقد أخرجت خمسمائة جثة من مدينة الرملة في يوم واحد. ولعجزهم عن حفر القبور، كانوا يحفرون خنادق طويلة ويرمون فيها الجثث. هذا وقد فني ثلثا سكان فلسطين بهذا الوباء.

هنا أنهى العلامة البطريرك ديونيسيوس الملقب بالتلمحري تاريخه الذي وضعه في جزئين وطواه على ١٦ مقالة، ثماني مقالات في كل جزء، مقسمة الى فصول. وقد كتبها تلبية لرغبة ايوانيس مطران دارا، وضمنها كل ما جرى خلال مئتين وستين سنة، بدءاً من حكم موريقي أي سنة ٨٩٤ حتى سنة ١١٥٤ي التي فيها توفي ثاوفيل ملك الروم وابو اسحق خليفة المسلمين، وحكم العرب هرون ابن ابي اسحق، وحكم الروم ميخائيل بن ثاوفيل، وهو صبي قاصر، وكانت والدته تدير شؤون الدولة.

بانتهاء المقال ١٢ تكون أخبار ٦٥ سنة قد انتهت اي من سنة ٨٩٨ حتى سنة ٩٦٣ ي. قام خلالها ثمانية ملوك للروم وستة خلفاء في دولة المسلمين. المجد لله رب الازمنة والاوقات دائماً ابداً .

ايضــاح

حيث اننا جمعنا، بعون الله، أخبار العصور الاولى والاحداث التي جرت فيها، من كتب المؤرخين القـدامى الثقـات، واسـتقينا نتفاً مـن كتـب الرجال الحاذقين الذيـن كتبوا وخلفوا للأجيال اللاحقة، عـن الأحـداث التـي جرت قبلهم والتي جرت فـي ايـامهم حتـى رحيلهـم عـن هـذا العـالم أمثـال القديس ديونيسيوس الذي أغنانا كتابه في كتابتنا التـاريخ حتـى هـذا اليـوم. وبعد تاريخ وفاته. وبعد هذا التاريخ بدأنــا نضيـف الـى نسـيج الادلـة. ولـم يكن لنا مرجع آخـر بعـد البطريـرك المذكـور، سـوى اغنـاطيوس مطـران ملطية الذي بدأ تاريخه من عهد قسطنطين الكبير، ولكـن باختصــار كثـير، اذ كان يمر بالاحداث مر الكرام. وقد اضفنا هذه النبذة وغيرها الــى كتابنـا حتى هذا الوقت. أما من هنا فصاعداً فاننا سنعتمد كتابه فقط الذي تضمن، كما قلنا نبذاً مختصرة، اقتصرت على أخبار ملوك الروم فقط، كما اقتصر الجدول الذي وضعه على رؤساء كهنتنا فقط. ولم يتطرق الى دولة العرب السائدة يومذاك كما فعل ديونيسيوس، ولا الى دولـة الأتـراك التـي ابتـدأت في أيامه أو قبلها بقليل، والمسيطرة الآن. كما لـم يعـن بكنـائس الطوائـف، فلم يضع لها اية جداول تذكر. وعليه فانــه من الضـرورة بمكـان ان ننقـل الصحيح من تواريخ الشـعوب ونضيفهـا الـى مـا سـبق، لكـي لا يـأتي هـذا النسيج ناقصاً، بل يُنسج من البدء وحتى نهاية حياتنـا، لكيمـا يكـون أساسـاً يبني عليه المعنيون بالشؤون التاريخية، في زمانــه حتـى نهايـة هـذا العـالم الزائل الفاني.

فصــل

سنة ١١٥٥ وجد فـي القسـطنطينية بطريـرك سـاحر وقـذر، كتب ضده الخلقيدونيون انفسهم فقالوا: بعد وفـاة الملـك ثـاوفيل، ساسـت زوجتـه المملكة وأمرت بعدم السجود للأيقونـات تجنبـاً لتجـدد عبـادة الاوثـان. فلم يذعن البطريرك لأمـر الملكـة، لـذا نحـي عـن كرسـيه وأقـاموا بـدلا منـه، واكتشف فيما بعد أنه يمارس السحر والشعوذة ويسجد للأصنام، لذا سـجد للأيقونات، فنحي هو الآخر عن كرسيه، ويقال أنـه كـان السبب فـي رفـع الحجب من كنائسهم، لأنهم شاهدوه يدمدم داخل المذبـح ويمـارس الشـعائر الوثنية القـذرة. فيـا لشـقائهم أن كـانوا صـادقين لأن كهنوتهم يتسلسل مـن أناس هم تحت عبودية الشيطان أما اذا كانوا كاذبين كعادتهم في مثـل هـذه التهم، فعليهم أن ينسبوا حب الزعامة الى رؤسائهم. وبالرغم من ذلك فهم لايتبـرأون، وينطبـــق عليهـم قـول النبـــي «تركوا طريق الحق وسـلكوا الطريق المؤدي الى الموت». لقد انحرفوا عن طريـق الرسـل الطوبـاويين والآباء الملهمين، ولهم استعداد للزلل في كل مايؤول الى الفساد والتدهور. ولم يكن بوسعهم سوى الاعتراف بعزل من مارس السحر وسجد للأصنـام واقامة غيره، وقد ظهر هو الآخر من شـيعة سـلفه، فعزلـوه ونفـوه، فقـال: خذوا مني الرئاسة التي بسببها تتهمونني بعبادة الأوثاون، وأنا لست كذلك. وهكذا عزلوه دون شفقة.

سنة ١١٥٥ ملك علـى الـروم ميخـائيل بـن ثـاوفيل وعمـره ثـلاث سنوات، ونظراً الى صغر سنه، تولت والدته تيودورة ادارة شؤون الدولة، وعُين عمنوئيل قائداً عاماً للجيش.. وفـي دولـة العـرب، وبعـد وفـاة أبـي اسحق (المعتصم) خلفه ابنه هرون الملقب (الواثق) فتفـاعل النـاس اعتقـاداً منهم بأنه سيخفف عنهم الضرائب الباهظة التي فرضها والداه. لكنه انهمك

بالشرب والغناء والتنزه والموبقات ، وترك شؤون الدولة بيد ثلاثة رجال فلم يجد الناس متنفساً من الضيق الذي كانوا عليه ، بل ازداد النير الموضوع على رقابهم ثقلا بالضرائب الأكثر مرارة . وقد عامل هؤلاء الثلاثة المكلفون بادارة شؤون الدولة من قبل المسمى الواثق ، الناس بالظلم والقسوة ، ولم يكن الخليفة يدري ما الذي يجري في البلاد لانشغاله بالشرب والمنكرات ليل نهار . لقد استمر حكمه خمس سنين وتسعة أشهر ، ولم تنشب حرب في عهده بين المسلمين والروم .

سنة ١١٦٨ توفيت الملكة تيووره بعد أن أدارت شؤون دولة الروم مع ابنها ١٤ سنة، وتولى الحكم ابنها ميخائيل. وخلال فترة حكم ميخائيل، تولى عند المسلمين ستة خلفاء هم على التوالي: بعد وفاة الواثق، حكم أبو جعفر المتوكل أربع سنوات واغتيل. ثم حكم محمد الملقب بالمنتصر، وبعد ستة أشهر وبضعة أيام قتله أحمد، وارتكبت في بغداد عدة جرائم قتل بسبب انقسام الشعب حزبين، حزب موال لمحمد وآخر لأحمد. وبالكاد استطاعوا، بعد ثلاثة أيام، رفع رأس محمد على الرمح حتى تأكد حزبه من مقتله فهربوا واختفوا، فتولى أحمد الملقب بالمستعين، الحكم مدة ثلاث سنوات، غير أن المسلمين قاوموه لاستسلامه للفسق، ولدى سكره كان يأمر بالقتل دون رحمة ولا هوادة ومن دون أي مبرر. ولم يعر أي اهتمام بشؤون الدولة. ثم جاء الى بغداد.

مقدمة كتاب اغناطيوس الملطي

لقد كتب عن العصور الغابرة، المؤخون القدامي الثقات أمثال أوسابيوس القيصري وسقراط وسوزمين وزكريا ويوحنا الآسيوي ومار يعقوب الرهاوي، والبطريرك ديونيسيوس التلمحري وغيرهم من مؤثري العمل. فمنهم من أسهب في كتابة تاريخ الكنائس، ومنهم من أوجز، غير أن كل ما كُتب هو مفيد. فقد أرخوا حتى سنة ١١٥٤ي ومنذ ذلك التاريخ

فصاعداً لم يظهر بين شعبنا السرياني من يدوّن بصورة كاملة اخبار الملوك أو الكنائس. الأمر الذي دعاني أنا الضعيف أن أبذل مافي وسمي واكتب بايجاز حتى عن مقامات الملوك وسردت الأحداث بصورة بسيطة لتسهل قرائتها وفهمها من قبل محبي الحقائق والميالين الى الايجاز.

تناولت في هذا الكتاب الأحداث التي منذ عهد قسطنطين الكبير حتى وقتنا الحاضر، وأرجو العذر لعدم تدويني كافة الأحداث، لأن عملا مثل هذا يتطلب وقتاً طويلاً وشرحاً وافياً. فقد ثبّت أقوال بعض الملافنة، أمثال يعقوب الرهاوي وديونيسيوس التلمحري دون أن أحوّر بها أو أضيف عليها شيئاً من عندي. وان معظم المعلومات وجدتها وقد جمعت من هنا وهناك في كتاب باللغة اليونانية، وأرجو ان لا ينحو أحد علي باللائمة اذا ما وجد في هذا الكتاب زيادة أو نقصاناً بالنسبة الى حقيقة عدد السنين. والسبب هو تأخير في قيام خَلَف للملك، مدة سنة أو سنة ونصف أو أكثر أو أقل، وكذلك الأمر بالنسبة الى البطاركة. فقد تتأخر رسامة خلف لبطريرك سنة أو أكثر أو أقل. فتشتبك الامور ببعضها، علماً بأن لا ضرر من هذا.

لا يخفى على اللبيب ما سبقنا وقلناه من اننا بدأنا هذا الكتاب منذ عهد قسطنطين الكبير . وهذا هو مطلع الكتاب . وسبقنا وقلنا ايضاً، اننا ادرجنا أحداث هذه الفترة أي منذ عهد قسطنطين حتى عهد ميخائيل بن ثاوفيل بحسب التسلسل الومني. وعليه فاننا نتابع أحداث هذه الفترة ونقول:

لقد توفي البطريرك مار ديونيسيوس التلمحري في ٢٢ آب ١١٥٦ في عهد ميخائيل ملك الروم وهرون خليفة المسلمين. ووري جثمانه الطاهر في دير قنسرين. خدم البطريركية ٢٧ سنة، ورسم ١٠٠ اسقف وكتب تاريخاً متقناً، وقام لنا بعده نحن الارثوذكسيين، وفي عهد ميخائيل ملك الروم، يوحنا من دير مار زكى بجوار الرقة، بطريركا على

كرسي انطاكية وتمت رسامته في دير مار شيلا بمنطقة سروج حيث كان المجمع منعقداً، وذلك في ٢١ تشرين الثاني سنة ١١٥٨، ووضع عليه اليد مار حبيب اسقف طرسوس. خدم البطريركية ٢٧ سنة ومضى الى ربه في رأس العين يوم الخميس ٣ كانون الثاني سنة ١١٨٥. رسم ٢٦ اسقفاً واودع جثمانه في دير سفولس. وكان البطريرك الاسكندري في مصر يومذاك، مار يوسف الذي ذكره البطريرك ديونيسيوس التلمحري في نهاية كتابه.

فصـل

في حكم ملكي الروم باسيل ولاون، وحكم المهتدي خليفة العرب، وبعد احمد المعتمد. مع ذكر رؤساء الكهنة الذين قاموا في كنيستنا الواحد تلو الآخر.

سنة ١١٨٠ وفي عهد الملك لاون، شب حريق في القسطنطينية العاصمة، واحترقت البيوت والاسواق والفنادق وكنيسة مار توما الرسول ولم يبق فيها أثر، كما احترقت اجزاء من كنائس اخرى، وأوشكت النار ان تلتهم المدينة بأسرها.. وفي السنة نفسها حدث كسوف في منتصف النهار فظهرت الكواكب في الفلك. وحدثت في اليوم عينه رعود وبروق رهيبة جداً دون أن تظهر غيوم في الجو. وبعد سبعة أيام هبت رياح شديدة ومزعجة أدت الى هدم معظم الابنية العالية، فخاف الناس حتى قيل ان نهاية العالم قد اقتربت.. وفي تلك الايام نفسها شب حريق آخر ليلاً في العاصمة احترق فيه نحو سبعين شخصاً من البلاط، الى جانب ما احترق من دور سكنية وبنايات وكنائس، واحترق الكثيرون في أماكن اخرى لدى محاولتهم اطفاءه. حدث في هذه الفترة زلزال هائل في تراقية، غارت على أثره قرى كثيرة في الارض واندثرت.

بعد ان حكم ٢٥ سنة، توفي ميخائيل ملك الروم سنة ١١٧٩ دون أن ينجب، فخلفه شخص يدعى باسيل هو الذي عناه اغناطيوس بقوله، لم نعثر في كتب اليونان على عدد السنين التي امضاها في الحكم. أما نحن فقد عثرنا في كتاب عربي تضمن جدولاً بعدد السنين التي حكم كل ملك، على انه حكم مدة سنتين. وبناء على ذلك وضعنا عدد سني حكمه. ثم خلفه ابنه لاون الذي حكم ٢٥ سنة و٨ أشهر. وفي هذه الاثناء توفي

المهتدي خليفة المسلمين، فخلفه في بغداد احمد الملقب المعتمد ولمدة ٢٣ سنة وشهرين.

بعد أن حكمت الملكة ثاوفكا زوجة باسيل مع ابنها لاون مدة ١٢ سنة، حدث خلاف بينهما، وآلت القضية الى أحد الامرين، امّا أن يُغتال هو أو يقتل والدته جهاراً. لكن الله اشفق عليهما، فقد مرضت وماتت الملكة المشهور لها بالعفة والرحمة والمناقب الحسنة. فخلا الجو للاون وحكم بعد موت والدته بصفة امبراطور. وبعد سنة واحدة توفيت زوجته، فاستهان بالنظام المتبع من قبل اسلافه الملوك، وتزوج ثانية فسقط من عيون الناس، وآلت اموره من سيء الى أسوأ، وزاد من تعديه الشريعة، فطلق تلك المرأة دون مسوغ شرعي، وتزوج ثالثة، ولم يجرؤ أحد على زجره. كما استهان بطول اناة الله واحكامه الخفية، فتزوج امرأة رابعة وصارت له زوجتان. ولكي يبرر نفسه، حاول أن يضع قانوناً يخول المسيحيين تعدد الزوجات حتى الزوجة الرابعة، وكذلك الامر بالنسبة الى المرأة. فطرده بطريركهم من الكنيسة، ثم اصيب بالمغص ومات، فخلفه ابنه الكسندروس الذي حكم سنة واحدة وشهراً واحداً، وقد استسلم للسحرة والعرافين، وانحرف قلبه عن الله كلياً. ولما شعر بضربة العدالة وبدنو اجله، سلم الملك لأخيه قسطنطين من ام ثانيت، فأمضى في الحكم ٥٥ سنة. واذ كان طفلاً لدى تسلمه الحكم، عُين له والده اوصياء يقومون بادارة شؤون الدولة حتى بلوغه سن الرشد.

في فترة حكم قسطنطين بن لاون، انتقل الحكم لدى دولة العرب الى آل عباس، وهم قبيلة ترجع بأصلها الى بنيهم، وتسلم الحكم ابو العباس الملقب بالمعتضد الذي حكم عشرين سنة وثمانية أشهر و٢٨ يوماً.. في عهد قسطنطين بن لاون وجه سمعان زعيم البلغار نظره السيء نحو العاصمة، فقهر اليونان وسجنهم في العاصمة، ثم قاد جيشاً لجبا وحفر خندقاً من بلغاريا حتى باب الذهب، وان العديد من زعماء وقادة الرووم

العسكريين، ذهبوا ضحية الحروب التي اثارها هذا الرجل الذي لم يهدأ من محاربة العاصمة طيلة حياة الملك قسطنطين.

في السنة ال ٢٣ لقسطنطين، حكم العرب ابو محمد الملقب «بالمكتفي» مدة ست سنوات. وفي السنة ال ٢٩ لقسطنطين حكم المسلمين جعفر المقتدر ٢٤ سنة. وفي السنة ال ٥٣ لقسطنطين، حكم المسلمين ابو منصور قاهر مدة سنتين، وفي السنة ال ٥٤ لقسطنطين، حكم المسلمين ابو العباس ٧ سنوات. وفي سنته ال ٥٥ وبعد أن مرض وشعر بدنو اجله، عين مكانه صهره رومنس، وقد وضع قسطنطين والبطريرك التاج على رأسه.

رسم البطريرك اغناطيوس من دير حربا خلفاً للبطريرك يوحنّا، وتم تنصيبه في دير مار زكى في الرقة في ٢ حزيران سنة ١١٨٩ ووضع اليد عليه مار طيمثاوس اسقف شميشاط. خدم البطريركية ٤ سنوات و١٠ أشهر، وانتقل الى ربه في بلدة مريبة يوم ثلاثاء الآلام ٢٦ آذار، ووري جثمانه في كنيسة مريبة الكبرى. رسم ٢٦ اسقفاً. وفي عام ١١٨٠ رسم مار توما اسقفاً لملطية، وهو رجل عالم وحكيم وقديس، وخلفه على كرسي ملطية سنة ١٢٠٠ رجل قدير آخر يدعى حزقيال...

بعد وفاة مار اغناطيوس من دير حربا ، ترملت الكنيسة ٤ سنوات لعدم وجود آنذاك شخص قدير مشهود له بالتقوى يتفق عليه الجميع. فانقسم الاساقفة، فعندما كان يقترح احدهم شخصاً ما، تطرح اسماء فلان وفلان ايضاً، وجميعهم متقاربون بالمزايا. فكل اسقفين او ثلاثة رسموا شخصاً. وبعد مرور اربع سنوات أخذت الغيرة الشعب، فضغطت كل ابرشية على اسقفها. وبعد مناقشات حادة انتهوا الى القاء القرعة على المرشحين. فكتبوا اسماء ١٢ شخصاً ووضعوها على مذبح الاسرار الالهية. فوقعت القرعة على مار ثاودوسيوس من دير قرتمين. فنصّب في

آمد يوم الاحد ٢٥ شباط سنة ٨١١٩، ووضع عليه اليد مار طيمثاوس اسقف شميشاط، وخدم البطريركية ٨ سنوات و ٤ أشهر، وتوفي في ١ حزيران سنة ١٢٠٧ واودع جثمانه في دير قرتمين نفسه. رسم ٣٣ اسقفاً. وفي السنة التي توفي فيها مار ثاودوسيوس، اجتمع الاساقفة في بيت باتين في حران، واجروا الانتخاب بطريقة القرعة، وفاز ديونيسيوس من دير بيت باتين ومن قرية اشيت سروج، ونصب يوم الثلاثاء الثالث من نيسان سنة ١٢٠٨. وضع اليد عليه مار يعقوب اسقف حمص، وخدم البطريركية ١٣ سنة وتوفي في نيسان يوم الثلاثاء من اسبوع الراحة في دير بيت باتين نفسه، واودع جثمانه الطاهر في الدير نفسه. رسم ٥١ اسقفاً، وخلفه البطريرك يوحنا من دير العمود في قورزحيل بمنطقة انطاكية، وتمت رسامته في دير تل صفرا خارج حران يوم السبت ٢١ نيسان سنة ١٢٢١، وضع عليه اليد مار يوحنا اسقف مرعش، وخدم البطريركية ١٢ سنة و٧ أشهر، توفي في السبت الاخير من تشرين الثاني، في رأس العين وفي دير سفولس. رسم ٤١ اسقفاً.

وفي سنة ١٢٣٧ تم تنصيب البطريرك باسيليوس من دير سفولس بمنطقة رأس العين. وفي بلدة مريبة رأس كيفا، يوم الجمعة ١٨ آب، وضع عليه اليد مار يعقوب اسقف نازربا. خدم البطريركية ١١ سنة و٧ أشهر، وتوفي يوم اربعاء الآلام ٢٥ آذار، واودع جثمانه في الدير الشرقي. رسم ٣٢ اسقفاً.. في هذه الاثناء رسم غريغوريوس المنطقي من دير شيلا مطراناً لملطية وكلوديا، وقرلس للقدس وهو من جبل الرها، وفيلكسينوس من دير سفولس للرها ، وايوانيس من دير مار برصوم بمنطقة شميشاط لآمد. وفي عام ١٢٤٧ تم تنصيب البطريرك يوحنا من دير المتوحدين بمنطقة الجبل الاسود يوم الاحد ٨ آب في بلدة تلعدا الخاضعة لأنطاكية، وضع عليه اليد مار اثناسيوس اسقف طرسوس. خدم البطريركية ١٩ سنة و١٠ أشهر، وتوفي في ٣ تموز في الدير نفسه.

فصـل

في بدء حكم رومانوس ملك الروم. قام خلاله خلفاء ضعفاء للمسلمين، فقوي جانب الروم، فاحتلوا مدناً من المسلمين. وقصة تشييد ديرين خلال هذه الفترة

خلال حكم رومانوس للروم، أعاد سمعان البلغاري الكرة في الهجوم على القسطنطينية، فدمر وأحرق مناطق تراقية ومقدونية، وحاصر مدينة ادريانوبوليس وشدد عليها الخناق، فتضايق اهلها من الجوع وأسلموها اليه. فأراد رومانوس مصالحته بالهدايا والاحتيال. فاشترط أن يقابل الملك اولاً ومن ثم المصالحة. فأعد الملك مكاناً مناسباً في البحر فالتقيا في الزورق وعبّرا عن حب تام. فلما أمن الروم هدوء الجهة الغربية وجهوا انظارهم الى جهة الشرق. وحيث كانت مناطق قبادوقية وارمنيا وبين النهرين وسوريا وفلسطين والقدس وانطاكية خاضعة لسيطرة المسلمين منذ استيلائهم عليها في عهد عمر بن الخطاب ثالث خلفاء العرب، وفي عهد هرقل ملك الروم، أي منذ سنة ٩٥٠ي حتى سنة ١٢٦٨ أي ٣٦٨ سنة. ولما كان الخلفاء ابو العباس والذين خلفوه ضعفاء وجبناء، منهمكين في الرقص والطرب والقذارات ، ضعفت دولة المسلمين، لأن الذين ينساقون وراء شهواتهم يفقدون حتى القوة الجسدية، ويقال ان النفس الملوثة بالشرور تفقد فطنتها. لذا لم يفلحوا في مقاومة الروم لدى مهاجمتهم إياهم.

في هذه الفترة ، ظهر بين الروم رجل جبار ومحارب ماهر يدعى قوريقس، جاء الى ملطية ارمنيا الصغرى الخصبة في مقاطعة قبادوقية، وكانت محصنة بسورين ومحاطة بخندق مليء بالماء. فضايقها عن طريق

الحصار الذي استمر اربع سنوات دون أن يتمكن من فتحها عسكرياً، غير ان الجوع الجأ اهلها الى ان يعدوا بتسليم المدينة ان هم ارسلوا رسولاً الى الخليفة ولم ينجدهم، فأمهلهم الروم مدة اربعين يوماً بحسب طلبهم. ولما غادر رسولهم ملطية قبض عليه الروم، فوعدهم أن يسلمها اليهم خوفاً من الموت، وهكذا كان. فدبر مؤامرة على الوجه التالي: أخذ رسالة بيده ودخل المدينة وادعى بأنه زار الخليفة، وتلك رسالة منه تبشر بوصول القوات قريباً، وعليهم أن يفتحوا الابواب حال وصولهم ليدخلوا ويرتاحوا ومن ثم يطاردون الروم. فطمأنهم بمثل هذا الكلام، وتظاهر بأنه يخرج ليأتي بقوات المسلمين، لكنه توجه الى الروم وأخبرهم بما دبّر، وقاد القوات الرومانية، فوصل في الليل فتظاهر وكأنه يصل من مكان بعيد جداً عن معسكر الروم، فتحرك الروم ورفعت ابواقهم هتاف الحرب، وتقدم المستعدون منهم ووصلوا ليلاً الى البوابة الشمالية ففتحت الابواب ودخلوا وسيطروا على الابواب والاسوار. وفي الصباح دخلت المدينة جميع قوات الروم، ولم يقتلوا احداً من المسلمين لأنهم اقسموا بذلك لذاك الرسول. لكنهم ندموا بعد أن غادرها المسلمون لتركهم اياهم على قيد الحياة، خشية أن يعودوا ثانية. وبمشورة تافهة خربوا اسوارها وتركوا فيها ثغرات، ونقلوا بعض العرب الى ثاودوسيوس في ارمنيا، فقويت معنويات قوريقس الجبار، فاحتل، بمساعدة اخيه، فسيلين بمنطقة كرشنا، وحصن منصور وكيسوم وسائر قيليقية، فسيطر اليونان على انطاكية وسائر سورية وفلسطين والقدس، لأن الخوف عمّ المسلمين.

ثم حاصر الروم الرها وهددوها بالحرب. وخلال هذا الحصار، جمع رجل مسلم يدعى ابن حمدان جيشاً، وجاء الى ملطية الخربة ودخلها ونهبها وسائر قبادوقية. وفيما كانت الرها محاصرة، أرسل اهلها رسولاً الى الملك رومانوس يقول: اذا امر برفع الحصار عنها، فانهم سيسلمون اليه المنديل الكريم الذي ارسله يسوع المخلص للملك المؤمن ابجر فوافق. وبعد أن تسلمه امر بابعاد الروم الى خارج حدود الرها. ويقال: ان الملك

هو الذي فرض على الرهاويين تسليمه المنديل. في هذه الاثناء توفي القائد قوريقس وعين مكانه شخص من ابناء جلدته يدعى شوموكي الملقب زيوني، فنال شهرة اعظم. واخيراً مات رومانوس وسلم المملكة لصهره قسطنطين المولود على الارجوان (القصر الملكي).

في هذه الفترة، رسم مار باسيليوس من دير قرتمين مطراناً لتكريت والمشرق، ويوسف من دير مار برصوم لآمد، وابراهيم من دير العمود أي دير تلعدا للرها، وايوانيس لملطية، وارميا للقدس.. نصب البطريرك الانطاكي مار ايوانيس سنة ١١٦٥ في عهد الملك رومنوس، وذلك يوم الاحد ١٦ تموز، في بلدة تلعدا، وقد دُعي من دير العمود في قورزحيل الواقعة على نهر عفرين. وضع عليه اليد مار يعقوب اسقف الرقة، خدم البطريركية سنتين وستة أشهر ونصف، رسم عشرة اساقفة، وتوفي في الجمعة الاخيرة من كانون، واودع جثمانه في دير مار سليمان في دليك. وفي عهده رسم مار ايليا من دير زوقنين لملطية.. وفي هذه الفترة تمت رسامة البطريرك مار ديونيسيوس من دير قرتمين، وذلك يوم الاحد ٢٨ تشرين الثاني في بلدة تلعدا نفسها، ووضع اليد عليه مار يعقوب مطران الرقة نفسه. خدم البطريركية سنتين وستة أشهر، وتوفي يوم الأحد ٢ حزيران، وأودع جثمانه في دير قرتمين. رسم ٨ اساقفة. وفي عهد هذا البطريرك وايليا مطران ملطية، شيد دير سرجيسية ودير جاجي، وقد ضمنّا هذا الكتاب بعضاً من اخبارهما. وان التاريخ الذي كتبه لعازر بن اخي الربان داود من الدير نفسه، يبتدىء من يوم انشاء دير سرجيسية الذي انشيء على حدود جوباس، وبناه رجل يدعى كيسا وهو فارسي من مدينة اشونوك، اشتهر بمحتده الكريم وجماله وبره، لم يستطع اخفاء فضائله في بلده فتغرب متنقلاً من مكان الى آخر حتى وصل الى شواطىء الفرات، وسكن ديراً مجاوراً لقرية تورسانا، ومن هناك اجتاز الى منطقة كلوديا وابتنى ديراً بالقرب من مدينة جرجرينا، وبعد فترة جاءه ثلاثة رهبان من دير مار حنانيا في ماردين هم: نوح وساويرا وعمنوئيل.

فلم يرغبوا في البقاء هناك، فتوجهوا واياه الى نواحي جوباس فرحب بهم ابناء المنطقة، ووجدوا هناك منطقة ملائمة للدير يقطنها نفر من الناس مع مواشيهم، واذ راقت لهم تلك المنطقة، طُرد اولئك الساكنون فيها، وأخذ ابناء المنطقة مار كيسا الى الضابط يوسف رئيس حاشية البلاط المعروف «جومايا» فرحب به، فأقاموا ذلك الدير، وبذل هو والرهبان الذين معه ويوحنا من ابناء جنسه، جهوداً مكثفة في انجاز بنائه. وبعد انجازه اطلقوا عليه اسم سرجيسيه تيمناً بالشهيدين القديسين سرجيس وباكوس، لأنهم كانوا يحملون بعض ذخائر هذين الشهيدين. تم ذلك في عهد البطريرك ديونيسيوس، ومار ايليا مطران ملطية وجوباس الذي دُعي من دير زوقنين سنة ١٢٦٩.

لقد فاضت شهرة هذا الدير، فجاءه مار يوحنا الناسك من جبل الرها. وكانوا قد زينوا الكنيسة التي شيدت من الخشب واللبن بكل ما يلزم، واضطرموا بالمحبة، فاستقدموا اليهم مار يوحنا تلميذ مارون الذي نال ثقافة عالية على يد مار أمقيم ابن جبل الرها العظيم، الذي تبحر بالمنطق والمعرفة المدنية، وتضلع من الكتاب المقدس وتحلى بشتى الفضائل وتسامى في القداسة، وشرع يعلم فطارت له شهرة عظيمة في العلم أكثر من سائر معاصريه، وجاءهم الربان داود ابن خالة يوحنا الناسك والقس موسى. وبعد أن رئس مار كيسا الدير مدة ١٢ سنة وشعر بدنو أجله، دعا يوحنا الناسك، ويوحنا تلميذ مارون وتلميذه ايليا الذي أوكل اليه رئاسة الدير، ورقد بالسلام ودفن في ايوان باحة الكنيسة الجنوبي المطل على الشمال. وبعد أن تسلم ايليا زمام الرئاسة وانضم الى الدير عدد من الرهبان، هدم الكنيسة ووسعها وعلّاها وزينها بالمفروشات وجهزها بالكتب وآنية ذهبية وفضية. وكان يوسف حاكم المنطقة ينفحهم بالعطايا وقد ترهب في اخريات ايامه. وعين ايليا الراهب يوحنا نائباً له، وبعد أن اشتهر الدير بالعلم والمعرفة وتفسير الكتاب والمناقشات مع يوحنا تلميذ مارون، قصده الكثيرون، ولم يكن ليشاهد احد في الدير الا وقد

أمسك كتاباً يطالعه. وبرز فيه خطاطون كثيرون. وقد اعتاد البطريرك يوحنا المعروف ب «سريغتا - ذي الحصيرة أو الحصيري» على ارتياد الدير، وعزم على البقاء فيه لولا اضطره حسد الهراطقة على مغادرته.

ان يوحنا الناسك وابن خالته داود، ترهبا في يوم واحد واقتبلا الكهنوت سوية وسكنا قلاية واحدة، وتوفيا في غضون اسبوع واحد. نذكر هذا لكي يمجد الجميع الله بسببهما. اما موسى زميل يوحنا الناسك فقد عاش بعده اربع سنوات. ولما شعر بدنو أجله حفر له قبراً بيده، وبعد يوم من انجاز القبر توفي، كما توفي في الدير نفسه القس داود، وايليا رئيس الدير الذي عشق البرية، فعين مكانه يوحنا المذكور أعلاه رئيساً للدير، وصحب مار دنحا اسقف شميشاط وتجولا زائرين اصحاب الفضائل في سورية وبين النهرين وفينيقية، ووصلا الى القدس وحجا، ثم انتقلا الى برية مصر، وعادا الى سورية بعد سنتين. وختم الاسقف دنحا حياته في الجبل الاسود بالقرب من انطاكية، وعاد ايليا الى الدير حيث رقد فيه.

دير ابن جاجي

طلب بطريق المنطقة المدعو طوكوس والمعروف بـ «كوليب» بالحاح، الى يوحنا تلميذ مارون ان يصطحبه ليزين الدير الذي اشتراه ورممه في المنطقة، واسكن فيه رجلاً تكريتياً يدعى الربان ايليا بن جاجي، لكنه توفي قبل انجاز العمل، فألزم البطريق مار يوحنا ان يذهب لينجز بناءه وزخرفته ويزينه بتعاليمه، فذهب وأنشأ كنيسة باسم الاربعين شهيداً وغرفاً في الداخل، واطلق عليه اسم ابن جاجي الذي اقتناه، فتجمع فيه الرهبان وتلقنوا فيه العلوم الدينية وبلغ عددهم ١٢٠ راهباً. وبعد أن أمضى مار يوحنا هناك ١٢ سنة، اشتاق الى العزلة، فرحل عنه ليلاً واجتاز الفرات ووصل الى الموقع المدعو «الجبل المبارك» والذي كان القديس هرون قد أسس فيه ديراً. فلما عرف الاخوة مكانه، التحقوا به لكنه

رفض العودة الى دير ابن جاجي. ثم جاء رهبان دير سرجيسية ليأخذوه الى ديرهم فرفض وبعد أن أمضى أربع سنوات في هذا الدير، أكمل سعيه المحمود ودفن في الجبل المبارك، وحلت وفاته في حزيران ١٣٢٤ يوم عيد مار يوحنا المعمدان.

بعد أن تم تنظيم الطلاب والمعلمين، فكر يوحنا رئيس دير سرجيسية في اعادة بناء الكنيسة. فأعد الله راهباً من حران يدعى عمانوئيل تلميذ المفريان قرياقس، الذي ارتأى أن تشيد الكنيسة بالحجارة والكلس، فسر بذلك رئيس الدير، ففتش عمنوئيل عن حجارة ملائمة، فكسرها وصنع كلساً لعدم توفره هناك. ودفع ٣٠٠ دينار لبناء الكنيسة، وعقدوا قبتها بالقرميد واقاموا فيها ثلاثة مذابح، وبنوا جناحاً جنوبياً من الخشب بدورين وخصصوه للمعلمين والطلاب، وبيضوا الكنيسة من الداخل والخارج بالجص، وابتنوا الى جانب الجناح غرفاً للعامة، كما خصصوا غرفة للطعام وداراً للغرباء، واستغرق العمل ثلاث سنوات، وحضر تدشين الكنيسة ايليا أول رئيس لهذا الدير ويوحنا تلميذ مارون الذي كان مازال على قيد الحياة، وايوانيس اسقف ملطية، وثاودوسيوس اسقف مرعش. وبعد التدشين عاد كل واحد الى مكانه. وتوفي الراهب عمنوئيل بعد تكريس الكنيسة ودفن في زاوية العمود الغربية سنة ١٣١٢، ومدّ يوحنا بن ماروثا، وهو تاجر من تكريت الانابيب لايصال الماء الى الجناح الكبير امام الكنيسة، كما بنى صهريجاً الى الشرق منها لسقي خضروات الاخوة. وكان القس يشوع يساعد يوحنا رئيس الدير في توفير الراحة للغرباء مدة ثلاثين سنة. وفي تلك السنة توفي بحر المعرفة، أي يوحنا تلميذ مارون حيث وجد ميتاً على سريره. ولم يمرض قط. فاودع تحت القسطروم، وخلفه ابراهيم السمندي في رئاسة الدير.. لقد دخلت الدير انا لعازر سنة ١٢٩٠ ودونت هذا الخبر بايجاز بعد مرور ٤٥ سنة.

فصـل

في حكم قسطنطين وخليفته رومنوس آخر ومن ثم نيقيفور. وحكم المسلمين في هذه الفترة ابو اسحق، ثم ابو قاسم ثم مطيع. وفي تنصيب يوحنا ذي الحصيرة بطريركا وهو الذي بنى دير البارد.

بعد مار ديونيسيوس، رسم مار ابراهيم من دير ترعيل بمنطقة حلب، بطريركاً للكرسي الانطاكي في بلدة تلعدا، يوم الاحد ٢٥ ايار سنة ١٢٧٣، وضع عليه اليد مار ايوب اسقف زوغما، خدم البطريركية ٩ أشهر و ٥ أيام. المجد لمقاصد الله غير المدركة، ربما أسرع في نقله لئلا يتهاون وتتقص عزيمته. قيل عنه انه كان متواضع القلب ويتصرف بمنتهى الوداعة، وحتى في بطريركيته لم يغير اسمه ولا ثيابه ولا طعامه، ولم يستعمل السرج في ركوبه، لكنه كان يركب حماراً بسيطاً لفترة قصيرة، لدى شعوره بتعب الطريق. كان تلميذاً لأنسطاس رئيس دير قرقسيون بمنطقة مرعش، وهو الذي رسم استاذه اسقفاً لحلب، ولما شعر بالمرض توجه اليه وتوفي عنده في ٤ أيار، فجنزه استاذه بحضور ثلاثة اساقفة آخرين. وأكثر من ٢٠٠ كاهن وراهب وشماس وجمع غفير من المؤمنين، وحزنت الكنيسة لرحيله. رسم سبعة اساقفة ، أحدهم قرياقس الذي رسمه مطراناً لتكريت.

في عهد الملك نيقيفور، تمت رسامة البطريرك مار يوحنا من دير ترعيل ايضاً. وذلك في ٢٩ تموز بمدينة كفرنابو بمنطقة سروج، ووضع عليه اليد مار سرجيس اسقف سروج. رسم ٤٨ اسقفاً، احدهم اغناطيوس اسحق الساعي الذي كان يتجول في جبل الرها يومياً زائراً الاديرة،

وموزعاً العطايا، ومن هنا لقب بالساعي. وقد شيد ديراً في حدود المدينة يعرف حتى اليوم بدير الساعي. وبنى ايضاً كنيسة ملطية الكبرى.. لقد جاء البطريرك يوحنا المعروف بذي الحصيرة الى منطقة ملطية بدافع التنسك. وهنا نرى لزاماً أن نتحدث ببعض الاسهاب.

مقر البطريركية الانطاكية بعد الفتح العربي

ان البطاركة الذين رئسوا كنيستنا الارثوذكسية منذ الفتح العربي لسورية، كانوا يتنقلون ما بين انطاكية وحران والرقة والرها. والآن بعد أن سيطر اليونان على سورية، ورأى الملك نيقيفور ان ملطية وهنزيط قد خربتا، فكر في أن يوطّن اناساً فيهما، فلم يوافق الروم على السكن فيها خوفاً من المسلمين. فأشار اليه بعضهم أن يوطّن فيهما السريان المتواجدين في المناطق الاسلامية لأنهم اعتادوا معايشة الشعبين، الروم والمسلمين. فاستدعى الملك البطريرك مار يوحنا المعروف بذي الحصيرة، ووعده باجراء مصالحة بينه وبين الخلقيدونيين وبمنعهم من ايذاء شعبنا، اذا ما وافق على اسكان السريان في ملطية وهنزيط وقليسوريا، كما وعد بتشييد مقر له فيها، فلا يعود الى المناطق الاسلامية. وبعد أن تسلم البطريرك خاتم الملك كشاهد على وعوده هذه، وافق على الاقامة في هذه المنطقة لسببين، **الاول:** لكي يبتعد عن البطاركة الخلقيدونيين في انطاكية، الذين كانوا يلحقون الاذى بكنائسنا واساقفتنا منذ حكم الروم لسورية، **والثاني:** اعتقاداً منه بأن الملك سيفي بوعوده. فلما جاء البطريرك مار يوحنا الى ملطية وعجت المنطقة بالسكان الذين جمعهم من كل حدب وصوب، وشيدت الاديرة، اختار موقعاً يسمى البارد وشرع يبني فيه كنيسة وديراً. وبذلك يكون البطريرك قد أنجز رغبة الملك. غير ان الملك لم يف بوعده لأنه مال الى حيل اليونان، فاستدعى البطريرك الى العاصمة بحجة التفاوض، ولكن غايته الحقيقية كانت القضاء على ايماننا الارثوذكسي.

ففي سنة ١٢٨٠ وصل البطريرك الى القسطنطينية يرافقه توما مطران القدس شقيق انسطاس رئيس دير البارد، ومار قسطنطين اسقف مرعش، وسرجيس اسقف اوفيميا ويعقوب اسقف سيمندو، فاجتمع معهم الاساقفة الخلقيدونيون، وعلى رأسهم بطريركهم الخنثي. وفي غضون شهرين قاموا باحدى وعشرين جولة من الجدال، حيث كانوا يدعونهم للاجتماع كل يومين أو ثلاثة، وفي كل جولة يُهزم الخلقيدونيون. فلما رأوا انهم عاجزون عن ادانتهم عن طريق التفاوض، حرضوا الملك، فاستدعى البطريرك والاساقفة الذين معه وقال لهم بفضاضة: اما أن تذعنوا لمعتقدنا وتحظوا بالكرامة المضاعفة، أو تُنفون، فأجابوا: مستحيل أن نقول بطبيعتين للسيد المسيح أو نقبل مجمع خلقيدونية، فزجهم في السجن ريثما يفكر في مصيرهم. فأمضوا أربعة أشهر في السجن. وفي هذه الاثناء اغتال شومشكي نيقيفور وتسلم الحكم وأمر بتحرير السجناء، فعاد البطريرك والاساقفة وتلامذتهم من المنفى، وجاء البطريرك الى دير مار برصوم في ملطية، وعاد ورمم دير البارد واستقر فيه مدة ١٥ سنة بعد نجاته من الاثمة، وفيه توفي واودع جثمانه الطاهر.

في هذه السنة، دخل البطريرك الخلقيدوني اغابي انطاكية، ورأى كثرة عدد الارثوذكسيين فيها وقد رسخوا اقدامهم منذ بدء عهد المسلمين، فرجع الى القسطنطينية وأخذ أمراً من الملك وعاد ثانية الى انطاكية، وأخذ يمارس في أول الامر اسلوب الاغراء والهدايا لجذب الاعيان واعادة معمودية اطفالهم، وكان يقوم هو نفسه بمهمة الاشبين ويوجه اليهم الدعوات. فلما سرق هؤلاء الاعيان، ضغط بشدة على الباقين ليقبلوا مجمع خلقيدونية، وطرد الذين لم يذعنوا واخرجهم من المدينة واغتصب بيوتهم وأموالهم كالوثني وهدم الكنيسة الكبرى. ورمى الطغاة في النار الانجيل وبقية الكتب والميرون والقربان المقدس. غير أن الله صنع اعجوبة زجراً لهم وتشجيعاً للمؤمنين وهي عدم احتراق الكتب والقربان المقدس. وبالرغم من ذلك مثلوا دور فرعون في قساوة القلب، فلم يعطوا المجد

لصانع المعجزات، بل زادوا في تجديفهم قائلين: انه عمل من أعمال السحر. فتم فيهم قول الانجيل «من جدف على الروح القدس لا يغفر له لا في هذا العالم ولا في الآتي». لقد كان نبوخذنصر وثنياً، ومع ذلك لما رأى الفتيان الطوباويين لم يتأثروا بالنار، اعترف ومجد اسم الههم. أما أغابي الهرطوقي فجدف على الروح القدس، وأخرج الارثوذكسيين صباح يوم العيد. ولما خرجوا الى الباب المعروف بباب الماء الواقع على ضفة نهر زوريطي الذي يسميه المسلمون «المقلوب» اي المنحرف (لعله نهر العاصي)، احتفلوا برتبة تبريك الماء. ومن هنا انطلقوا الى عدة مناطق. في حين استمر أغابي يضطهد شعبنا والشعب الارمني، ولم يدع احداً منهم في المدينة حتى ادبّه الله تأديباً قاسياً.

سنة ١٢٦٨ حكم الروم قسطنطين صهر رومنوس، وهو رجل مثقف ثقافة عالية، رزين وفاضل. وفي السنة نفسها تولى الحكم لدى المسلمين ابو اسحق المكنى المكتفي، لمدة اربع سنوات وشهرين. وفي هذه الاثناء أرسل الملك قسطنطين ابنه باسيل لمحاربة المسلمين الذين كان يقودهم ابن حمدان الذي لم يستطعِ الصمود أمام الروم. فهاجم الروم شميشاط واحتلوها، وفي نفس الوقت نمي اليهم نبأ وفاة قسطنطين وتسليم الحكم لابنه رومنوس سنة ١٢٧٢، وفي هذه السنة توفي ابو اسحق خليفة المسلمين، وتولى الحكم ابو القاسم الملقب هو الآخر بالمكتفي، وقد حكم ست سنوات وشهراً واحداً. أما رومنوس بن قسطنطين فكان يرصد تصرفات المستشارين والزعماء ويبدي عزة نفس. ولما كان ابن حمدان قد قاتل الروم في عهد رومنوس، اضطر الاخير ان يرسل نيقيفور ولي عهده ويوني وشموشكي على رأس جيش رومي لمحاربة المسلمين، ولدى وصوله الى حلب سلموها له فانزعج المسلمون من سيطرة الروم على حلب عام ١٢٤٧. وفيما كانوا يتأهبون لقتال المسلمين وردهم نبأ وفاة ملكهم رومنوس، فتراجعوا فطاردهم المسلمون، فكروا عليهم فهزموهم، فهرب ابن حمدان، غير انهم لم يستطيعوا التأخير كثيراً لأن الأخبار كانت

تتوالى اليهم للعودة وتنصيب ملك لهم. وفي قيصرية قبادوقية اتفق الجيش مع شموشكي ونادوا بنيقيفور ولي العهد ملكاً سنة ١٢٧٥ فعيّن شموشكي ولياً للعهد وأرسله لمحاربة المسلمين، ودخل القسطنطينية وأُعلن ملكاً، وقاد شموشكي الجيش ودخل قيليقية وحارب المسلمين وانتصر عليهم واحتل طرسوس والمصيصة وبقية المدن، ولدى وصوله الى انطاكية غادرها المسلمون. وهكذا سيطر الروم على سورية.

في هذه الاثناء توفي ابو القاسم خليفة المسلمين، وتولى الحكم، الفاضل سنة ١٢٧٨ ولمدة ٢٩ سنة وثلاثة أشهر.. كان نيقيفور ملك الروم ضعيفاً، وبعد أن حكم ١١ سنة، تآمرت عليه زوجته ثاوفينا لعدم امانته الزوجية، واتفقت مع شموشكي فدخل ليلاً وقتل نيقيفور بحجة عدم مبالاته بشؤون المملكة، وتولى هو زمام الحكم.

لقد استمال الخلقيدونيون اسطيفان الخصي مطران امصيا واقاموه بطريركاً في القسطنطينية فاحتقره الجميع.. جاء شومشكي، في فترة توليته العهد، الى نيوقيصرية حيث التقى بمتوحد يدعى انطوان امضى ليلته معه في الجبل، وفي الصباح قال له المتوحد: عمّا قليل ستتولى الحكم. ولما تحقق ذلك بنى في ذلك الموقع كنيسة لا نظير لها في كل بلاد الروم، اذ شيدها بالمرمر وطلاها بالذهب والفضة، ووضع عليها صليباً ذهبياً كبيراً بطول قامته، حتى ان الاتراك عجزوا عن تنزيله، وتدعى قيرانطون حتى يومنا هذا.

فصـل

في تولية شومشكي الحكم على الروم وخليفتيه باسيل وقسطنطين ابني رومنوس. وكان يحكم المسلمين آنذاك، الفاضل وابو بكر وغيرهما. ومغادرة الشعب الارمني ارمينيا الى قبادوقية

في آب عام ١١٣٣ حدث في ملطية زلزال رهيب عقبته عاصفة هوجاء، وانهارت الابنية وانجرفت الحنطة والتبن من البيادر الى نهر الفرات.

سنة ١٢٨٧ تولى حكم الروم ايوني شومشكي الخبير في الشؤون العسكرية، وكان قوي البنية محارباً شجاعاً، أقام قبل توليه الحكم في ملطية وهنزيط وغيرها من الاماكن الشهيرة التي ما زالت قائمة حتى الآن. وكان شريفاً ابياً، أطلق السجناء وبنى كنيسة كبرى في العاصمة، وكان محبوباً لدى جيش الروم لانتصاراته المتتالية وضمه مدناً ومناطق عديدة تحت سيطرتهم. وبعد توليته الحكم بثلاث سنين توفي فحزن عليه الزعماء وكافة الشعب. وفي عام ١٢٩٠ تولى الحكم باسيل وقسطنطين ابنا الملك رومنوس، اللذان تربطهما اواصر المحبة الصادقة. وحيث ان باسيل كان أشد بأساً، ترك أخاه قسطنطين في العاصمة، وخرج لقتال المسلمين، واستمر حكمه ٥٥ سنة. واشتهر بانتصاراته واخضاعه عدة بلدان، وأمضى حياته في القتال في ارمنيا الكبرى والمناطق الغربية.

استيطان الارمن في منطقة قيليقية

سنة ١٣٠٠ باشر الارمن بمغادرة ارمنيا الكبرى الى قيليقية، واذ كان الملك باسيل قد أخذ من الارمن مناطق الملك سنحريب، عوضهم عنها بسبسطية قبادوقية، فازداد عددهم هناك وانتشروا في سائر انحاء قبادوقية وقيليقية وسورية. ويقال ان اسم سنحريب دخل الى الارمن عن طريق الآراميين. وبعد أن قتل اولاد سنحريب الآثوري اباهم كما جاء على لسان اشعيا النبي «وفيما هو ساجد في بيت نسروخ الهه، ضربه ادرملك وشرآصر ابناه بالسيف ونجوا الى ارض اراراط» (٢ مل ١٩). هربوا الى المناطق الكردية، وامتزجوا هناك بالشعب الارمني وصاروا زعماء وذاع صيتهم، وعرفت قبيلتهم بـ «السنحريبيين» وبالارمنية «سينكريميين».. أخضع الملك باسيل البلغار ايضاً واستولى على ممتلكاتهم. وبعد أن ساس المملكة بهدوء وبروح ملكية خمس وخمسين سنة، توفي، وسلم الحكم لأخيه قسطنطين سنة ١٣٤٥، وعاش قسطنطين بعد انفراده بالحكم سنتين وعشرة أشهر، وهو الآخر كان طيباً وابيّ النفس وحكيماً في ادارته، وسلم الملك الى ابن اخيه رومنوس. في ايام هؤلاء الملوك، تولى الحكم عند المسلمين على التوالي كل من: الفاضل ٢٩ سنة، ابو بكر ١٩ سنة، ابو العباس ٤٢ سنة.

في هذه الفترة، كان بطريرك الارثوذكس في مصر اي بابا الاسكندرية، مار ثاوفيلس، وخلفه بعد وفاته، مار مينا.. لدى وفاة البطريرك يوحنا في دير البارد، اجتمع الاساقفة وانتخبوا الراهب لعازر من دير شغر هارون المعروف بالصلحي ودعي اثناسيوس، ورسم يوم الخميس ٢١ تشرين الاول سنة ١٢٩٨ في قرية قطينة بمنطقة كحص (لعلها حمص). وضع اليد عليه مار لعازر اسقف انازربا، رسم ٣٩ اسقفاً. وفي عهده رسم ايوانيس من دير البارد مطرناً لملطية وهو ابن قيقي الذي أسلم فيما بعد، لأن الشيطان صاده بفخ الزنا، الامر الذي أغاض التكارتة

فطردوا الزانية، لكنه لم يدعها تبتعد، فاجتمع نحو سبعين شخصاً من الفضلاء وطلبوا اليه ابعادها لأن الشك ساوِر الشعب بسببه، فرفض، واخيراً قرر طرده ان لم يذعن. واذ كان مدعواً من قبل الخليفة، أهانهم وتناول محبرة ورماها بالارخدياقون، فأخرجوه من الكنيسة فوراً، فنزل الى بغداد ليقدم شكوى ضد التكارتة وكان احد انسبائه كاتباً للخليفة. فاجتمع نحو مئتي شخص ونزلوا الى بغداد ايضاً. ولدى وصوله الى بغداد فوجىء بتشييع الشخص الذي اتكل عليه، فتم فيه ما قيل ملعون الرجل الذي يتكل على الانسان ويجعل البشر ذراعه، وعن الرب يحيد قلبه، ويكون مثل العرعر في البادية (ارميا ١٧). فخاب امله، ولما علم بوصول التكارتة خاف من الموت، فالتجأ الى الخليفة مشهراً اسلامه حباً بالانتقام من التكارتة. وكان الخليفة يعرفه، فقال له: ان كان احد من جماعتك قد ضايقك وتود الابتعاد عنهم، فسننظر في هذا الامر، فخاف ان يقول امام المسلمين، انه اشهر اسلامه بسبب ارتكابه الزنا، فقال: اني اعلن اسلامي بعد ان تأكد لدي ضلال المسيحية وحقيقة الاسلام. وبعد أن شفي من ختانه، دخل الى الخليفة وكله أمل بأنه سيقضي على التكارتة، كما ان المؤمنين انفسهم توجسوا خيفة من العاقبة. لكن الله سبحانه وتعالى القى الرعب في قلب الخليفة، فلم يعر له اهتماماً، ولم يبد له احتراماً كما اعتاد ان يعامله سابقاً. فمكث واقفاً طيلة الوقت ثم أخذ يبكي ويضرب على رأسه، ولما سُئل عن السبب، أجاب: عندما كنت كافراً، نلت كرامة، ولما اصبحت مسلماً فقدتها. قال له الخليفة: ايها الغبي، اننا باكرامنا اياك كنا نكرم الشعب برمته والرئاسة الممنوحة من الله. اما وقد نبذت رئاستك بارادتك وتركت ذلك الشعب وجئتنا، فانظر، من ايّ من هذه الربوات من المسلمين الماثلين امامي، انت أفضل، لكي اميزك عنهم بالتكريم. ثم أمر الخليفة ان يطرد خارجاً وان لا يرى وجهه بعد، فخاب أمله وخجل، وارتفع رأس المؤمنين وأخذوا رسالة من الخليفة وجاؤوا الى البطريرك يوحنا، فرسم لهم اثناسيوس من دير والدة الله بالقرب من ملطية الشهير بدير الساعي.

اما ذلك الجاهل، ابن قيقي، فأخذ يستعطي خبزا ويلحق بنفسه اللعنة التي يورثها الشيطان لاتباعه. وحيث ان البطريرك اثناسيوس كان يقيم في دير بازيد حيث توفي سلفه، لذا رمّمه وجمّله، واستطاع بادارته وحكمته وعلمه، أن يوفر راحة وسلاماً لرعيته الانطاكية، حتى ان بطريرك انطاكية الخلقيدوني، كان يخجل من فضائله، التي يستحق من تحلى بأمثالها الملك. فقد كان يقظاً في خدمته، ينفذ القوانين الرسولية بدقة وقاد سفينة الكنيسة بكل حكمة وانهى حياته بشيخوخة صالحة. خدم البطريركية ١٦ سنة، ورقد في دير مار برصوم الكهنوتي الشهير الواقع بمنطقة كلوديا. واودع فيه حثمانه الطاهر.

في هذه الفترة، كثرت الاديار بمنطقة ملطية، وبرز رجال فضلاء وعلماء افذاذ حتى اخذ الهراطقة اليونان في ملطية يهدّدوننا. ولما توفي كل من البطريرك اثناسيوس ومار يوحنا مارون بحر العلوم، قبضوا على مار ايوانيس اسقف ملطية وسبعة رهبان فضلاء ملافنة، وأرسلوهم الى القسطنطينية مكبلين وزجوهم في السجن، فانهوا حياتهم بشهادة حقيقية. كما اختطف اليونان كنيستنا الكبرى المعروفة بكنيسة الساعي.

فصـل

في عهد رومنوس بن باسيل ملك الروم، وابي العباس قادر خليفة المسلمين. والبطريرك القديس مار يوحنا بن عبدون الذي نفاه الخلقيدونيون الى القسطنطينية حيث وافاه الاجل.

سنة ١٣٤٨ حدثت مجاعة كبرى في المعمورة، فازدادت حالات الموت بين البشر والبهائم والوحوش البرية والطيور حتى اعتقد الجميع بدنو نهاية العالم.. اثار الخلقيدونيون الطغاة اضطهاداً على الارثوذكس في ملطية وضواحيها، وقادوا البطريرك مار يوحنا بن عبدون والاساقفة الى القسطنطينية عنوة، ونفوهم بلا رحمة كما ورد في سيرة مار يوحنا.

ذهب رومنوس لمحاربة المسلمين فخذل وهرب، ودخل المسلمون معسكره وغنموا أواني ذهبية وفضية كثيرة، وتجولوا في المناطق التي كانت تحت سيطرة الروم، ولدى وصولوهم الى حلب، غادرها الروم فأعاد المسلمون سيطرتهم عليها، ولم يخطر على بال اليونان الطغاة ان أسلاف هذا الملك لم يهدأوا من اضطهاد المسيحيين في كل مكان. وقد عادوا اليوم الى عوائدهم القديمة، فنفوا البطريرك والأساقفة، لذا كسرهم الله أمام أعدائهم، وسيطر عليهم مبغضوهم في كل مكان.

يوم الخميس الخامس من تموز سنة ١٣٤٨ رُسم البطريرك القديس مار يوحنا في دير والدة الله بمنطقة جودقي المسماة بندقة. وضع عليه اليد مار بطرس أسقف حران، رسم ٤٩ أسقفاً. وفي عهده ارتسم أغناطيوس بن أتونس لملطية الذي اعتنق الخلقيدونية فيما بعد كما اسنوضح لاحقاً.. كان اغناطيوس ابن قيقي الذي أسلم كما أسلفنا، قد اقتبل

الرسامة من اثناسيوس، ورسم بعده مار يوحنا هذا، اثناسيوس لتكريت والمشرق.

من سيرة مار يوحنا بن عبدون

كان والدا هذا الطوباوي يسكنان ملطية حيث ولد وتربى على الفضيلة. ولما بلغ الثامنة عشرة تاق الى الحياة الرهبانية المقدسة، فقصد دير الساعي القريب من المدينة حيث اتشح بالاسكيم المقدس. ولما علم والده اعاده الى المدينة عنوة وألح علية بترك الزي المقدس والنزول الى معترك الحياة ليرث ثروته. وبناء على نصيحة مار اغناطيوس الساعي، ترك القديس الدير وقصد دير مار برصوم وصلى أمام ضريح القدس. ولكي يبتعد عن والديه، نزل الى شاطئ الفرات وسكن كهفاً وعراً، وأرهق نفسه بالتأمل والتهجد، ووهبه الله نعمة صنع المجزات والأشفية وروح النبوة، بحيث كان يعرف مسبقاً الأمور التي ستطرح عليه، فطارت له شهرة مستفيضة في عدة بلدان. وذات يوم قصده معوز طالباً صدقة ولم يكن الأخوة موجودين، فأخذ ما كان لهم من قمح وألقى به في خرج ذلك المعوز، فأخذه وجاء به الى بيته، وانصرمت سنة وستة أشهر وهم يقتاتون منه دون أن ينفذ حتى مرت أزمة المجاعة من المسكونة. وجيء اليه بطفل معذب من الروح الشرير، وقد أعوج فمه وارتخت يداه ورجلاه، ووضعوه ازاء الصخرة التي اعتاد الطوباوي أن يؤدي صلاة الساعة التاسعة بالقرب منها. فلما جاء وجده مرمياً هناك لوحده، فرثى لحاله ووضع اصبعه على عينيه وأذنيه فشفي للحال ونهض، وكان والده يراقبه عن بعد، فأسرع وخرّ أمام الطوباوي الذي أوصاه أن لايقول لأحد بأنه هو الذي شفاه.

ذات يوم، وبينما الطوباوي يتمشى على شاطئ الفرات، رأى شبح امرأة يتبعه، فقد أخفى الله عنه بأن الشبح الذي ظل هو ظل شيطاني، فقال في نفسه، هوذا يومك يا يوحنا، أما أن تقتل أو تقتل، ورسم علامة الصليب واندفع نحو النهر كي لاتلحق به المرأة، فاجتاز الى الضفة الثانية مشياً على الماء، فاختفى الشيطان. ومنذئذ نال الطوباوي نعمة أخرى من الله وهي السير على الماء كالسير على البر، فعرف الأخوة الذين معه ومجدوا الله. كان يقطع مسيرة يوم بيومين خلال الصيف نظراً الى شدة الحر، وذات يوم أنهكه العطش فنام وهو واقف، ولما استيقظ وجد ماء يتدفق من صخرة فتعجب، ثم سمع من يقول له: مجد الله يايوحنا وأطفئ ظمأك. ولما تأكد من أن الأمر ليس خيالياً، صلى ورسم علامة الصليب على الماء وشرب.

على أثر هذه المعجزات، ذاع صيته في تلك المناطق، فأراد الابتعاد عنها، فقصد دير مار برصوم للصلاة، ومن هناك رحل الى الجبل الأسود. وكان في دير مار برصوم يومذاك رجل قديس هو يوحنا تلميذ مارون، قال بوحي من الله، غدا سيحضر هنا رجل فاضل مزمع أن يترأس كنيسة الله. وفي الليلة الأولى من وصوله الى الدير، تراءى له القديس مار برصوم محاطاً بجموع نورانية. وفي الليلة التالية سمع صوتاً يدعوه الى الصلاة فقام ووجد باب الكنيسة مغلقاً وسمع صوت ترتيل الملائكة من الداخل، ومن هناك توجه الى الجبل الأسود، وانتصر في حربه مع الشياطين وأبناء الظلام بمآتيه الجبارة وسيرته الفاضلة.

بعد جهاد أربعين سنة، توفي البطريرك مار اثناسيوس، فاجتمع الأسقفة وأجمعوا على انتخابه راعياً لهم. وفي الرؤيا، شاهد الطوباوي نسراً يحلق بقوة في أعالي السماء تتبعه طيور جميلة وتدعوه ليحط ويظللها بجناحيه فلم يشأ، فسمع صوتاً من السماء يقول: لا تهرب أيها النسر المبارك، واهبط الى الأرض فأنا الذي أعطيتك لهذه الطيور التي

تطلبك. واليوم أسلمك سلطاناً في العلى وفي العمق. فتأكد ان دعوته من الله، فسلم نفسه ولم يكن آنذاك قد اقتبل حتى رتبة الشماسية تواضعاً منه لأنه كان يتهيب الرتب الكهنوتية، فرسموه شماساً في ٢٤ تموز، وفي ٢٥ منه رسموه كاهناً، وفي ٢٦ منه رسموه بطريركاً وقد بلغ الستين من عمره، وحضر رسامته بطرس أسقف حران وهو الذي وضع عليه اليد، وثاودوسيوس أسقف مرعش وتوما أسقف أنازريا وبولس أسقف طرسوس، وقرياقس أسقف جيحون، وايليا أسقف سيمندو. وبالرغم من تمسكه الشديد بالقوانين المقدسة، فقد كانت تعوزه الخبرة في الشؤون الادارية، لذا سلم ادارة الأبرشيات الى سكرتيره الراهب داود الذي أساء كثيراً الى الكنائس، وكان الطوباوي يجنح الى صنع المعجزات.

لما سمع حاكم انطاكية الروحي المصاب بالجذام، ان الله يصنع الأشفية على يد الطوباوي، طلب اليه أن يشفيه، فصلى على زيت وأرسله اليه فتناوله بايمان ومسح نفسه فشفي. ولما علم بطريرك انطاكية الخليقيدوني بهذه المعجزة، تاق ان يرى الطوباوي، فتبادلا الرسائل، وأرسل الطوباوي ثوباً من ثيابه فكان البطريرك اليوناني يرتديه في الأعياد.. في ملطية جيء اليه بطفل مجنون أخرس فشفاه، كما شفى امرأة نازفة بشربها ماءً مباركاً، بعد أن وعدت بالتوبة عن خطيئتها.. كان الشيطان قد زرع أفكاراً سمجة في قلب أحد الرهبان فسببت له لعزاب، فعلم الطوباوي بالروح وصلى من من أجله فتحرر منها.. وراهب خر، اتهمه زملاؤه بارتكاب ذنب ما، فطلب الى الطوباوي أن يحرمه اذا وُجد مذنباً حقاً، فشعر الطوباوي بالروح بأنه مذنب فقال له، اعترف بذنبك، فاستمر بعناده، ثم قال له الطوباوي، اذهب ولا تكرر ذلك الفعل، والا سيعذبك الروح الشرير، وقد عذبه فعلا، فاعترف بذنبه.. لقد دعت الحاجة الطوباوي الى أن يمد جسراً على نهر جيحون، وفيما كان الناس يحملون خشباً، سقط صبي في النهر وغرق، فأخرجوه وشيعوه، وحينما هموا بدفنه منعهم الطوباوي وأمضى الليل كله في الصلاة، وفي الصباح ختمه بالزيت

فعاش ، فأراد أن يخفي المعجزة، فقال للجمهور، ألم أقل لكم ان روحه مازالت فيه. غير أن الشعب أدرك أنها معجزة فمجدوا الله والدموع تسيل من مآقيهم.. وجيء اليه أيضاً برجل أبكم وأصم، فوضع اصبعه في فمه وأذنيه، وللحال نطق وسمع.

لقد صنع الله الكثير من امثال هذه الآيات على يد هذا القديس، لكننا نكتفي بهذا المقدار منها لئلا نحمل الكتاب اكثر من سعته. ونأتي الى خاتمة حياته فنقول: بعد أن أمضى ٢١ سنة في خدمة رئاسة الكهنوت، حسده الشيطان، فأثار عليه، بل على كنيسة الله، تجربة عبر مطران ملطية الخلقيدوني الذي لم يتحمل ما سمعه من اخبار المعجزات التي صنعها الله بواسطة القديس، فترك ملطية وشخص الى القسطنطينية وقال: اني لا أستطيع أن أقوم بالرعاية حيث يتواجد ذلك الساحر الذي جذب اليه اليونان، فلم يعر له الملكان باسيل وقسطنطين اهتماماً. ولما حكم رومانس زميل المطران في الدراسة، ألح عليه فأرسل رسائل الى زعماء ملطية ان ينقلوا البطريرك بسرعة الى منطقة المسلمين، وقال لحاملي الرسائل لا ندري مكان بطريرك اليعاقبة، وكان هؤلاء من تلاميذ المطران. وقبل أن يصلوا الى ملطية اعطوا ثلاثين من الفضة ليهوذا آخر من رومنه يدعى ابن جيجرا الذي وعدهم بأنه سيدلهم على مكانه. فقالوا للحاكم، نحن نعرف اين هو، وما نريده منك هو ان تزوّرنا بجند مسلحين، واذ عجز الحاكم عن انقاذه، هيأ تسعة فرسان. فقال يهوذا الثاني: هؤلاء لا يفون بالحاجة، اذ يوجد هناك اكثر من الف راهب يحولون دون اصطحابه، فأخذ برأيهم، وهجموا على دير البارد مفاجئين الرهبان وابناء المنطقة. فامتلأ الدير من الجند صباح الجمعة، ووقف الحاكم على باب القلاية. ولما علم البطريرك بوجوده على باب القلاية، استغرب، لكنه لم يتحرك حتى نهاية الصلاة. ولدى اطلاعه على حقيقة الامر، قال لتلاميذه لا بد وانهم سيأخذونه الى العاصمة، فلتكن مشيئة الرب. فخرج وأمسك بيد الحاكم وادخله الى القلاية وقال له: لم يا صاحب السيادة كل هذا الاهتمام ؟

أجاب الحاكم بهدوء: لا تضطرب ايها القديس. فان الملك أراد أن يراك في العاصمة. فقال: ولمَ اجهدتم نفسكم بهذا المقدار، فان جندياً واحداً كان يكفي ليأخذني. ثم اصطحبوه ودخلوا ملطية بين دموع الرهبان وابناء ملطية الذين كانوا وكأنهم على نار. واخيراً رشوا الزعماء من اجل ان يبقى في الدير خلال الشتاء. وبعد الاحتفال بعيد القيامة حتم الجميع ذهابه والحوا عليه ان يرسم حتى الاطفال شمامسة، ظناً منهم بأنه سوف لن يقوم لهم بطريرك بعد ان حزن الارض على فراقه كان اعمق من حزن شعبنا، وحتى الخلقيدونيين اليونان في ملطية حزنوا عليه. فكان الجميع يبكون وهم يتدافعون لنيل البركة بتقبيل يديه. وتوقع الكل حلول غضب الله القاسي على عاصمة الروم. وقد حدث ذلك فعلاً.

غادر البطريرك ملطية يرافقه ستة أساقفة هم: مار ايليا أسقف سيمندو، وايوانيس أسقف حدث، وأغناطيوس أسقف ملطية، واسحق عرقا، وموسى أسقف حصن زياد، وديونيسيوس أسقف تل بطريق، وعشرون راهباً وكاهناً، بينهم يشوع رئيس دير ابن جاجي، وباسيل رئيس دير البارد، وتلاميذ البطريرك، داود ويشوع وايوانيس وموسى وغيرهم. وفي منتصف حزيران دخلوا القسطنطينية يوحنا أسقف الملكيين الخلقيدونيين، وكانوا قد تأخروا ١٢ يوماً في كروسبوليس. ولدى دخولهم وجدوا ٢٠٠ أسقف خلقيدوني منتظرين مقابلة الملك الجديد، فذهبوا الى كنيستهم المسماة آجيا صوفيا، ولم يحضر بطريرك انطاكية وأساقفته الاجتماع، فلما سُئلوا عنا، قالوا: نحن نعرف أن هؤلاء مسيحيون فلا يليق أن نستفسر عنهم، قالوا ذلك لعلمهم بأن الطوباوي يوحنا هو رجل الله. غير أن مطران ملطية، قيافا الثاني، أوعز الى من ينادي في الشوارع، بأن هؤلاء لايعترفون بأن العذراء هي والدة الله وما الى ذلك، فانهال عليهم البصاق، وألقيت من الأسطحة النفايات على رؤوسهم، وتنمر المطران الغضوب حتى على بطريركهم وزعمائهم، فلم يأذن لهم الجلوس، ولابحث موضوع العقيدة معهم، غير أن راهباً من رهباننا أفحم جميع علمائهم كما أشار

يوحنا أحد أساقفتهم. فكانوا يلزمونهم بـالوقوف آمـامهم منـذ الصبـاح حتـى الساعة التاسعة، وكان البطريرك وايليا أسقف سيمندو يُسندان نظـراً الـى شيخوختهما فسألوهم بغضـب: لمـاذا تسـتهينون بمطـران ملطيـة ؟ أجـاب البطريرك: ان كنتم قد أتيتم بنا هنا مـن أجـل هـذه القضيـة فحلهـا سـهل، وهو انه من المستحيل الاسـتهانة بكـم وانتـم الحكـام ونحـن تحـت نفوذكـم. فخجلوا ثم سألوا عن العقيدة وكان هناك وثيقتان تتضمنان عقيدتنا، احداهما بخط أحدهم وهي حديثة والأخرى بخط شخص من عندنا، كانت قد نسخت في أيام المرحوم البطريرك يوحنا، وبعد أن تصفّحـوا جـزءاً منهـا، قـالوا: نحن لم نأت بكم هنا لكي نتعلم الايمان، بل لنعلمكم الايمان، فاعترفوا مثلنا بطبيعتين بعد الاتحاد. وكان المترجم واسمه ثاودورس قـد عينـه المطـران من أتباعهم من ملطية، فغرر به فغـير الكـلام فوبخـه أسـقفهم يوحنـا. قـال البطريرك: لانقول بطبيعتين ولا نغير عقيدة آبائنـا. قـال لـه المطـران: ألا تقبل عقيدة الملك ؟ أجاب البطريرك: نحن تحت امرة الملك القديس في كل شيء، أما أن نغير عقيدتنا فهـذا مسـتحيل، وهنـا مـدَّ المطـران يـده الآثمـة وبغضب صفع البطريرك على وجهه، فأدار له الجـانب الآخـر. فلمـا رأى معظم الرؤساء هذا المشهد تألموا كثيراً وسـالت دموعهـم، فخـرج أحدهـم وقـال: انـي لا أسـتطيع أن أجلـس وأرى المسـيح يُدان ويلطـم علـى خـده، وعقبه باقي الرؤسـاء معبرين عـن تذمرهـم. وعلـى هـذه الصـورة انتهـى اجتماع اليوم الأول، فنقلوهم الى دير مار ميانا، وفي اليوم التـالي أخذوهـم الى دير مار غريغوريوس. وفي الاجتماع الثاني تغيب الرؤسـاء احتجاجـاً علـى مـاجرى فـي الاجتمـاع الأول، لاسـيما لعـدم سـماحهم للبطريـرك بالجلوس كما تقضي القوانين، لذا أوعزوا بجلوس البطريرك وايليـا أسـقف سيمندو فـي الاجتمـاع الثـاني. وبعـد حـوار طويـل فشـلوا فـي اخضـاعهم، فطلبوا اليهـم ألا يضعـوا زيتـاً فـي البرشـانة (خـبز الذبيحـة)، ولا يرسـموا علامة الصليب باصبع واحدة بل بـاثنتين، علـى أمل جذبهـم الـى عقيدتـهم شيئاً فشيئاً، ففشلوا بهذا أيضاً، ففكروا آنذاك بتفريقهم عن بعضهم، فسجنوا

البطريرك وديونيسيوس في دير ما طيلة شهر تموز، ووضعوا كل اثنين من الباقين في مكان.

ثم دعا الملك أربعة منهم هم: أغناطيوس وايوانيس موسى واسحق، يرافقهم ذلك المطران، وقام بالترجمة بطرس صرفي الملطي الذي غرر به المطران هو الآخر فغير الكلام، وقد ضربه الله كالأول ومات. قال ايوانيس للملك ثلاثاً: لا نغير ايماننا مطلقاً، فأما أن تطلق سراحنا، والا فنحن على أتم استعداد لنموت من أجل المسيح. فأصدر الملك حكماً بسجنهم في نومره، فأمضوا هناك الفترة ما بين آب وتشرين تحت تعذيب شديد، وقد غضب الملك على المطران لأنه كان السبب في اتيانهم، وهذا ما جعله يتحايل ويخدع كل واحد على انفراد علّه يصطاد بعضهم ليعظم قدره عند الملك. وقد تمكن فعلا من التغرير بأغناطيوس الشقي أسقف ملطية وموسى أسقف حصن زياد واسحق أسقف عرقا الذين أضلهم الشيطان بواسطة ذلك المطران الذي قال لهم: نحن لا نكرهكم على تغيير عقيدتكم، وكل مانريده أن تقدموا الاكرام للملك والبطريرك وتنصرفوا الى ابرشياتكم ، فاذعنوا لذاك الحقير، فأخذ تواقيعهم الى الملك لدى سماعهم بأنه سيطلق سراحهم، وطلب اليه أن يتريث قليلا حتى يقنع جميعهم، فأرسل الملك يقول للبطريرك: سنعطيك كرسي انطاكية اذا قبلت عقيدتنا. فاجاب الطوباوي: لي كرسي رسولي في الأرض والسماء، ولا أريد شيئاً آخر غيره، واذا كنتم تريدونني أن أغير عقيدتي لتعطوني كرسيا غنيا بالمال والشعب، فاعلم اني لن أغير عقيدتي حتى لو أعطيتني عرشك. وهكذا خاب بهم أملهم. فقال الملك للمطران، تأكد من موافقة الذين تعهدوا لك، والا فليطلقوا جميعاً، فأرسل اليهم سراً من يأخذ رأيهم. فأجابوا: لا نستطيع أن نفعل شيئاً مادام هذا الشيخ هنا. فأمر باخراج البطريرك من نومره وأخذه الى القسطنطينية، فنقل الى دار ذلك المطران فأهانه كثيراً واحتقره وبصق في وجهه وقال: أين الذين كانوا يسعون امامك وحواليك في ملطية ؟ أنا الذي أتيت بك الى هنا أيها المنافق. قال

هذا ليثير غيرة البطريرك فيحرمهم، فينقل ذلك الى الملك فيصدر حكماً بموته. فقال الطوباوي، وقد امتلأ من الروح القدس: لم يأمرني ربي أن ألعن مضطهدي، بل وضع لي شريعة محبة الأعداء. فاذا كان ربك قد أمرك بالبغضاء والاضطهاد فأنت أدرى بذاتك. وبعد أن أشبعه أهانة وشتائم أرسله الى دير غايوس في ١٣ تشرين الأول.

ثم أوعز الملك الى ذلك اللعين فأخذهم الى داره وناقشهم مطولا في أمور كثيرة محاولا التغرير بهم. ولما لم يذعن كل من ايليا أسقف سيمندو ومار ايوانيس أسقف حدث ومار ديونيسيوس أسقف تل بطريق، أعادهم الى نومره، وأخذ الثلاثة الذين سقطوا الى دار برصوم الصرفي، ولما مثلوا أمام الملك، سألهم: هل وقّعتم أمام المطران بارادتكم ؟ أجابوا، نعم سنتابع، هل تحرمون سويريوس وديوسقورس ؟ فلم يحيروا جواباً. فقال الملك، انهم غشاشون. فقال لهم المطران، لِمَ لا تجيبون كما تعهدتهم، فاذا كذبتم فسوف تقتلون باعتباركم كذبة. وهنا وخوفاً من الموت، قالوا: نعم. واذ لاحظ الملك ترددهم، أرسلهم الى البطريرك الذي طلب اليهم أن يحرموا الآباء ، ففعلوا، وبذلك يكونون قد سقطوا في شراك الهلاك، فقد استدرجوا رويداً رويداً الى سخرية ابليس دون أن يدروا. فقال لهم: اذن ستقتبلون الآن العماد لتتنصروا ثم تتقدموا لنيل الكهنوت. فقالوا، نحن أساقفة ولا مكان لمثل هذا الكلام، فقال لهم، أيها المساكين ان الكهنوت الذي كان لكم متسلسل من سويريوس وديوسقورس، اللذين حرمتهما الآن، فلم يبق لكم كهنوت، فأخذتهم الحيرة، وظلوا كذلك من تشرين حتى عيد الفصح حيث استدعاهم البطريرك باشارة من المطران، يوم أربعاء الآلام وقال لهم متظاهراً بالتقيد بالقوتتين: يشهد عليكم هذا المذبح بأنكم تقدمتم طوعاً لا كرهاً. وبعد انتظار عدة أيام عمّدوهم بماء عُمد فيه مسلمون، فخرجوا خجلين كاليهود. لقد ندم اغناطيوس بن اتونس أسقف ملطية ومات كمداً. أمّا موسى أسقف حصن زياد واسحق أسقف عرقا فهربا الى سورية وختما حياتهما تائبين.

بعد أن أفحمهم مار ايليا أسقف سيمندو ذلك الشيخ القديس العالم، رجموه بالحجارة أمام البلاط، واستشهد تلميذه اسطيفان، في حين ختم ايوانيس أسقف حدث حياته في السجن. وأطلق سراح ديونيسيوس أسقف تل بطريق ضمن العفو العام للسجناء الذي صدر في أعقاب وفاة الملك، وعاد الى كرسيه معترفاً حقيقياً.

من يروم الوقوف على أخبار البطريرك يوحنا، والمعجزات الباهرة والرؤى الالهية التي أنعم به الله عليه خلال سنوات نفيه في دير اليونان، وبقية أعماله الرسولية، بامكانه أن يطلع عليها من سيرة حياته ورسائل تلميذه، ومن مذكراته والرسالة التي أرسلها الطوباوي الى سورية حول الذين جحدوا، وأوصى بقبولهم في حالة توبتهم. لتكن معنا صلاته وصلاة الذين ثبتوا على الايمان المستقيم الحق، وتحفظنا جميعاً آمين.

(... فاستشاط غضباً وأمر أن يطردوا من بيوتهم، فغادر عدد كبير ن الرجال المعروفين، وتفرقوا في مدن الجزيرة وسورية. وحيثما استقروا شيدوا كنائس وأديرة فاخرة. ومنهم أعيان ملطية الفضلاء المعروفين بآل عمران المشهود لهم بالمآتي الجليلة، أولئك الذين منّ الله عليهم بثروة غزيرة مثل ابراهيم وأيوب، فأنفقوها في بناء الكنائس والأديرة، وعلى الفقراء والمعوزين. ففي ملطية انشأوا عدة كنائس وأديرة للنساء. كما بنوا خارج المدينة أديرة للرهبان، وكانوا يوزعون الصدقات على الفقراء كل يوم جمعة، منذ الصباح حتى منتصف النهار. ويقوم بتوزيع الحسنات، الشيخ أبو سالم بنفسه. كان بنو عمران ثلاثة أشخاص تميزوا بالسيرة الحميدة، حتى أن ملك الروم حسدهم وفرض عليهم سك عملة المملكة لسنة كاملة، فنفذوا ذلك دون أن ينقص شيء من ثروتهم، فأدرك الملك، انها بركة الله الذي قال بلسان النبي «لي الفضة ولي الذهب». ولدى عودة الملك باسيل من أرمنيا، أدركه الشتاء في جوباس فاحتاج الى المال، لأن موفديه لم يتمكنوا من ايصل المال اليه بسبب

الثلوج، فجاء اليهم الملك وطلب قرضاً منهم، فلما عرفوه بالغوا في اكرامه وأعطوه مئة قنطار ذهب بحسب طلبه. واذ كان عادلا، أعاد اليه قرضهم وذات مرة غزا الأتراك ملطية وأسروا الشيخ أبا سالم وهو عائد من الدير الذي أنشأه، فتفاوض مع الاتراك ودفع خمسة دنانير من حسابه الخاص عن كل أسير، وكان عدهم ١٥ ألف أسير. هذا غيض من فيض من مآثرهم. نذكرها ليمجد القراء الله ويصلوا لأجل راحتهم).

وجدت هذا الخبر على هامش احدى الأوراق لم أعرف مصدرها ، لأن مقدمتها كانت مخرومة .

فصـل

في نهاية حياة رومنوس. وبه (الفصل) ينتهي المقال الثالث عشر

لقد توفي الملـك رومنـوس فجـأة، لأن اللـه لـم يـرض بالاضطهـاد الذي أثاره ضد المؤمنين. فملك ميخائيل سنة ١٣٥٤ لمدة ٨ سنوات. وفـي هذه الأثناء كان يحكم دولة المسـلمين، أبـو العبـاس.. تمـرد علـى ميخـائيل وشخص من أبنـاء جنسـه يدعـى قلافـاط، واسـتمرت حالـة التمـرد خمسـة أشهر، حتى قبض عليه وسُملت عيناه. وفي عهد الملـك ميخائيل هذا، سـلم المسلمون الرها للروم. وبعد وفاتـه أدارت شؤون المملكـة زاي وتيـودورة ابنتا قسطنطين، مدة ثلاثة أشهر.

آمد مقر للكرسي الرسولي

أمضـى الطوباوي يوحنا بـن عبـدون سـبع سـنوات منفيـاً فـي ديـر للروم في جبل غايوس، وتوفي في ٢٢ شباط سنة ١٣٥٧ يوم عيـد دخـول الرب الى الهيكل وشيعه تلميذه أيوني الذي سجل المعجزات والرؤى التـي تمت بيد الطوباوي خـلال فـترة نفيـه. فـاجتمع الأسـاقفة فـي قريـة طمنيـن بمنطقة كلوديـا، ودُعي حايا (عائش) رئيس ديـر لعـازر بمنطقـة جوبـاس، وانتخب وارتسم في دير مار دمياط في نفس المنطقة وسمي ديونيسـيوس. فنقل خلقيدونيو ملطية الخبر الـى القسـطنطينية فصـدر أمـر بـالقبض عليـه وارساله الى هناك. غير أن أعيـان ملطيـة المؤمنيـن، أخـبروا البطريـرك بالأمر، فانتقل فوراً الى منطقة المسـلمين حيـث اجتـاز الفـرات وبلـغ آمـد، يرافقه مار ابراهيم أسقف قليسوريا (١) لقد أنشأ مار ابراهيم هذا كنيسة ديـر

مار برصوم القديمة سنة ١٣٣٥. الذي وضع عليه اليد. ومنذئذ غدَت آمد مقراً للكرسي البطريركي لأنه أقام فيها ورسم أساقفة. وأرسل والي ملطية اليوناني هدايا الى حاكم آمد من أجل أن ينفذ ارادة الملك فيلقي القبض على البطريرك ويسلمه لهم. لكنه أجاب، «ان قوانينا لاتسمح بالقبض على الذين يلتجأون الينا وتسليمهم الى أعدائهم، كما لاتسمح باكراه شخص على اعتناق عقيدة ما»، فخجل اليونان رغم أنهم لايعرفون للخجل معنى ولا للزجر كما يقال. لقد أمضى مار ديونيسيوس طيلة أيام حياته في منطقة المسلمين، حيناً في دير مار حنانيا الى الشرق من ماردين، وحينا آخر في آمد نفسها. خدم البطريركية عشر سنوات، وتوفي ٢١ آذار سنة ١٣٦٨ وأودع جثمانه كنيسة آمد الكبرى. رسم ٣٦ أسقفاً.

قام في مصر البطريرك شنودا.. رسم لملطية مار يوحنا من دير مار شينا بولاية مرعش، بدلا من ابن تونس الذي جحد.. رسم البطريرك ديونيسيوس يشوع رئيس دير مار ابحاي مطرانا للرها، وسمي اثناسيوس، وقد صنع الله معجزات على يديه واشتهر كأحد الرسل القديسين.

بانتهاء المقال الـ ١٣، تنتهي فترة ٢٥٠ سنة، قام خلالها ١٢ ملكاً للروم و١١ خليفة للمسلمين

المقال الرابع عشر

نخص هذا المقال بالأتراك الذين أخذوا. يسيطرون على المدن والبلدان ونقسمه فصولا

الفصل الأول

في أن الأطراق هم الأتراك أنفسهم، وفي أصلهم ومناطق سكناهم

يعود الأتراك بأصلهم الى يافث ومن فرع ماجوج كما كتب النبي موسى من أن ماجوج هو ابن يافث بن نوح، ومنه انحدر هذا الشعب وانتشر في الأرض. واستقروا في الجهة الشمالية الشرقية، وهم الذين عناهم حزقيال النبي بأنهم سينطلقون الى المعمورة ويصلون الى أورشليم. وهذا نص النبوة وكان اليّ كلام الرب قائلا: يا ابن آدم اجعل وجهك على جوج أرض ماجوج رئيس روش ماشك وتوبال.. واجمعكم واضع شكائم في فكيك واخرجك أنت وكل جيشك خيلا وفرساناً كلهم لابسين أفخر لباس، جماعة عظيمة مع أتراس ومجان، كلهم ممسكين السيوف، فارس وكوش وقوط معهم كلهم بمجن وخوذة، وجومر وكل جيوشه وبيت توجرمه من أقاصي الشمال مع كل جيشه، شعوباً كثيرين معك، استعد وهيء لنفسك أنت وكل جماعاتك المجتمعة اليك فصرت لهم موقراً، بعد أيام كثيرة تفتقد، في السنين الأخيرة تأتي... وهكذا قال السيد الرب، هل أنت هو الذي تكلمت عنه في الأيام القديمة على يدي أنبياء اسرائيل... وأنت يا ابن آدم تنبأ على جوج وقل: هكذا قال السيد الرب هأنذا عليك يا

جوج رئيس روش ماشك وتوبال وأردك وأقودك واصعدك من أقاصي الشمال.../٣٨و٣٩، هذا وكثير من أمثاله أظهره لنا الروح النبوي بخصوص هذا الشعب. وقد كرر الكلام مرتين مشيراً الى الصعود الثاني. وحيث أن المفسرين الملهمين اقتصروا على الحديث عن الصعود الأول، لذا فاننا نسير على خطاهم ونقول:

ان هؤلاء هم المعنيون بنبوة النبي. وقد أيد قول حزقيال هذا، القديس يعقوب الرهاوي عندما تحدث عن الشعب التركي. وهؤلاء هم قوم جوج وماجوج الذين خرجوا في عهد قوميسوس ملك الفرس الذي يسميه العرب نبوخذنصر الثاني الذي دعا الفانا قائد قواته، كما جاء في سفر يهوديث، وقال له: اخرج على جميع ممالك الغرب وخصوصاً الذين استهانوا بأوامري، وقُد ١٢٠ الف رجل مقاتلين و١٢ الف فارس ارباب (قسّي /٢). أمّا متى وفي عهد اي ملك خرج الاتراك لأول مرة، فهذا موضح في الكتب. فان خروجهم الاول يسبق ميلاد الرب بالجسد ب ٨ سنوات. ومنذ ذلك الحين وحتى خروجهم الثاني، لم يكتب عنهم شيء. وورد ذكرهم في المجلد الثالث من تاريخ يوحنا الاسيوي الذي قال «في السنة السابعة لملكه، أرسل يوسطنيان ملك الروم وفداً الى الشعب التركي، وعادوا بعد ثلاث سنوات وقالوا: انهم رأوا الاتراك شعباً لا حصر له كالجراد والزحاف، وكان لهم تسعة ملوك. فلما رأى ملك الاتراك وفد الروم، بكى، ولمّا سُئل عن السبب قال: لقد قال لنا اباؤنا، عندما يأتينا وفد من ملوك الغرب يحين وقت خروجنا الى الارض لابادتها». ويرد ذكر الاتراك في الحديث عن الايام الاخيرة لآخر مملكة الفرس المعروفة بآل ساسان، حيث قيل، عندما هزم يزدجرد آخر ملوك المسلمين في مرو مدينة الاتراك. كما ان شخصاً تركياً قتل ابن حايا في عهد المسلمين الذين سيطروا بعد الفرس، ويذكر ديونيسيوس التلمحري في مجلده الثاني لدى حديثه عن مدينة امورين، ان ابا اسحق خليفة المسلمين، لما خرج عليها، هيأ اربعة آلاف تركي للقتال.

الفصل الثاني

في تصرفات الاتراك

استوطن الاتراك، وهم قوم جوج وماجوج، في الجهة الشمالية الشرقية، وقد وقفنا على ذلك ليس فقط من النبوة، بل ممن سمعنا منهم ورأينا نحن واباؤنا. فقد نزحوا وينزحون من هناك، وتقع المنطقة في اول المشرق من حيث تشرق الشمس وحتى نهاية الشمال بالقرب من الجهة الغربية على امتداد بعيد طولاً، وحتى نهاية جهة المعمورة الشمالية عرضاً. ويقال عن تلك المنطقة بأنها محاطة بجبال وعرة، وفيها منفذان هما بمثابة بابين للخروج والدخول منها واليها، الاول في الناحية الشرقية على مسافة من فارس، ويقع الثاني داخل ايبريا، وفيها ابنية حصينة قوية.
وان الباب الذي يقال انه انشىء بأمر الاسكندر الكبير المقدوني لمنع تلك الشعوب من الخروج، هو اليوم بيد الايباريين، والمنفذ الذي قلنا انه يقع في الشرق، هو عبارة عن طريق يمتد مسافة يومين مشياً، واقيمت في نهايته ابنية حصينة يقيم فيها الحراس لمنع البرابرة من الخروج. وكان الحراس يُعينون، في العصور الغابرة، من قبل ملوك الشرق. امّا في عهد المسلمين الذين خلفوهم في الملك، فان الاتراك الذين نزحوا من هناك واستوطنوا منطقة مراجاني، هم الذين كانوا يحرسونها. يشهد على هذا، الاخبار المدونة في العديد من الكتب، ومنها ما قيل من أن طيبريوس ملك الروم ارسل وفداً الى ملوك الاتراك. فسألهم الاتراك عمّا اذا كان الروم خاضعين للفرس، أجابوا، كلا، بل بالعكس. فكثيراً ما خضع الفرس للروم حتى ان طيبيريوس ملك الروم اقام له تمثالاً في فارس واكرههم على السجود له. فلما سمع ملوك الاتراك هذا، طردوا الفرس من مراجاني لأنهم كانوا يخدعونهم. وعندما خرب شابور الفارسي مدينة دارا، انتقى

الفتيات من السبايا وارسلهن الى ملك الاتراك، وهؤلاء هن اولئك اللواتي القين بأنفسهن في النهر بمنطقة مراجاني. يستدل من هذه الامور وغيرها، انّ الشعب التركي الذي عُرف «بسالب الأرض» نزح منذ أمد بعيد من منطقة الجبال الوعرة.

نكتفي بهذا المقدار في ما يخص موطنهم. اما من حيث بربريتهم وسوء اخلاقهم ، فيقال، انه لم يكن لهم شريعة تميز ما يأكلون، وعليه فقد كانوا يأكلون كل ما يدبّ على الارض من الحيوانات والبهائم والدبابات والهوام والطيور، حتى الجيفة والمشايم التي تنزل من الوالدات، وجثث الموتى من البشر، وكانوا يصطادون ويأكلون اي انسان غريب ليس له دليل. هذا ما يتحدث عنهم جيرانهم الايباريون الذين كانوا يحرسون المنافذ. ومن مزاياهم، البساطة والوداعة، ويسلكون سبيل الدهاء في ما يخص قوام حياتهم، ويحظرون الزنى والفسق، ولم يكن لهم قانون يمنعهم من تعدد الزوجات، وكانوا جهلة بعيدين عن كافة صنوف العلوم، ولم يسمعوا قط بموسى أو أي من الانبياء حتى ولا بمجيء المسيح الاله. ومن المعتقد عدم وصول أي من الرسل او المبشرين اليهم. أضف الى هذا عدم اعتيادهم ارتداء ثياب القطن أو الحرير، وكانت كسوتهم تصنع من صوف الغنم وشعر الماعز، لا سيما وانهم يربون الحيوانات كالخيول والثيران والغنم التي تعج بها مناطقهم، وكانت تربيتهم للحيوانات والبهائم مدهشة، وهم لا يحبون كثرة الكلام. يعترفون باله السماء الواحد بالفطرة لانهم يعتبرون جلد السماء هو الآله، ولم يسمعوا شيئاً آخر، كما انهم لم يكونوا مستعدين للسماع.

فصــل

في خروج الاتراك الثاني واستيلائهم على فارس وآثور وبين النهرين وارمنيا وسورية وفلسطين وقيليقية وحتى البحر ومصر

مثلما جاء خروج الاتراك الاول طبقاً لنبوة حزقيال، قد يكون خروجهم الثاني كذلك ايضاً. وليعلم اللبيب، ان خروجهم الاول كان بأمر الله حيث سبق الوحي الالهي واعلن للنبي ليتنبأ عنهم. وان خروجهم الثاني كان هو الآخر بأمر الله، وقد تم ذلك، بحسب تصوري، على النحو التالي:

بعد أن سيطر العرب، وزال حكم الفرس الوثنيين تماماً، هرب اليونان الذين كانوا يضطهدون المؤمنين. وكانت مملكتهم مزدهرة طالما حكمها ملوك عدول لا يضطهدون المؤمنين. وبعد حجب العون (عون الله) عنهم لعدة سنين، عادوا وسيطروا على سورية وفلسطين وارمنيا وقبادوقية. وللحال عادوا الى عوائدهم الرديئة، فأخذوا يضطهدون مؤمني هذه البلاد بعنف، فغضب الله عليهم عدلاً، لذا حرك الاتراك فكان خروجهم هذا الثاني الذي جرى كالآتي:

عندما ضعف العرب أي المسلمون وسيطر اليونان على عدة بلدان، اضطر المسلمون الى الاستعانة بالاتراك كعبيد لا كسادة، وحيثما يمموا اظهروا كياسة، وعادوا ظافرين.

فقد اعتادوا على الانتصارات ونقل خيرّات الارض الى بلادهم وعرضها على الآخرين لحثهم على الخروج معهم والاستيطان في ارض جيدة تفيض بمثل هذه الخيرات ووضعوا نصب اعينهم الخروج الى هذه البلاد التي تقطنها بعض الشعوب. وقد أخذ بعض الرجال والنساء هنا وهناك، لاسيما في الرها، يئنون ويصرخون كالمجانين في شوارع المدينة قائلين: هوذا ينزح ويحل بينكم شعب بربري من الجهة الشرقية، وجوههم وجوه بشر وقلوبهم قلوب كلاب. وكان المسيحيون يسخرون منهم، وبالرغم من ضغط الولاة عليهم ليسكتوا فلم يسكتوا، وقد أكّد اقوالهم ما حدث فيما بعد، حين نزح الشعب التركي وغطى الارض، حتى ضاق بهم الاتراك الاوائل ذرعاً، لأن المنطقة لا تستوعب جميعهم، فاضطروهم على تركها. ولما شرعوا بالمغادرة، تراءى لهم ذاك الذي ارشد الأوائل وهو شبيه بالكلب. فسار أمامهم دون أن يتمكنوا من الدنو منه. وعندما يهمّ بالرحيل، كان يصرخ ويقول: انهضوا فينهضوا ويسيروا وراءه حتى يجلس فيحطوا الرحال. وبعد أن قادهم بضعة أيام توارى ولم يعد يُرى أو يُسمع عنه شيء. ولا نستطيع ان نجزم فيما اذا كان دليلاً يرشد كلاً من الشعوب الى ما يساعده على ممارسة ما اعتاد عليه، مثل العبرانيين بالنسبة الى ذبائح الغنم والثيران، والمجوس بالنسبة الى الكواكب. فهل ترى ظهر لهؤلاء بهيئة الحيوانات التي ألفوها ؟ هذا ما لا نقوى على اثباته.

ومهما يكن من الامر، فان الأتراك، بعد غياب مرشدهم ووصولهم الى مناطق يحكمها ملوك، رأوا أن المنطقة لا تستوعبهم، فانقسموا ثلاثة أقسام، بقصد أن يتجه كل قسم الى جهة معينة، سواء الى الجنوب أو الشمال أو الوسط. فأخذوا ثلاثة قضبان ورموها الى أعلى حيث يوجد الله بحسب معتقدهم، فسقطت على الأرض، فاتجه الذين مال قضيبهم في الجنوب الى مناطق الهند المرتفعة. وقد سبقوا وتعهدوا بأن تتقيد كل قبيلة بعبادة آله الشعب الذي سيحلون بينهم ويلتزمون بمعتقدهم. فالذين اتجهوا الى الجنوب، التقوا بمسيحيين ووثنيين فتبعوهم حتى هذا اليوم، فمنهم الآن

مسيحيون، ومنهم وثنيون عابدو الأوثان. والذين وقعت قرعتهم نحو الشمال، هم الآن مجاورون لدولة اليونان من الجهة الشمالية ويعرفون بـ «القومنائيين» نسبة الى اسم المنطقة، وهم يتبعون المسيحيين الذين وجدوهم هناك ولئن كانت شؤونهم غير منظمة. أما الذين وقعت قرعتهم نحو الغرب أي في وسط المسكونة، فقد امتزجوت بالعرب واعتنقوا دينهم. والحديث هنا يدور حول هؤلاء. فبامكاننا أن نقول: ان كل هذا قد تم بوحي من الله الذي يدير كل شيء بالشكل الذي يناسبه. ونقول مع النبي «مايريده الرب يصنعه في السماء وعلى الأرض وفي البحار وكل الأعماق». بالحقيقة أن الرب عظيم وجبار وهو وحده له السلطان على مصلحة البشر، يمنح النصر لمن يشاء، ويقيم فيها من يشاء حتى من البؤساء.

فصل

في كيفية خروجهم من موطنهم، تلك المنطقة المحصورة

لما كان موطن الأتراك الأم محصوراً داخل الجبال في المنطقة المعروفة «بمنطقة سالبي الأرض»، لم يكن بوسعهم الخروج الا من منفذين. فعندما يحتاجهم الملوك، يختارون منهم العدد الذي يريدونه من الرجال لمقاتلة أعدائهم، ثم يعيدونهم الى بلاهم. وبهذه الطريقة أخرج ملوك الفرس والماديين والآشوريين الذين سيطروا على تلك المنطقة، العديد من الأتراك، فشاهدوا الأرض فتحدثوا الى مواطنيهم، لدى عودتهم، عن خيراتها التي حملوا اليهم منها، كالفواكه والأواني الرائعة. الأمر الذي شجع الشعب على الخروج والاستيطان في تلك المناطق التي تكثر فيها هذه الخيرات. وذات مرة ، طلب اليهم الفرس الخروج معهم، وبعد أداء مهمتهم وعودتهم ووصولهم الى منطقة الحصون والحاميات، تشاوروا وقتلوا مرافقيهم الفرس واحتلوا الحصون لئلا يخرج الحراس الذين في الداخل ويخبروا الملك. واتصلوا بزملائهم في الداخل فخرجوا وقاتلوا الفرس الموجودين في الحصون، وسيطروا على هذا المنفذ، ومن هناك انطلقوا وسيطروا على تلك المنطقة حتى مراجاني التي اتخذوها مركزاً لدولتهم. وان ملوك الأتراك التسعة الذين زارهم وفد من الروم في عهد الملك يوسطنيان، كانوا في تلك المنطقة، أي خارج وطنهم الأم وقد شددوا الحراسة على ذلك المنفذ لكي لا يخرج الذين في الداخل الا عندما يريدون هم.

أما عن زمن خروجهم واستلائهم على منطقة مراجاني، فيبدو ان ذلك تم في نهاية مملكة الفرس قبل وصول العرب بمئة سنة، أي قبل هذه

الفترة بستين سنة أو أقل. ويُقال عنهم: لدى انتقالهم من المشرق الى المغرب، انهم شاهدوا حيواناً يشبه الكلب يسير أمامهم دون أن يعرفوا ما هو ومن أين جاء، ودون أن يتمكنوا من الدنو منه. غير أنه كان يناديهم بلغتهم أثناء الرحيل ويقول: انهضوا فينهضوا. ويستأنفون السير وراءه حيثما يتجه، ويحطون الرحال حيثما يقف، حتى وصلوا الى هذه البلاد التي استولوا عليها، فلم يعد يتراءى لهم ذلك المرشد، ولم يتعدوا تلك المنطقة.

فصل

حول وحدة العقيدة بين الأتراك والعرب المسلمين

لقد اتحد الأتراك مع المسلمين، وقبلوا عقيدتهم بيسر لثلاثة أسباب: الأول لاعتقادهم بآله واحد منذ وجودهم في وطنهم الأم، ولئن اعتبروا السماء التي تبدو لهم هو ذلك الاله، ولايزال حتى اليوم بعض السذج منهم، اذا سألهم أحد عن الله، يجيبون « قُن طنجري » فكلمة قن بلغتهم تعني الأزرق، وكلمة طنجري تعني الله. اعتقاداً منهم بأن السماء هي الله. فلما علموا بأن المسلمين يقولون بآله واحد تبعوهم. والثاني: كان خروج الدفعة الأولى من الأتراك الى منطقة مراجاني، في عهد الفرس. وبعد فترة وجيزة ظهر محمد وتبعه العرب ومن ثم الفرس، بعد أن قويت دولة المسلمين ودالت دولة الفرس وغيرها من دول المشرق، فتبعهم الأتراك في مراجاني شأن الشعبين الفارسي والكردي. ولما خرجت الدفعة الثانية من الأتراك والتقوا بأبناء جنسهم ولغتهم، اعتنقوا عقيدتهم استناداً الى تعهد سابق بينهم. والثالث: لقد تم اتحاد الأتراك مع المسلمين على النحو التالي: كان المسلمون يستأجرون الأتراك في حروبهم مع اليونان، فيدخلون مناطق تفيض بالخيرات فيحملون مايستطيعون من الغنائم. وبناء على دعوة المسلمين اياهم، قبلوا دعوة محمد ونبذوا عبادة الأصنام وغيرها من المخلوقات واعتنقوا مذهبه، مقابل اعطائهم منطقة خصبة، فوافقوا على أن يختتنوا ويلتزموا بتقاليد الشريعة القديمة مثل الوضوء قبل الصلاة .

هذه هي الأسباب التي دعت الأتراك أن يقبلوا محمداً، فاتحدوا مع المسلمين وصاروا شعباً واحداً، وقبل المسلمون بدورهم الأتراك، كما

رضوا أن ينادى بمن يتملك منهم، ملكاً للمسلمين شريطة أن يتم تعيينه من قبل زعيمهم الديني المعروف بالخليفة. ولمثل هذه الأسباب اتخذ الأتراك مع المسلمين في العقيدة. ولما دخلوا بلا الفرس وسيطروا على الفرس وسيطروا على المدن أرادوا أن يقيموا لهم ملكاً، فاجمع نحو سبعين رجلا، واحد من كل قبيلة كبيرة وكريمة ووقفوا على هيئة دائرة، ورسموا دائرة على الأرض، وقرروا أن يقام ملكاً من سقطت عصاه في وسط الدائرة، فرمى كل منهم بعصاه الى فق ماستطاع، فسقطت جميعها خارج الدائرة باستثناء عصا واحدة سقطت في الوسط، تعود الى رجل من قبيلة صغرى نسبياً، فأقيم ملكاً. هذه الأمور كلها لم تخرج عن نطاق التدبير الالهي القادر على الكل والمتسلط عى الأوقات والأزمان. فاجتماعهم لالقاء القرعة وعبادتهم الله، انما كان اصبع الله. ذاك الذي به وحده يليق المجد من الأن والى أبد الآبدين، آمين .

المقال الخامس عشر

يبدأ من سنة ١٣٦١ وهي سنة ١٠٣١ ميلادية، و ٤٣٠ هجرية التي فيها ابتدأت دولة الأتراك القائمة الآن. وهذه هي سنة ٦٠٥٠ من آدم أي منذ بدء العالم. وفيها حكم قسطنطين مونومكس الروم، وحكم أبو العباس قادر المسلمين. حكم طوغربك أول ملك تركي في خرسان. وفي هذه السنة قام لكنيستنا البطريرك يوحنا ابن أخ القديس يوحنا بن عبدون

فصل

سنة ١٣٥٦ غرقت بأمر الله، مدينة ايزنجي الأرمنية، وكانت فيها عائلة سريانية من قوريقس. ففي حين غطت المياه المدينة باسرها، لم تدخل بيت اولئك المؤمنين فنجوا بالرغم من احاطة المياه اياهم من كل جانب، وكانوا اصحاب بر واحسان. بقد تمت هذه المعجزة بأذن الله القادر على كل شيء لتشجيع وتقوية المؤمنين .. وحدث يوم الجمعة التي تلي اسبوع صوم نينوى، من السنة نفسها، زلزال هائل ومرعب جدا، فانهارت عدة مناطق. وفي هذه الاثناء حدث في انطاكية حادث مؤسف. فقد تخاصم، بفعل الشيطان ومطامع بشرية، ابناء كنيستنا الارثوذكسيين، حتى التهب الغضب القبيح في بعضهم فذهبوا الى البطريرك الخلقيدوني الموجود هناك، وفي غمرة غضبهم صاروا هراطقة، فسنحت لهم فرصة لامتصاص الدماء. فاغتصبوا كنيسة الارثوذكسيين المشيدة حديثا، وعلى اثر ذلك تخاذل الكثيرون وانضموا الى اليونان، وقبلوا الخلقيدونية بسبب تجدد الاضطهاد، وممارسة البطريرك صنوف اساليب الاضطهاد ضد

الرافضين لمجمع خلقيدونية. وظل الارثوذكسيون فترة طويلة لا يستطيعون ان ينظروا انطاكية .. ان الرب الذي يكيل الضربات للبغاة، ضرب كنيسة فسيان الكبرى بالبرق واحرق البطريرك المضطهد وهو يقدم الذبيحة، مع جميع من كانوا في الكنيسة. حدثت هذه النكبة في الساعة الثالثة، وعم الخوف الجميع، واعترف المضطهدون بان الحادث هو انتقام لاغتصابهم غير الشرعي للكنيسة. فقوقفوا عن الاضطهاد، وعاد الارثوذكسيون الى مساكنهم، ولم يكن لهم كاهن او كنيسة في المدينة. فكانوا يخرجون في الربيع الى القرى ويشتركون بالاسرار الآلهية حيثما وجدوا كاهنا ارثوذكسيا.

لصوص من الارمن في دير مار برصوم

في هذه الفترة، اي سنة ١٣٧٧ تمردت جماعة من الارمن الشهيرين بـ « بني خزريج » على الملك، بحجة نزوح الاتراك، واخذوا يمارسون اعمال اللصوصية، وانضم اليهم نحو ٣٠٠ رجل من السفلة وسفاكي الدماء والذئاب الخاطفة، تحت اسم المسيحية، واقترفوا جرائم بشعة في عدة اماكن، واخيرا اتجهوا صوب كورة ملطية، واحتموا في الجبال، ونهبوا مناطق كلوديا جرباس ودير مديق ومار آسيا ودير الشهداء، ودير مار مرقس وسرجيسين، ورموا الاسرار الالهية والميرون على الارض، وحطموا بالعصي عظام الشهيدين سرجيس وباكوس وغيرها من زخائر القديسين الموجودة في الكنائس والاديرة ورموها على الارض، واخذوا النعوش، واذا ما وجه اليهم اللوم، تذرعوا بعدم المعرفة، غير انهم كاذبون ووثنيون في افكارهم. وقدّر ما اخذوا من قرية سرجيس بالف ومئة دينار ما خلا الثيران والحمير، وما اخذوه من مديق بخمسمائة دينار، واخيرا تعهد لهم زعماء ملطية ان يعطوهم حصة من منطقة جوباس وكلوديا، وحصلوا لهم على فرمان من الملك بوضع اربع قرى من المنطقة تحت تصرفهم، لكي يستقروا ويعيشوا معهم بسلام، مازدادت

قوتهم. وبعد فترة اخذوا يسلمون الفقراء ويكذبون امام الزعماء. واخيرا دفعهم الشيطان الى ان يتآمروا على دير مار برصوم فيسيطروا عليه ويقتلوا الرهبان ويستقروا فيه ويعلنوا العصيان ويعيشوا من نهب المدن والارياف. وفيما كانت هذه الافكار الشيطانية تراود أذهان اللصوص الارمن، اذا بصوت الاتراك يُسمع، فيدخلون ملطية بغتة، فيهرب ابناء كلوديا الى جبل دير مار برصوم، يرافقهم هؤلاء اللصوص. فدخل معهم اولا عشرة منهم، متظاهرين بالتنسك، غير ان بعض الرهبان شعروا بحيلتهم، وكان في الدير حراس أشداء من تل طورا، فقبضوا عليهم وقتلوا عددا كبيرا منهم بالسيف ورجموا الآخرين بالحجارة. حدث هذا دون ان يعلم رئيس الدير والعدد الاكبر من الاخوة باستثناء المدّبر الراهب ايوانيس والحرس العلمانيين. ولما نُمي الى زملائهم مقتل كل الذين صعدوا الى فوق، هربوا، فارسل قرينوطيس حاكم ملطية وجمع اسلحتهم.

حدث هذا في ٩ آب ١٣٧٧ وفي ٢٠ تشرين الاول، وفيما كان الرهبان والاسرى عائدين من ملطية، هجم عليهم بغتة اللصوص الموجودين في جبل كلوديا وفي الموقع المعروف بـ «خرورين». فتبادلوا السهام، وقتل عشرة رجال من الارمن، وقتل كل من الرهبان والاسرى التالية اسماؤهم: داود وموسى وايوانيس، ومن الحراس: برصوم وايليا. من يقرأ ليصلّ من اجلهم لانهم قَتلوا القَتَلة، وقُتلوا في سبيل الدير المقدس. والقي القبض على سبعة من اولئك اللصوص وسيقوا الى ملطية، وكان اللعين جيري قد أخذ رشوة من الذين تآمروا على الرهبان وقتلوهم، ومن ثم قتلوا هم الآخرون. وعلى أثر مصرع حاكم ملطية، دخل هؤلاء اللصوص أنفسهم دار جيري اللعين وقتلوه وسلبوا كل ماوجدوه في داره وخرجوا، لأن ملطية مسورة بعد. لتكن ذكرى جيري واللصوص للعنة .. سنة ١٣٨٠ وبعد هذه الأحداث، بنى الرهبان برجين عاليين. وبعد ٣٢ سنة أي سنة ١٤١٢ أقيم برج جديد بين هذين البرجين، بعد ٤٥ سنة أي سنة ١٤٥٧ شيد البرج الثامن.

سنة ١٣٦١ تولى الحكم على الروم، قسطنطين مونومكس مدة ١٢ سنة، وكان كبير النفس سخياً ، وكان مصاباً بالنقرس. وفي نفس الفترة كان يتولى الحكم في دولة المسلمين، أبو العباس قادر. وفي الفترة نفسها، ابتدأت دولة الأتراك في بلاد فارس، حيث حكم خرسان، السلطان طوغربك سنة ٤٣٠ هجرية، وأرسل جيشاً الى بلاد أرمينيا الخاضعة للروم، فنهبوا وسلبوا وحرقوا بصورة همجية، وكرروا هذا الفعل عدة مرات دون أية مقاومة، حتى وصلوا الى مدينة ملطية. فقد وصل اليها ثلاثة آلاف شخص في شتاء عام ١٣٦٩ ولم تكن مسورة، لأن سورها كان قد دمره قوريقس عندما احتلها المسلمون، فهرب الناس الى الجبال، ينهشهم البرد ويعضهم الجوع، ومنذ اليوم الأول أخذ الأتراك يفتكون بهم دون رحمة حتى تمكن الكثيرون من الاختفاء بين جثث التلى. وعسكر الأتراك خارج المدينة على مقربة من رابية، ولم يكن أي منهم يبيت خارج المعسكر، وكانت شموع الكنيسة تضيء طوال الليل. وفي اليوم التالي أخذوا يعذبون الناس ليدلوهم الى مواضع الكنوز، وقضى العديد منهم تحت التعذيب مثل الشماس المعلم بطرس الذي قبض عليه وهو ينسخ فنقثيا (كتاب الصلوات)، ويكتب عبارة « يشبه رأس يوحنا عنقوداً قطفته هيروديا. واذ وجدوا لديه عدداً كبيراً من الكتب، ظنوه رئيساً للمسيحيين، واضطروه الى أن يطأ الصليب فلم يذعن، فأشبعوه ضرباً وتعذيباً ثم ألقوه في النار. والتصق شعره برأسه فأذابوا قيراً وصبوه على رأسه، ووضعوا جمر نار على صدره. وقبل أن يسلم روحه، شاهد ناراً ملتصقة برجليه فقال « نعماً لكما فقد تطهرتما » وفاضت روحه. وليكن ذكره للبركة .

ظل الأتراك في ملطية عشرة أيام، ينهبون ويخربون، واخيرا احرقوا المدينة البائسة، كما دمروا وأحرقوا كل الأرياف التي مروا بها في طريق عودتهم .. وفي هذا الغزو ومرّ ونهب دير ابن جاجي.. لكنهم ضلوا الطريق فواجهتهم جبال وعشرة وانهار كبيرة، فحلوا في واد قريب

من جبل السينيسين، وحال ثلج كثيف دون مواصلة مسيرتهم. فنزل السينيسيون وأغلقوا الطرق من جميع الجهات. فهلكوا من الجوع والبرد، وما تبقى منهم قتلهم السينيسيون. ولم ينج منهم شخص واحد. أما شعب ملطية المسبي فنجا من القتل وعاد الى المدينة البائسة، كما عاد أيضاً أولئك الذين اختفوا في الجبال. وقد نظم الراهب يوسف الذي كان ضمن المسبيين، ثلاث قصائد حول هذه الأحداث ، كما نظم مار يوحنا أربع قصائد على البحر السباعي، في خراب ملطية وقصيدتين على البحر الخماسي. ولما سمع الملك والمستشارون ماحدث للمدينة الممؤنة، تألموا جداً.. في هذه الأثناء توفي الملك مونومكس وتولت ابنته تيودورة الادارة لسنة واحدة، ثم تولى الحكم ميخائيل الشيخ ولسنة واحدة أيضاً ، كان وديعاً يعيش من ثمن الملاعق التي يصنعها سراً. وقد استغل الأتراك وداعته وايمانه، فضغطوا كثيراً على مملكة الروم. فلما رأى أن الأتراك وصلوا الى بحر بنطس وهم يسبون وينهبون ويحرقون، دفعته شفقته على المسيحيين الى أن يرسل خيولا وعجلات حملات أسرهم وحشرهم في البحر. فأقفرت المدن والقرى من السكان، فجاء الأتراك يعبثون فساداً في منطقة بنطس حيث وجدوا لهم مستقراً . فانحى الجميع على الملك باللائمة. أما أنا فأقول : ان هذا التدبير لم يكن من عنده، بل من فوق .

انتخاب البطريرك يوحنا

ترملت الكنيسة بوفاة البطريرك مار ديونيسيوس، وحاول بعض الأساقفة الانتقال من كرسي الى آخر خلافاً للقوانين، فغار بقية الأساقفة واجتمعوا في آب عام ١٣٦٠ لانتخاب البطريرك، وطرحوا اسم الراهب ثاودورس من دير ابن جاجي في كورة ملطية، وهو ابن أخ القديس يوحنا بن عبدون الذي أنهى حياته شهيداً في المنفى، فأجمع عليه الأساقفة والمؤمنون، غير أنه اعتذر وهرب الى منطقة دليك، فتوجه الأساقفة الى هناك، فتوارى واختفى بين الحقول، وخلال بحثهم عنه، جلسوا على

شاطئ النهر وتركوا البهائم ترعى. وفيما كان حمار يرعى وصل الى المكان الذي اختبأ فيه الطوباوي، فوقف هناك. فرماه بالحجارة فلم يتحرك بل نهق، وفرحوا اذ سمعوا صوته لأنهم اعتبروه مفقوداً. فلما رآهم يتجهون نحو الحمار، نزل الى الماء ليختفي بين الأعشاب، فتبعه الحمار، كم كان فرحهم عظيماً لدى عثورهم على الطوباوي، فأخذوه عنوة ورسموه في فرز مني. وم كل من ايليا أسقف زوغما الذي ترأس المجمع ووضع عليه اليد، واثناسيوس أسقف كرشنا، وكيرلس أسقف قورس، وباسيليوس أسقف حران، وابراهيم أسقف شميشاط، وباسيليوس أسقف حدث، واثناسيوس أسقف الرها، وفيلكسينوس أسقف دليك، واثناسيوس أسقف لامين، وايوانيس اسقف انزربا. ويوحنا اسقف كيسوم، فلما نصب راعيا للكنيسة، قوَّم المنحرفين من الأساقفة، وفصل الوقحين عن الرعاية، ورسم زكريا أسقفاً لأورشليم، وبعده توما، وقسم ابرشية شميشاط شطرين، ورسم باسيليوس لحصن منصور، ديوسقورس لشميشاط وسمي يوحنا تيمنا بعمه. ورسم سرا ثلاثين اسقفا، وطيلة فترته كان يتنقل بين مدينة آمد وضواحيها. خدم البطريركية ١٤ سنة وعشرة اشهر، وتوفي في آمد يوم السبت ١٤ ايار واودع جثمانه في كنيسة والدة الله .. في هذه الاثناء كان خريسطوبولس بطريرك للاسكندرية ومصر.

انتخاب خلف للبطريرك يوحنا

على أثر وفاة البطريرك يوحنا ابن أخي البطريرك يوحنا بن عبدون، حدث شقاق في كنيستنا، وذلك أن اثناسيوس أسقف ارشميشاط. كان قد ترك ابرشيته قبل وفاة البطريرك واعتكف في دير شغر (مار هرون). فلما توفي البطريرك يوحنا في آمد، اجتمع أساقفة الغرب وانتخبوا اثناسيوس حايا (عايش) ونصبوه بطريكاً، فشكك فيه المشارقة باعتباره أسقفاً، والحقيقة لأنه نصب دون موافقتهم، فاتفق بعضهم وأكرهوا يشوع الكاتب على قبول البطريركية. وكان سكرتيراً ملازن يوحنا وربيبه،

وهو رجل عالم، ورسموه في آمد. ولكن كما كان اكثرية الأساقفة قد اتفقوا على رسامة أثناسيوس حايا، المنتخب بالقرعة، أسندت ايه الرئاسة بعد أن رسم ثانية بصورة غير نظامية لأن الرسامة تمت في دير قاريس في حصن منصور. ووضع عليه اليد مار باسيليوس أسقف حران أما يشوع بن شوشان (الكاتب) فقد انتقد ابن حايا، مركزاً انتقاده على رسمامته الثانية التي خلقت شكوكاً في أبناء الكنيسة لأنها لم تكن شرعية، في حين كان حايا وحزبه يكيليلون الشتائم لابن شوشان الذي سمح لنفسه أن يُرسم بعد رسامته حايا، بينما ملأ ابن شوشان الكنيسة من قصائد ورسائل السخرية، الى درجة أن الغير فعلها أخذت حايا وحزبه ليطرحوا قضية الكنيسة أمام الملك. فلما علم ابن شوشان بذلك. فضل الاعتزال فترك الرعاية متفرغاً للكتابة. فثبت حايا وخدم البطريركية خمس سنوات ونصف، رسم ٢٠ أسقفاً .

يقول جماعة حايا، وهم الكثرى، أن انتخابه شاهد على رسامته الأولى، ومشهود له أيضاً بالتقوى، وهذا مادعا الى تنحي ابن شوشان .. رسم اغناطيوس ابن أخت البطريرك، أسقفاً لملطية، وهو من دير مار هرون شغر وأسرع في رسامته نظراً الى وفاة مار يوحنا أسقف ملطية يوم الجمعة العظيمة ٣ نيسان سنة ١٧٠٤، وتمت الرسامة يوم الأحد ٢٥ من الشهر نفسه في دير شغر، واصطحبه البطريرك لدى زيارته ملطية، وبرفقته باسيليوس أسقف طرسوس، وايوانيس أسقف الحصن، وايوانيس أسقف قليسوريا. وأقاموا له حفلة التنصيب .

فصـل

في صعود الأتراك الى منطقة قبادوقية. وبناء سور ملطية واشتداد صراع الخلقيدونيين مع الأرثوذكس، ومع بعضهم البعض

سنة ١٣٧٢ أمر قسطنطين ملك الروم الملقب بـ «دوقس» ببناء سورين وخنادق حول ملطية ن وملأ الخنادق بالماء كالسابق. وعلى أثر صدور قرار الملك هذا، غادر العاصمة بعض الزعماء المقيمين فيها والقادمين أصلا من ملطية التي تضم رفات آبائهم، ومعظمهم من السريان الأرذوكس. وبوشر بالعمل فوراً، فتجمع الحرفيون والمهندسون من بلاد الروم وانطاكية وانضموا الى الذين في المدينة. وتبنى كل من الزعماء القادمين من العاصمة احدى الجهات، فأنجز بناء السورين بفترة قياسية مدهشة. لكنهم لم يتمكنوا من اضافة شيء جديد جوهري الى ماكانت عليه، بل بنوا على الأسس الأولى، لأن الحروب والغزوات كانت تتوالى عليهم من كل جانب .

في هذه الفترة، قرر بطريرك القسطنطينية اضطهاد كل من لايقبل هرطقتهم من السريان والأرمن الموجودين في العاصمة. ولما لم يذعنوا رغم كل الضغوط، أمر ماري بجمع كافة الكتب والآنية وكل مايوجد في كنائس السريان والأرمن واحراقها بالفرن .

وقد رموا على الأرض الجسد والدم الأطهرين والميرن المقدس ووطأوها. لكن غضب العدالة أدرك على الفور هذا البطريرك الباغي، حيث انه انفجر ومات في اليوم التالي وهو على سريره دون أن يمرض

أو يطرأ عليه حادث. فهنا انتهى الى هذا المصير المريع، فيما ينتظره هناك القضاء العادل.

في حين صعد الأتراك الى بلاد الروم واعملوا فيها سلباً ونهباً وتدميراً وحرقاً، صارع الروم أنفسهم بعضهم البعض. فقد أثار ايساقيوس وهو قومنانس حرباً ضد العاصمة، فتقدم بجيش جرار نحو مدينتي نيقميدية ونيقية في بيثونيا، ووصل الى العاصمة وانتزع الحكم بقوة السيف، ورحل ميخائيل الى الدير الذي أنشأه وقص شعره وترهب .
وهناك انهى بقية أيامه. وبعد أن تولى ايساقيوس الحكم سنة ١٣٧٥، وجه أنظاره نحو الغرب، وأثار حرباً ضروساً ضد الفسطيقيين وانتصر عليهم، وكان متجبراً متعجرفاً محباً للمال. وفي عهده أيضاً غزا الأتراك ملطية وبلاد الروم فسبوا ونهبوا دون أن يقاومهم أحد. وبعد سنتين فقط من الحكم، مات ايساقيوس، فتولى الحكم قسطنطين دوقس سنة ١٣٧٧ وهو من منطقة بابلا الداخلية، فأعاد بناء سور ملطية، وتوفي بعد تسع سنين من الحكم، فساس المملكة زوجته وأولاده مدة ثمانية أشهر. وفي هذه الأثناء اغتيل قرينوط حاكم ملطية مع زوجته وأولاده، ومنذئذ لم تعد تتمتع بالسلام.

رسم اغناطيوس ابن أخت البطريرك حايا مطراناً لملطية، وكان متضلعاً من اللغتين السريانية واليونانية والكتب المقدسة بكلا العهدين القديم والجديد. أضف الى هذا تضلعه من العلوم المدنية، من نحو وفصاحة وفلسفة وغيرها من علوم المنطق والترجمة من لغة الى لغة أسوة بمار يعقوب الرهاوي وتوما الحرقلي، وكان بسيطاً ووديعاً ورحيماً ومتقشفاً الى درجة أنه لايُبقي شيئاً في قلايته لليوم التالي. وفي هذه الفترة، أثار الخلقيدونيون اضطهاداً ضد الأرثوذكس، ليس على شعبنا فحسب، بل على الأرمن الذين تحت سيطرة الروم. وكان هذا الاضطهاد أكثر قساوة من الاضطهادات التي أثارها الوثنيون على المسيحيين في السابق. ففي

الوقت الذي كان المسيحيون معرضين للاضطهاد والنهب والسلب من قبل الأتراك في الخارج، كان ضيق الخلقيدونيين من الداخل أشد عليهم. وليعلم القارئ أن العدالة لم تنتظر طويلا.

فقد قبض على البطريرك أثناسيوس حايا ومن معه من الأساقفة وسجنوا في دير مطرن خارج المدينة، وبعد خمسة أشهر صدر أمر بنقلهم الى القسطنطينية، فوصلوا الى عرقاً في طريقهم الى العاصمة، حيث توفي البطريرك اثناسيوس فنقلوا جثمانه الى دير مار هرون، شغر حيث وروي. وبعد وفاة البطريرك قبض على ابن اخته اغناطيوس. الذي كتب يقول: لقد لحقني، أنا اغناطيوس مطران ملطية، اضطهاد قاس عنيف.

وان ما اكتبه عن الضيق الذي احتملته، ليس حباً بالمجد الباطل، بل لعلم القارئ، لئلا يتخاذل فيما لو حدث شيء من هذا القبيل في المستقبل، ولا يتوانى في تقواه بسبب ضيقات آنية فيحرم الحياة العتيدة .. لقد أخذونا الى القسطنطينة ومثلنا أمام بطريركهم كمذنبين وكان متشبثاً في الشكوى الموجهة ضدنا. وقال لم نيقولاوس أسقف ملطية: هذا هو الشخص الذسي سيجذب المدينة بأسرها الى عقيدته لكونه عالماً وحكيما. فطلب الينا البطريرك معلومات عن ايماننا، فأوجزنا وقلنا:

« نؤمن بثالوث مساو في الجوهر غير منفصل مساو بالقوة الكرامة، ليس فيه الأدنى والأسمى، له السجود والملك، مساو في المقام، بلا كيفية أو كمية. الأب غير مولود والابن مولود، والروح منبثق. وان واحداً من الثالوث، الله الكلمة، تجسد أي تأنس، بصورة لاتقبل التغيير، من العذراء والدة الله مريم ن وهو واحد، وهو ابن ورب يسوع المسيح، مساو للأب في جوهر اللاهوت، ومساو لنا نحن البشر في الناسوت. واحد من اثنين، اللاهوت والناسوت، لهما الكمال كما قال الآباء القديسون، طبيعة واحدة للكلمة المتجسد، واقنوم واحد، ... التي تركب منها الواحد

الوحيد. لم يخضع للتغيير أو البلبلة، حاشاه، بل ظل دون تغيير. وكما هو معلوم، فاننا نقبل المجامع المسكونية الثلاثة في نيقية والقسطنطينية وأفسس. ولانقبل الذين أتوا بتحديد جديد فقالوا بطبيعتين وجوهرين وفعلين ومشيئتين. وان براهين الآباء القديسين تكفي لاظهار الحقيقة». وقد طرحت مواضيع كثيرة لانود التطرق اليها خشية أن نخطئ الهدف.

واذ لم نخضع لهم ولو بأمر واحد، حكموا علينا بالنفي الى جبال أغايوس في مقدونية، وهذا ماكانوا ينوونه، وليس صحة العقيدة. فأمضينا هناك ثلاث سنوات، وجهت الينا خلالها الاهانات والمضايقات دون مسوغ أو نقاش. ولما مات الملك قسطنطين دوقيس، أمرت الملكة أدوقيا باطلاق جميع السجناء سواء الذين في السجون أو في المنافي، وكان قد نفى العديد من المستشارين خشية التمرد عليه وخلعه نظراً الى فظاظته ان انعدام الخبرة في الحسنات يولد مثل هذه التصرفات لذا أشار بعضهم الى الملكة أن تصدر هذا القرار لكي يستقر لها الملك. وبناء على ذلك أطلق سراحنا مع المنفيين الأخرين، وعدنا الى ملطية ون أن يشعر بنا البطريرك الخلقيدوني، ودون أن نذعن لهم بكبيرة أو صغيرة بالرغم من المعروضات المغرية التي قدموها لنا. فقد حافظنا، بعونه تعالى، على ايماننا القويم، ولم نختلط بالهراطقة.

فصـل

في بدء حكم رومنوس ريوجنيس ملك الروم، واندحاره أمام الأتراك والقاء القبض عليه. والأحداث التي جرت في الكنيسة في هذه الفترة

بعد قيام دولة الأتراك في خرسان، وتولي السلطان طوغرل بك للسلطة، أرسل جماعة من الأتراك بقيادة بسيساري، فوصل الى كلش وأقام فيها سنة، ثم عاد الى خرسان. وفي عام ١٣٧٩ خرج ثانية ووصل الى حلب. وهذا أول خروج للأتراك الى سورية الداخلية وسواحل بحر فلسطين، فاستولوا على هذه البلدان واطلقوا العنان للنهب والسلب .

تولى رومانس ريوجنيس الحكم على الرومان سنة ١٣٨٦ لمدة ثلاث سنوات و٨ اشهر، وكان صارما جدا في احكامه. اثار حربا على هيرابوليس (منبج) واستلمها واخرج المسلمين منها .. في السنة نفسها توفي اول ملك تركي، وخلفه في خرسان أربلسلان من نفس القبيلة، فأرسل سليمان أحد انسبائه للغزو ثم لحق به هو نفسه، فسيطر على مناطق الارمن. فجمع الملك رومنوس جيوشه وتوجه نحو ارمنيا الكبرى وجابه الاتراك وقال متبخترا، انه سيحرق الاتراك بالنار اذا ما تغلب عليهم. في حين فكر ملك الاتراك ان يتعامل بالرحمة مع ديوجينس في حالة تغلبه على الروم ويعيده الى بلاده بسلام. وقد افتضحت هذه الامور باعجوبة، اذ تخاصم زعماء الروم مع ملكهم، من جهة، ومن جهة اخرى تمردت الجيوش الارمنية بسبب ضغط الروم عليهم لقبول هرطقتهم، فهربوا. فتغلب الاتراك المتحدون على الروم. وجرى خلال هذه الحرب حدث ذو اهمية. فقد طلب سليمان ابن عم السلطان أن تسلم له ادارة القتال فيجلس على كرسي السلطان فوق رابية. فأذن له، فجمع اولاده الاثني

عشر واعطى كلا منهم الف فارس فتسلحوا ونزلوا الى الحرب مع الروم، فلما اشتبك الطرفان، طلب ابن أخت السلطان السماح له بالنزول الى الحرب، فلم يأذن له اولا، ولكن أذن له بعد الحاح. فصادف وأن تقابل مع الملك ديوجنيس المعروف بقوته وشجاعته، والذي استمر يقاتل بالرغم من هروب معظم الزعماء والارمن الذين كانوا معه. فضربه ذلك الرجل واسقطه أرضا وتقدم ليقضي عليه، فاعلمه بأنه هو الملك، فسّر التركي وقبض عليه واتى به الى ملكهم. فصادفه في الطريق شخص آخر وسأله عن هوية الاسير، فاخبره بانه ملك الروم. فاراد ذلك الشقي ان يكون النصر له، فطعن الرجل بالسيف، وكبل الملك وجاء به الى السلطان. واذحل المساء ولم يعد ابن اخت السلطان، ارسل بعض الرجال للبحث عنه، فوجدوه مطروحا على الارض حيا، فجاءوا به فعرفه ديوجنيس وقصّ ماحدث. فامر الملك باعدام ذلك المحتال واعطاء املاكه للمظلوم .

ثم سأل السلطان ديوجنيس عما كان ينوي ان يفعله به في حالة عدم القبض عليه؟ فاعترف بانه كان ينوي احراقه بالنار. فقال السلطان، اما انا فقد نويت ان اعاملك بالرحمة في حالة القبض عليك. فاعلم اذن ان الله يستجيب لمن يفكر بالحسنى. وارسله برفقة بعض الجند حتى الحدود وترك هناك. يقال ان السلطان اريلسلان كان عادلا، وتؤثر عنه اعمال حسنة كثيرة. ولما سمع اليونان بالقاء القبض على ملكهم، اقاموا ميخائيل بن قسطنطين ملكا، فعيّن وليا للعهد شخصا يدعى أيوني، فلما علم بنجاة ديوجنيس اقسم للملك كذبا، فصدقه وانصرف. ولما عاد قلع عينه فمات بعد يوم واحد. هكذا يتصرفون في كل امورهم دون رحمة .

(ملاحظة) «وجد في كتب المسلمين، ان اسم السلطان الذي قهر اليونان هو ابو الفتح. وان الحرب بين الروم والاتراك دارت بالقرب من آمد. وقد يكون لقب أريلسلان اعطاه اياه الخليفة لدى تعيينه سلطانا».

انتخاب البطريرك يوحنا ابن شوشان

بعد وفاة البطريرك مار اثناسيوس، اجتمع الاساقفة في دير مار ابحاي على نهر الفرات واجمعوا على دعوة يوحنا (يشوع الكاتب ابن شوشان) لرعاية الكنيسة. وهو رجل علم وتقوى، ليس فقط بالنسبة الى العلوم الدينية، بل والمدنية ايضا، لبق في الكلام، وقوي الحجة وبخاصة ضد الهراطقة، جمّل نفسه بالفضائل وسلك طريق التقشف، فلما دُعي، اعتذر وافصح عن ندامته لموافقته السابقة. لكنه اذعن بعد ان اكد له بعض المتوحدين والقديسين بانهم رأوا بالروح ان الله اصطفاه لرعاية الكنيسة، فقبل التماس الشعب والحاح الاساقفة المشروع. فأقاموا حفلة جلوس في دير مار ابحاي نفسه، فوضع ٢٤ قانون، وعزم على تطبيقها على نفسه وعلى الاساقفة وسائر ابناء الكنيسة. ولدى اذاعتها، شكك فيها بعضهم، اما الاتقياء فرحبوا بها، وقوّم الاساقفة الجبناء، وعزل خمسة منهم وازاحهم عن الرعاية، ورسم بدلا منهم رجالا مختارين مشهود لهم بالفضائل. ولم يغير سلوكه التقشفي، بل كان يذيب جسده بالصوم والسهر، ويتنقل مشيا على الاقدام، واذا ما شعر بتعب الطريق، امتطى حمارا ليرتاح بعض الوقت، ويوعز الى من يتعب من الرهبان المرافقين ان يركب الحمار ويسير هو معهم بكل وداعة. ولم يكن ليهدأ عن الكتابة، حتى في اوقات الراحة خلال تنقلاتهم، فملأ الدنيا بالرسائل الحاملة تعليما سليما وتفاسير وتوجيهات طيبة. وكان يعقد المجمع في كل سنة بمقتضى القوانين، وتتم التعديلات وفق القانون، كما كان يولي اهتماما خاصا بالعلم والتصنيف، وقد ركز اهتمامه على دراسة تعاليم مار افرام ومار اسحق. وجمعها في شيخوخته في مجلد واحد، غير ان حياته انتهت قبل ان ينتهي منه. رسم ١٧ اسقفا. خدم البطريركية ٩ سنوات، وكان يفضل العيش في منطقة المسلمين تهربا من خبث اليونان، فسكن حران وميافرقاط وآمد حيث رقد، ووضع جثمانه في جرن مرمري واودع في كنيسة والدة الله الى جانب ضريح استاذه ومربيه البطريرك يوحنا. ليكن ذكرهما للبركة. صلاتهما معنا آمين .

فصـل

في حكم ميخائيل بن قسطنطين ملك الروم، وبدء حكم آخر للاتراك بمنطقة بنطس. والاضطرابات التي حصلت في الكنيسة في هذه الفترة

وفيلارطوس الأرمني

لم يعد الروم يستطيعون مجابهة الاتراك بعد هزيمتهم. فقد تملك الخوف الملك ميخائيل الذي تولى الحكم سنة ١٣٨٩، واصغى الى مستشارين تافهين فلزم البلاط ولم يخرج لمجابهة الاتراك، لكنه جمع ما تبقى من الشعب بمنطقة بنطس واركبهم البحر، ولم يبق سوى حاميات لحراسة الحصون والمدن. اما الاتراك فبعد ان احرزوا انتصارا باهرا وسيطروا على ارمنيا، ارسل السلطان اريلسلان، وهو ابو الفتح الملقب بالعادل، ابن عمه سليمان الى مناطق قبادوقية وبنطس، وخوله الصلاحية للمناداة به سلطانا. فانهزم الروم امامه، فاحتل مدينتي نيقية ونيقوميديا واستقر فيهما ثم عجت المنطقة بالاتراك. فلما سمع الخليفة في بغداد، ارسل له الهدايا ونادى به سلطانا أي ملكا وثبت في الرئاسة، فصار للاتراك ملكان، واحد في خرسان، والآخر في بلاد الروم، اضافة الى الذين في مراجاني .

وفي سنة ١٣٩٦ اختلف المصريون مع دولة العرب الاولى حول الزعامة، ولئن كانوا عربا أصلا، وذلك بسبب اختلاف المذهب بين الذين في مصر والذين في آثور وبابل. فارسل سلطان خرسان اميرا يدعى أقسيس من عائلة ارطوس، وانتزع دمشق من المصريين، ثم استولى

ععلى القدس وسائر فلسطين وصور وصيدا، لان الروم هزموا أمامه وفروا الى البحر. واذ علم السلطان سليمان بضعف اليونان في انطاكية، ولم يبق منهم فيها سوى نفر ضئيل، اخذ ثلاثة الآف فارس بلا عوائل، وسلكوا طريق الجبل وباغتوها ليلا واحتلوها وقتلوا فيها عددا كبيرا، واحالوا كنيسة القسيان الكبرى مسجدا.

في سنة ١٣٩٦ نفسها ظهر بين الاتراك أمير يدعى طوشمان، دخل منطقة قبادوقية، واستولى على سبسطية وقيصرية وغيرها من المناطق الشمالية. ومن هنا ابتدأت رئاسة آل طوشمان. وفيما كانت هذه الاحداث تأخذ مجراها، اذا بسلطة أخرى تبرز بغتة في المنطقة على يد جماعة من اللصوص الارمن الذين شكلوا عصابة من خمسين شخصا ودخلوا المنطقة مع الاتراك خلسة ومارسوا اعمال اللصوصية، والتقوا في منطقة مرعش بشاب ارمني من قرية شيركا يدعى بلردوس .

على أثر وفاة البطريرك مار يوحنا ابن شوشان، جدد بعض الأساقفة القلاقل في الكنيسة لدى اجتماعهم في حصن منصور ليقيموا راعياً عاماً. ولما لم يتم الاتفاق على شخص معين، قرروا القاء القرعة. وكان يوجد راهب أديب وفقيه يدعى عبدون سليل عائلة البطاركة القديسين مار يوحنا بن عبدون، ومار يوحنا الآخر يتوقع هذه الرتبة، لكن الأساقفة لم يجمعوا عليه بسبب وقاحته، وكما يقال: « الرجل الوقح يلقي الرعب في القرية ». وبما أن بعض الأساقفة رشحوه، لذا أدرج اسمه في القرعة، لكن القرعة أصابت الراهب باسيل وكيل دير مار برصوم، غير أنه اعتذر باصرار حتى أنه قص لحيته بغية أن يتركوه وشأنه، وكان رجلا وديعاً ورزيناً وبسيطاً نوعاً ما وتقياً بحيث كان يتهيب من عظمة هذه الرتبة. بيد أن الأساقفة لم يَدَعوه ولئن قص لحيته، بل رسموه بطريكاً في حصن منصور في كانون الثاني سنة ١٣٨٥ وسموه باسيليوس. وضع عليه اليد مارمار اثناسيوس أسقف الرها، فرسم الراهب عبدون المشار

اليه رئيس دير ابن جاجي مطراناً لسيمندو وسماه يوحنا، كما رسم يوحنا مطراناً لتكريت. وبعد وفاته تمردا كلاهما وأقلقا الكنيسة وأخلاً بنظامها الويل لهما من الله. بعد أن خدم مار باسيليوس البطريركية سنة واحدة وستة أشهر، وافاه الأجل في ميافرقاط، فاودع جثمانه في كنيستها .

قال بعض الأساقفة ممن اشتركا في القاء القرعة، لعبون، ان القرعة كانت من نصيبه، غير أن رئيس المجمع وفلاناً وفلاناً تلاعبوا. وأما الكذاب الذي نقل هذا فكان سمعان أسقف كيسوم الذي أراده أهل ملطية مطراناً لهم يوحنا بعد عمه الملقب بالمصري، لكن البطريرك حايا أسرع يومذاك ورسم اغناطيوس ابن أخته لملطية، فحنق عبدون على اغناطيوس، لذا لم يصدق أحد كلام سمعان، لاسيما وان رئيس مجمع الانتخاب كان قد توفي. وحيث ان كذبة سمعان لم تنطل على الأساقفة الذين كانوا يقرفون من فظاظة عبدون وعجرفته، رفضوه، فانتزع عبدون مخافة الله من قلبه، وأخذ يحرك كل ساكن، بالرشوة التي قدمها للحكام. ورغم كل الشكاوى التي قدمها والرهبان وبقية الاكليروس لينادوا به بطريركاً، ودفع أموالا طائلة لغيلارطس قائد الجيش، فقبض على عشرة أساقفة من منطقة ملطية وسواها وسجنهم بغية أن يقبلوا عبدون، وأعطى مئة لكل منهم، لكنهم أصروا على عدم قبوله .

انتهز يوحنا مطران تكريت هذه الفوضى ألضاربة اطنابها في الكنيسة، فرمى هو الآخر مخافة الله جانبا ووطأ القوانين، ورسم أسقفاً، ولكن سرعان ما أدركه الغضب فمات، فرسم بديلا عنه، وسيطر على منطقة طورعبدين، فقاومه رهبان دير قرتمين. هذا وقد اختطف بعض الأساقفة من أتباع سمعان مطران كيسوم واثناسيوس مطران شميشاط، ابرشيات ليست لهم .

فصـل

في فترة حكم نيقيفور والكسندر ملكي الروم، وتولي أمراء الأتراك الحكم. ومعارضة الأساقفة لعبدون

امتدت دولة الأتراك حتـى بيـن النهريـن وسـورية وفلسطين، فـي الوقت الذي كان لايزال عض أمراء العـرب، هنـا وهنـاك. اذ كـان العـرب والأتراك متعايشين كشعب واحد. كما سيطر الأتراك على أرمينيا الكـبرى والصغرى وقبادوقية وبيثونية وبنطس، وقاوموا الروم. وكلما ظهر أميـر من خرسان وسيطر على جزء من بلاد الروم، ثُبت حاكماً لذلك الجزء من قبل سلطان خرسان وخليفة بغداد الذي كـان زعيماً دينياً لهم. وهكـذا حكـم أرمينيا الكبرى أمير من قبيلة سوقمان اسمه بالفارسية شـهرامان، وعُيـن حكام آخـرون في بين النهريـن يسـمون أراتكـة، وحكـم آل طونشـمان فـي سبسطية وقيصرية وبنطـس، وحكـم جماعـة سلطان فـي نيقيـة نيقوميديـة وايقونية. وفيما كانت دولة الأتراك والعرب في هذا الواقـع، كـان ميخـائيل ملـك الـروم يفضـل العزلـة. فتمـرد عليـه نيقيفـور الملقب بوطـانيقس سـنة ١٣٩٧، وألب جيشـاً واتجـه الـى القسـطنطينية، فحاصرهـا مـدة ثـم دخلهـا واعمل السيف فيها. ولما وصل الـى البـلاط، خـرج ميخـائيل ماشـيا وبيـده التاج وعرضه عليه مقابل التوقف عن قتل الشعب قـائلا: لـو طلبتهـا منـي لأعطيتك اياهـا دون حـرب، ففـرض عليـه قـص شـعره، وتـزوج امرأتـه، فاحتقره الجميع وزالت منه النعمة، وسيطر عليه الخوف ولـم يعد يخـرج من البلاط للحرب.

لمـا رأى القـائد الكس أن نيقيفـور تسـلم السـلطة بصـورة غـير شرعية، وأساء الادارة، فتبلبلت شؤون المملكة، اتفق مع الزعماء على أن

يتولى هو الحكم، فكان يتحين الفرصة المناسبة. وفيما كان ذات يوم يجلس مع الملك لوحده أراد أخوه أن يدخل فمنعه الحرس فحدثت ضجة، فخرج الكس ولما عرف سبب الضجة خشي أن يشعر الملك، وسلم رسالة الى شخص وأمره وقد تضمنت خبراً بدخول الأعداء أراضيهم، فأوعز الملك الى القائد أن يجمع جيشاً ويجابه الأعداء. وبهذا الخبر الكاذب بلغ الكس مأربه. فأخذ الزعماء الموالين له وخرجوا الى مكان ملائم حيث نادوا به ملكاً، ثم دخلوا المدينة على الفور دون معارضة، ولدى وصولهم الى البلاط غادره نيقيفور. وهكذا عومل كما عامل غيره، وشبع اهانة واحتقاراً .. تولى الكس الحكم سنة ١٤٠٠، وبذلك تكون فترة حكمه ٢٩ سنة وليس ٣٨ كما ورد في بعض الكتب. فقد أحصينا هذه السنين كي نبين جهة الصواب بالنسبة الى الأمور التي سنتطرق اليها خلال ايرادنا التسلسل التاريخي .

بعد أن أصر الأساقفة على رفض عبدون رغم ضغط حران بلردوس عليهم، اجتمعوا وحرم على نفسه نفسه المنصب أربعين مرة. ولكي يبعد الأساقفة احتمال عن سيطرة عبدون على الكنيسة، تغاضوا عن الحرم والحوّا على لعازر بقبول المنصب أربعين مرة وكان معروفاً لدى الحاكم وبلردوس نفسه، فأذعن ورسم يوم جمعة الأربعين من الصوم، وطلبوا اليه أن يقدس الميرون يوم خميس الأسرار، ولم يتمكن لأن يده قد يبست. خدم سنة واحدة، ولم يرسم أسقفاً ما، وتوفي في حصن منصور .

وأخذ عبدون المتمرد يثير الشغب، فاجتمع الأساقفة، مدفوعين بالغيرة الالهية، وأعلنوا حرم هذا الهرطوقي، وعمموا رسائل بهذا الصدد في كل الجهات. وانتخب خلال هذا المجمع، يوحنا المتوحد من من منطقة كرشنا، ورُسم في كنيسة مار جرجس بملطية سنة ١٣٩١ ووضع عليه اليد مار اغناطيوس مطران ملطية. خدم البطريركية سنة ونصف ورسم

خمسة أساقفة. توفي وأودع جثمانه في دير البارد. وكان هادئاً ووديعاً وبسيطاً .

في هذه السنة، غزا جراد منطقة جيحون، فخرج البطريرك والشعب للدعاء. فلما سمع البطريرك تنهدات المساكين وعويل الأطفال، رق قلبه عليهم، وبكل بساطة أمر الجراد أن لايعبث الفساد في الزروع، باستثناء الحقل الذي كانوا واقفين فيه. وبقدرة الله تجمع الجراد في ذلك الحقل فقضي عليه .. حدثت هذه المعجزة تمجياً لاسم الله .

وظل المؤمنون لعدة أجيال، يأخذون من تراب ذلك الحقل، وحيثما يرمونه، وكان الله يصنع معجزة .. كان بطريرك مصر في هذه الأثناء، البابا كيرلس ..

بعد وفاة مار ايوانيس، تحرك عبدون بمساندة البعض الذي زعموا بأن انتخاب به من الله، متذرعين بوفاة البطريركين السابقين في غضوب فترة وجيزة. وكتب يقول «لقد تركوني أنا ينبوع الحياة وحفروا أباراً سريعة العطب لاتجمع ماء» .

وبالرغم من كونه محروماً، تجاسر ورسم أربعة أساقفة، وعم المؤمنين ضيق شديد بسبب بلبلة شؤون الكنيسة، وأصابت الكثيرين خيبة الأمل، لقلة الايمان .

فصــل

في فترة حكم الكسِ ملك الروم، وفيها قويت دولة الأتراك كثيرا. وتدهور أحوال الكنيسة

سنة ١٣٩٣ تولى الحكم في ملطية شخص يدعى قرهؤل. وفيها حدثت مجاعة. فبيع رطلا. خبز بدينار، وكذلك رطلان من الخمر. كما حدث في السنة في نفسها زلزال سقط فيه ٨٦ برجاً.. وعام ١٣٩٦ حدث زلزال في القسطنطية سَبب غرق عدة ربوات.. وفي عام ١٤٠٧ وأثناء حكم ميخائيل اليوناني لملطية معيناً من قبل الأتراك، قتل الرئيس أبو سالم صهر آل عمران المرحومين، وابن عقيل.. وفي ٢٨ نيسان سنة ١٤٠٨ قتل ميخائيل نفسه ثمانية من أشهر التجار وأبرز المؤمنين الحقيقين، وهم برصوم ابن الراهبة وولديه، وكوركيس العريس وولديه، وباسيل حاوا وابنه وعبد الله العرقي، وسهدو شماس طنطيني، وابتز من بيوتهم ومن أبي منصور أموالا طائلة، ونهب من كنيسة الأسقف صلبانا ومباخر وجرة الميرون وكل الآنية الكنسية، ودمر بيوتاً وأقام قلعة وسورا .

في مطلع تولية الكس الحكم على الروم سنة ١٤٠٠، تولى الحكم في دمشق شخص تركي يدعى التخش البرسلان تاج الدولة، وقتل في أفسس. وفي السنة نفسها حكم في حلب بعد صلحي، ابنه محمد وهما من العرب. وفي السنة نفسها اغتصب علي بن منقذ أبو الحسن، مدينة شيزر التي كان يتولاها اسقف معين من قبل الروم. وفي سنة ١٤٠٤ توفي محمود بن ناصر بن صلحي، وتولى الحكم في حلب أبناؤه الثلاثة وهم: سبق وشبيب وعطية. وفي السنة نفسها داهمهم مسلم بن قورش وانتزعها من القاضي الذي كان يحكمها وقتله. وفي نفس السنة توجه شرف الدولة

بن قورش الى دمشق وانتزعها من تاج الدولة بن سليمان التركي. ثم ذهب لينتزع انطاكية من سليمان بن قطرميس التركي الذي كان قد انتزعها قبل فترة من شرف الدولة بن قورش .

ثم صعد السلطان أبو الفتح وأخذ حلب طوعاً من مالك بن سالم وأعطاه قلعة جعبر التي كان قد احتلها بالسيف، وقتل صاحبها سابق. وفي هذه الفترة احتل الأتراك طرسوس والمصيصة وانازربا وسائر مدن قيليقية. فكان الضيق يشتد على مملكة الروم من كل جانب .. وفي هذه الأثناء خرج الروم مع الافرنج من رومية لمقاومة الملك الكس، فحاربوا القسطنطينية لينتزعوها من اليونان. وفيما كان الكس سجيناً ومحارباً من قبل الافرنج، دخل العرب والأتراك المناطق التي كانت تحت سيطرة الروم. فقد كان في ملطية حاكم يوناني يدعى جبرائيل معين من قبل بلردوس وقد خلفه في الحكم. فلما رأى هزيمة اليونان أمام الأتراك، أرسل زوجته الى الخليفة في بغداد وحصلت منه على كتاب يثبته في رئاسة ملطية، وكان يحكم الرها أدروس بن حاتم ..

لما جاء الأمير التركي الفريج الى ملطية سنة ١٤٠٦، احتال عليه جبرائيل وأخذه الى الرها حيث سقاه سمًّا وقتله، وخدع الأتراك فأتى بهم الى ملطية متظاهراً بأنه سيسلمها لهم، فتركهم خارجاً وأغلق الأبواب. أما هم فأقاموا لهم رئيساً يدعى تاوت، وسبوا المنطقة وهجموا على المدينة، وأخيراً جاء طونشمان من سبسطية ووفق بينهم .

في هذه الفترة، اقترفت جريمة أخرى بحق الكنيسة، من قبل مرقس رئيس دير البارد الذي كان ذا مال وفير والمال يحرق حتى الحكماء فقد انتهز فرصة البلبلة التي خلقها عبدون في أنظمة الكنيسة، ودفع لبلارطس ثلاثة آلاف دينار، الفان من ماله الخاص والألف الأخرى من الدير، فألزم أسقفين عنوة أحدهما اسقف عرقاً الذي كان قد اغتصب

ابرشية جيحون، وأقاما مرقس بطريكاً بأمر بلردوس لكي يدافع عنه. أما الأساقفة بما فيهم مطران تكريت، فقد نبذوا مرقس شأن عبدون. وبعد ٦ سنوات من الفوضى، اجتمع الأساقفة واختاروا أهون الشرين، حيث قبلوا مرقس من أجل ابعاد عبدون المتمرد، وذلك بالتماس من يوحنا مطران تكريت الذي اسندت اليه نصيبين، فرسم ودعي ديونيسيوس. خدم البطريكية سنة واحدة و٧ أشهر، ورسم ١٠ أساقفة، وتوفي ودفن في دير زرنومقا بمنطقة ملطية. فحاول عبدون مرة أخرى اختطاف البطريركية. فرفضه الأساقفة الذين اجتمعوا سنة ١٤٠١ والقوا القرعة في بلدة قراميس بمنطقة ملطية، فكانت من نصيب الراهب أبو الفرج من دير مار برصوم، وهو من مواليد مدينة آمد في مابين النهرين، وفد تربى وتثقف في ملطية وترهب في دير مار برصوم، فلما وُجهت اليه الدعوة، أى فأوقفه الأسلقفة عن الخدمة، واستمر الحال مدة تسعة أشهر، أما امتناعه فكان بسبب الشغب الذي أثاره عبدون في الكنيسة. ولما رأى الأساقفة اصراره على الرفض، استعانوا بجبرائيل والي ملطية اليوناني، فأرغم على الموافقة، وتمت رسامته في كنيسة الساعي بملطية، يوم الأحد الفاتح من كانون الأول سنة ١٤٠٢، وضع عليه اليد طيمثاوس أسقف تل بطريق الذي ترأس المجمع، واغناطيوس اسقف ملطية، وايوانيس أسقف عرقا، وباسيليوس أسقف لاقبين، وايوانيس أسقف ارشميشاط .

لقد زار عبدون الوالي جبرائيل ووعده بألفي درهم ليمنع قبول اثناسيوس غير أنه رده لأن الرسامة تمت في مدينته. وكان يتوقع زيارة البطريرك حاملا مالا كهدية شكر، لكن أمله خاب، فاستقدم البطريرك عنوة من دير مار برصوم. فلما وصل باب بيته خرج جبرائيل ليستقبله ويتبرك منه فرفض البطريرك قائلا: انك يوناني ونحن سريان، فغضب وأمر بسجنه في دار احدى المومسات زيادة في اهانته. فأمر لبطريرك باغلاق الكنائس وعدم النواقيس حتى يطلق سراحه، بيد أن المؤمنين

جمعوا مالا ودفعوا الى جبرائيل اللعين ٩٠٠ دينار، فأطلق سراح البطريرك. فجاؤا الى دير مار برصوم .

قصة انشاء دير فسقين

في هذه الفترة بوشر بانشاء دير فسقين وعلى النحو التالي: كان في ير مار أبحاي ناسك فاضل يدعى الربان داود يمارس مع نخبة من الزملاء، أعمال النسك ويتسامون في أعمال الفضيلة والسيرة الصالحة، فأهلهم الله أن يروا رؤى ويصنعوان المعجزات. وجاءهم فلوطين الشيخ الجليل من كرشنا والمتنسك في دير مار برصوم. فاتخذه داود وزملاءه مرشداً وموجهاً. وذات يوم أخبرهم بأن الله أوحى اليه بأن مغارة على شاطئ الفرات، كان بقربها يوما دير يعرف بدير الشميطيين، ستصبح ديراً لرهان أفاضل، فقصدوها وعاشوا في كوخ يمارسون الصوم والصلاة والسهر ليل نهار، فتقدموا في أعمال النسك، وجرت على أيديهم أشفية كثيرة، وقصده ابن حاكم المنطقة وهو شاب معذب من الأرواح الشريرة، فشفي، فترهب كما ترهبت والدته أيضاً، التي ارتفعت، خلال فترة قصيرة الى درجة عليا من الفضيلة، حتى أن العديد من المرضى والمجسوسين نالوا الشفاء بصلاتها. كما أن الربان باسيل اقتبل هو الآخر نعمة الشفاء والرؤى. فأراد ديونيسيوس أسقف ملطية وسعيد وأبو غالب ابنا الصابوني، أن يحرموا رهبان فسقين والشيخ فلوطين، على اعتبار انهم يعتنقون سراً هرطقة «المصلين» وان كشف الشيخ فلوطين عرض الأمور للذين يقصدونه، كقوله: ان هذا ارتكب خطيئة، وذاك فعل كذا أو كذا: انما هو بتأثير الأرواح الشريرة التي تتراءى له، غير أن البطريرك اثناسيوس لم يوافقهم وقال: عندما يُضل الشيطان فانه يبيد الروح والجسد

ولايمكن أن يبني، وان النعمة التي كانت للأولين، والتي بها ازدهروا في شفاء الأرواح والأجساد، هي من لدن الله. ونحن بدورنا نؤيد رأيه .

خلف الربان داود في رئاسة الدير، جبقوق فبني الكنيسة، وطبق القوانين التي وضعها الربان والتي تمنع من اقتناء كرم أو حقل أو سلالا للنحل، كما تمنع الرهبان من أن يطلبوا شيئاً من أحد وغيرها من الفضائل.

فصل

في حمل الافرنج على القدس. وزيارة البطريرك اثناسيوس للخليفة في بغداد

كان لشعبنا كنيسة في القسطنطينية حتى عهد الملك الكس، وكنيسة أخرى للآرمن، يخدم كل واحدة منهما، كاهن واحد، وتضم جماعة من التجار وسواهم. وذات يوم زار كاهن سرياني القسطنطينية، فلم يقبله كاهن كنيستنا الذي كان من سيمندو، فدخله الشيطان وقال لليونان، ان السريان والأرمن الذين في عاصمتكم متفقون مع الأتراك. فغضب الملك وأمر باحراق هاتين الكنيستين وطرد كاهنا هما، فانضم الشعب الى الهراطقة .

بعد أن سيطر الأتراك على سورية وفلسطين، أخذوا يسيئون الى المسيحيين الذين يحجون الى القدس، بالضرب والاهانة والضرائب الباهظة التي كانوا يتقاضونها في مدخل المدينة وفي الجلجلة وعن القبر. أضف الى هذا اغتيالهم المسيحيين بشكل أو آخر لاسيما أولئك الوافدين من رومية وايطاليا، وقد راح ضحية ذلك عدد كبير. وهذا ما دعا الى تحرك الملوك والأمراء في رومية، فجمعوا جيشاً من تلك الأصقاع وجاءوا الى القسطنطينية بحراً، فمنعهم الكس ملك اليونان من الاجتياز، فقرروا احتلال المدينة وانتزاعها من اليونان، فحاربوا أهلها مدة سبع سنوات من سنة ١٤٠١ حتى سنة ١٤٠٨ .. في فترة انشغال الافرنج مع أهل القسطنطينية، حدث زلزال في انطاكية، وظهر في أساس أحد الأبراج التي سقطت، معبد كبير يضم تماثيل نحاسية ضخمة، تمثل الافرنج وهم يمتطون خيولا ومتقلدون سلاحاً من رماح وسيوف، وكلها من نحاس، وهم مكبلون بالسلاسل. فأمر الحاكم اغوسين التركي بالبحث عن

حقيقتها. فلم يعرفها أحد، ولم يشر اليها أي كتاب. لذا اعتبروها. أصناماً وثنية. فأمر الملك بتحطيمها. غير أن امرأة عجوزاً عمياء قالت: سمعت الأولين يقولون ان تحت أحد الأبراج طلاسم تخص الافرنج لتحذيرهم من اجتياز البحر، فلما سمع الحاكم قول تلك المرأة ندم لتحطيمه اياها. وسألها: هل سمعت كيف صنعت، وهل يمكن صنعها مرة أخرى، ولما أجابت بالنفي، قتلوها .

لقد تعهد الافرنج أمام الله في حالة دخولهم القدس، بأن يعطوا الأمان لكافة الكنائس المسيحية، ويعطوا كنائس وأديرة لكل شعب مؤمن بالمسيح .. خلال ذلك قتل سليمان من قبل الأتراك وبرسلان .. كان الافرنج الذين وصلوا الى انطاكية ملكين و٧ أمراء، فالملكان هما مأمون وطنجري، والأمراء هم: راجيل، بيموند، بغدوين، جوسلين، غلاران، جندفر وسلفس، فلما سمع تادرس بن هيثم الذي حكم الرها بعد مقتل وبزان، ان الافرنج أحاطوا بانطاكية: وعدهم باعطاء دوقاس لجندفر، ففرحوا وقالوا: مثلما آمنت الرها بالمسيح قبل القدس، هكذا فان المسيح أعطانا اياها قبل القدس. فأرسل جندفر أخاه بغدوين وتولى الحكم في الرها وحاربوا انطاكية لمدة تسعة أشهر، وكان يتولاها الزعيمان التركيان قسيان واغوسين. ونظراً الى مضايقة الافرنج لها، غادرها اغوسين الى حلب، فلاقاه في الطريق جماعة من الأرمن وقطعوا رأسه وأتوا به الى الافرنج. كما اتفق أخوان أرمنيان مسؤولان عن حراسة الأبراج، وسلما المدينة الى بيموند ليلا. ولما سمع السلطان في خرسان بحملة الافرنج على انطاكية، أرسل جيشاً قوامه مئة ألف فارس بقيادة بوربغد. وفي اليوم الذي دخل فيه الافرنج انطاكية، وصل الأتراك الى بغرس، وكانت القلعة مازالت بيد الأتراك. فحاصروا المدينة، فتضور الافرنج جوعاً حتى أكلوا خيولهم والتجأوا الى الصلاة. ثم رأى الملك طنجري في الحلم، فتحه في كنيسة قسيان ورأى داخلها مسامير صليب الرب وقد صنع منها صليبا ورمحا رومانيا، وتقلدهما وخرج لمحاربة الأتراك. وفعلا نصر

الله الافرنج وامتلأت الأرض من الجثث، فطاردوا الأتراك مسيرة يوم كامل. وبعد أن تمت سيطرة الافرنج على انطاكية، غادر الأتراك بين النهرين، وأتوا الى المعرة وسروج اللتين لبني عوطير .

قبل مجيء الافرنج، كان المصريون قد غزوا القدس وانتزعوها من الأتراك، ولما جاء الافرنج احتلوا أولا يافا، ثم توجهوا الى القدس التي كان يحكمها فاضل المصري، وأقاموا برجاً خشبياً في وسط الباب الشرقي الذي .. اسطيفانس. وفتحوها في تموز سنة .. وهي السنة الثانية لانطلاقهم. وقتل فيها عدد كبير من العرب فعجت بالجثث وبخاصة هيكل هلقون المسمى هيكل الرجاء، وأحرقوا الجثث بالنار. وتولى الحكم فيها جندفر مرة سنتين كأول ملك للافرنج، ثم حكم بغدوين سبع سنوات .

في تشرين الأول سنة ١٤٠٦ توفي اغناطيوس الكاتب مطران ملطية، ورسم خلفاً له اثناسيوس سعيد بن الصابوني، العالم الحاذق والكاتب الماهر والمتضلع من اللغتين السريانية واليونانية. وتمت رسامته يوم عيد الصعود في مدينة قنقرت بمنطقة آمد، ودعي يوحنا. وتم انتخابه نزولا عند رغبة الحاكم جبرائيل. فجاء الى المدينة يوم كان الأتراك يحاربونها، وبعد أن دخلها أغلقت أبوابها بسبب الهجوم: الذي شنه عليها ميغرسلان سلطان ايقونيون، فطلب جبرائيل الى الأسقف أن يقف الى جانبه ويلاحظ الحرس، فأولى الأسقف الأمر اهتماماً بالغاً، وشجع الشعب، فأرس السلطان شماساً متنفذا لمفاوضة الأسقف. وباذن من الحاكم، استقبله الأسقف وكان جبرائيل متخفياً يسمع حديثهما، فقال الشماس، اذا سلمتم المدينة للسلطان، فانه مستعد أن يتعهد لكم بالسلام والخيرات، والا فسيأخذها بالسيف، فتسفك الدماء وينتقم الله منكم لدماء الشعب. فقال الأسقف للشماس: لاتتوهم، لم يستطع أحد احتلال هذه المدينة ولن يستطيع مطلقاً. وفيها من الطعام مايكفي لأكثر من عشر سنوات. فصرف الشماس بمثل هذا الجواب، ثم التفت الى جبرائيل وقال: لقد سمعت ياسيدي ماقيل،

فالأفضل أن نسلمها بارادتنا. ومنذئذ حقد جبرائيل على الأسقف كما مقته اليونان، وأخذ الافرنج يوشون به عى اعتبار انه يريد تسليم المدينة للأتراك، لاسيما عندما كان يحرجهم في جداله اياهم حول العقيدة .

وصادف أن كان الأسقف يقيم فوق السور، صلاة الساعة الثالثة يوم الجمعة والشعب يردد وراءه، لاحظ جبرائيل واليونان تمسك الشعب به، فقرروا قتله. ولدى نزوله من السور، أخبر بأن جبرائيل أمر بقتل أحد المؤمنين فسارع يرفقه كاهن للالتماس من أجل ذلك المظلوم، فوجدوا جبرائيل اللئيم يمتطي فرساً بين السورين، ويحيط به بعض المشاة. فقال له الأسقف ملتمساً: ارحم أيها السلطان المبارك هذا المسكين، لايجوز أن يكون قتل من الخارج وقتل من الداخل. واذ كان اللئيم ناوياً قتل الأسقف، قال: وأنت يافلان تريد أن تسلم المدينة للأتراك ؟ وفي غمرة غضبه أمر أحد حاملي السلاح أن يرميه بسهم، فلم يجرؤ ذاك، انتزع منه القوس ورماه بيده، فسقط الأسقف صريعاً يوم الجمعة ٤ تموز سنة ١٤٠٦، فتشتت الكهنة واهتزت المدينة برمتها وتجمهر الناس في موقع استشهاد الأسقف بين قصب البستان، وبعد يومين شُيع وأودع جثمانه في كنيسة الساعي الكبرى .

لم يكن البطريرك اثناسيوس في منأى من المخاطر وهو يدير شؤون الكنيسة، بسبب مكايد عبدون المتمرد، الأمر الذي اضطره الى النزول الى بغداد لزيارة الخليفة أبا جعفر، ليأخذ منه رسائل الى كافة الولاة والحكام، العرب منهم والأتراك، الذين في منطقة آثور والجزيرة ومابين النهرين وسائر سورية وقبادوقية، تتضمن أمراً لعزل اثناسيوس ونبذ عبدون. وكان المتمرد قد رسم أربعة أساقفة، أولهم ايوانيس أسقف تل حمدون الذي نهشته الكلاب، وابدوكس اسقف عرقا الذي عُزل فانضم الى الهراطقة، واغناطيوس أسقف ماردين الذي تاب وقبل، وابن كوزيرا الذي اعتنق الاسلام في آمد.

فصـل

في سيطرة الآتراك على ملطية للمرة الأولى، ومقتل جبرائيل وابن هيثم، وبدء حكم ميغرصلان، وبناء سوركيسوم، وأحوال الكنيسة في هذه الفترة

بعد عودة البطريرك من بغداد بقليل، مات عبدون المتمرد في حصن منصور، وأوصى أن يُدفن أمام باب الكنيسة لكي يدوس عليه الشعب جزاء مااقترفه بحق كنيسة الله. واشترك البطريرك مع الأساقفة في تشييعه وتلا صلاة استغفار خاصة وقال: ولئن تملكه حب الرئاسة ووطئ القوانين المقدسة، ولكن علينا أن نصلي لكي يُرحم كخاطئ لأنه لم ينحرف عن الايمان القويم .. بعد مقتل سعيد ابن الصابوني (المطران يوحنا)، وتدمير الأتراك المدينة وضواحيها نظراً الى علمه وحكمته. فدخل ديونيسيوس أسقف جوباس ابن المعترف، الى ملطية في الفاتح من كانون الأول عام ٤١٣ . وكان قد ترهب في دير ابن جاجي على يد البطريرك يوحنا ابن شوشان، ومنه اقتبل الرسامة الأسقفية لجوباس. وعلى أثر دمار جوباس خلال غارة الأتراك الأولى، جاء الى دير أبا الفرج الذي صار بطريركا ورسمه كاهناً وكافأه في شيخوخته باعطائه كرسي ملطية، فوجدها تفتقر الى المعرفة، فأخذ يعلم القراءة والكتاب المقدس بعهديه والشعر والأدب. بعد ذلك رسم البطريرك أبا غالب ابن الصابوني شقيق سعيد الذي قتل في ملطية، أسقفاً للرها. وقد اشتهر كلا الأخوين بالعلوم الدينية والمدنية واللغتين السريانية واليونانية، وبرعا في جدال الهراطقة، وبعبارة أخرى، فانهما كانا عين جيلهما بالنسبة الى الأرذوكس. وبالرغم من كل المؤهلات، فقد كانا يفتقران، كما يقال، الى تواضع القلب مصدر سائر المحاسن وعلة ازدهار الفضائل .

فسعيد المدعو يوحنا الذي رسم مطراناً لملطية، قتله جرائيل في ملطية، بعد اربعين يوماً من رسامته كما ذكرنا. أما أبو غالب فقد رسم مطراناً للرها ودعي باسيل، واصطدم بالبطريرك ولما مضت أربعون يوماً على رسامته، فمنعه من الخدمة. فعكر هذا النزاع صفو الكنيسة كما سنوضح فيما بعد .. لما سيطر الافرنج على انطاكية، أبعدوا اليونان عن الكنائس الكبرى وطردوا كهنتهم، وأقاموا بطريركا منهم ورسموا عدة أساقفة، واحد لطرسوس، وآخر لمصيصة، وثالث للرها. ورابع لكرسي منبج في دليك. وخامس لاوفيميا، وسادس لطرابلس واللاذقية. وأقاموا آخرين في جابولا وقورس ومرعش وحارم، كما رسم بطريركهم في القدس أساقفة لكل من بيت لحم، حبرون، السامرة، يافا، الناصرة، قيصرية، صيدا، وبيروت. ولما احتلوا صور رسموا لها أسقفاً هي الأخرى، ذلك أن بطريرك انطاكية لم يدفع لهم .. ان أول مطران للآفرنج في الرها، يدعى مبارك الذي رأى في الحلم رفات مار ادى وأبجر. والتي اكتشفت داخل نعش مار يوحنا .

بعد مقتل سليمان أول حاكم تركي في ايقونيون، خلفه ميغرسلان، وهو أول من تعين في ملطية في عهد جبرائيل الذي اغتال المطران، فلما سمع بمقدم ميغرسلان، ترك ملطية وذهب ليحمي بلاده. فجاء اليها طونشمان من سبسطية، ولثلاث سنوات متتالية، كان يدمّر المنطقة ويستحوذ على الغلال ويعود في الشتاء. وكان جبرائيل يضطهد المساكين في الداخل أكثر من الأتراك، ومنهم تادرس بن هيثم قورابلاط الذي قتله الرهاويون .. ولما سيطر الافرنج على الرها، حاول جبرائيل أن يدخلهم الى ملطية، وكان فيها يومذاك جماعة من الأرمن يحكمون بعض المناطق منذ أيام بلدروس، احدهم باسيل، حاكم كيسوم ورعين، وفي عهده أعيد بناء سور كيسوم الذي كان قد تهدم لدى دخول المسلمين ن كما كان جماعة من الأرمن يحكمون بعض مناطق من قيلقية وهم المعروفون بـ « أبناء رافان » .

لقد انطلق الأرمن في عهد الملك باسيل، وانطلق الأتراك في عهد ميخائيل الذي عين بلردوس حاكماً على قيليقية ليقاوم الأتراك بعد أن برهن على كفاءته كما سبق بيانه، ومنذئذ استوطن الأرمن قيليقية وسورية. وبعد مئة عام، وعلى أثر مضايقة الأتراك لكاثوليكوس الأرمن في أرمينيا، نقل زعماء الأرمن مقره الى قيليقية .. تلقى جبرائيل الملطي ضغطاً من طونشمان، وكان قد أقسم للافرنج ثلاثاً بأنه سيسلم اليهم ملطية، وزوج ابنته من قوميس الرهاوي ابن أخت ملك القدس، الذي صار فيما بعد ملكاً للقدس. ونظراً الى كل ذلك، جاء مامن مطمئناً من جهة دخوله ملطية، ولما وصل الى مناطق نفوذ الأرمن الذين خافوا أن يهجرهم في حالة توليته الحكم، راوغوه وأرسلوا سراً يطلبون يطلبون مساعدة طونشمان. وكذلك فعل جبرائيل لدى وصول الملك الى جبينا، فلم يدعه يدخل، بل أخذ يراوغه حتى وصل طونشمان ووضع له الكمائن وقبض عليه، وهكذا تسنى للأتراك أن يرسخوا أقدامهم أكثر عن طريق الأرمن وجبرائيل. فأرسل طونشمان الملك مأمون الى سبسطية، وذهب لمحاصرة ملطية. حين زاد جبرائيل. الآثم من شروره بالنهب والسلب والقتل دون رحمة. وبذلك يكون عميلان قد سلما المدينة للأتراك. فدخل طونشمان يوم الأربعاء ١٨ أيلول سنة ١٤١٣ ونهبوا كل ممتلكات المدينة. لكن طونشمان لم يسمح بقتل أي شخص، حيث اعتبر الناس من حصته وأعادهم الى بيوتهم ، وكان يجلب الخبز والثيران وغيرها من الضروريات من بلاده ويقدم لهم. وحرر الذين كانوا قد سبوا الى بلاده منذ أمد بعيد وأعادهم الى المدينة، وتمتعت، ملطية في عهده بمختلف الخيرات والنعم، فشبع الناس واكتفوا. وعين لها والياً يدعى باسيليغ وهو رجل عادل وتقي.

لقد أخذت العدالة مجراها بالنسبة الى جبرائيل، فعذبه الأتراك بقسوة، وضربته جماعة من المسيحيين انتقاماً، مذكرين اياه بقتله الأسقف البار والزعماء المغلوب على أمرهم وغيرهم من الجرائم التي ارتكبها،

فأشبعوه اهانة وسقوه مرارة وأخذوه الى حصن منيع منعزل حيث كانت قد وضعت زوجته، فألزمه الأتراك أن يطلب الى زوجته لتسلم الحصن. وهنا حاول خداعهم، اذ أرسل اشارة وقال، انها الى ميداس وهي تعني «سلم الحصن». فيما ان العبارة التي نطق بها تعني باللغة الأرمنية « لاتسلم ». شعر الأتراك بخداعه فقتلوه ورموا جثته للكلاب. ثم جلب طونشمان الملك مأمون الى ملطية وباعه بمئة ألف دينار. وبعد أن تحرر مأمون، أعطى انطاكية لابن اخته طنجري وعاد الى بلاده، وأنجب ابنا سماه باسمه وصار فيما بعد حاكماً لانطاكية. وجمع سنجيل جيشاً، وبقتال مرير، انتزع طرابلس من المسلمين بعد أن انتزع القدس، وأعطاها لأولاده وعاد الى بلاده مستصحباً الرمح الذي كان قد اكتشف في انطاكية. ولدى وصوله الى القسطينية علم الملك الكس في الأمر، فطلب الرمح ليتبرك به ويعيده اليه، ومن غباوته أرسله له، وفي تلك الليلة صنع آخر مشابها له وارسله الى سنجيل. اما هذا الرمح فهو الذي طعن فيه اليهود ايقونة في طبرية من قبيل الاستهزاء، فجرى منها دم وماء.

حدثت مجاعة في ملطية خلال السنوات الثلاث التي حاصرها طولشمان. فبيع مناً واحد من حنطة الوالي بدنيار .. سنة ١٤١٤ وقع خلاف بين المسيحيين في ملطية ونواحيها وحتى في القسطنطينية، حول مدخل الصوم الكبير، فصام الارمن ثمانية اسابيع واحتفلوا بالعيد في ١٣ نيسان، واحتفل به الخلقيدونيون في ٢٦ نيسان، ولما انتشر خبر ظهور النور في القدس في ١٣ نيسان، اخذ اليونان يجدفون على النور لان الحق ظهر لدى السريان والارمن.. في شباط، وفي الاسبوع الاول من الصوم سنة ١٤١٤ حدثت هزات ارضية في كافة البلدان، فنسب بعضهم حدوثها الى التشويش الذي حدث حول الصوم في العام المنصرم، واعتبروها علامة غضب .

فصـل

في حصار ملطية الثاني، وما حدث من اضطراب في بعض مناطق دولة الاتراك في هذه الفترة، مثل مصر وسورية وارمينيا. وبعض شؤون كنسية

في الاسبوع الاول من الصوم الاربعيني سنة ١٤١٧ ظهر في المغرب مذنب اتجاه ذيله نحو المشرق، واستمر من المساء حتى آخر الليل.

في هذا الزمان، استقر حكم الاتراك في خرسان، وكانوا سوية مع العرب في كل من آثور والجزيرة وبين النهرين، حيث كان العرب يحكمون بعض المناطق فيها، وكذلك في مصر. ولما حارب الاتراك بعضهم البعض في خرسان، ارتفعت منزلة العرب .. وفي سنة ١٤١٢ انطلق ابن مولعيب العربي من حمص واحتل اوفيميا. وفي السنة عينها، تولى الحكم في دمشق دوقاس العربي، وتولى حكم حلب رطون ابن ملك عربي. وفي سنة ١٤٠٢ سيطر عمر بن سالم العربي على سكره وحاربوا، فنشبت حرب بين العرب والأتراك. أما في قبادوقية وبيثونية الخاليتين من العرب، فكانت حرب الأتراك مع اليونان، أو مع بعضهم البعض. فقد حارب السلطان ميغوسلان ملطية، لكنه اضطر الى مغادرتها ليحمي بلاده من الافرنج على أمل أن يعود ويحتلها، فجاء طونشمان واحتلها كما أسلفنا. ومن هنا بدأت العداوة بينهما وامتدت عبر أجيالهم.

بعد أن اطمأن السلطان ميغرسلان من ناحية الافرنج، وبعد وفاة طونشمان في سبسطية بعد حكمه لملطية مدة سنتين، جاء الى ملطية وكان

يحكمها اغوسين بن طونشمان، فهجم عليها في ٢٨ حزيران، فحمي وطيس معركة عنيفة، فأقام تلا على البرج المستدير في الناحية الشمالية والمتجهة نحو شرق المدينة. فلما أيقن سكانها من سقوطها، طلبوا تعهداً وسلموها، فتولى حكمها ميغرسلان دخلها في ٢ أيلول ١٤١٧. وفي هذه الاثناء نشب نزاع بين الأتراك والعرب في منطقة آثور. ذلك ان سلطان خرسان غياث الدين، أرسل ابا منصور جاولي لمجابهة الافرنج، ولدى بلوغه بغداد، وجه أنظاره نحو الموصل التي كان يحكمها آنذاك كرميش وأدخله الى الموصل مكبلا، وبعد بضعة أيام توفي كرميش وتحرر جاولي، والب جيشاً في منطقة حابورا ليعود الى الموصل، وكان أهلها قد ولوا عليهم ابن كرميش، فخافوا من مواجهة جاولي. فأرسلوا وفداً الى ميغرسلان في ملطية عارضين عليه زيارتهم ليسلموه المدينة، فاجتاز الفرات. وخاف ولاة مدن بين النهرين، وكلهم أتراك ومن قبيلة ارتق، من مجيء السلطان، فحاولوا تأدية واجب الاحترام له. وهم: برشافك من حصن زياد، ابراهيم من آمد، وغازي من ماردين. فلما رآهم جاولي الحكم في رحبوت، غير أن السلطان توجه على رأس جيش جرار لمحاربته، فنشبت معركة على شاطئ نهر الخابور، فهزمت قوات السلطان بسبب نزاع خلقه الأعداء بين صفوفها، وظل هو يحارب وأبدى بطولة فائقة خلال هذه الحرب، وحاول اجتياز النهر فغرق ومات بسبب ما كان يحمله من حديد، فتولى جاولي الحكم في الموصل ونصيبين، وأذاق معارضيه الأمرين وجمع أموالا طائلة وعاد الى خرسان. فجاء غازي نجم الدين من ماردين واحتل مدينة نصيبين .

بعد احتلالهم لفلسطين وطردهم المصريين منها جاء الافرنج الى حبرون وبنوا كنيسة فخمة، وتراءى لبعض الذين يصومون ويصلون، ان المغارة التي كان ابراهيم قد ابتاعها تضم أضرحة لثلاثة من الآباء. فجملوها بأبنية مدهشة يعود سبب الخلاف الذي نشب في كنيستنا في هذه الأثناء، الى أن البطريرك طلب من ابن الصابوني بعد رسامته اياه

مطراناً للرها ومن الرهاويين، الأناجيل التي كانت من ممتلكات البطريركية والتي كان عبدون المتمرد قد تركها في الرها كرهينة مقابل المال الذي أخذه منهم ليرشي الحكام في حينه. فلما طالبهم البطريرك بها، وعد أبو غالب والرهاويون الذي حضروا الرسامة بارسالها اليه فور عودتهم بعد أن يطلوها بالفضة والذهب، ووقع ابن الصابوني تعهداً بعدم ممارسته رئاسته الكهنوت قبل ارساله الكتب غير أنه نقض تعهده بعد رسامته بحجة ان زعماء الرها يمتنعون عن تسليمها. ومن هنا بدأ الخلف فقد أوقف البطريرك ابن الصابوني وقال له في رسالة بما أنك كتبت ووقعت بيك فأنت مفصول من قبل الله فلا يحق لك أن تخدم ولا أن تدعى رئيس كهنة فدافع عن نفسه بقوله لايجوز منعي عن الخدمة لأن الكتب لم تحجب برغبتي فانقسم الرهاويون قسمين الأول يحرض البطريرك ضد المطران والثاني يحرض المطران ويشجعه على التمرد .

فصـل

في اشتداد الضيق على ملطية بعد وفاة السلطان. وتفاقم قوة الافرنج وانقسامهم واضطرابهم. وقيام رئيس جديد للأتراك في خرسان ومجئيه الى الرها. وتدهور الأحوال البيعية

لقد تواقح (ابن الصابوني) فرسم كهنة وشمامسة في فترة ايقافه. الأمر الذي أغضب البطريرك فشدد في منعه، فتعكر بذلك صفو الكنيسة، وانتشر الاضطراب في كافة الأبرشيات وبخاصة في الرها، وكان حاكمها الافرنجي يساند المطران. فأوفدت عدة وفود من مؤمني المدينة والافرنج الى البطريرك للعفو عنه، فلم يستجب، وأخيراً جاءه ديونيسيوس مطران ملطية يرافقه سبعون مؤمناً، وهو في دير مار برصوم، فسقطوا على وجوهم أمام رجليه قايلين: لن نرفع رؤوسنا عن الأرض مالم تصلٍّ من أجل مطران الرها. ومع ذلك رفض. فاجتمع الأساقفة كلهم وقدموا اليه التماساً .

فأجابهم: احضروا جميعكم في نيسان وليحضر هو أيضاً معكم، وسيبحث موضوعه ويتم حله في المجمع، وهكذا صرفهم فارغين. ولم يَعقد المجمع ولم يسامح ابن الصابوني، لابل عزل من رعية ملطية الشيخ ابن المعترف لمساندته لابن الصابوني. اما ديونيسيوس اسقف ملطية فخدم١٢٠ سنة، وعلَّم ونظِّم وأدخل اليها تقاليد سليمة، وأغناها بالعلم الذي مازالت الأجيال ترتشف منه، ولما أبعده عنها البطريرك، التزم الصمت.

أما سبب عدم دعوته الى انعقاد المجمع فهو: بعد أن رفض البطريرك التماس الأساقفة وخرجوا يائسين، قرر ديونيسيوس أسقف

ملطية وايوانيس أسقف جيحون أن يبرءا ابن الصابوني في حالة انعقاد المجمع، وفي حالة عدم انعقاده، فسوف يعتبر أنه محلولا وبريئاً. فسمع البطريرك واستشاط غضباً على الأساقفة ولم يعقد مجمعاً، وانتزع ملطية من ابن المعترف مطران جوباس، ورسم اليشاع رئيس دير البارد أسقفاً وسماه ايوانيس. في تشرين الثاني سنة ١٤٢٥ طلب منه الحاكم مالا، فدفعت المدينة عنه مئتي دينار ذهب وقبلوه. ولكن سرعان مازجروه اذ اكتشفوا أنه شريب خمر.

عندما وافى نبأ وفاة السلطان ميغرسلان، عينوا في ملطية ابنه الصغير المدعو طوغرسلان، وعينوا وصياً له، رجلا شيخاً يدعى فزميش الى جانب شخص آخر اسمه أصلان الذي تآمرت معه أم الصبي فقتل فزميس وتزوجها. وارتكب جرائم جسيمة بحق أبناء المدينة بما في ذلك جمعه الذهب بحجة استعداده لمقاومة الروم. فلما علمت الزوجة بذلك، اتفقت مع ابنها وقبضت على اصلان وزج في السجن حتى ظُن أنه قتل. وبعد سنة أخرجوه وأرسلوه الى السلطان. وكان لميغرسلان ثلاثة أولاد كبار آخرين هم: عرب وشاهنشاه ومسعود، وقد قتل عرب من قبل الأمير غازي طونشمان، ونودي بشاهناه سلطاناً، فزج أخاه مسعود في السجن مكبلا، وشخص الى الملك الكس في القسطنطينية، فتمرد عليه قائد جيشه فأطلق سراح مسعود، وأقاموا الأمير غازي بن طونشمان سلطاناً. ولدى مغادرة شاهنشاه القسطنطينية محملا بالذهب، كمنوا له وقبضوا عليه وسملوا عينيه .

انتهز الافرنج فرصة محاربة الاتراك بعضهم بعضا، فجاء بيموند واحتل ابلستين ومنطقة جيحون ثم خضعت له مقاطعة ملطية برمتها. وفي الرها احتشدت جموع كبيرة للتعبير عن فرحتها بالنصر. لكنهم تخاصموا حول تقسيم المناطق التي سيحتلونها، فانتهز الاتراك هذه الخلافات وتهيأوا لمحاربتهم. في حين شك الافرنج في بعضهم البعض بسبب تقسيم

المناطق. ولدى وصولهم الى حران استقبلهم اهلها وسلموا اليهم المفاتيح، فلم يتسلمها بغدوني والي الرها ولئن كانت حران من حصته، خشية أن يدخلوها اولا فيدمروها، فتركوها ومضوا، فزاد خلافهم اكثر لعدم دخولهم حران. التي تركوا فيها عوائلهم. وعليه فقد هزموا امام الاتراك لدى مجابهتهم اياهم، وقبض على بغدوني وجوسلين واقتيدا الى الموصل. وهرب طنجري الى الرها، وعُين ريشارد رئيسا لها. جرت هذه الاحداث سنة ١٤١٤ على نهر البليخ الذي ينبع من فدان ارام ويصب في نهر الفرات عند الرقة. وقد اقيم هناك مسجد للمسلمين دعي «بيت ابراهيم» .

اذاق ريشارد اهل الرها مر العذاب، ثم غادر الى انطاكية، ولم يحاول انقاذ جوسلين لما بينهما من نزاع. غير ان جماعة من تل بشر، اتفقوا مع الاتراك على فدية مالية، ودخلوا السجن كرهائن ريثما يذهب جوسلين ويعود بالفدية، غير انهم ثقبوا البيت الذي كانوا مسجونين فيه وهربوا، وهكذا ذهب جوسلين دون فدية، فيما حدد مبلغ ٧٠ الف دينار لفدية بغدوني، فأخذ جوسلين ٣٠ الفا وذهب الى قلعة جعبر، وقدم نفسه رهينة عن الباقي واخرج بغدوني. فاستغرب حاكم الموصل لدى سماعه بتقديم جوسلين نفسه رهينة وعودته الى السجن، فطلب ان يراه، اذ لم يكن قد رأه من قبل لاسيما وقد سمع عن قوامه الفارع الجميل، فذهب جوسلين الى الموصل، فلما رأه الحاكم خصم عشرة الالف دينار من قيمة الفدية فانحنى جوسلين أمامه حتى الارض، ومن اجل هذا الانحناء خصم عشرة الاف أخرى، ثم تناولوا ما لذ وطاب. وفي الصباح خرج الحاكم وجيشه، وامر جوسلين ان يركب وانتزع منه السلاح، فلما رأى الحاكم والشعب جمال جوسلين وبأسه، اخذتهم الدهشة، فاعفاه عما تبقى من فدية بغدوني. فعاد فرحا. وبعد ان تحرر بغدوني من الاسر، ذهب للحج الى القدس، ولدى وصوله يوم اربعاء الشعانين سنة ١٤٢٨ وجد ملك القدس مشرفا على الموت على اثر سقوطه من الفرس، وكان قد عهد بخلافته لبغدوني ملك الرها هذا، وهو ابن اخته. واذ وصل دون ميعاد، تأكد الجميع من ان

اختياره هو من الله، ففرحوا به، ونُصب يوم ثلاثاء الآلام ٩ نيسان، فاعطى الرها لجوسلين الجبار .

لقد لاحظ بعض الارمن الدهاة، ان الاتراك يغزون مناطق الرها، وقد وصلوا الى السور، فاتفقوا معهم وأدخلوهم الى أحد الأبراج اعتقاداً منهم بأن الأتراك سيحتلون الرها لغياب رئيسها. لكن الله أحضر برحمته جوسلين في تلك اللحظات. فلما رأى الأتراك في البرج، دخله لوحده وقد ارتدى درعاً ووضع قلة خمر فوق القلنسوة ليحمي رأسه من الحجارة التي سيرميه بها الأتراك. وما أن صعد حتى قتل ٣٠ رجلا بالسيف، والقي الآخرون بأنفسهم، وقطع سلالم الكتان بالسيف، فسقط الذين كانوا يصعدون بها وتحطموا. وهكذا أنقذ المدينة .. سنة ١٤٢١ خرج من خرسان قائد يدعى ماما داود على رأس مئة الف مقاتل، وحاصر الرها لعدة أشهر، فتصدى لهم الافرنج. فهربوا .

سنة ١٤١٩ شوهد بمنطقة جيحون، في منتصف الليل نور يشبه نور الشمس استغرق ثلاث ساعات. وفي الرابع من نيسان تلك السنة. غطى قرص الشمس ظلام دامس شبه رمل عكر، استغرق ١٢ يوماً. كانت عتمتها تشتدّ من ساعة الصباح الأولى حتى الساعة الثالثة، ثم تخف قليلا فيظهر نور خروف خافت. من الساعة الثالثة حتى العاشرة، وفي الساعات الثلاث التالية، كان قرصه يتحول الى كتلة نارية فلا يضيء اطلاقاً. وفي ٢٥ أيار استغرق الظلام ثلاث ساعات .. وفي الفاتح من حزيران شوهد مذنّب امتد ذيله كالرمح نحو الشرق واستمر ١٥ يوماً، وكان يتقدم نحو الأمام .. وفي أيلول تلك السنة، حدثت هزة أرضية عنيفة فتهدمت عدة مناطق .

فصـل

في دمار مرعش بالزلزال، وبلق التركي. وظهور جماعة من الأرمن باسيل اللص وتادرس وليون وقسطنطي. وغيرها من الشؤون المدنية والكنسية

لقد تمادى ابن الصابوني في وقاحته، ضارباً قرار البطريرك بايقافه عن الخدمة، عرض الحائط، حيث رسم كهنة وشمامسة، غير أن البطريرك أعاد رسامة جميع الذين رسمهم أبو غالب ابن الصابوني. ومايثير الدهشة، هو موقف الرهاويين العقلاء الذين اقتبلوا منه الرسامة بالرغم من معرفتهم بأنه محظور عليه ممارسة أية خدمة. فانهم رفضوه بمحض ارادتهم وطلبوا الى البطريرك اعادة رسامتهم، نابذين ومستهينين برسامتهم الأولى .. لقد أتى البطريرك اثناسيوس أمراً آخر يستثير الدهشة أيضاً. فقد وافته ذات يوم جماعة من الرها ممن رسمهم ابن الصابوني شمامسة ثم كهنة، فحلهم جميعاً وأعاد رسامتهم دون أن يتحقق عن الشماسية أو القسوسية. وبعد رسامتهم حدث لغط بين الحضور، ومناقشة حول رتبة الشماسية لدى هؤلاء، والى من ينبغي أن تنسب رسامتهم شمامسة. فلما اعترفوا بأن ابن الصابوني رسمهم شمامسة، صار أمرهم موضع شك – هكذا ينبت النزاع والهوى الرديء ثماراً مليئة بالشكوك الأمر الذي دعا البطريرك الى أن يفرض عليهم، عدم ممارسة الكهنوت الا في نطاق ما هو من صلاحية الشمامسة .

نتحدث هنا عن الذين حكموا، في هذه الفترة، بعض المناطق المنكوبة مثل قيليقية وسورية. ان اليونان، لدى انتزاعهم من العرب بعض المدن في قبادوقية وارمينيا وسورية، استقدموا حشداً كبيراً من أرمينيا

الكبرى، فاستوطنوا هذه المناطق، وازداد عددهم، فتسرب بعضهم الى القسطنطينية، ووصل البعض الآخر الى مصر. ولما نزح الأتراك من خرسان، وملأوا هذه المناطق، وضعف اليونان جداً وزالت سيطرتهم من سورية وقبادوقية وارمينيا: دخل بعض الأرمن الى مناطق مستعصية في جبال وعرة وتحصنوا فيها. وكان في جبال قيليقية هذه، ابناً قسطنطين بن رافان، وكان في الجبل المجاور لدير مار برصوم في كورة شميشاط، قسطنطين وتابدوج وخريسطفور أولاد سبل، وهم من السريان. فلما سيطر الأرمن في جرجر، امتزج بهم كل من قسطنطين وميخائيل وانيس في كل من جرجر وغوتي وبابيلا. وفي كيسوم ورعبان وجبال زوبار، كان يوجد كوجاباسي وغاباسيل، والمرأة نوغباكس، وهي مربية الطفل وليست أمه. وكان لهم مدبر يدعى كورتج، رجل شرير يكره السريان، وهو الذي ضغط على زوجة كوجاباسي واغتصب الدير الاحمر من السريان في كيسوم الذين سكنوه منذ اجيال، وطردوهم وأعطوا الدير للجاثليق غريغوريوس والرهبان الأرمن. كما طرد كورنج الرهبان من أديرة زوبار المعروفة ب « بيت القصب » وهي خمسة، وكانت تعج بالرهبان، وأخرج الآخرين من حصن عرنيش ووضع فيه حامية من الجيش، والزم الرهبان بدفع الفي دينار، وكان يعذبهم بلا رحمة حتى قضى على جميعهم، واحيلت الأديرة الى قرى .

ثم جاء الملك طنجري من انطاكية وحاصر كيسوم مدة سنتين ثم احتلها. وكان كورتج ينتقل بين الحصون، وله قلعة رومية لم يفلح الافرنج في احتلالها، فاحتالوا عليه وزوجوه امرأة افرنجية اسمها قلامري فقتلته بالسم .. كان بالق من الأراتقة الحاكمين في مابين النهرين، فلما مات الأمير طفشك، احتل بالق حصن كولا الواقع الحاكمين في بين النهرين، فلما مات الأمير طفشك، احتل بالق حصن كولا الواقع على نهر ارسينوس، وانطلق من هناك وسيطر على عدد من المناطق، وانتصر في عدة حروب، واخضع تحت سلطته ملوك الافرنج زعماء اليونان، وعددا

من الاتراك، كما سنوضح فيما بعد، عندما نتدرج في سرد الأحداث سنة بعد سنة .

سنة ١٤٢٢ انتزع أريج أي مربي سلطان ملطية منطقة جيحون من الافرنج. وفي سنة ١٤٢٤ تركت زوجة ميغرسلان ملطية وسلمت أولادها لأريج اي المربي، وذهبت الى بالق امير بابولا، لأنها سمعت السلطان يقول: لايوجد بين امراء الأتراك في هذه المناطق، من يشبه بالق قوة وحكمة، لذا احبته وأخذت اسمه، فارتفع شأنه كثيراً .

صباح يوم الأحد ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٤٢٦، نظر ذلك الذي ينظر الى الأرض فترتعد فصار زلزال عنيف جداً، غارت على أثره مدينة مرعش، وانقلب عاليها سافلها وغدت قبراً لسكانها ومشهداً مرعباً لناظريها. وبتأثير هذا الزلزال سقطت كنيسة مار يوحنا في كيسوم، وكنيسة الأربعين شهيداً وأعيد بناؤهما بهمة مار ديونيسيوس اسقف المدينة، كما تهدمت شميشاط هي الأخرى في هذا الزلزال، وذهب ضحيته مع من ذهبوا، قسطنطين صاحب حصن جرجر. وتهدمت أجزاء بعض المدن والقرى الأخرى .. سنة ١٤٢٧ بعض زوبعة كثيفة مظلمة ودكت المبني والأشجار .. وحدث ودكت المباني الأشجار .. وحدث فيضان في الرها وهدم مدة مار أدى الرسول. وفي هذه الفترة، سحب ابن حالبي عين الماء الى الرها .

قصة الفرير (الاخوة) الافرنج

في مطلع حكم بغدوين الثاني، جاء من رومية شخص افرنجي حاجاً الى القدس، وناذراً بأن لايعود الا بعد ثلاث سنوات، يساعد خلالها

والفرسان الثلاثين الذين رافقوه: الملك في حروبـه، ومن ثم يترهب في القدس ويمضي فيها طيلة حياته. ولما رآهم: الملك يقاتلون بمهارة، ويمدون المدينة بالعون الفعلي والخدمة خلال السنوات الثلاث، أشار اليه أن ينخرط والذين معه في الجيش، ويترك فكرة الرهبنة وخلاص نفسه فقط ويحموا البلاد من اللصوص. فوافق فاين وهذا اسمه واتفق معه الفرسان الثلاثون، فأعطاهم الملك قصر سليمان لسكناهم وقرى لمعيشتهم، كما أعطاهم البطريرك بعض القرى العائدة الى الكنيسة. ولقد حتموا على انفسهم أن يسلكوا بمقتضى قوانين رهبانية، فلا يتزوجون ولا يرتادون الحمامات ولا يقتنون شيئاً خاصاً، بل تكون أموالهم مشاعة للجميع. فازدهرت فيهم هذه السيرة، وطارت شهرتهم الى كل الأرجاء، وأخذ يقصدهم من كل حدب وصوب، ابناء الملوك والزعماء والعامة لينتموا الى هذه الاخوة الروحية. واشترط على من يود الانتماء الى اخويتهم، أن يهب كل مقتنياته المنقولة وغير المنقولة الى خزانتهم العامة. فازداد عددهم وتوسعوا وامتلكوا عدة مقاطعات، ليس في فلسطين وحسب، بل في بلاد ايطاليا وروميه الشاسعة أيضاً. ووضعوا لهم القوانين وحددوا طريقتهم. فمن أراد أن يصير أخاً لهم، وضعوه تحت التجربة مدة سنة واحدة، يتلون عليه القوانين خلالها سبع مرات، ويقال له في كل مرة: انظر، لعلك تندم ولا تستطيع حمل عبء هذه القوانين حتى النهاية، اعترف وعد الى بيتك. فاذا صمد حتى نهاية السنة وتعهّد بحمل النير، يتلون عليه الصلاة ويوشحونه باسكميهم. واذا مانكث أحد بعهده، يُقتل بالسيف دون شفاعة أو رحمة .

ومن شروط مسلكهم، عدم اقتناء أي شيء خاص، مالا كان أم بيتاً أم غيرها من الأطيان. وعدم المغادرة دون اذن الرئيس، وعدم المبيت في غير دارهم الخاصة، وعدم الأكل من مائدة الآخرين. وعدم الامتناع عن الذهاب الى أي مكان يؤمر به، حتى لو كان الموت ينتظره، بل عليه تنفيذ المهمة بكل ايمان حتى الموت، وبحسب تعهده. واذا ماتوفي احدهم،

يقيمون اربعين قداساً لراحة نفسه ويطعمون المساكين مدة اربعين يوماً، اربعين شخصاً في كل يوم، ويقام له قداس أبدي في كنائسهم، ويُعتبر الذين يقتلون منهم في الحرب شهداء. ومن حاول أن يخفي شيئاً عن الجماعة أو وجد له شيء بعد موته لم يعطه للجماعة، لايحتفلون بدفنه. أما زيهم فهو ثوب أبيض بسيط. ويحظر عليهم ارتداء أي شيء آخر. كما لايجوز أن يبدلوا ثيابهم أو يحلوا احزمتهم أثناء النوم. أما طعامهم فهو كالوجه التالي :

يأكلون اللحم كل يوم أحد وثلاثاء وخميس، ويتناولون في بقية الأيام الحليب والبيض والجبن ويشربون الخمر يوميا مع الطعام فقط. يخدم الكهنة والشمامسة منهم الكنائس، ويمارس الفرسان والمشاة الأعمال العسكرية في الحرب. ويعمل كل صاحب حرفه بحرفته، وهكذا يفعل الفلاح، فأنه يزرع في القرى والمدن وحيثما وُجد لهم مركز، يكون له رئيس وكيل، فلا تمارس أية خدمة الا بأمره، كل في عمله. يقيم رئيسهم العام في القدس، وهو يرئس جميعهم ولا يقتني أي شيء خاص اطلاقاً. ويوزعون على المساكين عشر دخلهم من الحنطة والخمر وغيرها، ويُوزع على الفقراء عشر الخبز الذي يخبز كل يوم وفي كل بيت. وكل مازاد من مائدة الأخوة يُعطى للفقراء. اضافة الى هذا فهم يوزعون على الفقراء طعاماً وشراباً مرتين في الأسبوع .

واقتصرت مهمتهم في بادئ الأمر على حماية الحجاج في الطرق، لكنهم أخذوا فيما بعد يرافقون الملوك في حروبهم مع الأتراك. وازداد عددهم حتى بلغ مئة الف، واقتنوا حصوناً، وانشأوا قلاعاً حصينة في سائر المناطق التي يسيطر عليها المسيحيون. وازدادت أموالهم من ذهب وانواع الأطيان، واسلحة من كل صنف، وامتلكوا قطعاناً من الماشية والخنازير والجمال والخيول اكثر من كل الملوك، في حين انهم متقشفون لا يتملكون شيئا خاصا. وهم في وفاق ومحبة مع كل الذين يسجدون

للصليب، وحيثما تواجدوا، وبخاصة في القدس، انشأوا مستشفيات للمرضى، فصار بامكان اي غريب يمرض، ان يجد مأوى ومن يخدمه ويهتم به، فاذا شفي اعطوه نقودا وارسلوه بسلام، واذا مات اهتموا بدفنه .

فصـل

في بدء حكم ايواني بن الكس ملك الروم. وازدياد الحرب بين الأتراك والافرنج في هذه الفترة. وسبي منطقة البيرا، خضوع القومنيين لليونان. وبعض الشؤون العالمية والكنسية

في الساعة الثالثة من يوم الخميس الأول من كانون الثاني سنة ١٤٣١ حدث زلزال عنيف، دمر عدة مناطق.. حدثت في هذا الزمان مجاعة كبرى في القدس. وكان الفرير أو اخوة الله كما يسمونهم، يوزعون للفقراء كعادتهم دون تقتير. فلما شحت عندهم الغلال المخزونة، طلب الوكلاء الى الرؤساء والاداريين أن يدخلوا ويروا كيف فرغت المخازن، ولم يبق فيها سوى نزر يسير. فلما اطلعوا قالوا فيما بينهم: ان ما تبقى لايكفي لنا حتى ولئن حجبنا حصة الفقراء ، لذا يجب أن يوزع كالعادة ولا يحجب شيء عن الفقراء. فوافق الجميع على هذا الاقتراح ووزعوا على المساكين دون تقتير، لذا افتقدهم الله الذي أشبع الآلاف في البرية من أرغفة يسيرة، ففاضت مخازن الحنطة والشعير والخمر والحبوب، فأذيعت هذه المعجزة في كل مكان تمجيداً لاسم الله .

في مطلع كانون الثاني سنة ١٤٣١ شب حريق في القسطنطينية ودمر عشرة آلاف دار وحانوت.. وفي أيار تلك السنة غزا جراد طيار ملطية وأكل قسماً من الزروع، فرفعت دعوات متتالية مقرونة بالايمان، فتوقف عن ابادة الزروع، لابل باد وتلاشى. وبعد فترة ظهر جراد ناعم التهم جزءا من الزروع ثم اختفى.. وفي السنة نفسها، غارت بغتة مدينة في فارس اسمها اردبيل، واستحالت بحيرة وغرق جميع سكانها.. وفي

سنة ١٤٣٢ مرَّ شتاء قارص جداً استمر أربعين يوماً، وتجمد الفرات وغيره من الأنهار، وأمكن الاجتياز عليها كاليابسة.. وفي ٣٠ أيار من السنة نفسها شوهد قوس كامل الأمر الذي لم يحدث منذ أجيال عدة، ويعتقد بأنه أمر يفوق الطبيعة، أو خارج عن نطاقها، ذلك انه كان يرى في الليل كاملا وليس، كما هي العادة، عندما تصير الشمس تحت الأرض او وراء الجبال يُقال، أي عندما تميل نحو الشمال. انه لأمر يثير دهشة من يتأمله، لكنه ليس بعسير بالنسبة الى القادر على كل شيء الذي: يفعل مايشاء.

سنة ١٤٢٥ توفي طنجري صاحب انطاكية وخلفه ابن اخته دوليل. وفي ٢٥ ايلول من هذه السنة، قُهر فورسك التركي.. وفي السنة ذاتها تمرد المسؤول عن حصن زياد التركي وغزا المنطقة وباع أهلها عبيداً، وسبى ابراهيم منطقة عرقاً، وعجت ملطية بالأسرى. غير أن حرارة ايمان المؤمنين دفعتهم الى افتدائهم.. لما عادت الخاتون من لدن بالق، طردت اتيج، واقامت مع ابنها في القلعة متخذين اسم بالق، فانزعج التركي الذي كان في حصن زياد، فقايض به مع سلطان ملطية بأماكن اخرى مع كمية من المال. ولدى دخول رجال سلطان ملطية الحصن، فاجأهم ابن سلطان خرسان بجيش عرمرم، فسلموا له الحصن دون حرب، فساد السلام .

في ١٥ ايار سنة ١٤٢٩ غزا الأمير منجوج صاحب قامح منطقة ملطية، فأرسلت خاتون ملطية الى جوسلين حاكم الرها، ناشدة السلام والعون.. في آب تلك السنة توفي الكس ملك الروم، الرجل الحكيم الجبار الذي تمكن بحكمته من انقاذ مدينتهم من الافرنج ومن القومنيين والمصريين واللاجئين. فقد حارب جميعهم وحامى دولته التي ساسها بجدارة مدة ٢٩ سنة. فخلفه ابنه ايوني سنة ١٤٢٩ فتآمر عليه اخوه واخته وأمهم، فنفى اخاه واخته وادخل أمه الدير فاستقرت الأمور. وفي

أيار عام ١٤٣٠ غالب الأمير الأمير غازي بن طونشمان سبعة آلاف تركي غزا بهم منطقة انطاكية، فتصدى لهم راجيل صاحب انطاكية على رأس عدد كبير من المشاة، فكمن لهم الأتراك، ودخل الافرنج وسط الكمائن فأحاط بهم الأتراك قتلوا راجيل وعدداً كبيراً منهم، ومن ثم سبوا المنطقة بكل سهولة واحتلوا حصوناً منيعة وقتلوا عداً من الرهبان في الجبل الأسود. وارتكبوا جرائم فظيعة خلال وجودهم هناك، حتى جاءهم بغدوين ملك القدس، فكمنوا له، غيرانه استطاع أن يقهرهم، بالرغم من أن الكمائن دمرت الصفوف الخلفية من جيشه، ثم لحق بهم فدمرهم عن بكرة ابيهم وطارد غازي. فهرب قسم من الأتراك الى حلب، وبقي القسم الآخر مع غازي. حقاً لقد طالتهم في ذلك اليوم ضربة قاضية. اما الافرنج الذين نجوا، فأنقذوا ماكان الأتراك قد سبوا ودخلوا انطاكية مع الملك .

في تلك السنة، اخضع سلطان ملطية منطقة جيجون وابلستين، كما ضمت الى ملطية منطقة القطيعة.. وفي شباط تلك السنة غزا الافرنج منطقة ملطية في حين غزا الاتراك منطقة جرجر. وتصدى اليونان للأتراك على ساحل البحر مدة شهرين، ثم انصرموا دون حرب.. لقد غزا سلطان ملطية وعامله بالق، منطقة قامج، فهرب صاحبها ابن منجوج الى طربيز نطون والتجأ الى اليونان برفقة جيرس. ثم تحالف بالق وسلطان ملطية مع غازي بن طونشمان وحاربوا اليونان وهزموهم، وقبض على جيرس وابن منجوج، وبيع جيرس بثلاثين الف دينار. أما ابن منجوج فأنقذه غازي لكونه صهره، الأمر الذي خلق جواً من العداء بين السلطان وبالق من جهة، وغازي من جهة أخرى .

في تلك السنة، خرج ايواني ملك اليونان وانتزع ثلاثة حصون من الأتراك، كما جمع غازي جيشاً ودخل منطقة الراعي وحرق الزروع، واذ لم يلق مقاومة، دخل منطقة انطاكية وتأهب وعاد الى بلاده. وسيطر بالق

على حصن زياد والمناطق المجاورة لملطية وفرض هيبته على جميع الأمراء. غير أن الأرمن في جرجر كانوا يمارسون أعمال السطو في منطقته، فوعد ميخائيل ملك حرحر أن يدفع له الف حمل حنطة سنوياً اذا منع عنه اللصوص، كما أعطاه ثلاث قرى في منطقته، احرق لصوص ميخائيل في تلك الليلة قريتين في هنزيط ونهبوا عدداً آخر من القرى وقتلوا عدداً من الأتراك، ولم يلتزموا جانب الحذر، لاعتمادهم تعهد السلام واستلامهم الحنطة. فلما علم بالق بما يجري غضب وأخذ يتحين الفرصة ضد الأرمن حتى اصطادهم وساقهم الى الهلاك. فقد انتهز فرصة الشتاء حيث غطت الثوج الجبال، وكان أهل جرجر آمنين على انفسهم، فاجتاز على الفرات المتجمد الى جوباس، وتظاهر لأهل جرجر انه يتوجه الى الجبل الوعر المسمى «الشمع» وسير أمامه آلافاً من الفرسان فتكسر الثلج واجتازت قواته، ووصلوا في غضون يوم واحد الى دير مار برصوم. وفي تلك الليلة عبوا جبل جرجر، وفي الصباح هاجموا المنطقة المنكوبة وسلبوها. وكان ذلك يوم الاثنين الأول من كانون الثاني سنة ١٤٣٢، ولم ينج شيء من يد الأتراك، فقد جمع (بالق) كل شيء في حي النسر والبهائم وغادر، فخلت المنطقة. غير أن بالق عامل الشعب بالرحمة ولم يسمح بابادة أحد، ولم يتخذهم عبيداً، لكنه حافظ على أموالهم ومقتنياتهم وأعطاهم قرى واسكنهم منطقة هنزيط، واقسم عليهم بأن لايعودوا الى جرجر، وهدد الذين يهربون ويعودون الى جرجر، بجعلهم عبيداً في الغزو التالي، والذي تم فعلاً في السنة التالية حيث جاء الى جرجر وأحرق القرى والكروم والزيتون، وأسر كل من وُجد هناك واتخذهم عبيداً. ثم جاءه جوسلين فهرب الى الجبل، ولما لم يتمكن منه الافرنج عادوا ادراجهم وعاد هو الى منطقته .

سنة ١٤٣٣ ارسل سلطان خرسان قائداً على رأس مئة ألف، ودخلوا ليبريا بقصد السيطرة عليها، لكن ملكها أغلق الأبواب من كل جانب وقضى عليهم بحد السيف.. وفي تلك السنة غزا جوسلين منطقة

جوباس. وفيها أيضاً دمر ايواني ملك اليونان القومنيين، ومنذ ذلك الحين خضعوا لليونان .

القومينيون

كتب باسيليوس اسقف الرها الذي كان حاضراً هناك عن القومنيين فقال: لما جاء القومنيون الى القسطنطينية، تظاهر الملك ايواني بالتعهد معهم على السلام، فانتشروا في المدن بما فيها القسطنطينية. ثم اصدر أمراً بالقبض عليهم في آن واحد حيثما وجدوا. فقبضوا على ثلاثة آلاف في معسكر الملك بالذات، مخلا الذين قبض عليهم هنا وهناك. وفي اليوم الذي قبض فيه عليه، ذهب الملك وقواته الى معسكرهم، لكنهم كانوا قد احاطوه بحواجز كعادتهم، فأخذوا يقاتلونهم، وانصرمت عدة أيام دون أن يتمكن الملك من اختراق الحواجز، فترجل وأمر الفرسان بالترجل والقتال، فحمي وطيس المعركة، وقفزوا فوق الحواجز وقضوا على معهم، وقبضوا على رؤسائهم وغيرهم، وساقوهم كعبيد الى القسطنطينية، فاستقرت أمور الملك بهذا النصر. أما القومينيون فهم جماعة من الأتراك، يتكلمون اللغة التركية، لكنهم: لايعرفون أياً من الأنبياء. لاموسى ولا المسيح الرب ولا محمد، وحيثما توجهوا اصطحبوا معهم نساءهم وأطفالهم، وأحاطوا معسكرهم بحواجز خشبية شبه سور حيثما حطوا رحالهم. ارادوا السيطرة على القسطنطينية. فغادروا شواطئ نهر دنبيس وجاءوا اليها. فانتصر عليهم الملك واستعبدهم لليونان .

لقد تحول ابن الصابوني من سيء الى أسوأ، فشكا البطريرك القديس مار اثناسيوس الى بطريرك الافرنج في انطاكية، فغدت الكنيسة الاوثوذكسية موضع تعيير من قبل الآخرين. فاستدعى بطريرك الافرنج، مار اثناسيوس من دير أقشر في تلك المنطقة، فدخل انطاكية مرغماً. فأخذوه الى كنيسة مار بطرس الكبرى المسماة قسينا وطلبوا اليه أن يعفوا

عن ان الصابوني، فلم يفعل فاتخذ الافرنج هذا الموقف ذريعة ليوجهوا ضربة الى السريان والبطريرك. فلما اتوا بالبطريرك الى كنيستهم، احاطوه بالاحترام وقالوا: تلطف وصل على هذا المطران من أجل الرها مدينتنا. فقال البطريرك: لقد تمادى في الذنب، فلم يفهم المترجم قوله، فقال: انه يطلب مالا. فقال الافرنج هذه هي سيموفنية وليست من روح بطرس، فلا يليق بالمسحيين من يعزلوا رئيس كهنة من رتبته من أجل المال. واذ لم يوجد من يتيقن الترجمة، اضاف الافرنجي قائلا: ان كنتم تتعاملون بالمال بحسب قوانينكم، فاعتبر أنك أعطيت اليوم هذه الكنيسة عشرة آلاف دينار، وحررت من النفي هذا الذي التجأ اليها. واذ لم يستطع البطريرك الرد عليهم وعد بأن يصلي من أجل ابن الصابوني، فطلبوا اليه ان يمنحه حلا تحريرياً وقدموا له ورقة فتناولها وشرع يكتب، ونظر الى ابن الصابوني، وكان قريباً منه، وقال له: انظر يا ابا غالب الى أين أتيت بي. فلم يسكت الصفيق بل أجاب بوقاحة: اذا كنت أنا أبا غالب، فأنت أبو الفرج، فطار صواب البطريرك ورمى الورقة ومدَّ رقبته وقال: اقطع رأسي فاني لا أحل هذا قط. فأمر الافرنج بضربهما. فقال أحد أساقفتهم الشيوخ لبطريركهم، ولئن استهان هذا الشقيان، وهما يستحقان الضرب، ولكن ليس من اللياقة أن يستعمل الضرب داخل الكنيسة، فهدأ غضبهم وأطلقوا البطريرك ومن معه، فخرجوا من الكنيسة الكبرى وجاءوا الى كنيسة والدة الله السريانية في انطاكية. ومنع الافرنج خروجه من المدينة حتى يعقدوا مجمعاً، فأرسلوا دعوة الى أساقفتهم. ومكث مار اثناسيوس في الكنيسة كئيباً مغموماً .

بعد خمسة أيام من وضعه في القلاية واغلاق الباب دونه، ودون أن يؤذن لأحد بالتحدث اليه، وقد عم الحزن جمهور الشعب والاكليروس: ذهب بعض الكهنة وأتوا بالفيلسوف عبد المسيح ابن أبي درة الرهاوي الخلقيدوني الذي كان يحب البطريرك ويثق بتقواه، فدخل الى البطريرك وتجاذبا أطراف الحديث، ثم تقدم البطريرك من روكيل حاكم المدينة

يومذاك، وقـدم لـه هدايـا ثمينـة واسـتحصل أمـراً منـه بمغـادرة البطريـرك المدينة الى ديره. وقال روليل لبطريركهم: لاسلطة لك على السريان ...

فصـــل

في قبض بالق على ملك القدس وجوسلين، والتمرد الذي جرى في حصن زياد، وموت بالق، وشؤون أخرى عالمية وكنسية

في ١٨ كانون الأول سنة ١٤٣٣، اهتزت الأرض اربع مرات في الليل، واربعاً في النهار، فتشققت الصخور في منطقة صمحا على شاطئ الفرات وغرقت عدة مناطق وغدت قبوراً لساكنيها.. وسنة ١٤٣٤ شحت الأمطار في كل الأرجاء فحدثت مجاعة كبرى لا سيما في المشرق.. وفي السنة نفسها شب حريق في القسطنطينية راح ضحيته عدد كبير من البشر والبهائم، الى جانب الدور والكنائس والأديرة .

وفي عام ١٤٣٤ نشب عراك بين الطيور، حيث خاضت معركة في الفضاء، وكان هناك غالب ومغلوب. أما لماذا أو كيف جرى ذلك، فهذا مالايعرفه أحد سوى ذاك الذي يعرف كل شيء ويدرك كل حقيقة. وقد جرى القتال كالتالي: تجمعت اللقالق فجأة من كل حدب وصوب، كما تجمعت الكراكي وشكلت معسكرين فوق نهر تل كوم. واستمر الحشد لعدة أيام، ولوحظ ارسال وفود من معسكر الى آخر مدة ١٥ يوماً، وفجأة بدأ الطرفان باطلاق اصواتهم عالية، وشرعت تصارع بعضها البعض فتتساقط على الأرض وتموت، فتجمعت على الأرض أكداس كثيرة من اللقالق والكراكي الميتة، واستمرت المعركة من الساعة الثالثة حتى التاسعة نهاراً، وأخيراً هزمت اللقالق فمات معظمها وهربت البقية فطاردتها الكراكي حتى أعشاشها وقتلت صغارها .

سنة ١٤٣٤ دخل بالق منطقة انطاكية فتصدى له الافرنج. وتقابل المعسكران مدة اربعة اشهر، ثم انصرفوا دون قتال .. توفيت زوجة جوسلين فتوج من ابنة دركيل والي انطاكية، وفي طريقه الى الرها، كمن له بالق وقبض عليه وأرسله الى بولا، فاشتهر بالق بين الأتراك والتفت حوله جماهير غفيرة، فدخلوا ثانية منطقة الافرنج. ولما علم ميخائيل الأرمني الجرجري ان الاتراك سيطروا، أعطى جرجر للملك وأخذ لنفسه قطعة في منطقته، فوضع الملك حامية في جرجر وجمع قواته لكي يخرج الأتراك من حصن منصور وكيسوم. وفيما كان الافرنج معسكرين على نهر سنجا، باغتتهم كمائن بالق وضربت معسكرهم وقبضت على الملك وابادت من معه. كما قبض على جوسلين وجران فجرعيد الصليب، وقبض عل الملك بغدوين يوم اربعاء البياض من السنة نفسها. فلما أسر ملك القدس ولم يبق فيها رئيس أو مدبر، فكر المصريون في احتلالها. فجاءوا اليها بجيشين، واحد عن طريق البحر، والآخر عن طريق البر، فكسر الله الذين جاءوا براً امام الذين كانوا يصومون ويصلون وبعد سبعة أيام من الصوم والصلاة، اندفعت من القدس حشود غفيرة، فانهزم المصريون أمامهم، لكن الذي خذلهم هو الله وليس الناس. فغنموا جمالهم ومقتنياتهم وأدخلوها الى القدس بفرح عظيم، ثم استمروا مواظبين على الصوم والصلاة مدة ٢١ يوماً. أما جيش المصريين الآخر، فقد جاء على متن السفن في البحر، فقبضوا عليهم فور وصولهم، ذلك ان الله أعد شعب البندقين الذين وصلوا تلك الأثناء للحج. فلما رأوا المصريين قادمين استعدوا للقتال. فأعطاهم الله النصر فأبادوا المصريين وأجهزوا عليهم، فتشجع أهل القدس وانضموا اليهم وغزوا صور.

بعد قبضه على الملك، غزا بالق حصن منصور فسلموها اياه سلماً، غير أن الأتراك سبوا الشعب وأحرقوا المدينة وضواحيها. غادر الافرنج جرجر فدخلها الأتراك، وسجن بالق الملك وجوسلين وبقية الافرنج في جب بحصن زياد، ونزل وانتزع حلب وحران وتل بشر من

العرب، وثلاثة حصون أخرى من المسلمين والافرنج، غير أن عصياناً أثير ضده في حصن زياد. فقد وجد في الحصن بعض الحرفيين من الأرمن متذمرين من قلة أجورهم. فانتهزوا فرصة خلو الحصن الا من نفر قليل، وهبوا بغتة وتناولوا السيوف الموجودة هناك وقتلوا حراس الباب الثلاثة، وأخرجوا الملك وجوسلين والآخرين، وقتلوا عدداً من المسلمين وسيطروا على الحصن. فتألب ضدهم سكان المدينة وحاربوهم، فانتهز جوسلين الفرصة وغادر ليلاً برفقة شخص أرمني ليحشد جيشاً ويعود بحسب قسمه للملك، ويبقوا في الحصن في حالة سيطرتهم عليه، أو يصطحبوا الملك ويغادروه في حاله فشلهم. وبعد مغادرة جوسلين، عالج بالق الأمر، فأقام اربعة منجنيقات، فسقطت الأسوار وخرج الافرنج. وبعد أن عذبوهم وقتلوا ٧٠ شخصاً منهم، اصطحب بالق الملك وابن اخته جلران وعاد سريعاً، لأنه صمم على أن يسيطر على المعمرة. فلما حاصر منبج، أرسل أهلها الى جوسلين مناشدين اياه انقاذهم من بالق وعارضين دفع الضريبة له مقابل ذلك. فجاء جوسلين واشتبك معه بمعركة استمرت من الصباح حتى المساء، قتل خلالها صاحب كيسوم المدعو بلدوين جافراً، وكان راهباً، غادر رومية الى القدس، وأبدى شجاعة قتالية نادرة فعين قائداً للجيش، واصطحبه الملك عندما جاء لحماية المنطقة، وأعطاه كيسوم ورعبن ومرعش، وانتهى بمقتله في هذه المعركة. وفي صباح اليوم التالي جاء بالق الى السور ليختار موقعاً للمنجنيق، فأصابه سهم من داخل السور وجندله فهرب جيشه الى حلب، وأقاموا ابن عمه قائداً لهم، وهو الذي حرر الملك مقابل مئة دينار، فعاد الملك بغدوين الى القدس، وعاد بعض الأتراك الى حصن زياد برئاسة سليمان زعيم قبيلة الاراتكة .

في ٢٦ نيسان عام ١٤٣١ توفي ديونيسيوس ابن المعترف وأودع كنيسة ملطية. خدم رئاسة الكهنوت ٥٠ سنة، منها ٣٢ سنة كأسقف و١٢ كمطران ملطية، و ٦ سنوات بعد أخذها منه .. لقد رفض البطريرك

اثناسيوس البقاء في منطقة الافرنج بعد أن ترك نطاكية غاضبا، ومضى الى مدينة آمد في مابين النهرين كانت ابرشية خاصة بالبطريركية، واستقرّ في دير قنقرت، وشدد الخناق على الرها بسبب ابن الصابوني، فأغلق كنيستها ومنع قرع اجراسها، فازداد الاضطراب في كنيسة الرها، وتمرد الكهنة وخاصم بعضهم البعض، وترك الشعب كنيسته وارتاد كنائس ذوي المعتقد الآخر، ومنذئذ اعتاد الرهاويون تعميد أولادهم في كنائس الافرنج. كل هذا لم يحرك مشاعر الرعاة. الحق يقال، ان أضراراً جسيمة لحقت بالكنيسة الارثوذكسية بسبب هذا الاضطراب بين الرعاة .

لما أطال مار اثناسيوس اقامته في آمد، برز له مشكل آخر نتيجة القساوة والتعنت ان نزاعاً كان قد نشب بين عائلة البطريرك المعروفة بآل كامرا وبين بعض الأعيان من عائلة قريا يسكنون بلدة قنقرت. فلما استقر البطريرك: في دير قنقرت، تنازع هؤلاء مع البطريرك حول الدور والحقول التي يمتلكونها في المنطقة، فوشوا بالبطريرك أمام الحاكم، فحرم بدوره الشماس اسحق آل قريا، فاشتد النزاع وعم الاضطراب، ولحقت أضرار جسيمة في آمد وبقية أرجاء ابرشيته، واضربت أمور البطريرك نفسه، كما سنوضح لاحقاً.

فصــل

(لقد أدرجنا هذا الفصل في نهاية هذا المقال، لأننا اقتبسناه من كتاب باللغة العربية، لذا وردت فيه أحداث جرت قبل هذا التاريخ، وذلك لسببين: الأول لأن المسلمين يعتمدون السنين القمرية. والثاني لأننا لم نعثر على الكتاب الا بعد وقوع هذه الأحداث. فلينتبه القارئ الى بقية ماكتب عن نجم الدين الارتكي الذي حكم حلب قبل بالق المذكور أعلاه، لأن بالق حكم حلب بعد موت نجم الدين. ترجم «الفصل» عن كتب عربية في آثور وبابل)

في السنة ال ٥٠٠ للهجرة، وفي عهد المستظهر خليفة المسلمين في بغداد، وغياث الدين سلطان خرسان، قتل الاسماعيلون وزيره المدعو ابو المدفر، ما قتلوا في السنة نفسها كوسدكين أحد كبار رجال السلطان. فتحرك السلطان غياث الدين وقضى على جميع الاسماعيليين المتواحدين في بلاد المسلمين. والاسماعيليون ولئن يعتبرون عرباً، لكنهم قبيلة خاصة لاتنتمي لا الى العرب ولا الى الأتراك سواء من الناحية العقائدية أو التقاليد. ويقولون عن المسيح، ولئن كان هو نفسه الذي تنبأ عنه الأنبياء، غير أنه ليس المخلص، لذا عزم اليهود على قتله فهرب الى السماء، وهو عتيد أن يأتي وينجز الخلاص. ويذكرون محمداً بالسوء ولايقبلون كتابه، ويقدمون ذواتهم للقتل دون شفقة في سبيل الانتقام ممن يعادونهم، على أمل نيل الخلاص في العالم الثاني. وفي تلك السنة ذاتها، احتل سيف الدولة صديق بن دوبيس ملك العرب، تكريت بحجة وجود شخص ديلمي ظالم شرير يدعى قباد بن رسب، هدم جامع المسلمين

الكبير المجاور للقلعة، فضج عليه المسلمون، فاغتصب كنيسة المسيحيين الكبرى وأعطاها للمسلمين. ففي سنة ١٤٣ اغتصب كنيسة تكريت الكبرى المعروفة بالخضراء بما فيها من مقتنيات ودور وحوانيت .

لما ازداد الخلف بين المسيحيين والمسلمين، وارسل السلطان غياث الدين أميراً يدعى اقسنقور، فحارب تكريت مدة سبعة أشهر، فاضطر صاحبها الى تسليمها لصديق ملك العرب ومغادرتها، ومات بعد ١٤ يوماً. ولما سمع السلطان غياث الين أن صديق بن دوبيس حكم تكريت وتمرد عليه، حشد جيشاً من الأتراك وجاء لمنازلته، فألب صديق جيشاً من العرب، فدارت معركة على شاطئ نهر قني، هُزم فيها العرب وقتل صديق ملكهم، وبذلك تكون دولة العرب قد انتهت عام ٥٠٠ للهجرة، وهو عام ١٤٣٣ي. وبعد ثلاث سنوات من مغادرة الأتراك، وهي سنة ٥٠٢ هجرية، خرج أمير يدعى مودود بسماح من السلطان غياث الدين لمجابهة الافرنج، وأعطاه الموصل والجزيرة ونصيبين وأمر معظم الأمراء بمرافقته غير أن جاولي رفض تسليم الموصل، فسلط عليها المنجنيقات وحاربها بضراوة، ويوم الجمعة حين كان المسلمون يصلون، تسلق رجاله السور ليثيروا بلبلة، فتحصن جاولي ورجاله في القلعة، فأقسم لهم مودود. فخرج جاولي ورجاله وتوجه الى نجم الدين بن أرتك في ماردين. فجمعوا جيشاً لمحاربة الافرنج لكي ينالوا حضوه لدى السلطان الكبير، لأن مودود لم يجابه الافرنج بل عاد الى السلطان. وتحالف جوسلين حاكم الرها مع جاولي لأنه أكرمه في الموصل، وتحالف رضوان حاكم حلب مع ذلك الملك، فهزم جاولي وجوسلين .. سنة ٥٠٠ هجرية انتزع الافرنج طرابلس على ساحل البحر من أبي علي بن عمرام بعد معارك طاحنة، فدخلوها وقتلوا الجنود وسبوا الشعب وكافة المنطقة وباعوهم عبيداً .. وفي تلك السنة توفي البزميش بن أرتك على أثر ضربة حصان، فاستولى الافرنج على هوزرب وقتلوا فيها ألفين وجاءوا الى منبج فاحتاوها وسلبوها، ووصلوا الى بالش وأحرقوها .

بعد عودة ابن رضوان من بغداد، رأى أنه عاجز عن مجابهة الافرنج، فأرسل لهم ٣٢ ألف دينار و٢٠ بغلا و٤٠ ثوباً اطلس. وأرسل لهم طغر لديبين اتيج صاحب دمشق عشرة آلاف دينار، وصاحب حماه، ألفين وصاحب اشقلون، اربعة آلاف وعقدوا صلحاً .. وفي عام ٥٠٥ أرسل السلطان غياث الدين جيشاً مع مودود لمقاتلة الافرنج. فلما بلغوا احتلوا عدة حصون، لكنهم فشلوا في احتلال الرها، فحاربوا تل بشر فلم يفلحوا، فجاءوا الى حلب، فلم يُؤذن لهم بالدخول.. مرض سومان صاحب دلط فأخذوه (للعلاج) لكنه توفي في الطريق.. اشتبك مودود مع الافرنج ثلاث مرات في يوم واحد، انتصر في المرة الأولى، لكنه هزم فيما بعد وهرب الى دمشق وفيما كان يتنزه بعد صلاة الجمعة ماسكاً يد صاحبه، باغته الاسماعيليون وضربوه بسكين فمات. وفي تلك السنة قتل رضوان صاحب حلب، وتولى الحكم ابنه الأخرس. وسنة ٥٠٨ انطلق جيش السلطان غياث الدين بقيادة ابنه أبي الفتح مسعود، وقاسم الدولة بن اقسنقور لمحاربة الافرنج. ولدى وصولهم الى الموصل استقبلهم تمرغ بن رسلان وزنكي بن اقسنقور. ثم جاءوا الى الجزيرة، وكان حاكمها قد عينه مودود فسلمها لهم، وانضم اليهم أهل نصيبين. وفي ماردين رحب نجم الدين غازي بابن السلطان. وأرسل معه أياز على رأس ٣٠٠ فارس، وبعد أن اجتازوا نبختان، ارسل نجم الدين من يشجع الافرنج، فعلم السلطان بذلك فقبض على ابن نجم الدين وكبله بالسلاسل وسبى بلده، ونزل الى دارا، فانتقل نجم الدين الى شهرزور وحشد جمعاً غفيراً وجاء الى ركن الدين ابن عم صاحب حصن كيفا وأخيه الآخر بالق برهم لينقذ ابنه. فوصلوا الى قورديس بالقرب من دارا، ولم يعرفوا أن أحد جيوش ابن السلطان موجود هنالك، فرأوا جماعة من الفرسان بينهم تمرغ صاحب سنجار وصاحب نصيبين وصاحب مكين، فقبضوا عليهم. فلم علم ابن السلطان بهزيمة جيشه، ترك عدرا وهرب الى نصيبين، فاستولى نجم الدين على الخيام ومافيها .

لقد انتهز ابن نجم الدين ارتباكهم، واذ خيم الظلام وليس من يهتم برفيقه، ألقى بنفسه من البغل وهو مكبل بالسلاسل واختفى في كنيس يهودي، فأخبر رجل كردي والده، فأرسل عشرة رجال ليحملوه، فكان فرح عظيم لبني أرتك. أما ابن السلطان فعاد الى والده وشكا اليه نجم الدين، فهدده السطان لاستهانته بسلطة الأتراك. أما نجم الدين فتحالف مع الافرنجَ ومع اتيج صاحب دمشق، وأقسموا على مساعدة بعضهم الآخر. ولما عاد كل الى بلده وبقي نجم الدين لوحده، جاء ايلا صاحب حمص فوجده ثملا لايعي نفسه، فحملوه الى حمص وأخبروا السلطان. واذ تأخر الجواب، أفرج عنه بكفالة، بعد أن ترك ابنه رهينة. لكنه جمع جيشاً وضغط على صاحب حمص ليطلق سراح ابنه، فطلب ذاك قوة من السلطان، فأنجده فعقدوا صلحاً وأطلق سراح نجم الدين، وغزت قوات السلطان أراضي الافرنج، فتصدوا لهم وأبادوهم، ويقال ان ثلاثة آلاف منهم أحرقوا بالنار. وفي عام ٥١٣ سلم صاحب حلب المدينة الى نجم الدين لأن الافرنج انهكوها. وفي السنة نفسها احتل الغازي نجم الدين نصيبين، ثم توجه الى حلب ليعقد صلحاً مع الافرنج، فلم يوافقوا. فجمع عدداً لايحصى من الأتراك الموالين له وبينهم ألف أمير. فلما تجابه الطرفان، لم ينتظر صاحب انطاكية وصول الملك، لذا هزم وكان النصر لنجم الدين، ولدى عودته الى ماردين سمع أن أهل حلب قد تمردوا، فأسرع وقضى على المتمردين، وفي طريق عودته الى ميافرقاط، توفي وأوصى أن يخلفه ابنه تامرطاش حسام الدين، لغياب ابنه عن ماردين اذ كان برفقته. فأتى بجيشه الى ميافرقاط حيث دفنه، وتولى الحكم فيها، فيما تولى تامرطاش الحكم في ماردين سنة ٥١٦ سنة هجرية.

ملاحظة: يجب أن يتقدم هذا الفصل الفصول السابقة، لأن بالق تولى الحكم في حلب بعد نجم الدين .

انتهى المقال الخامس عشر الذي تناول أحداث فترة ٨٠ عاماً قام خلالها عشرة ملوك في مملكة الروم، واربعة خلفاء عرب في بغداد، وثلاثة سلاطين أتراك في خرسان، واربعة سلاطين في بيثونية، وأميران في قبادوقية وثلاثة ملوك افرنج في القدس. المجد والاكرام لسيد الكل والعارف بكل شيء الى أبد الآبدين آمين

المقال السادس عشر

يضاف هذا المقال الى النسيج ويبدأ بسنة ١٤٤٢ وهي السنة ١١١٢ لميلاد مخلصنا، والسنة ٥٠٩ لدولة العرب، والسنة ٧٠ للآتراك. وهي السنة ٦٦١٠ لآدم أي منذ بدء العالم

الفصل الأول

في حصار ملطية، وشؤون كنسية وعالمية أخرى

كانت أحوال الكنيسة في هذه الفترة التي نتحدث عنها مستقرة، بسبب محاصرة اليونان الخلقيدونيين في بحر بنطس، وتولي الحكم أبناء ماجوج بأمر من فوق (السماء) الأمر الذي شغلهم عن اضطهاد الارثوذكسيين كما اعتادوا أن يفعلوا بغية افسادهم في هرطقتهم. وفي الوقت الذي كانوا محاصرين في البحر كما قلنا، كانوا يراسلون أبناء عقيدتهم في مناطق سورية ليهتموا بمن ينضم اليهم. وكان رعاتنا وكهنتنا في منأى من الأذى لدى الافرنج أي الرومان الذين سيطروا على انطاكية والقدس. وكان لهم كما أسلفنا، رؤساء كهنة في مناطق نفوذهم، لأن الافرنج ولئن اتفقوا مع اليونان في عقيدة الطبيعتين، الا أنهم يختلفون عنهم في كثير من قضايا الايمان، وبعيدون عنهم جداً في التقليد، كما سنوضح لاحقاً في المكان المناسب. وما نود الحديث عنه هنا هو: ان الافرنج، لدى سيطرتهم على فلسطين وسورية، كان لهم رؤساء كهنة في كنائسهم، غير أنهم لم يضغطوا، بسبب العقيدة، فعندهم ان كل من ابناء المعتقدات الأخرى من المسيحيين الذين يتكلمون بلغات مختلفة. وعندهم

ان كل من يسجد للصليب هو مسيحي دون نقاش أو جدال. أما الأتراك الذين سيطروا على عدة بلدان، فلم يعرفوا شيئاً عن اسرار المسيحية، لابل ان المسيحية في نظرهم هي ضرب من الضلال. لكنهم لم يسنوا أي قانون يعاقب الذين يختلفون عنهم في الدين، ويخول اضطهاد أي شخص بسبب عقيدته، كما كان يفعل الشعب اليوناني الهرطوقي الشرير .

نتحدث في مطلع هذا المقال، عن حصار ملطية، لأن نسيج الاحداث في المقال السابق امتد الى فترة وفاة بالق الذي باسمه حافظ ابن السلطان على ملطية. في حين وزعت البلدان التي كان يسيطر عليها بالق على عدة أسياد، فأخذ تامرطش حسام الدين حلب. وأخذ سليمان حصن زياد. واخذ سلطان ملطية، مرا وجرجر. وبسبب ذلك نشب نزاع بين صاحب حصن زياد وصاحب ملطية، الأمر الذي مهد الطريق أمام الأمير غازي بن طونشمان صاحب سبسطية، للسيطرة على ملطية والتحالف مع صهره السلطان مسعود. فحشد جمعاً غفيراً وهجم على ملطية يوم الجمعة ١٣ حزيران سنة ١٤٣٦ وسلبوا المنطقة بأسرها وحاصروا المدينة مدة شهر، ثم عاد غازي وترك ابنه محمد والجيش في قرية بسامن القريبة من المدينة، وأوصاهم بضربها يوميا وبخاصة الأبواب، لئلا يدخل أحد منها أو يخرج، فتضايق السكان من ضراوة الجوع، وارتفع سعر كيل الحنطة الى ٣٦ ديناراً، وأخيراً نفذ الطعام كلياً، فصاروا يأكلون أوراق الأشجار وقشور الخشب الرطب، وحتى القطط والحمير كانت تؤكل حيثما توجد حية أو ميتة، وكان الدم يُشرب. وكانوا يمضغون الجلود غير المدبوغة وحتى جلود الدروع وغيرها. فقد ضربت المدينة المنكوبة بثلاث ضربات فمن الخارج، بالسيف الذي كان يجهز على كل من يهرب أو يخرج. والجوع الذي لايطاق، ومن الداخل، الحكام الطغاة الذين كانوا يذيقونهم مر العذاب في السجون بغية جمع المال. والحق يقال: انه لمشهد مريع أن يُرى الأطفال يموتون جوعا أمام والديهم العاجزين عن اسعافهم وحتى عن البكاء عليهم ودفنهم. وكان الشيوخ والعجائز يرمون في الشوارع كما

تُرمى الحجارة، فسيموتون وقد ترهلت اجسادهم وانتفخت وبحت اصواتهم، ولم يكن من يسعف حتى بكأس ماء. ترى من يستطيع أن يتحدث عما جرى آنذاك دون أن تخنقه العبرات ؟

لقد خرج حاكم المدينة ليلا واستأجر الافرنج بثلاثين الفا، وبعد أن تعهدوا له بالمجيء، تخلفوا متذرعين بانشغالهم في حصار حلب. وان اليزابيت الثانية والدة الحاكم، ألقت في السجن جميع الأحرار وكل من يُعتقد بأنه صاحب مقتنى، فكانوا يُعذبون بلا رحمة وسلب أموالهم، ثم قرر الحكام القضاء على كافة المسيحيين بحد السيف، وترك المدينة خالية لكي يهملها الأتراك. واذ لم يبق للمؤمنين أمل (في النجاة)، اشفق الله وابتسم لتلك القلة من المؤمنين .

ففي ليلة الأربعاء العاشر من كانون الأول سنة ١٤٣٦ دب الخوف بغتة بين صفوف الأتراك، فخرجت الخاتون وابنها وأتباعها الأتراك، ودخل الأمير غازي ورأى المدينة خالية من السكان باستثناء نفر ضئيل كانوا وكأنهم خارجون من القبور، فشجعهم وأعلن الحرية للموجودين وللذين سيعودون اليها، وأعطى الفلاحين حنطة ليزرعوها، جلب بقراً وثيراناً وغنماً ، فأخذت المدينة تنتعش، وفي تلك السنة توفي سليمان في ميافرقاط، فتولى الحكم فيها اخوه تامرطش حسام الدين صاحب ماردين، وحيث ان حصن زياد كان تحت امرة سليمان المعروف بشمس الدولة، حاول الأمير غازي السيطرة عليه، غير ان الأمير داود، وهو سلالة ارطوس، سبقه اليه، ماحدا الأمير غازي أن يسبي أهالي منطقة هنزيط ويأتي بهم الى منطقة ملطية، ثم كرر غزوه وسبى من كان موجوداً هناك، واحتل مسراً. فجاء داود لمحاربته، ولما أدرك انه ليس بمقدوره مجابهته، هرب بعد أن أضرم النار في قرى منطقته .

وفي تلك السنة عينها، توفي الخليفة المستظهر في بغداد، وخلفه ابنه المسترشد، كان امير عربي يدعى صديق قد تحالف مع الأراتكة. فلما دخل الخليفة دار والده، طرد المطربين وحرق آلات الطرب أمام الباب، كما طرد ثلاثة آلاف امرأة غانيات، اعتدن على معاقرة الخمرة مع والده. وقد أثار هذا الاجراء ضجة في صفوف المسلمين وقالوا: ان المؤتمنين على الايمان يمارسون الفسق سراً، وهذا سر ادالة دولة العرب ولكي يأخذ الأمير صديق بالثأر، شن حرباً ضد الخليفة واتهمه بالفسق هو الآخر، في حين وقف الأتراك الى جانب الخليفة ضد دوبيس بن صديق، فغضب وترك المسلمين والتجأ الى الافرنج، وجاء بهم الى حلب ليحتلوها ويسلموها له. فحشد بورسوقي جيشاً لمجابهة الافرنج، فعاد الافرنج الى منطقتهم، فتشجع بورسوقي ودخل حلب اعتقاداً منه بأن الافرنج هزموا أمامه، وجاء ليحتل عزاز غير أن ملك القدس الب جيشاً من الافرنج وخاضوا حرباً مع بورسوقي فدمروا معظم قواته، في حين نجا وهرب الى حلب مع نفر يسير .

شوهد في هذه السنة كوكب هائل وطويل جداً امتد من الجنوب الى الشمال، عرضه بعرض رقبة الحصان. ودام مدة شهرين .. وفي سنة ١٤٣٥ شوهدت كواكب تتناثر، واستمرت من الهجمة الثالثة ليلا حتى الصباح. في سنة ١٤٣٦ حدثت مجاعة كبرى في المشرق .

فصــل

في انتزاع الافرنج مدينة صور مع ساحل البحر من العرب المصريين. وبقية الأحداث التي جرت في العالم في هذه الفترة

لئن لم تسنح فرصة لليونان الأشرار ليوقعوا بالأرثوذكسيين كما كانوا يفعلون سابقاً، غير انهم لم يكفوا عن خبثهم. فقد كان بطاركتهم في البلدان الاسلامية يحركون ضد السريان والأقباط والأرمن كالحية التي رضَّ رأسها فحركت ذنبها فقد اعتادوا في كل من سورية وفلسطين وارمينيا ومصر، أن يحرضوا، ما استطاعوا الى ذلك سبيلا، ضد بطاركة وأساقفة شعوبنا الثلاثة أي نحن السريان واخوتنا الأقباط والأرمن، وحتى ضد النوبيين والأحباش اذا سنحت لهم الفرصة. كما حارب النساطرة في فارس وآثور الارثوذوكس. وفي انطاكية والقدس، كان اليونان عشاق الشر، يحرضون رؤساء كهنة الافرنج ضد جميع الارثوذكس على حد سواء. أما في منطقة نفوذ الأتراك، فان الكنيسة كانت مرتاحة نوعاً ما من أذى الخلقيدونيين، رغم حدوث بعض الشيء من هذا القبيل. غير أن الايمان ضعف في الكنيسة بسبب نزاع البطريرك مع ابن الصابوني وثلاثة من الأساقفة الشيوخ، منهم ابن المعترف الذي أبعده عن ملطية، وأسقف قليسورا وأسقف طور عبدين، حيث انه أوقفهم عن الخدمة، لابسبب الهرطقة أو تعدي الشريعة، بل لأنهم استهانوا به. ورفض كل الالتماسات التي قدمت لأجلهم وماتوا دون أن يعيدهم الى الخدمة .

بعد انتصارهم على المصريين، جاء البندقيون برئاسة دوكس الى عكا عن طريق البحر، وحاصروا صور الواقعة في قلب البحر وحاربوها بتحريض من بطريرك الافرنج في القدس. وفي هذه الأثناء نجا بغدوين

الملك من يد الأتراك بفدية مقدارها مئة الف دينار .. وفي سنة ١٤٣٧ عينها، قتل الافرنج صاحب حماه في كفر طاب، وانتزعوا جبله من ابن عمار .. وجاء ملك القدس لنجدة البندقيين ضد صور، فسلم المصريون صور الى طنغديبين صاحب دمشق، فجاء لمحاربة الافرنج، والتقوا في مرج صفر أي مرج النحاس، فدحروه ودمروا جيشه فهرب الى دمشق باليسير الذي تبقى معه، ووجهوا أنظارهم نحو صور وحاصروها وحاربوا براً وبحراً وبكل صنوف الأسلحة واحتلوها في تلك السنة. وفي السنة نفسها، قادم بورسوقي الافرنج للمرة الثانية فاندحر وهرب، ثم أعاد الكرة للمرة الثالثة فجاءه بغدوين ملك الرها فدمر ١٢ الفاً بأزر من الله .

بعد ان احتل الأمير غازي ملطية، حشد الملك عرب ثلاثين الفاً، وجاء ليحارب أخاه مسعود لامتناعه عن مساعدة اخيه في ملطية، فتركها لغازي وهرب الى القسطنطينية والتجأ الى ايواني ملك الروم. فاتجه الملك عرب الى ايقونيون عاصمة أخيه السلطان مسعود. اما ايواني فرحب بمسعود بحرارة ونفحه بالمال، فغادر وجاء الى الأمير غازي وقاتل كلاهما الملك عرب الذي التجأ الي اروس الارمني في قيليقية. وفي صيف عام ١٤٣٨ نصب عرب كميناً من الأتراك والأرمن وقبض على محمد بن غازي، فجاء الأمير يونس لمجابهة عرب فهُزم وقبض عليه. ثم جابه غازي فهزمه فبادئ الأمر، الا انه صعد الى رابية ونصب فوقها خيمته وأمر بنفخ ابواق النصر ليوهم بهزيمة عرب. فلما اطلقت الأبواق وشاهد الجنود خيمته التم شمل قواته، وعندما حل الظلام، تبدت قوات عرب، فطاردهم غازي واستولى على خيامهم وخيولهم، ووصل الى قومنا وانقورا وحاربهما بضراوة واحتلهما وحرر ابنه محمد المعتقل هناك. غير ان عرب استطاع أن يحشد جيشاً ويستحل عدة مناطق. ووجد في أحد الحصون التي احتلها، واحداً من اولاد غازي يدعى يغين فقتله، فثارت ثائرة غازي فتوجه بجيشه لمجابهة عرب، فهزم عرب

والتجأ الى اليونان .. جرت هذه الأحداث بين الأتراك لحقد بعضهم على البعض. وكثيراً ماكانوا يلتجأون الى المسيحيين .

سنة ١٤٣٨ نفسها جاء موند بن مامن رومية وتولى الحكم في انطاكية. وكان والده الذي يحمل نفس الاسم، من أوائل الذين تولوا الحكم في هذه البلاد. واذ كان موند متعجرفا، حاول السيطرة على الافرنج كافة، فسبب انقساماً وحروباً بينهم، فانتهز جوسلين الفرصة وسلب كل ماوجده في منطقة انطاكية باستثناء الناس، الأمر الذي اغضب بطريركهم، فأغلق الكنائس وأبطل القرابين والصلوات وقرع الأجراس، وأمر بعدم دفن الموتى. فاضربت الأمور فاضطروا الى المصالحة فأعاد جوسلين ماكان قدسلبه .. وفي عام ١٤٣٩ تصدى الأتراك للافرنج في صحراء حلب استعداداً للقتال. لكنهم تراجعوا وتعهدوا بدفع ١٢ ألف دينار سنوياً لجوسلين، وعقدوا صلحاً. ثم غرر الأتراك في البعض في عزاز، فسقوا السم لجوسلين وستة من فرسانه، فمات الفرسان وأنقذ الأطباء والعناية حياة جوسلين، فقتل الذين دسوا له السم مع أولادهم .. في السنة نفسها دخل ايواني ملك اليونان اراضي الهنكاريين واخضعهم .. وفيها هجم السلطان سليمان، الذي حكم حينا ملطية، ونهب بعض ضواحي المنطقة وعاد ثم يظهر .

وفي آب سبى الأتراك اللئماء منطقة ملطية فلحق بهم داودمن حصن زياد ووجه اليهم ضربة وأعاد السبايا .. وفي السنة عينها مات السلطان الأعظم غياث الدين الذي تميز بالجمال والعدالة والانتصارات، وساد السلام في عهده. فخلفه أخوه سنجر بن ملكشاه وابنه محمود .. وفي سنة ١٤٤٠ دخل جوسلين منطقة آمد، وأباد الأتراك والأكراد في جبل شوما، نهب القرى حتى بوابة المدينة. ولما دخل الأتراك منطقة الرها بصحبة جوسلين، دخلت قواته الى آمد. وكان آنذاك في حوزة حسام الدين صاحب ماردين، فارسان افرنجيان شهيران، أحدهما يدعى ابن

نول والآخر جلارات ولم يشأ أن يقتلهما، غير أن برسوق هدده بتخريب بلاده ان لم يقتلهما، فقتلهما. ثم ورد نبأ مفاده ان اسماعيلياً ضرب برسوق بسكين وهو يصلي يوم الجمعة في المسجد، فلم تخترقه لأنه كان لابساً درعاً. فلما قبض على الاسماعيلي، اشار الى زميلين له أن يطعنا برسوق من تحت فطعناه في نهاية بطنه فمات. فندم حسام الدين علة قتله الفارسين الافرنجيين .

كان شتاء عام ١٤٣٨ قاسياً جداً، فنفقت البهائم والحيوانات، وحدثت بعض هزات أرضية في شباط. وفي تشرين الثاني عام ١٤٣٩ حدثت هزتان في النهار وأخريان في الليل، وظلت الأرض تتمايل أربعين يوماً وليلة. وشوهد كوكب منير في الساعة الثامنة من النهار ثم صار كالدخان وسقط .. وخلال كانون الثاني واذار ونيسان سنة ١٤٤٠ ظهر في الجهة الشمالية مايشبه النار على هيئة اعمدة ينبعث منها النور باتجاه الجنوب.

فصــل

في مصرع موند صاحب انطاكية. ووفاة اثناسيوس بطريرك انطاكية. وسائر الشؤون الأخرى العالمية والكنسية

لقد حظر الحاكم على البطريرك مغادرة آمـد، لايقافـه اسـحق بـن قريا عن الخدمة وعدم اكتراثه بالتماس العفو له عدة مـرات، وقـد حضـر شخصياً الى دير قنقرت طالباً العفـو لاسـحق فلـم يذعـن، غيـر أنـه أطفـأ غضب الأمير بالذهب. وان الشماس اسحق هو الـذي أشـار علـى الحـاكم ليمنع البطريرك من مغادرة آمد، قائلا له: انه رجـل شـيخ لـن يطـول بـه الأرجل، وبامكانه حينذاك الاستحواذ على جميع ممتلكاته. لكـن البطريـرك شعر وهو في آمد، كأنه في سجن، لـذا سـأل جوسلين صـاحب الرهـا ان يطلب له الاذن من حاكم آمد بمغادرتها. فهدد جوسلين بدمـار المدينـة ان لم يدع البطريرك ان يغادرها، فأذن له بمغادرتها مرغمـاً. فتوجـه للسـلام على جوسلين، ومن ثم شخص الـى ديـر مـار برصـوم. وفيمـا كـان يقدم الذبيحة الالهيـة يـوم عيد العنصـرة، ولـدى تلاوتـه صـلاة «دعـوة الـروح القدس» بدا عليه الضيق وتغير لون وجهه وطـار صـوابـه، فاجلسـوه علـى الكرسي، واكمل مطـران جرجـر القـداس، ثـم عـادت اليـه عافيتـه، فرسـم مطرانـاً لسجستان. وبعـد مـرض دام سـبعة أيـام وافـاه الأجـل فتوفـي فـي الساعة الثالثة من يوم السبت ٨ حزيران سنة ١٤٤٠ واودع جثمانه مدفـن الدير .

على أثر وفاة طنجد بين حاكم دمشق وخلفه ابنه تاج الملوك أبـاه، غزا الافرنج دمشق سـنة ١٤٤١. فحـذر حاكمهـا أهـل قلسـويا مـن تقديـم القوت للافرنج، وكانوا قد ارسلوا الفاً من المشاة مع خيول لجلب حـاجتهم

من المؤونة، فكمن لهم الأتراك في الطريق وابادوهم. فاضطروا أن يتقاضوا من صاحب دمشق عشرين الف دينار، ويعقدوا صلحاً معه ويعودوا الى بلدهم، شريطة أن يقدم لهم هذه الضريبة سنوياً .. وفي تلك السنة توفي طوروس الأرمني حاكم قيليقية فخلفه أخوه لبون فتنازع معه بوهيموند حاكم انطاكية .. بعد أن انتصر الأمير غازي على الأتراك في قبادوقية وانفرد بالحكم، ذهب الى منطقة ساحل البحر التي كان يحكمها شخص يوناني يدعى قسينوس، فخرج طوعاً للالتقاء بغازي وسلم اليه كافة حصون ساحل بحر بنطس، فأعطاه منطقة في بلاده وضمه الى جيشه.

واذ قويت شوكة الأمير غازي وسمع بموت طوروس، أرسل جيشه لمهاجمة قيليقية، فوصلت في الوقت ذاته وصل الأتراك من جهة، والافرنج من جهة أخرى دون أن يدري الواحد بالآخر، فاستهدف الاتراك والافرنج الأرمن، كل من جهته فلما وصل الأتراك الى منطقة عين زربا، ولم يكن مع كيموند سوى عدد قليل من الفرسان، بدأوا المعركة. وبعد سقوط عدد من القتلى بدا التعب على الافرنج. فصعدوا الى رابية، فأحاط بهم الأتراك من جميع الجهات وقضوا على جميعهم بما فيهم كيموند، ولما تعرفوا عليه، قطعوا رأسه وأخذوه مع سلاح الافرنج وعادوا. لقد سيطر لبون على قليسوريا وأباد عدداً من الافرنج. ثم أخذوا رأس كيموند الى الأمير غازي فسلخه وأرسله مع مختلف الأسلحة والخيول الى الخليفة في بغداد، فأكرمه الخليفة كثيراً .

في تلك السنة، أعطى سلطان خرسان الموصل لابنه برسوقي، نظراً الى حنكته وعلمه كما قيل. وكانت له خبرة في النسيج والبناء، وكان مقاتلا شجاعاً وجباراً ذا بأس، لكنه لم ينجح، لان النصر يأتي من فوق، ولم يدم حكمه أكثر من ثلاثة أشهر، حيث أدركه الأجل وهو في رحبوت، ويُعتقد انه اغتيل بالسم. ثم جاء مسعود بن اقسنقور الى رحبوت

وأثار حرباً ضدها، وتوفي مسموماً .. احتل جوسلين رأس العين، وأباد عدداً كبيراً من المسلمين، كما غرق بعضهم، وسبى ماتبقى من الرجال والنساء .

سنة ١٤٤١ ولد أربعة توائم، وبعد عشرة أيام ماتوا فجأة وبنفس اللحظة واليوم .

فصــل

في مغادرة زنكي بغداد وتوليته الحكم في الموصل، وتولي جوسلين الحكم في انطاكية. وتنصيب البطريرك يوحنا

في تشرين الثاني من سنة ١٤٤٢ شوهدت في الجهة الشمالية كتل نارية ملتهبة وكأنها جبال، ثم تحولت الى هيئة أعمدة. وفي الوقت نفسه، سقط كوكب هائل رهيب وأثار ضجيجاً كأنه زلزال .

بعد وفاة مسعود بن برسوقي، عُين الوالي الموجود هناك ويدعى جاولي وهو من ضباط السلطان الأعظم، فنهب معظم أموال خزينة حاكم الموصل وأنفذ رسالة الى السلطان بواسطة القاضي بهاء الين الشهرزوري الذي رافقه الأمير صلاحٍ الدين محمود بن أيوب: قال فيها، الأفضل أن أبقى هنا باعتباري موالياً لك. فلما وصلا الى بغداد وقبل مثولهما أمام السلطان، التقى بهما شخص بارز يدعى نصير الدين جور بن يعقوب من ابناء جلدة صلاح الدين، فلما أطاعاه على مهمتهما، اشار عليهما أن يطلبا زنكي عمر الدين اتيج لأنه قريب السلطان ومقرب اليه، وهو معروف وجدير بالحكم، فأخذا برأيهما فاجتمعا بزنكي، فاقسم لهما بأنه سينفذ كل رغباتهما. فطلب القاضي أن يبقى القضاء في الموصل له ولنسله طيلة حكم آل اتيج، وان يكون قضاة جميعِ المناطق التي ستكون تحت امرته، خاضعين له. فأقسم له بذلك معززاً قسمه خطياً. أما صلاح الدين فطلب أن يكون حاجبه لخاص، وطلب أن يكون نصير والياً في الموصل وتسري أوامره على الولاية برمتها. وبعد أن ثقلوا حاشية السلطان بالهدايا، مثلوا أمامه. وأعطي زنكي الرئاسة من قبل السلطان والخليفة، ثم غادر بغداد تحميه ثلة من الجند. ولدى اقترابه من الموصل سبقه القاضي بهاء الذين

والأمير صلاح الدين وقالا لجاولي: حيث اننا لم نفلح في توليتك على هذه المناطق، لذا حصلنا على أمر بتعيينك والياً على هذه القلعة وستسري سلطتك على كافة المناطق، لذا حصلنا على كافة المناطق، وقد أمر السلطان بأن يكون زنكي اتيج أبنك قائداً لجيشك. فرضي، ففتحت أبواب المدينة والقلعة أمام زنكي، فدخل الموصل وتولى الحكم فيها سنة ١٤٤٢، ثم صعد واستحل الجزيرة، وهكذا أخذت سلطته بالتوسع شيئاً فشيئاً كما هو مدون بحسب التسلسل الزمني. ولقد نفذ عهده كاملا لكل من بهاء الدين وصلاح الدين ونصير الدين وزين الدين .

في تلك السنة وصل الملك من القدس الى انطاكية بعد مقتل صاحبها بيموند، كما وصل جوسلين من الرها، وذلك لكي يسيطروا على انطاكية. فأغلق أهلها الأبواب، وتركوهما خارجاً. وبعد أخذ ورد استغرق عدة أيام، وافقوا على أن تكون المدينة تحت حماية جوسلين ريثما يتزوج ابنة بوهيموند، فيتولى زوجها رئاسة المدينة. وفيما كان الافرنج محيطين بانطاكية، جاء زنكي صاحب الموصل وسبى منطقتي تل بشر وانطاكية، وضرب الأتراك وقتل من استطاع أن يدركهم، ودخل منطقتهم وأباد الكثيرين واحتل حصنين.. وفي السنة نفسها خرج ايواني ملك اليونان لمحاربة الأتراك، وبنى مدينة على ساحل البحر. وفيما كان يستعد لمجابهة الأتراك، تآمر عليه أخوه وبعض الزعماء، فاكتشفهم وأمر بالقبض عليهم، فهرب أخوه الى الأمير غازي فرحب به وأكرمه كثيراً، وارسله الى جبراس في طربزنطا. وعاد الملك الى القسطنطينية ونفى المتآمرين عليه.. هجم الأمير غازي على سيمندو التي كانت تحت امرة اختته وانتزعها منها، ثم توجه الى قيليقية لمقاتلة لبون الأرمني فاحتلّ حصنين. وتنازل لبون واقسم بأنه لن يدخل مناطق غازي أو يرسل اليها لصوصاً، وانه سيدفع له ضريبة سنوية، فوثق به وتركه وشأنه. غير أن لبون نكث بقسمه ولم يدفع شيئاً. فجاء الأمير غازي الى ملطية وزاره صهره السلطان مسعود واسحاق شفيق ملك اليونان الذي عاد من لدن

جيراس. وأمضوا الشتاء هناك. ثم ذهب اسحق عند لبون، فزوج لبون ابنته من ابن شقيق الملك وأعطاه مدينتي المصيصة وأدنه. ولكن شجاراً نشب بينهما فيما بعد، وأخذ لبون من اليونان كل ما كان لهم، وهرب اسحق وابنه لدى السلطان مسعود .

توفي مقاريوس بابا الاسكندرية في نفس السنة التي توفي البطريرك اثناسيوس. وعندما نعي البطريرك للرها، اجتمع الاكليروس لتجنيزه بحسب المألوف. وفيما كان ابن الصابوني متشركاً في الصلاة، سقط وطار صوابه فأخذوه الى قلايته حتى عاد اليه صوابه. وفيما كان المجمع ملتئماً في كيسوم، وصل الى الرها وتوفي دون ان يعاد الى الخدمة. رئس المجمع حينذاك ديونيسيوس اسقف كيسوم. ولدى الاقتراع وقعت القرعة على يوحنا المعترف رئيس دير الدوابير في كورة انطاكية. وذهب اسقفان لاحضار المنتخب، وفي هذه الاثناء توفي ديونيسيوس أسقف كيسوم، فترأس المجمع المفريان ديونيسيوس الشيخ، وشخص الأساقفة والمفريان الى تل بشر بمساعدة جوسلين الذي تكفلهم، وتمت رسامة البطريرك يوحنا رئيس الدير يوم الاثنين من الأسبوع الثاني الكبير ١٧ شباط. ووضع عليه اليد المفريان ديونيسيوس في كنيسة الافرنج الكبرى بحضور جوسلين وكبار رجاله. وبتوسط جوسلين أصدر البطريرك والمجمع حلا لابن الصابوني واسقف سجستان الذي كان البطريرك قد انزل به الحرم لتركه ابرشيته، وقرر في حينه أن لايقبل في الكنيسة وبعد حله أعطي كرسي سيمندو الشاغر، وبعد فترة وجيزة طرد من هناك. وظل دون ابرشية طيلة حياة مار يوحنا. ولكن بعد وفاة البطريرك، اشفقوا عليه وأعطوه ابرشية ارشميشاط وصمحا، وذلك خلال رسامة البطريرك خليفة مار يوحنا، ولكن سرعان ما نبذ من هناك أيضا فأخذ يتجول من مكان الى آخر حتى وصل الى القدس، ولم يمكث في ديرنا سوى فترة قصيرة حيث لحق بالافرنج المعروفين ب «الفرير» وأخيراً سقط في التنور ومات حرقاً، فصار عبرة للذين يستهينون بقوانين

الكنيسة المقدسة، والذين يتواقحون في حالة حرمهم. وكـان البطريـرك قـد قال له: اذا تركت ابرشية سجستان، فلن تستحق الدفن .

فصــل

في وفاة جوسلين الأول وقيام ابنه جوسلين. ومختلف الأحداث التي جرت في هذه الفترة الكنسية وبين الملوك

سنة ١٤٤٣ شوهد قوس قزح ليلا. وفي السنة نفسها تكالبت الكلاب في عدة بلدان وألحقت أضراراً بالناس والبهائم يقول المنجمون ان تكالبها يزداد حين مشاهدتها ظل الكوكب المعروف ب «كلب الجبار» (الجوزاء) ويقول الأطباء، ان ما يسبب هذا المرض نبات يسمى «مُر الصحارى»...

سنة ١٤٤٤ حدثت هزة أرضية ليلة ٣ شباط. وفي ٢ آب حدث كسوف وفي أيلول حدثت هزة أرضية في النهار وفرقعة في المساء، وظهرت علامة رهيبة شبه النار. وبعد سنتين من هذه الأحداث شحت الأمطار وتفشت المجاعة في عدة أقطار لاسيما في جزيرة قبرص. وبسبب الجوع سُمح للمسيحيين أن يأكلوا في الصوم الكبير .. في فترة كسوف الشمس قتل أربعون فارساً من الفرير مع أربعمائة تاجر فارسي من المسيحيين، يوم عيد مار ثاودورس فتجمدوا بالثلج وماتوا .

توجه جوسلين الى حصن يقع بين حلب ومنبج، يسكنه بعض المسلمين يمارسون أعمال اللصوصية، وفيما هم يحفرون تحته، دخل جوسلين ليشاهد عملية الحفر فسقطت عليه الأنقاض وطمرته، فأخرجوه حياً وأخذوه الى تل بشر. فيما هو هناك، جمع الأمير غازي الأتراك الى منطقته، فحشد هو الآخر الافرنج، فحملوه على سرير وخرجوا ليتصدوا للأتراك، فتوفي في الطريق. ولدى سماعه بوفاة جوسلين، أبدى غازي

عزة نفس فتراجع عن الحرب وارسل وفداً للتعزية وكتب الى الافرنج يقول: لن أحاربكم اليوم لئلا يقال اني هزمتكم بسبب وفاة ملككم. فبامكانكم ان تنظموا اموركم بتؤدة، فتقيموا لكم رئيساً. بمقتضى قوانينكم، وتدبروا شؤونكم بسلام، دون ان تفكروا من ناحيتي وناحية جيشي.

لقد غضب ملك اليونان على الأتراك والأرمن، فأباد عدداً كبيراً من الأتراك على ساحل البحر واحتل حصنين. وتآمر عليه كبار رجاله مرة أخرى وأرسلوا بطلب أخيه ليسلموا له السلطة، فعاد مسرعاً. أما الأتراك فاستطاعوا أن يصلوا الى زوسوبوليس لكنهم لم يفلحوا في فتحها بسبب الجوع الذي أصابهم، فنهبوا المناطق المجاورة وعادوا. وأخذ الأمير غازي السلطان مسعود معه وتغلغل الى ساحل البحر، وحاصروا حصناً يدعى زينين. واذ فشلوا في احتلاله، أخذوا أربعة آلاف دينار من الروم الموجودين فيه وعقدوا صلحاً. وفي هذه الأثناء خول خليفة بغداد وسلطان خرسان غازي أن يكون ملكاً على الشمال، فلقب بالملك غازي.. على أثر خلف نشب بين الافرنج وجوسلين الثاني، تأهبوا لحجزه، ثم زال الخلف الى حين، وتجدد بسبب رغبة جوسلين في تولي الحكم في انطاكية بدلا من والده، في حين رفض السكان والبطريرك ذلك لانهم ارادوا اعطاءها لابنة بوهيموند .

سنة ١٤٤٤ صعدت قوات زنكي صاحب الموصل الى الرها، فتصدى لها الافرنج وهزموها .. في هذا الوقت، طلب الأمير الأرتكي محمد شمس الحوجب، الذي يكره المسيحيين، من حسام الدين صاحب ماردين أن يعطيه منطقة نبختان ليقاتل الافرنج، وقد اعتاد على غزو منطقة الرها. فلحق به ستمائة فارس افرنجي وقتلوا الف تركي وقبضوا عليه وأحرقوه عند باب الرها. ثم احتل جوسلين حصن نبختان ودمره. وفيما كن الأتراك محتشدين في منطقة حلب، باغتهم جوسلين، فانسلّوا الى منطقة تل بشر وسبوها. فتصدى لهم ٧٠٠ فارس تركوا لحماية

المنطقة، فكمن لهم الأتراك وقبضوا على جمعيهم، ثم تغلغلوا في أراضي الافرنج وسلبوها دون أن يقاومهم أحد، لانقسام الافرنج على ذاتهم.. لقد تحرك ايواني ملك اليونان أيضاً ودخل منقطة انطاكية فتصدى له جوسلين وأباد معظمهم، غير انهم احاطوه، وبالكاد تمكن من الافلات ودخول الحصن. فنهبوا تلك المنطقة وجبل المنطقة وجبل لبنان وحاصروا الحصن، فتضايق الافرنج الذين في داخله من الجوع والعطش. ثم وصل ملك القدس فهرب الأتراك. وحاصر الملك حصن قوصيير بجوار انطاكية واحتله عسكرياً. ومن هناك اجتاز الى منطقة عام حيث احتشد الأتراك كالرمل. فخاف منهم الملك، وتعهد بالاتفاق مع جوسلين الذي كان يخشى اللقاء به، ثم أخذ الافرنج ينهزمون أمام الأتراك لكي يستدرجوهم الى الصحراء. فلما هموا بالقتال، ترجل الملك وجوسلين واعتذر الواحد للأخر عن النزاع الذي نشب بينهما. فكان الله معهما. فضربوا الأتراك ضربة قاضية وطارداهم حتى الحصن، وعاد الملك والشعب، وفي منتصف الليل وصل جوسلين، وعاد الملك غازي الى قسطونا واحتلها عسكريا وقتل من كان فيها من اليونان . فتألم الملك ايواني جداً، فخرج بعزم ولكن دون جدوى، حيث فاجأه نبأ وفاة زوجته ومرض ابنه وولي عهده، فعاد أدراجه الى عاصمته .

بعد رسامة البطريرك مار يوحنا، نشب خلف بين اساقفة المجمع، لأن المفريان ديونيسيوس أراد توسيع منطقة نفوذه، فعارضه الأساقفة، فغادر غاضباً ووصل الى آمد وهو يهدد باقامة بطريرك آخر وعزل الذي انتخب حديثاً. بيد أن الرب الذي يرعى كنيسته ويمحق الأفكار الهدامة، خلق له مشكلة مع صاحب آمد الذي قرر القبض عليه، وبالكاد استطاع التملص. وعاد الى ابرشيته ولم يعد يحرك موضوع النزاع .

في الاسكندرية بمصر، قام كيرلس بعد مقاريوس، وبعد وفاته التي حلت في سنة وفاة البطريرك اثاسيوس، رسم ثاودورس الذي اكتشف

فيما بعد بأنه هرطوقي من اتباع يوليان الخيالي الشقي، فعزل ونصب ميخائيل بطريركاً على كرسي مصر، وخلفه البطريرك جبرائيل وهو عالم وكفء ومتضلع من اللغة العربية. فلما رأى ان الشعب المصري كله يتكلم العربية منذ سيطرة العرب، اهتم بنقل العهدين القديم والجديد والكتب الطقسية الكهنوتية الى اللغة العربية، لكي يفهم السامعون مايتلى من الكتاب المقدس. عقد البطريرك يوحنا مجمعاً في دير مار برصوم، وعزل المطران يوحنا بن اندرواس لأنه لم يرحب به لدى مروره بابرشيته، فاستاء الجميع لأن تصرف المطران لايستوجب العزل، بل التقويم فقط، وبالقصبة لابالحربة .

فصـل

في تولي بيدوي الحكم في انطاكية. وموت بغدوين ملك القدس وتولي صهره فوقا الحكم. وموت الملك غازي التركي وخلافة ابنه محمد اياه، وتولي زنكي الحكم في حلب، وغيرها من الأحداث

سنة ١٤٤٥ غزا جراد الرها ومنطقتها، فالتجأ المسيحيون بالقديس مار برصوم. وأتوا بيمينه، فحصلت المعجزة، اذ أن الجراد رحل دون أن يلحق أضراراً. فأوغر الحسد صدور اليونان كعادتهم السيئة وحرضوا بابا الافرنج ليفتح الصندوق للتأكد من وجود اليمين، وامتنع الرهبان من فتحه خشية أن يلحق الغضب بالمنطقة. فادعى اولئك بان الصندوق فارغ، فاضطر الرهبان وفتحوه في كنيسة الافرنج، وللحال حدث صوت هائل، وبطرفة عين انتشرت غمامة قاتمة غطت الجو وقذفت بَرَداً صلباً، فبكى الشعب وهتف: يارب ارحم، ايها القديس برصوم اعضد. وسقط الافرنج اكليروسا وشعباً والبابا أمام الصندوق وهم يبكون، أما اليونان فهربوا واختفوا. وبعد أن هدأ البرد، أقام الشعب صلاة مدة ثلاثة أيام. ولما سمع مسلمو حران بالعجزة طلبوا الى الرهبان أن يزورهم، غير أنهم عادوا الى ديرهم. نقصدهم أهل ملطية وحملوا ذخائر القديس، فخرجت جميع الطوائف لاستقبالها بالصلوات والطلبات. فسدَّ فم الجراد ولم يؤذ الزرع، واتجه الى الحقول غير المزروعة ليأكل الشعب اندهشت تلك الطوائف، ومجدوا الله، كل بلغته، لدى مشاهدتهم المعجزة. واستمر الشعب يقيم الصلوات ويوزع الصدقات بسخاء، ورجع العديد من المنحرفين الى طريق الصواب. وصنع الرب اعجوبة أخرى، تتمثل بدخول الجراد حقلا

للقطن، وأكلـه الأوراق دون القطـن، وكذلـك الأمـر بالنسبة الـى الحبـوب والسمسم وسواها .

سنة ١٤٤٦ غادر ايطاليا شخص فرنجي يدعى بيدوي وتزوج من ابنة بوهيموند الذي قتل وتولى في انطاكية. وفي تلك السنة توفـي بغدوين ملك القدس، وخطبت ابنتـه لفوج فتولـى الحكـم علـى القدس. وفـي السـنة عينها، جاء زنكي صـاحب الموصـل الـى سـورية وحـاصر حلـب. فـأغلق واليها المسلم الأبواب. غير أن أهالي المدينـة كـانوا يعرفـون زنكـي جيـداً لأنه ولد وتربى في مدينتهم، كمـا كـانوا يعرفونـه والـده الأمير اقسـنقور الذي حكمهم وتميز بالعدالة، وعليه فقد فتحـوا الأبـواب وأدخلـوه، فالتجـأ الوالي الى القلعة فاحتلها زنكي بالقوة وسمل عينيه وأرسله الى الموصـل، وأحسن معاملة السكان وعقد صلحاً مـع الافرنـج، ثـم عـاد الـى الموصـل بسبب النزاع بينه وبين الأمراء الاراتكة .. فـي تلـك السـنة أرسـل خليفـة بغداد وسلطان خرسان الى الأمير غازي صـاحب ملطية وفداً ترافقه أربـع كتائب سوداء لتعزف أمامه كملك، وأمرا أن يعلق في عنقه نطاق ذهبـي، ويحمل عصا ذهبية ليضرب بها، لكـي يثبت له الملـك ولأولاده مـن بعـده. فلمـا وصـل الوفـد وجـدوه مريضـاً فـانتظروا لـيروا النتيجـة، لكـن الأجـل وافاه، وسلم الرئاسة لابنه محمد، فوافق عليه الوفد ونودي به ملكاً.

كان الأمير غازي سفاحاً وفاسقاً، له عدد كبير مـن النسـاء، حتـى انه تزوج قبل وفاته بأيام قلائـل. فـأمر سكان ملطيـة أن يزينـوا الشـوارع وكافـة الأمـاكن. وكـان شـجاعاً باسـلا وداهيـة. فتـح بـلاد الـروم وقتـل المتمردين الأتراك الذين كانوا فيها، فساد سلام تام في تلك المنـاطق. كـان يرهبه اللصوص وقطاع الطرق، ويحبه الفلاحـون. وفـي احتضـاره زأر كالأسد. ولمـا تولـى ابنـه الحكـم، طبـق الشـريعة الاسـلامية، فلـم يشـرب خمراً، واكرم المسلمين وحكم بالعدل، وكان حكيماً ويقظاً جداً، لكنـه هـدم الكنائس، وجدد مدينـة قيصريـة قبادوقيـة التـي كـانت قـد خربـت منـذ أمـد

طويل. واقتطع بقعة وأنشأ فيها أبنية من مرمر الكنائس المهدمة، وأقام فيها. وفي سنة توليه الحكم أي ١٤٤٤ جاء الملك محمد الى ملطية فتوقع أهلها أن يخفض الضرائب الباهظة التي كان والده قد فرضها عليهم، وغادرها في تشرين الثاني تلبية لدعوة السلطان مسعود الذي أقلقه. بما أنبأه عن ملك اليونان. لم يحسن معاملة أهل ملطية، بل أخذ بعض اشرافهم رهائن.. في تلك السنة تمرد ابن داود اسكندر غميش في حصن زياد فقبض عليه والده وكبله بالسلاسل، كما تمرد على الملك محمد، اخواه يجين ودوله، فقتل يججبن، اما دوله فغزا منطقة ملطية.. وفي تلك السنة أخذ زنكي، زاربا، بعد أن تعهد للافرنج، غير أنه نكث عهده وحاول اكراههم على الاسلام، اذ لم يستجيبوا قتل جميعهم وتزوج ابنة صاحب الحصن. لكنه هرب لدى وصول الافرنج. وفي السنة ذاتها، دخل اتراك ملطية منطقة الافرنج، فنهبوا وعادوا .

كان ابن اندراوس مطران منبج عالماً وتضلعاً من السريانية والأرمنية. والحق يقال، انه كان قدوة حسنة، لكنه لم يقدم الاحترام الواجب للبطريرك، بل استهان ببساطته ووداعته، فلامه الكثيرون عدلاً. وبالرغم من كل ذلك لم يتنازل لطلب السماح، لأنه كان يعتبر الناطق الوحيد باسم ابناء الكنيسة في ذلك الجيل، لاسيما في ما يخص الجدال مع الأرمن والافرنج، اذ لم يكن من يضارعه باللباقة وقوة الحجة وسرعة البديهة. واعتقد انه اذا ماترك الرعية أو الرعاية، لذا لم يتنازل عن موقفه. ونظراً الى بساطة البطريرك وتأثير الوشاة، نحي ابن اندروس وأقام ابن التركي بدلا منه لمدة ثلاث سنوات. وأخيراً ندم الطرفان، لاسيما بعد أن لاحظ البطريرك سيرة ابن التركي السيئة. أما ابن اندراوس، فاذ لم يجد من يهتم به أو يشفع فيه لدى البطريرك ندم، فرحب به البطريرك وسامحه وأعاده الى أبرشيته .

فصل

في المجزرة التي حدثت في دمشق. والمؤامرة على السلطان العربي في مصر. والحرب بين السلاطين الأتراك في خرسان وما الى ذلك

في مطلع تموز عام ١٤٤٤ حدثت هزة أرضية عنيفة، وفي منتصفه، شوهد في منتصف الليل، كوكب يسير بسرعة ويصل الى القمر، وبدا وكأنه اخترقه. وفي الثاني من آب سقط كوكبان، وتكرر الحادث في ٢٣ أيلول، أعقبه هطول مطر غزير، وصعق البرق سبعة ثيران وصبياً، وفي سيمندو صعق شخصاً تركياً فلم يدفنه الأتراك على اعتبار ان الله هو الذي أحرقه فلا يستحق الدفن.. وفي تلك السنة حدثت هزة أرضية في أرمينيا الكبرى فانهارت مدينة دوكودون، وكان شتاء تلك السنة قارصاً جداً. وفي منطقة ملطية، سقط ثلج أحمر - وهذه علامة اعجوبة من نوع آخر - وفي أيار غزا جراد لكنه لم يضر بشيء. وفي منتصف ليلة ٢١ تموز ظهر في المشرق باتجاه المغرب، نور شبه قنديل توارى أمامه نور القمر والكواكب، واستمر حتى الفجر. وفي الشهر نفسه، وبينما كان المسلمون يصلون كعادتهم يوم الجمعة في الجامع الكبير بمدينة كشكر في خرسان، حدثت هزة وانشقت الأرض وابتلعت نحو عشر آلاف.. كان شتاء عام ١٤٤٧ معتدلا، فأخذت الحجول وغيرها من الطيور تدخل الى البيوت مثيرة دهشة الناس.. وفي ٢٦ كانون الثاني بدأ شتاء قارص، وجمد الفرات وبقية الأنهار وسقط ثلج بكثافة .. وفي آمد، أصدر الحاكم قراراً بعدم الحاق الأذى بالطيور والغزلان وغيرها من الحيوانات التي كانت تدخل البيوت، وباعطائها الطعام حتى شهر نيسان. ويقال ان تلك التي اقتاتت في المدن والقرى هلكت في أوكارها لدى

صعودها الى الجبل. وهذا دليل على أن كل قرار تأديب على أي من الأجناس هو من فوق. وليس من يحول دون تنفيذه .

في هذه الفترة، كان يحكم دمشق رجل يدعى تاج الملوك بوري طيغدوين، وله وزير من الاسماعيليين اسمه ابو علي، وبواسطته، امتلك الاسماعيليون داراً في دمشق عرفت بدار القرية. وكان يعفى من الضرائب كل من ينتمي اليهم، فعظم شأنهم. وكان يدير هذه الدار، رجل من قدموس اسمه ابو علي أيضاً ويلقبونه بالشيخ. فتعرض له، باشارة من الأمير، أحد زعماء المدينة يدعى ركن الدولة بن صوفي وقتله، فأخذت الغيرة الاسماعيليين، فاجتمعوا في دارهم واستلوا سيوفهم وشرعوا بالقتل والابادة، فتصدى لهم أبناء المدينة. وجُندل في ذلك اليوم نحو ٧٠ ألف مسلم، وتسلل الاسماعيليون خفية واغتالوا الأمير بوري.. في هذه الفترة التي حكم دمشق شخص عربي، كان يحكم مصر شخص عربي آخر تآمر عليه ابنه ليتولى الحكم. ولما علم الملك ان الشعب يميل الى ابنه، دعا الأرمن الموجودين في مصر لمناصرته - وكانوا قد استقروا هناك منذ هجرة الأرمن الى سورية، ولما ازداد عددهم صار لهم جثاليق وأساقفة في مصر وكان للجاثليق أخ يدعى بهرام تزعم الأرمن - فناصروه وحاربوا المسلمين الموالين لابنه وقتلوا الوفا منهم وقبضوا على ابن الملك وقتلوه باذن منه .

في هذه الفترة، تطاول عماد الدين زنكي حاكم الموصل، على أميري ماردين وحصن كيفا، طمرطب وداود الارتكيين. ففيما كان طمرطب حسام الدين في منطقة سرجا بين دارا ونصيبين، جاءه ابن عمه ركن الدين وحاصروا زنكي، فعجز عن مجابهتهم، فخاف وأمر أن يلبس كل واحد من جنوده الدرع ويستل سيفه ويقف عند باب الخيمة، فبدوا وكأنهم سور حديدي وظلوا واقفين منذ الصباح حتى العصر. لكن انقساماً ما حدث بصورة مفاجئة بين حسام الدين وابن عمه فأخذ جيشه وصعد

الجبل فتشرد عدد كبير منهم، فقويت معنويات زنكي ولحق بحسام الديـن، فهرب الفرسان الى ماردين، في حين هلك العديد من المشاة. وأخيراً عقدا صلحاً عن طريق الوفود، لأن زنكي اضطر للذهاب الـى سورية للقبض على سيف الدولة دوبيس بن صديق، وهو الأمير العربي الوحيد الذي بقـي من العنصر العربي. فألقى القبض عليه في فلسطين وجاء به الى الموصل ووضعه تحت الحراسة. فوعد الخليفة المسترشد بالله اتيح زنكي ان يرسله الى دوبيس بن صديق ليعذبه ويقتله اذ كان يكرهه كرهاً شديداً. فرفض زنكي تسليمه، فاصطدم الطرفان، وهزم زنكي وهرب فطاردته قوات الخليفة حتى سور تكريت، فأنزلوه بالحبال من السور ليلا، فهرب ووصل الى الموصل وأخرج الأمير دوبيس من المعتقل وزوده بالمال وأرسله ليحشد العرب، فيما يحشد (زنكي) الأتراك، ويقاتلوا الخليفة الى الموصل لينحي زنكي عن الحكم، فحصن زنكي الموصل، وصمد ناصر الدين ، فلم يستطع قهرهم فعاد .

وفيما كان الخليفة المسترشد في قيلولة في خيمته في معسكر مسعود سلطان خرسان، عند مدخل مدينة مركا، داهمه عشرة رجال وقتلوه، فخلفه رشيد. أما الأمير دوبيس، فشعر وهو لدى السلطان، بأنهم يحاولون قتله، فأراد التخلص فلم يفلح فقال متحسراً: « حتى مَ أُطارد وأُطارد، لاشيء أفضل من الموت ». وذات يوم وبعد تناوله خبزاً على مائدة السلطان، ولج السلطان الى الدار الداخلية، وللحال خرج خصي وقال له: يأمرك السلطان بعدم المغادرة، ودونك هذه الرسائل فأقرأها. وفيما همَّ بِقراءة مايخصه، ضربه أحد الواقفين وراءه ضربة قاتلة. بعد ذلك خطب مسعود سلطان هميان ابنته للسلطان داود، الأمر الذي أفزع الخليفة، فعمل على تفريقهما سراً. ثم جاء لمحاربة مسعود، واذ لم يأت صهره داود لنجدته، أدرك بأن الخليفة وعده بالحكم. فبادر مسعود بالهجوم على الخليفة وانتصر وقبض عليه وكبله بالسلال، ثم طارد داود. وهنا تم ماكتب « قتل الخليفة في معسكر مسعود على بوابة مركاً ». فخلفه رشيد.

أما مسعود فاستمر في مطاردة داود الذي هرب الى أرمينيا، فسبى وعاد الى الموصل لدى زنكي. وحيث ان مسعود كان يعارض اتيج دائماً، لذا رافق زنكي داود الى بغداد وطلب الى الخليفة ان يوليه الحكم. فماطلهم الخليفة مدة عشرة أشهر خوفاً من مسعود، الأمر الذي أثار غضبهم فسلبوا الجهة الغربية من بغداد، فاضطر الخليفة الى تعيين داود. فجاء مسعود الى بغداد، فغادرها الخليفة الى الموصل لدى زنكي. وفيما هو هناك نُمي اليهم ان والي نصيبين تمرد على زنكي وانضم الى حسام الدين صاحب ماردين، فجاء زنكي الى نصيبين ومعه خليفة بغداد والسلطان داود، فأعاد اليها الاستقرار وقفل راجعاً الى الموصل وتوجه الخليفة الى بغداد وتصالح مع مسعود عن طريق تبادل الوفود، ثم شخص الخليفة رشيد الى خرسان، وخضع الخليفة للأتراك فانتهت دولة العرب .

على أثر عزل ابن اندراوس، ترك باسيليوس ابن شومنا أسقف كيسوم رعيته واستقال، احتجاجاً على عدم سير الأمور بمقتضى القوانين الكنسية، وذهب الى دير فسقين للمتوحدين على شاطئ الفرات واعتكف فيه. فأشار بعضهم على البطريرك أن يتخذ كيسوم مقراً للبطريركية بدلا من آمد لأنها في منطقة نفوذ المسيحيين، فاتخذها لمدة خمس سنوات. ورسم باسيليوس مطراناً لآمد. وبعد عودة ابن اندراوس اى أبرشيته، أعادوا باسيليوس ابن شومنا الى أبرشيته. وفي الوقت عينه رسم باسيل ارخدياقون الرها أسقفاً لها ودعي اثناسيوس، وبعد خدمة سبع سنوات توفي عام ١٤٧٤، كما توفي في السنة نفسها ايوانيس اليشع مطران ملطية، فقامت ضجة بين الاكليروس بخصوص انتخاب راع لها. فباسيليوس أسقف جيحون، وهو رجل مكار كثير التردد الى البطريركية للقيام باعمال الكتابة وتنظيم الشؤون الكنسية، حاول دون رسامة مطران لملطية لكي يضمها الى ابرشيته مستغلاً بساطة البطريرك القديس، فكان يثلب كل من يرد اسمه أمام البطريرك كمرشح لها فيُصدقه البطريرك. وعليه ظلت شاغرة مدة ثلاث سنوات. وأخيراً استقر رأي أهل ملطية على

رسامة الشماس الاستاذ يشوع المعروف بابن قطـرا الملطـي، فـانفذوا اليـه رسـالة تحمـل اجمـاعهم عليـه. غـير أن أسـقف جيحـون كتـب علـى لسـان البطريرك يوقف يشوع عن الخدمة .

فصــل

في ماجرى من أحداث بين ملوك العالم، وفي الكنيسة خلال ثلاث سنوات

بعد أن وصلت الى ملطية، رسالة الايقاف عن الخدمة بحق الشماس يشوع، والتي كتبت بتأثير أسقف جيحون، وتليت من على المنبر: تقدم الشماس يشوع العفيف ذو الشيبة المهيبة وتناول الرسالة ووضعها فوق رأسه. فاثنى البطريرك مار يوحنا على تواضعه وفطنته فعفا عنه. وظلت شؤون ملطية على هذه الحالة حتى وفاة البطريرك مار يوحنا في ايلول ١٤٤٨ في دير داوير حيث وري جثمانه الطاهر وكان باسيليوس مطران جيحون الأديب، قد كتب بصورة غير شرعية تثبيتاً مختوماً بختم البطريرك الراحل مفاده، ان البطريرك ثبته قبل وفاته، على ملطية. وبناء على هذا، دخل ملطية عنوة بمساندة الحاكم، ورسم فيها كهنة وشمامسة، وكرس الميرون مستغلا عدم وجود بطريرك للكنيسة. وفيما اغتصب أبرشية ملطية، احتفظ بأبرشية جيحون، فخلق بتصرفه هذا جواً من الشكوك بين أساقفة الكنيسة. فقد انتقد بعض الأساقفة، البطريرك لراحل كجهلهم بأنه كان مخدوعاً. أما الذين علموا بأن الأمر من تدبير باسيليوس، فوجهوا اليه الانتقاد لا الى البطريرك، فيما أيده بعضهم قائلين: انه أقدم على ذلك مدفوعاً بالغيرة الالهية من أجل تثبيت كنيسة الله .

سنة ١٤٤٧ بأ الأرمن صراعاً مع الافرنج، ذلك ان ميخائيل ملك الأرمن الذي غادر حصن جرجر في أيام بالق، عاد واستقر فيه بعد مصرع بالق، فتصدى له قوم يعرفون ب «سيبرك»، كانوا يتبادلون السطو على قرى بعضهم البعض ويهبونها. وذات يوم أحاط به الأتراك

من كل صوب في كورة الزيوان على نهر الفرات، فلم يعد بامكانه النجاة، فرمى بنفسه من الكهف الى النهر وقد ارتدى الدرع وبيده الترس. فكان يغطس بالماء ويعوم، وأخيراً نجا عن طريق مجرى خاص، فأعطى جرجر لجوسلين وأخذ سوفرس. وباع جوسلين جرجر لباسيل شقيق الأرمن بخمسمائة دينار، فندم ميخائيل وفكر بالعودة اليه، غير أن جوسلين رفض اعطاءه اياه، فحشد جيشاً وغزا منطقة كيسوم، فتصدى له الافرنج وقتلوه، ولما أخرج الافرنج باسيل من جرجر توجه الى لبون الارمني في قيليقية وصاهره، فألب مجموعة من الأرمن وجاء لمحاربة الافرنج في فرزمان، فقتل هناك معظم الأرمن. وانتهز الأتراك فرصة قتال الأرمن مع الافرنج، وأرسلوا شخصاً فظاً يدعى أفشين ليغزو منطقة كيسوم، ولما لم يجد مقاومة غزا انطاكية، ثم دخل اللاذقية وعاد بعدد كبير من الأسرى، واصطادوا سمكاً من نهر أورنط العاصي وأكلوا، وبفعل ما أكلوا، بل قل هي ضربة من فوق، مات معظمهم، وهرب البقية خشية الموت وتركوا الأسرى .

عام ١٤٤٨ هاجم ايواني ملك اليونان بعنف لبون الأرمني في قيليقية واحتل بعض المدن، منها طرسوس وأدنه والمصيصة وغيرها. وبعد أن أخضع المنطقة برمتها قبض على لبون وزوجته وأولاده وأرسلهم الى القسطنطينية، وفيها توفي، في حين عاد أولاده وزوجته وسيطروا على المنطقة مرة أخرى .. بعد أن سيطر ملك اليونان على قيلبيقية وأرسل لبون الى القسطنطينية، فقاتل انطاكية لكنه لم يفلح في احتلالها. فعقد معه جوسلين صلحاً شريطة أن يعطى الملك مناطق سورية أي حلب وسواها للآفرنج، ويعطيه الافرنج بدورهم انطاكية بحسب تعهدهم لوالده الكس. وبناء على هذا خرج بيدوي صاحب انطاكية للقائه، ودخلها الملك ايواني، وشعر في الأمر خدعة، فعاد الى قيليقية، فتوجه اليه الافرنج ووجدوا الاتفاقية، ثم رافقهم الملك الى حلب، وأخذ هو حصن بزعا وترك مقاتلين في شيزر ثم جاء السلطان مسعود من ايقونيون دخل قيليقية واحتل

أدنه عسكرياً، وسبى أهل المنطقة بما فيهم الأسقف وجاء بهم الى ملطية، فلما علم الملك احرق المنجنيقات وعاد الى قيليقية، وعقد صلحاً مع السلطان ودخل القسطنطينية .

في تلك السنة تمرد في دمشق بوزش قائد الجيش على سيده شهاب الدين. فحشد جيشاً واتجه نحو طرابلس، فخرج حاكمها ابن سنجيل فكمن له الأتراك وقضوا على الافرنج وقتل ابن سنجيل وأحرقوا طرابلس العليا، وسبوا المنطقة برمتها، ومروا على طبرية ونهبوها ووصلوها الى نابلس أي السامرة فنهبوها ودمروها. وعلى أثر هذه النكبات، جاء ملك القدس الى زافينا ليطرد الأتراك الذين كانوا يحاربونها، فهاج زنكي معسكره ليلا وقتل عدداً كبيراً من المشاة، وهرب الملك والفرسان الى الحصن، واستمرت الحرب معهم اربعين يوماً، فأرسلت الملكة التماساً الى بيدوي حاكم انطاكية، وجوسلين. واذ سمع زنكي باستعداهم لمحابهته، عقد صلحاً مع الملك وعاد. وفي هذه الأثناء، طرد الملك محمد أخاه دولة وانتزع منه الستين ومنطقة جيحون، فاجتاز دوله الى هنزيط ومنها الى آمد، ثم قصد جوسلين وهو يتجول من بيت الى بيت .. سنة ١٤٤٩ كان الأتراك قد أحالوا الرها الى سجن، فلم يكن باستطاعة سكانها الدخول أو الخروج منها بسهولة، فانطلق من شميشاط نحو أربعة آلاف شخص بينهم ٣٠٠ فارس افرنجي، يحملون طعاماً لأهل الرها، ومنهم الشماس الطبيب والفيلسوف أبوسعد. فتصدى لهم الأتراك ليلا بقيادة حسام الذين صاحب ماردين، فقتل معظمهم واستعبد البقية وبينهم أبو سعد وميخائيل بن شومنا وابنه. وقد فشل أبو سعد كمنجم في معرفة ماكان عتيداً أن يحدث لهم في ذلك اليوم. ثم أخذ حسام الدين طمرطش حصن بسوس من نالافرنج. وفي تلك الأثناء، دخل السلطان مسعود منطقة كيسوم، فنهب وسلب وعاد، ولما رأى أن أهلها هربوا، أعاد الكرة وأحرق القرى وتركها رماداً. ومن هناك توجه الى مرعش. وهذا كل ما صنعه .

لحقت بدير مار ابحاي المعروف بدير «السلالم» أضراراً جسيمة، بسبب جماعة من أصل أرمني كانوا مسيطرين على حصن سيبيرك (سامكت)، وكان جدهم يغوساك قد ذهب الى بغدار لدى خروج الأتراك الأول، ومنها الى خرسان وأشهر اسلامه، وأخذ تعهدات من سلطان الأتراك الأعظم ومن الخليفة، بأن يكون حصن سبيبرك تحت سيطرته وسيطرة أولاده من بعده. فهم اذن مسلمون أباً عن جد وفي تلك الفترة، كان يحكم الحصن أمير شرير من ذلك العنصر يدعى عليس، يكره المسيحيين كرهاً شديداً ، ويكنّ حقداً وبغضاء لميخائيل وقسطنطن الأرمنيين في جرجر، اللذين كانا يسطوان على منطقته ويعيثان فيها فساداً، فيما كان هو بدوره: يغزو جرجر وينهبها. فلما لاحظ ضعف الافرنج، جمع اتراكاً وغزا منطقة جرجر، ولما لم يحصل من غزوه ما غطي حقوق هؤلاء الأتراك، وجه انظاره الى الأديرة ليسد حاجته منها، فجاء أولا الى دير مار ابحاي. واذ لم يفلح في دخوله من جهة الفرات، صعد فوق كهف وأنزل من هناك رجالا يقذفون الدير بالحجارة حتى دمروا زاوية الكنيسة، فخاف الرهبان وخرجوا لملاقاته، ولما استتب له الأمر، نهب كل المقتنيات والكؤوس والصينيات الفضية والصلبان وغيرها مما وجد هناك منذ عهد البطريرك مار يوحنا بن عبدون، كما نهب دير فسقين وطرد المتوحدين أمثال الربان داود ورفاقه في دير شيرا، ولم يبق في ذلك الدير سوى أبي غالب .

فصــل

في وفاة سلطان خرسان، وحملة ابنه على مابين النهرين ورسامة البطريرك مار اثناسيوس، وغيرها من الشؤون المدنية والكنسية

ظلت كنيستنا دون رئيس عام سنة وثلاثة أشهر، كان الأساقفة خلالها يتبادلون الرسائل فيما بينهم لعقد مجمع واقامة بطريرك، فاجتمع أربعة من الأساقفة الشيوخ هم: أسقف جرجر، أسقف صمريا، أسقف كوديا واسقف جيحون الذي كان قد سيطر على ملطية، وألقوا القرعة بين ثلاثة أشخاص كالعادة، بينهم الأستاذ يشوع شماس قطراً كما أسلفنا، فكانت القرعة من نصيبه، فأرسلوا أسقفين ليأتيا به، فاستحلفهما بالأسرار المقدسة. وبعد أن تأكد من القرعة، رافقهما الى دير مكرونه حيث وشحاه بالاسكيم الرهباني. وبُلغوا بوصول المفريان الى آمد، وبرغبة حاكم آمد في عقد الاجتماع في مدينته. وفي دير قنقرت رسمه مطران جرجر كاهناً، وتمت رسامته بطريركاً في آمد يوم الأحد ٤ كانون اول، في عيد الشهيدة بربارة، ووضع عليه اليد المفريان باسيليوس، يعاونه ١٢ أسقفاً، وكهنة ورهباناً وعدد كبير من الشمامسة، فنودي به بطريركاً لانطاكية باسم أثناسيوس. وبمناسبة رسامته، أقام مودود بن نيسان رئيس المدينة، وهو مسلم، مأدبة غداء لأعضاء المجمع، كما أن يعقوب شقيق الشماس اسحق الذي تخاصم يوماً مع البطريرك مار اثناسيوس، انفق بسخاء على هذا المجمع. وفي اليوم التالي أمر البطريرك بمغادرة أسقف جيحون ملطية والعودة الى أبرشيته، كما أخرج باسيليوس من آمد وأعطاه قلعة جعبر، لكي تعود آمد مقراً للبطريركية كالسابق .

ومن هنا برزت المشاكل في كنيسة الله. فقد قال باسيليوس أسقف جيحون للبطريرك. ان انتخابك لم يتم بالقرعة وبالصورة الصحيحة، بل بالتزوير، وان أسقف جرجر خدعني اذ أقسم على بقائي في ملطية، وانه كتب اسماً واحداً على الأوراق الثلاث». وقد أثار هذا الكلام شكوكاً بين الناس، وامتنع أساقفة غربي الفرات عن الاعتراف بالبطريرك، لعدم حضورهم الانتخاب والرسامة، لا بل استعدوا لاقامة بطريرك آخر. بينما قال آخرون ان باسيليوس اسقف جيحون أشاع ذلك لطرده من ملطية، فكانوا يلعنونه لاثارته الشكوك. أما هو فجاء الى ملطية وجمع الكهنة والشعب وعرض عليهم المذكرة التي كتبها وغادر ملطية عائداً الى جيحون. ورسم البطريرك ابن اخت ثاودوسيوس مطراناً لملطية، في دير مار برصوم وسماه اغناطيوس، وذلك يوم أحد العنصرة لتلك السنة. وفي تشرين الأول سنة ١٤٥١ رسم رومنس من دير القدس أسقفاً للقدس وهو من مواليد ملطية، ودعاه اغناطيوس أيضاً. وفي سنة ١٤٥٢ اجتمع مطارنة المغرب مع ابن اندراوس وابن شومنا والبقية في حصن منصور، ووضعوا بعض القوانين وأرسلوها الى البطريرك، متعهدين بالخضوع له إن هو قبلها، فقبلها فوقعوا على وثيقة التنصيب، وحل السلام .

بعد وفاة محمود سلطان خرسان، خلفه أخوه مسعود الفطن، والذي اتجه فور تسلمه السلطة، الى بلدان آثور، ماراً باذربيجان ومناطق مابين النهرين، فوصل الى دارا وعسكر بالقرب من حورتا .. وفي عام ١٤٥٠ تولى محمد الحكم، فدخل بجيشه منطقة قيليقية وانتزع من اليونان حصني بهجي وجنبوفت، ثم تغلغل في منطقة واقينوس على ساحل بحر نيطس ونهب وسبى الشعب بأسره وباعه عبيداً .. وفي تلك السنة صعد زنكي الى دمشق وشدد عليها الخناق، فطلب صاحبها نجدة من ملك القدس مجزلا له العطاء، فأنجده فهرب زنكي .. وفي تشرين الأول من عام ١٤٥٢ دخل أتراك ملطية الى أديرة مناطق زبار المعروفة « بمنبت القصب » فسلبوا وعادوا دون أن يلقوا مقاومة. وفي أيار جاء الافرنج

لينتقموا من سالبي اديرة من أبناء ملطية، فوصلوا الى زوبطرا وعرقا ونهبوا أموال المسيحيين دون أن يتصدوا للأتراك. وبعد مغادرتهم، دخل الأتراك ونهبوا وغادروا. وهكذا صار المسيحيون عرضة للأبتزاز من كلا الجانبين. ثم دخل الافرنج منطقة ابلستين ونهبوا اموال المسيحيين الأتراك وقتلوا بعضهم وساقوا الآخرين عبيداً. وبنفس الاندفاع خرج الأتراك من هنزيط متجهين صوب مناطق الافرنج، والتقى نحو عشرين شخصاً منهم المطران القديس ميسورا وهو يجتاز جبل أبهر، ونظراً الى حنقهم الشديد على المسيحيين، ضربوه والذين معه بقسوة وأوثقوهم استعداداً لقتلهم، لكنهم خافوا فتركوهم موثوقين وهربوا، فنجا المطران والذين معه. ولدى دخول الأتراك تلك المنطقة. أجهز عليهم الافرنج بحد السيف فحالفهم النصر لأنهم كانوا متحدين فيما بينهم .

سنة ١٤٥٢ خرج ايواني ملك اليونان لمحاربة الأتراك، فتصدى له الملك محمد وظل معسكراهما مواجهين لبعضهما مدة ستة أشهر. ولما همّ الملك بالاقتراب من نيوقيصرية، ازداد حقد الأتراك على المسيحيين الذين تحت نفوذهم، حتى أن من نطق باسم الملك، ولئن سهواً ناله السيف، وخطف أفراد أسرته. وبنفس هذا الاسلوب عومل المسيحيون في ملطية أيضاً وغيرها من المناطق، حتى عاد الملك فجأة الى بلاده دون أن يحارب أو يعقد صلحاً أما الملك محمد فدخل مرعش ونهب وسبى .

في تلك السنة عقد زنكي صاحب الموصل صلحاً مع حسام الدين صاحب ماردين .ثم التقيا في السرج، فترجل زنكي أولا ومن ثم حسام الدين، فأقسما على الصلح، واستعدا لمحاربة داود صاحب حصن كيفا، فلحقا به وأدركاه حول سور آمد، فالتجأ الى سور المدينة فهاجما المدينة من الجهة اليمنى، ودارت معركة بين الطرفين استمرت من الصباح حتى العصر، وعند المساء هزم داود وهرب، فيما قتل قسم من جيشه وأُسر القسم الآخر، وهرب من هرب. وقبض زنكي على سليمان بن داود

وسلمه الى حسام الدين فأرسله بدوره الى ماردين. وعاد الحاكمان من باب آمد وأحاطا بحصن صور القريبة من ماردين والعائدة الى داود، فسلطا عليه ثلاثة منجنيقات وفتحا ثلمة وحاربا، فارتعب الذين في الداخل وطلبوا تعهداً لحياتهم، فلم يوافقا، بل احتلاها عسكريا وساقا الوالي وجماعة داود. وقسما المنطقة أربعة أقسام، فأعطى زنكي لحسام الدين، والحصن والسرج ذا القرنين وساكن. ومن هناك اتجها صوب برعه. فلما علم المسؤول هناك، سلم للفور الحصن لصاحب ماردين. واذ كان الحصن منيعاً، جاءا وحاصرا آمد، وهددا بتدمير المنطقة في حالة عدم تلسيم الحصن الى حسام الدين، فسلمه صاحبها، فانصرف كل احد الى بلده .

في تشرين الأول عام ١٤٥٠ شوهد جسم أحمر في الجهة الشمالية من السماء، وفي الشهر نفسه حدثت هزة أرضية دمرت أبراج برعه.. وفي حلب مر شتاء قاس، بدءاً من كانون الأول حتى شباط، فجمد الفرات واجتازه الناس مشيا على الأقدام وهلكت الحيوانات والطيور الأليفة والبرية، وفيما كان أربعون رجلا يسيرون في برية الرقة، أنشقت الأرض وابتلعتهم باستثناء واحد كان قد انتبذ مكاناً لقضاء حاجته، واستمرت استغاثتهم لفترة ما. وتهدمت تارب بهذه الهزة وانهارت كنيسة حارم، وانغلقت احدى القرى المجاورة لجبل قوروس، ثم انهارت بعد أن غادرها سكانها. وفي تلك السنة شحت المياه حتى منتصف أيار. ولما سقط المطر أعطت الغلة المتأخرة.. في الساعة التاسعة من يوم عيد العنصرة، حدث برق هائل قتل امرأتين في ملطية، احداهما كانت على السطح والأخرى في السوق، كما قتل لقلقين .. وفي مساء يوم ٢٢ حزيران شوهدت مايشبه رماحاً نارية في اجهة الشمالية ثم اتجهت نحو الجهة الغربية .. وفي ٢٩ تشرين الأول سنة ١٤٥٢ حدثت هزة أخرى، وفي العاشر منه، حدث خسوف، وانتشر وباء في ملطية، ابتدأ باهلاك الطيور. ومات الأطفال بداء الجدري. وفي عيد مار برصوم في أيار، سقط في هنزيط وحصن زياد برد رهيب وحطم الأشجار والكروم. وفي

اليوم ذاته أحرق برق صبياً وبغلا .. وفي حزيران تلك السنة حدثت هزة هزتّ شاطئ بحيرة بمدينة قيليقية الصغرى المسماة خالينج، وغيرها من الأماكن في تلك المنطقة على ساحل البحر.

فصـــل

في وفاة الملك محمد. ووفاة ايواني ملك اليونان في نفس الفترة، ووفاة سيريبوغ ملك الافرنج في القدس. ووفاة داود أمير حصن زياد. وغيرها من الشؤون المدنية والكنسية التي جرت في هذه الفترة

شوهد في الناحية الشمالية مايشبه أشعة نور باهرة في منتصف آب ولغاية أيلول سنة ١٤٥٢.. وفي ٢ أيلول لمع شعاع كالشمس في الجهة الشالية الغربية.. وفي عام ١٤٥٣ غطى البَرَد منطقة صمحا بأسرها.. سنة ١٤٥٤ أرسل بابا رومية أحد أعضاء مجلسه المؤلف من ١٢ شخصاً الى القدس لاصلاح ذات البين في الكنائس والأديرة ورؤساء الكهنة وغير ذلك. وما ان بدأ بالتحقيق حتى أدركه الأجل، وقيل انه قتل مسموماً. فغضب البابا وأرسل واحداً من الزعماء الأربعة الكبار المعروفين ب «ܟܪܕܝܢܠ»، وان كل واحد منهم يمثله شخصياً. فأصلح الكثيرين ونحى البطريرك الموجود في انطاكية وأقام آخر بدلا منه، فنجح في مهمته. ووشى بنا وبالأرمن اليه، اليونان الموغلون في الشرور قائلين: «ان هؤلاء هم هراطقة » فأوغروا صدره، فجاء الى دليك والتقى بغريغور جاثليق الأرمن ثم قاده الى القدس عنوة وعقد مجمعاً يوم اثنين البياض، حضره البطريرك ليقاط وأساقفة الافرنج وجاثليق ومطارنة وملوك الأرمن، واغناطيوس مطران القدس والرهبان وجوسلين وبقية الرؤساء. فقال المجمع لليونان: لقد اتهمتم السريان والأرمن بالهرطقة، وضّحوا لنا هرطقتهم. أجابوا، نحن لانحضر مجمعاً لايحضره ملكنا. وهكذا افتضح أمرهم وأدرك الجميع إنهم بعيدون عن الحق، ثم قدم كل منا، نحن والأرمن، كتاباً يتضمن عقيدتنا فتليا وترجما الى الايطالية. فأقر

الجميع ارثوذكسية هذه العقيدة. ثم طلب الافرنج الى السريان والأرمن أن يقسموا على عدم تغيير عقيدتهم، فرحب السريان بذلك ورفضه الأرمن فاتهموا بأنهم خياليون وسيمونيون .

سنة ١٤٥٣ صعد ليحج الى القدس، فغزا الأتراك المنطقة ودمروها وأحرقوها وبلدة حارم .. وفي تلك السنة توفي صاحب قامح فتولى حكمها الملك محمود .. وفي ٦ كانون الأول سنة ١٤٥٤ توفي لملك محمد في قيصرية وأوصى الحكم لابنه ذنون. وتزوجت ارملته من أخيه يعقوب أصلان وأولته سبسطية فهرب ذنون الى سيمندو والحقت به قيصرية وملطية. واتفق دوله أخوه الآخر مع ياموس حاكم مسرا. فجاءا الى ملطية فلم تفتح لهما الأبواب، ولم يكن بامكانهما محاربتها فعادا الى عرقا، فأرسلت زوجته الفي رجل للملك محمد من أجل حماية ملطية. فشعر سكانها بأن القادمين يحملون أمراً باخراجهم وأولادهم من بيوتهم ونقلهم الى سبسطية ليستحلوا بيوتهم، فهاجموا واستلوا سيوفهم وتجولوا في الشوارع، فخاف المسيحيون جداً واختفوا في الآبار وغيرها من المخابئ دون أن يروا سبب مايحدث يوم الأربعاء ١٧ شباط من الأسبوع الأول من الصوم. فتجمع اتراك المدينة أمام القلعة وطلبوا مفاتيح الأبواب من الوالي ليخرجوا ويتصدّوا للقادمين اليهم فلم يعطهم الوالي المفاتيح، فتقلدوا اسلحتهم وذهبوا راكبين، فكسر شخص يدعى بوريدنه بوري قفل الباب بالفأس وتقدمهم، فيما ظل الآخرون يحرسون الأبواب. ثم ذهبوا في اليوم نفسه وجاءوا بدوله، فهرب أبناء سبسطية، وقدم الوالي الاحترام لدوله، فدخل وتولى الحكم في المدينة وسادها السلام. ثم توجه دوله الى أخيه اصلان واتفقا، ثم أخذ ابلستين وسيطر على منطقة جيحون أيضاً .

فلما سمع السلطان، جاء حانقاً على يعقوب اصلان فخاف وهرب الى الجبل فدمر السلطان سبسطية وعاد، وارسل الى دوله ليقدم له الطاعة فيوسع منطقته، فأرسل ذاك زوجته وهي ابنة أخي السلطان، فلم

يستجيب الى التماسها. وفي ١٧ حزيران حاصر ملطية. وبعد أن أقام ابراج الحرب أخذته الرهبة فلم يشن حرباً، وقيل أنه سُحر، بعد أن أمضى ثلاثة أشهر في حصارها. فيما كان دولة ينهب أبناء المدنة وبخاصة الزعماء، ويقدم للجنود. وفي فجر عيد الصليب ١٤ أيلول، أحرق السلطان بغتة المنجينقات وعاد، فتنفس أبناء المدينة الصعداء .. وفي نيسان من تلك السنة خرج ايواني ملك اليونان الى قيليقية. وفيما كان يصطاد كعادته، أخذ سهماً مسوماً ليرمي به خنزيراً برياً، لكن السهم أصاب يده فنفذ فيها السم وانتشر في جسمه ومات. وبعد فترة خرج ملك القدس الافرنجي للصيد هو الآخر فطارد أرنباً، ثم عثر عليه ميتاً وقد دخل رأسه في جسده على أثر سقوطه من الفرس.. وفي تلك الأيام توفي داود حاكم حصن زياد. ان الاربعة توفوا خلال سنة واحدة، وأعني بهم: ملك اليونان، وملك الافرنج، والملك محمد وداود .

سنة ١٤٥٣ توفي مار جبرائيل بطريرك مصر، ورسم مار ايوانيس.. جاء البطريرك مار اثاسيوس الى ملطية وقابل الملك محمد، وأقام في كنيسة مار ماما، وكرس الميرون في الكنيسة الكبرى وطالب بدير مار هرون في شغر، وولى مطران ميافرقاط ادارة آمد، ومطران طرسوس ادارة انطاكية.. في السنة نفسها نزل المفريان ديونيسيوس الى بغداد للعلاج فتوفي هناك، فنقل التكارتة جثمانه وأودعوه كنيسة تكريت .. وفي السنة نفسها خنق المسلمون مطران حمص، وطُرد مطران طور عبدين من أبرشيته، وقبض الحاكم على مطران الجزيرة. وتنازع مطران دمشق مع ابناء ابرشيته، فصالحهم البطريرك .. وفي تشرين الأول من سنة ١٤٥٤ رسم لعازر من دير سرجيسية ومن بلدة عبرا، مفريانا لتكريت، وكان قد درس في ملطية، وتمت رسامته في دير مار هرون وسمي اغناطيوس، واشتهر في أوساط الكنيسة .. وفي تلك السنة عاد البطريرك أثناسيوس الى ملطية، وكان متواجداً فيها لدى تولي دوله بن غازي حكمها، وزيارة السلطان مسعود اياها .

وشى بعضهم البطريرك لدى جوسلين قوميس، مدعين أن رسامته لم تكن شرعية. وحيث أن البطريرك لم يزر جوسلين للسلام عليه، أمر جوسلين بعدم المناداة باسمه في منطقة نفوذه. ثم استقدم طيمثاوس أسقف جرجر الى شميشاط وتحقق منه عن كيفية انتخاب البطريرك، فلم يؤيد أسقف جرجر ادعاء اسقف جيحون والآخرين. أما البطريرك فغادر ملطية الى دير مار برصوم. ولما علم بأن جوسلين نقل باسيليوس أبا الفرج بن شومنا الى الرها، ثبّته فيها، ورسم الراهب ايليا الملفان العالم اسقفاً لكيسوم ودعي ايوانيس، وطارت له شهرة مستفيضة في الكنيسة .

بانتهاء المقال ١٦ ينتهي الحديث عما جرى خلال ١٣ سنة قام خلالها عشرة ملوك يونان وافرنج واتراك.

نظراً الى الهمة التي أبداها كل من الأسقفين التاليين في ماكتبا، سندرج هنا مقدمة كتاب كل منهما

اوانيس أسقف كيسوم

جاء في مقدمة كتابه « حيث ان زماننا لتعيس قد وصل الى درجة من الوهن والاضمحلال، لاسيما بالنسبة الينا نحن السريان الذين أوشكنا على الانتهاء، الأمر الذي حدانا نحن الضعفاء ان نعرض غيضاً من فيض مما جرى السنين التي عشناها. وعليه شحذنا الهمة في جمع كتاب التاريخ هذا. فقد جمعنا الأخبار من عدة كتب متنوعة وتركناه ذكرى للذين يخلفوننا، لكي يعرف كل واحد نفسه، ويتذكرر ان الحياة زائلة، وان الكثيرين قد زالوا، ولابد له من أن يفي مثلهم الدين الذي لايمكن تجاوزة. وان من يتأمل من سبقوه، يجد أن الانسان ينال الشهرة في هذه الحياة بناء على مآتيه. فكم بالأحرى ينال الثواب في الحياة العتيدة» .

ديونيسيوس أسقف آمد

جاء في مقدمة كتابه «لقد أخذ السمع في هذا الزمان العاصفي، يميل الى سماع أحاديث تافهة لاجدوى منها. الأمر الذي استحوذ في أيامنا على الكثيرين نتيجة للاضطرابات والقلاقل المزمنة منذ أمد ليس بقصير، حيث تلاشى الخوف من الشريعة، وتفشت اللاشرعية ونبذت المعرفة التي من شأنها تهذيب المبتدئين، والسير بمقتبليها في سواء السبيل. فلدى تأملي، انا ديونيسيوس يعقوب البائس الضعيف، هذه الأمور، عزمت على أن أدون مايساعد الذين يولون اهتماماً بأحداث الزمان، اعتقاداً مني بأن للاطلاع على الأحداث التي تجري بين حين وآخر، فائدة كبرى للفكر. فان أنباء التأديبات السماوية التي تنزل بالناس،

كثيراً ماتكون رادعاً للذين لم يدخلوا التجارب، فيحسبون حساباً للفأس الموضوع على أصل الشجرة، فلا ينجرفون وراء الأحاديث غير العقلانية والتي لا أساس لها من الصحة، وهي مجرد هذين لاجدوى منه. لذا تولدت عندي هذه الفكرة منذ فترة، وقد حذرني المهتمون من اهمال تنفيذها. وعليه فقد تصفحت كتب ماكتبه المؤرخون السابقون، واخترت الأجدر وأهملت الباقي. وبعد أن انجزت هذا واقتسبت مما كتبه المؤرخون الكنسيون الأول، مايصلح لنسيج الكلمة هذا، قررت أن اجمع وأوحد ماكتب عبر مختلف العصور معتبراً اياه مرحلة أولى، ثم أدون الأحداث شيئاً فشيئاً حتى عصرنا الحاضر المضطرب الذي نعيشه، فأتحدث عن التعديات والضيقات التي عصفت بالمسيحيين، لكيما اذا دخلت أخبار هذه الأحداث المريرة مسامع الناس، يرتدعون عما ذكرناه آنفاً.

وحيث اننا غضضنا النظر عن الفكرة التي كانت ترمي الى جمع التواريخ السابقة، واستخلاص منها رافداً عذباً يفيد المستفسرين، لذا عمدنا على تدوين مايحدث في أيامنا وبما يمكن من ايجاز».

المقال السابع عشر

يتناول الأحداث بدءاً من سنة ١٤٥٥ يونانية، وهي سنة ١١٢٥ ميلادية، وسنة ٥٢٤ هجرية، وسنة ٨٣ للأتراك، وسنة ٦٦٧٣ لآدم

الفصل الأول

في تولية مانوئيل حكم اليونان، وبغدوين حكم الافرنج، ويعقوب أصلان على الأتراك في سبسطية، وغيرها من الأحداث التي جرت في هذه الفترة

بعد أن وقع باسيليوس بن شومنا تحت الملامة لتعديه القوانين بانتقاله من كيسوم الى الرها بأمر الحاكم، أخذ يدافع عن نفسه بتقديم شهادات مزورة. غير أن البطريرك والمجمع أكدوا تعديه للقانون، لكنه لم يذعن لهم، ولم يستمع للحاكم أو حتى للرهاويين الذين كانوا على خلاف مع البطريرك ولم ينادوا به لرفضه تثبيت باسيليوس لهم، الا أن البطريرك اختار أهون الشرين، فثبت ابن شومنا مطراناً للرها وربح الشعب الرهاوي. ولدى عودة جوسلين من القدس بعد تنصيب ملك جديد، زاره البطريرك في تل بشر، فتصالح معه ومع الأساقفة وأعاد اليهم الآنية الطقسية واناء الميرون التي قد اغتصبها، في ثورة غضبه، من خزانة البطريرك في دير مار برصوم، وكان قد رفض اعادتها لدى زيارة البطريرك الأولى له.

لدى شعوره بدنو أجله وهو في قيليقية، أمر ايواني ملك اليونان أن يخلفه ابنه الصغير لوجود الابن الكبير في العاصمة. فتولى مانوئيل الحكم في نيسان عام ١٤٥٥، فرحب به أخوه لدى دخوله القسطنطينية وقدم له الاكرام فتثبت في الحكم.. كما توفي في السنة نفسها ملك القدس فخلفه ابنه بغودين، وحيث انه كان صغيراً جداً، أدارت والدته شؤون المملكة.. وفي الفترة نفسها توفي داود صاحب حصن زياد فخلفه ابنه الصغير قرصلان لوجود ابنه الكبير لدى زنكي. فجاء زنكي يرافقه أساندوغميش بن داود وأخذ حاني، فيما جاء السلطان مسعود وأخذ أبلستين وسائر منطقة جيحون، ثم وحاصر ملطية واصطحب معه يعقوب أصلان، وفيما كان السلطان محاصراً ملطية، طلب قرصلان بن داود نجدته ضد زنكي، فأعطاه السلطان ٢٠ ألف فارس، وذهب لمجابهة زنكي الذي تراجع وعاد الى بلده. فأعاد قرصلان سيطرته على المنطقة التي كانت قد اغتصبت منه. أما السلطان فاستمر محاصراً ملطية ثلاثة أشهر دون أن يحاربها، وفي ١٥ آب وهو عيد انتقال السيدة العذراء والدة الله، أمر قواته باعداد مايحتاجون اليه والرحيل، بعد أن سلبوا المنطقة. وخلال محاصرة السلطان لملطية، وصل جوسلين الى دير مار برصوم للتبرك، فالتقى هناك بأبناء كلوديا الهاربين من أمام السلطان، واستمع منهم عن جيشه العرمرم، فعاد الى بلده على جناح السرعة.

فجر يوم الجمعة ٢٦ تشرين الأول سنة ١٤٥٥، حدثت هزة أرضية في مدينة بورصة القريبة من العاصمة القسطنطينية، وكبدت الخسائر الجسيمة في الأرواح والممتلكات، وجف النهر الذي يمر في المدينة، وتكررت الهزة بعد ثلاثة أيام حين كان ماتبقى من الناس يصلون، فعاد النهر الى جريانه.. وفي ٢٣ أذار من السنة نفسها، وهو يوم خميس الفصح، شوهدت علامة رهيبة في المشرق بعد غياب الشمس، تتمثل بما يشبه الرمح، استمر سبعة أيام ولمدة ثلاث ساعات كل يوم. وقيل أن العلامة كانت تشير الى الدم .

فصــل

في نكبة جلاء الرها مدينة المسيحيين في مابين النهرين الجليلة التي دمرها سيف الأتراك بالسماح من العدالة وبسبب خطايانا

لقد تم على النحو التالي: منذ أمد طويل، كان سكان الرها وكأنهم أسرى لدى الأتراك، وقد تدنت أمورها من كل ناحية، وبغتة اصطدم جوسلين مع زنكي صاحب الموصل، ويعود السبب الى أن زنكي طارد صاحب حصن زياد فالتجأ الى جوسلين وعرض عليه حصن بابل مقابل مساعدته اياه ضد زنكي مثلما ساعده السلطان مسعود، فأرسل جيشاً لمساعدة قرصلان، دون أن يفكر بأنه ليس من صالحه الاصطدام مع الأتراك، من أجل جماعة من الأتراك أنفسهم. فاتخذ زنكي ذلك ذريعة. فانتهز فرصة ذهاب جوسلين الى انطاكية، وخلو الرها من الجيش كما أفاده أهل حران، فحشد جيشاً سنة ١٤٥٦ وحاصر الرها يوم الثلاثاء ٢٨ تشرين الثاني، وعسكر آلاف وربروات أمام أبواب السور بالقرب من كنيسة المعترفين، وأرسل يقول لأهل المدينة: سلموا لئلا تهلكوا فليس لكم من ينجيكم. اعتماداً على الرسل الذين أوفدهم بيوس رئيس الافرنج الى انطاكية والقدس لطلب نجدة للمدينة المحاصرة، أجابوا، إننا لن نسلمها. لذا باشر زنكي القتال في مطلع كانون وبمختلف الأسلحة. فهناك سبعة منجنيقات تقذف الحجارة، والجيش يرمي السهام كالمطر وكان أبناء المدينة، الشيوخ منهم والشبان، الرجال والنساء والرهبان، يحاربون من على السور. فلما رأى زنكي أن ذلك الشعب المنكود الحظ يحارب بضراوة، أمر بالحفر تحت السور، فحفروا حتى وصلوا الى السور، في حين حفر سكان المدينة من الداخل وخرجوا وحاربوا، واذ لم يفلحوا في

هذه الطريقة، أقاموا سوراً من الداخل قبالة المنطقة التي كانت تُحضر. في حين حفر الذين في الخارج تحت البرجين وأوصلوهما ببعضهما بالخشب. ثم أرسل أتبج يقول لهم: نودع عندكم شخصين كرهائن، لكي ترسلوا من يتأكد من حفر السور، فتسلموا المدينة قبل أن تؤخذوا بالسيف. فأنا لاأريد ابادتكم .

وحيث انهم اعتمدوا على السور الذي أقاموه، وعلى وصول الافرنج، لم يستسلموا، لابل هزأوا به. فأضرم النار بالخشب واشتدت المعركة في الصباح، وتلبد الجو بالدخان، فارتعدت القلوب والمفاصل من هول الأبواق والجنود وصراخ الشعب، فسقط السور والبرجان. ولما شاهد الأتراك السور الجديد من الداخل، احتاروا في أمرهم، حتى لاحظوا أخيراً ثغرة مابين السور القديم والجديد، فتأهب الجيش للدخول منها في حين احتشد الشعب من الداخل مع بيوس والأساقفة لمنعهم من الدخول، فامتلأت الثغرة بأكداس من جثث القتلى من كلا الطرفين. وفيما كان الشعب يقاتل في تلك الثغرة، وقد خلا السور، وضع الأتراك السلالم وصعدوا الى السور، فوصل أولا أحد الأكراد وصرخ وأخذ يرجم الناس بالحجارة، فلما نظروه ارتخت أيديهم وفزعوا واتجهوا صوب القلعة .

ترى، أي لسان يستطيع أن يتحدث، أو أية اصبع لاترتجف اذا حاولت أن تكتب عن النكبة التي وقعت في الساعة الثالثة من يوم الست ٣ كانون الأول فقد دخل الأتراك مستلين سيوفهم وحرابهم، وسفكوا دماء الشيوخ والأطفال، الرجال والنساء، الكهنة والشمامسة، الرهبان والمتوحدين، والراهبات البتولات والرضع، والأختان والعرائس. «فوق سيطر الخنزير الأثوري ومَعَسه العنب اللذيد». يالها من قصة مؤلمة. لقد ديست مدينة أبجر صديق المسيح بسبب آثامنا: كنت ترى الكهنة قتلى والشمامسة مذبوحين والأفودياقونين مهشمين والكنائس منهوبة والمذابح قلب عاليها سافلها. يالهول هذا الضيق. انكر الآباء ابناءهم، وفقدت الأم

حنانها على أولادها خلال فتك السيف. وهرب بعضهم نحو الجبل فيما جمع غيرهم أولادهم كما تجمع الدجاجة فراخها، وهم ينتظرون موتهم أو سوقهم عبيداً بمجاميع. فيما حمل الكهنة الشيوخ ما معهم في حوزتهم من ذخائر القديسين والشهداء. وفي غمرة هذا الغضب رددوا قول النبي « علي أن احتمل غضب الرب لأني بخطيئتي اغضبته ». ولم يفتروا عن الصلاة حتى اسكتهم السيف وشوهدوا فيما بعد ملطخين بدمائهم وهم ممسكون بصناديق ذخائر القديسين .

لقد اختنق آلاف ممن هربوا صوب باب القلعة، وتكدست جثثهم أمام الباب، لأن الافرنج لم يفتحوا لهم الباب تنفيذا لأوامر بيوس بعدم فتحها مالم يحضر أولا. ولما حضر وفتح الباب لم يستطيع الدخول بسبب اكداس جثث البشر. واذ حاول الدخول سقط بين القتلى فضربه أحد الأتراك وقتله. وأخيراً تأثر زنكي من هول النكبة فأمر بايقاف عمليات القتل، ثم صادف زنكي المطران باسيليوس يُسحَل بالحبل وهو عار، واذ رآه شيخاً حليق الرأس سأل عنه، ولما علم بأنه الأسقف لأمه لعدم تسليمهم المدينة، فأجاب بشجاعة: ان ماحدث هو الأفضل. فقال الأمير، وكيف ؟ أجاب المطران. بالنسبة اليك، لك أن تفخر لأنك أخذتنا بقوة السيف. وبالنسبة الينا. ستكون لنا دالة عندك، عندما تعرف بأننا أقسمنا للافرنج علي عدم خيانتهم، وقد فعلنا، والآن نتعهد لك بذلك لطالما أن الله شاء أن نتعبد لك، فلما رآه بهذه الشجاعة، وتبين أن الكلام الذي نطق به باللغة العربية عقلاني ومنطقي، أمر بالباسه ثيابه وادخاله الى الخيمة واستشاره بخصوص مصير دور المدينة، وعلى أثر ذلك، نادى المنادي بعودة الذين نجوا من السيف الى بيوتهم. وبعد يومين أخذ الذين في القلعة تعهداً لحياتهم وسلموها. فأبقى الأتراك على قيد الحياة البقية من شعبنا ومن الأرمن واليونان، لكنهم قتلوا حيثما وجدوهم .

وهنا أقول، ليس من اختصاصنا الحديث عن نهاية النكبة، بل لندع أرميا النبي وأمثاله يتلون المراثي، والحكيمات ينظمن أناشيد النواح على الشعب التعيس سنة ١٤٥٥ اتهم اسقف لاقبين بمنطقة ملطية بالزنا، البطريرك والبعض كانوا يرون أنه مظلوم ورسم آخر للأبرشية، وبعد فترة قدم باسيليوس المعزول الطاعة، كما شفع فيه آخرون، فأعطاه البطريرك أديرة زابر، غير أنه طرد من هناك بعد فترة وجيزة لنفس السبب، ثم عطف عليه البطريرك وأعطاه ابرشية سيبيرك، وبعد ثلاث سنوات طرد للسبب نفسه، في حين ان البطريرك والبعض كانوا يرون انه مظلوم. غير أن الحقيقة لايعرفها سوى الله.. عندما هاجم زنكي الرها وأخذها بقوة السيف نجا المطران باسيليوس الذي كان قد استولى على كرسيها، فصادفه زنكي واحترمه لشجاعته وتكلمه باللغة العربية، وسلم اليه مقاليد المدينة لاعادة السكان اليها. وبهذه الطريقة نجا الكثيرون، واحتل الأسقف مكانة متميزة طيلة فترة حكم زنكي على الرها، وحتى مصرعه .

خلال جلاء الرهاويين الأول، قتل فيمن قُتل، الأسقف باسيليوس بن عباس الذي كان اسقف ماردين وترك الأبرشية وسكن في جبل الرها حيث استشهد، وأقيم أسقفاً لماردين، مار يوحنا الذي ارتسم في أيام اثناسيوس أي الفرج سنة ١٤٣٦، وكان يتميز بذكاء وقاد واتجاه مستقيم ومناقب سامية، وتبحر ذاتياً في العلوم الطبيعية والمقدسة نتيجة مطالعاته للكتب. واكتشف صناعة يجهلها الكثيرون ويحتاجها الكثيرون، لاسيما الملوك، فقد استطاع عن طريق تسوية الأرض ومسحها أن يوجه مياه الروافد والأنهار من مكان الى آخر. فنال حضوه وكرامة لدى الملك وكافة حكام منطقة بين النهرين وآثور، وكان سخياً غزير العطاء للمساكين والمحتاجين. فلما احتل زنكي صاحب الموصل الرها واستعبد بنيها، رئف بهم المطران وحرر عدداً كبيراً من العبودية، حيث انه كان يشتريهم ويحررهم ماستطاع الى ذلك سبيلا. أضف الى هذا، تجواله في أبرشيته،

حاثاً ابناءها على الاسهام بانقاذ المسيحيين من العبودية، فكبر في اعين الكل ، واشتهر في كافة البلدان بسبب هذه الفضائل والخصال الحميدة، ولاسيما لدى ذوي الطبيعة الواحدة والمسلمين، وبخاصة لدى الملوك .

فصـل

في ماجرى بين ملوك الأرض من أحداث. وفي كنيسة الارثوذكسيين وسواها، والأحداث التي جرت خلال فترة جلاء الرها

كلمة مار ديونيسيوس مطران آمد في الرها

« هناك بعض الناس ذوي الأمزجة الحادة ينظرون الى الأمور بمنظارهم الخاص ويقولون: لم أديّت الرها بعصا الغضب الأثوري أكثر من سائر المناطق ؟ وكيف تجلس وحدها كئيبة دون سائر رصيفاتها المدن ؟ يجيب الكتاب على هؤلاء فيقول: عظيمة هي أعمال الرب، وعميقة هي أفكاره، ولا تدرك جميع أعماله لكنه يظهر بعض أسراره لعبيده أحياناً. فان الكوارث والنكبات لاتأتي تلقائياً كما يذهب الوثنيون لكنها نتيجة الابتعاد عن الله، فانه تعالى يطلق يد الأعداء، بل يقويهم أحياناً على الذين ينحرفون عن طرقه وحفظ وصاياه، فيسبون وينهبون. وهذا أيضاً لا يحدث دائماً بسبب الخطايا. فكثيراً ما يتحمل الأبرار من أجل توبيخ الأشرار، وعندما يرى العارف بكل شيء، انهم مزمعون ان يخرجوا عن نطاق اللياقة، يسبق ويزجرهم كأب يشفق على أبنائه، لأنه لايريدهم أن ينحرفوا عن الحق، وأحياناً يثّب من هم له، ليتعظ الآخرون فيقولون: ان كان الابناء قد احتملوا بهذا المقدار من أجل أمور بسيطة، فكم بالأحرى الوقحون الميالون دوماً الى الشر، فأي قصاص يستوجبون، وأية ضربة لايحتمل أن تطالهم ؟ انه من الصعوبة بمكان ادراك مثل هذه المقاصد، وليس بيننا من يستطيع أن يدرك الأعماق ويكشف الخفايا ليوضح لنا السبب من أجله احتملت الرها ما احتملت، ودب فيها الخراب

دون رحمة. ثم علينا أن نتفحص الكتب المقدسة لنجد الأسباب المختلفة التي تؤدي الى خراب المدن وهجرة البلدان. ومن هنا علينا أن نتوقف عن البحث في مثل هذه الأمور ».

هذا ماكتبه المطران ديونيسيوس لما كان شماساً في ملطية، ثم وضع كتاباً في العناية، كما نظم قصيدتين على الوزن الاثني عشري عن جلائي الرها، ونظم اسقفها باسيليوس ثلاث قصائد عنها على الوزن الاثني عشري أيضاً، لأنه كان موجوداً في كلا الجلائين، فكتب مطولا كشاهد عيان. فمن شاء أن يطلع ليقرأ هذه القصائد الخمس .

في فترة جلاء الرها، كان في نصيبين والي يدعى اسحق بابك معين من قبل زنكي، خشي أن ينتقم منه زنكي لسبب أو لآخر، لاسيما وان معنوياته قويت جداً بعد احتلاله الرها. فأمر بهدم جميع الحصون في ولايته التي لاتقوى على الصمود أمام زخم زنكي. فدمر كلا من حصن حور عبرا، وتلبسما المدعو باسم توما، وحصن تللا والقلعة المجاورة لدير مار حنانيا المعروفة بقلعة المرأة. وحاولوا تخريب سرجا المجاورة لنصيبين لكنهم فشلوا في زعزعة البناء القديم لمتانته، وهدموا الجزء الحديث الذي كانوا قد شيدوه هم، وأخلوا القلعة. وكان في هتاخ حصن منيع لم يسقط بأيدي الأتراك، بل ظل بيد شخص من قبيلة آل مارون الذين تولوا السلطة في ميافرقاط. فلما انقسم اصحابه وتخاصموا في مابينهم، ورأى حسام الدين ان ليس للأكراد من يساندهم، حاصرهم مدة سنة واربعة أشهر، فطلب أحمد عهداً فأعطاه، كما أعطاه أموالا وقرى في منطقته بديلا عن الحصن، غير أن الكردي ندم فيما بعد والتجأ الى صاحب آمد ليسانده في استرجاع الحصن، فلم يفلح .

بعد جلاء الرها، خرج قرصلان بن داود من لدن زنكي وحاصر تل ارسينيوس وطلب تسليمها اياه، فلم يستجب السكان لأن ابناءهم كانوا

رهائن في حصن زياد، فلم يجر لهم ماجرى لابناء الرها الذين تنازعوا دون أن يكون لهم نصير، لكنهم استعبدوا جميعاً في حين حاولوا ان لايستبعد أحد منهم، حيث أمر الأمير أن يؤخذوا عبيداً، وعددهم نحو خمسة عشر الفا، جاء بعضهم من الخارج، وكان بينهم الأسقف طيمثاوس وجماعته .

في هذه الأثناء، تأهب الافرنج للتوجه الى الرها لمساعدتها، فاذا بنبأ دمارها يفاجئهم، فحزنوا جداً، فدخلوا الى تلعدا، وتجمهر حولهم الأتراك ومنعوا عنهم الطعام فعضهمم الجوع فهربوا كما غادر اهل سروج المدينة فدخلها الأتراك. وحاصر زنكي البيرا، في حين صعد جوسلين الى القدس بحجة حشد جيش.. وفي الموصل حصل انقسام، فاخرجوا ابن السلطان المعتقل هناك وقتلوا نصر الدين نائب زنكي. فلما سمع زنكي ترك البيرا وجاء الى حلب وعقد صلحاً مع الافرنج، فنجت منه البيرا. ثم ارسل زنكي زين الدين قائد جيشه وأعاد السلام الى الموصل وأعادوا ابن السلطان الى المعتقل فاستعاد زنكي قوة معنوياته .

في هذه الفترة، نشط النزاع في كنيستنا وتساءل ماريوحنا اسقف ماردين عمَّ اذا كانت التجارب والبلايا والأحداث المؤلمة، من الله ؟ وكان لمار يوحنا شهرة مستفيضة في كل الأرجاء وبخاصة لدى الارثوذكس، ووصف بأنه البقية الباقية من البركة التي للشعب الارثوذكسي. ولكن وبما أنه لم يتثقف منذ طفولته، حاول في شيخوخته الغوص وراء الكنوز الالهية المدفونة في الكتاب ليغني بها نفسه. فاعتقد بأنه ليس من اللائق أن تنسب كل النكبات والتأديبات الى الله. قال هذا رداً على الذين يذهبون هذا المذهب. وناقش هذا الموضوع مع طيمثاوس اسقف جرجر والمتوحد ابي غالب اللذين لم يستطيعا أن يقنعاه بهذا الرأي بالرغم من النقاش الحاد، فطوي الموضوع .

بعد أن نكبت الرها بتلك الضربة القاسية، ساد التذمر المسيحيين وتساءلوا: ترى لَمَ ترك الله الكهنة والمتوحدين القديسين يُقتلون، وتغتصب العذارى وما الى ذلك ؟ وعلى أثر ذلك كتب مار يوحنا يقول «ان الله لم يصدر أمراً بتسلط الأتراك على الرها وتل ارسينوس، أو أذن بالنكبات القاسية. فلو وصلت جيوش الافرنج لما استطاع زنكي احتلالها» وقد أذاع منشوراً مطولا ضمنه اقتباسات من الكتب وبراهين طبيعية لاثبات رأيه، لكنه لم يأخذ آيات الكتب المقدسة بمفاهيمها الصحيحة، بل من وجهة نظره هو. فقد فسر قول الرب «لا أريد بموت الخاطئ» بقوله: ان الخاطئ لايموت بمجرد تركه وشأنه.

فصل

في مصرع زنكي وغيره من الأحداث التي جرت في هذه الفترة

يوم الخميس ١٣ كانون سنة ١٤٥٦، في الشهر الذي تم جلاء الرها، شب حريق في دير قريّط بمنطقة كرشنا، فأتى عليه وعلى كل مافيه. وذهب ضحيته راهب شيخ، ونجا بقية الرهبان. وفي اليوم ذاته احترقت قرية احذا بمنطقة مرعش. ويوم الجمعة من نفس الشهر. شب حريق في دير مار برصوم، وأتى على ثلاث غرف فقط. وفي مطلع ايار وفي تمام الساعة الحادية عشرة مساء، شوهد مذنب ذنبه باتجاه الجنوب واستمر ظهوره سبعة أيام. ثم شوهد في الغرب مدة سبعة أيام أخرى. وفي ٢٤ أيار، وهو عيد الصعود، حدثت هزة أرضية عنيفة.

في هذه الفترة، شرع بغدوين الافرنجي صاحب كيسوم ببناء سورها بالحجر والكلس، بدلا من اللبن والطين التي كان مبنياً منها. وكان قاسياً على المسيحيين، حتى انه اتخذ بعضهم عبيدا، لكنه قتل بعد أن أنجز نصف السور فقط. لدى شعور الافرنج بضعفهم، توجه بيدوين صاحب انطاكية سنة ١٤٥٧ الى مانوئيل ملك اليونان في القسطنطينية، واعتذر عما ارتكبه بحق والده، اذ سمع ان والده أوصاه بالانتقام من الافرنج. وازاء هذا التنازل، اكرموه ونفحوه بالمال والعطايا السخية، شريطة أن يساند المسيحيين. أما زنكي فقدم الى الرها ومكث فيها اياماً يشجع السريان الذين هناك، ويعطف من كل قلبه على المسيحيين المتواجدين فيها. ولما ذهب الى قلعة جعبر على شاطئ الفرات، أدركه غضب الله بأحكامه غير المدركة، اذ غدر به أحد قواده وتآمر مع اثنين من معتمديه

اي الخصيان حماة سريره، وقتلوه بعد أن أنعسته الخمرة، وذلك فجر يوم الأحد ١٥ أيلول. وعلى هذه الصورة انتهت حياته .

استغرق حكمه في الموصل والمناطق الأخرى ١٩ سنة، بضمنها سنة وعشرة أشهر في الرها. أما قاتلاه، فقد هرب أحدهما الى قلعة جعبر فنجا، وهرب الثاني الى الرقة، وتشتت جيشه، وتفرق أولاده كل الى جهة. فقد تولى محمود المدعو نور الدين الحكيم في حلب، وغازي سيف الدين في الموصل. واضطربت الأمور وانتشر اللصوص الأتراك في كافة نفوذ زنكي وسلبوا دون رحمة كل ماوجدوه .. في هذه الفترة، نهب دير قرتمين وقتل فيه أربعة رهبان .. دخل قرصلان صاحب حصن كيفا منطقة طور عبدين التي كانت يوماً ملكاً لوالده ثم اختطفها زنكي، وقد أعادها الآن بعد معارك عنيفة .. وفي الموصل، حاول بعضهم تولية ابن السلطان الذي كان معتقلا فيها، فقاوم ين وقتل منهم عدداً كبيراً وأبقى ابن السلطان في السجن، وولى غازي سيف الدين بن زنكي .

عندما ظهرت رسالة يوحنا أسقف ماردين، وفيها نفي قاطع لكون خراب الرها تم بارادة الله، تصدى لها كل من ايوانيس اسقف كيسوم وابن اندراوس. فكتب كل منهما رداً عليها، وفي ملطية أيدها القس صليبا فريجه أحد أبرز الأدباء يومذاك، مؤكداً ان مار يوحنا استند في رأيه على كتب الآباء الثقات. وبالرغم من ذلك فقد انتقد بعض ماجاء فيها، كما انتقد ماكتبه الذين ردوا عليه، وقال: ان يوحنا مطران ماردين بنفيه ارادة الله كلياً عن بلايا الصديقين، يكون قد أبعد قوة عناية القادر على كل شيء، وان الآخرين باصرارهم على ان كافة النكبات والضربات تأتي: بارادة الله، يكونون قد نفوا رحمة الله وعنايته بكل انسان. وبناء عليه يجب ان نفهم « الارادة » على أنواع. فقد تأتي بصيغة أمر، أو على هيئة السماح. وهذه تحتاج الى مزيد من التدليل استناداً الى شهادات الآباء القديسين، حتى تظهر الحقيقة. وحيث أن هدفنا من هذا الكتاب لايتناول

مثل هذه الأمور، بل أحداث العصور فقط، فلا نريد أن نضع القارئ في متاهات عندما ينتقل من خبر الى آخر، لكننا ننصح من يود أن يعرف حقيقة هذا الأمر، بمطالعة الكتاب المجمع من الكتاب المتبحرين تأليف ديونيسيوس يعقوب ابن لصليبي مطران آمد، حيث أنه يميز فيه هذه الأنواع بصورة واضحة وصحيحة وبحسب ما ذهب اليه الملافنة القديسون .

فصل

في خراب الرها الثاني وشؤون أخرى

ذكرى الربان المتوحد توما، والأسقف عبدو

عاش في هذه الفترة، في جبل زابر، الربان المتوحد توما واستاذه المطران الطوباوي. ويطيب لنا أن ندرج سيرتيهما بين سلسلة كهنة لكنيسة فنقول كان الربان توماً من حصن شمرين بمنطقة سود المجاورة لملطية، وحين اشتدت المجاعة في أيام بوزان التركي، جاء الفتى توما الى دير زابر لدى خاله الراهب، فرغب في السيرة الرهبانية ونسي والديه وابناء جنسه. وتواجد آنذاك رجال فضلاء، أحدهم مار ايوانيس عبدو اسقف كرشنا، وكان شيخاً فاضلا نهج منذ صغره سلوكاً حسناً وتتلمذ لأناس أتقياء وتثقف عليهم، متمرساً على شغف حياة الوحدة حتى الشيخوخة. وبعد الحاح شديد وضغط الروح قبل درجة الأسقفية على يد البطريرك يوحنا بن عبدون، ولكن بعد فترة، والتماس من البطريرك مقروناً بالبكاء، سلم الأبرشية للبطريرك فرسم لها شخصاً آخر. أما هو فاعتكف متوحداً. فلما رأى توما وتبينه ملياً شجعه على رغبته المقدسة، لا بل ألهبها في داخله، فتتلمذ له واستلم لنير الرهبنة المقدس، واعتكف هو الآخر في كوخ بعيد بعض الشيء أعده لنفسه. وكان الأسقف القديس يزوره باستمرار ويروضه على قراءة المزامير والممارسات الرهبانية. فشرعت الشياطين تحاربه، فيشجعه الأسقف على التصدي لهم كالأرض الخصبة التي تتقبل البذور الجيدة تثمر ثماراً طيبة أي الخصال التي ترضي الله. وبعد أن خدم الأسقف حتى رحيله الى الحياة الأبدية، واصل حياته في نفس المكان مدة ٦٤ سنة. حيث كان يصعد الى الجبل في

الصيف، ويرعى بنفسه بعض الأشجار والكروم ويصنع زبيبا من ثمارها، فيحصل على صنفين من المكاسب الروحية، أولهما ازدهار نسكه بعدم اكله منها، والثاني مقايضيته بعضها بالحنطة لسد حاجته الجسدية لئلا يثقل على أحد .

لقد وصل الشيخ الى درجة عالية من الكمال، وأهلّه الرب أن يسعف المرضى الذين يقصدونه بايمان، وكان يظهر لهم باستمرار. وقد سمعت انا ميخائيل شخصياً شهادة اسقفين هما عمي أثناسيوس مطران انازربا، ومار ايوانيس اسقف كيسوم اللذان شهدا بأن الربان توما قال لدى وصول زنكي لاحتلال الرها «ان الله اسلم الرها بيد الأتراك» فقال له الأسقفان، لاتقل هذا أيها الربان رحمة بنا. لكنه استطرد يقول: « أجل، أيها الأسقفان، حقاً ان الله اسلم الرها، وان عدداً كبيراً من مسيحييها سيقتلون ». وبعد الاحتلال الأول سمعت عمي المطران يقول للجمهور: سمعت الربان توما يقول « بعد سنتين ستشرب الرها كأساً أكثر مرارة من الأولى، كما سينهب دير مار برصوم وأديرة ازبر» فقال له الحضور، مالذي بقي في الرها ؟ أجاب: لاأدري، هذا ماقاله الربان توما، وهذا ماسمعته من البار منذ فترة. ولما حدث ذلك، تأكد لدى الجميع كل ماقاله الربان توما، وان الرؤى التي يراها والأشفية التي تتم على يده هي من الله وقد استشهد ذلك الشيخ بحد السيف لدى دخول الأتراك دير ازبر يوم الأربعاء ٢٧ تشرين الثاني، وهو عيد مار يعقوب سنة ١٤٥٨. ليكن ذكره للبركة، وصلاته معنا آمين .

سنة ١٤٥٨، لدى سمعهم بمقتل زنكي، اجتمع الافرنج مع جوسلين وبغدوين صاحب كيسوم، واتجهوا في تشرين الثاني صوب الرها. فصعد المشاة ليلا بالسلالم الى برجين بمؤازرة حراس السور، الأرمن، فهرب الأتراك الى القلعة. وفي الصباح فتحت منافذ المياه، فدخل جوسلين، فأرسل الأتراك وفود استنجاد الى حلب والموصل. كان

دخول الافرنج يوم الاثنين ٢٦ تشرين، وظلوا ستة أيام يدرسون كيفية مهاجمة القلعة. لكن الأتراك تجمعوا من كل حدب وصوب كالجراد، فخاف الافرنج لشعورهم بأن أزر الرب غاب عنهم، فاستسلموا لذهن مرفوض، والزموا أبناء المدينة الشقية على الالتحاق بهم، ظنا منهم بأنهم سيفلتون من أيدي الأتراك المحيطين بهم الذين لاحصر لهم. ولم يدر في خلدهم، عجزهم عن مقاومتهم وهم داخل السور، فكيف بهم في السهل ؟ غير أن قلوبهم قست مثل فرعون، وجروا الشعب المجرد وخرجوا في الساعة الثانية ليلا واضرموا ناراً في الساحة. فأجهش الشعب بالبكاء وغبطوا الذين ماتوا في الاحتلال الأول، لأنهم رأوا كيف ان النار التي أضرمها الافرج تحرق بيوتهم وممتلكاتهم، وسيف الأتراك مستل عليهم. وازدحمت الجماهير مع جنود الافرنج على باب المدينة. فقتل عدد من الناس والبهائم وأحصوا مع الذين اختنقوا سابقاً. أما الذين التجأوا الى الكنائس وأماكن أخرى، أو الذين ظلوا بسبب الشيخوخة أو بسبب أي شكل من أشكال الوهن، فنزل عليهم الأتراك من القلعة بلا رحمة، والتقوا على الذين نجوا من الاختناق والازدحام وخرجوا مع الافرنج، وأمطروهم بالنبال والسهام .

فيا لسحابة الغضب واليوم الذي توارت فيه الرحمة، وتضاعف التأديب العنيف على أبناء الرها. ياالليل الموت وصباح الجحيم ونهار الهلاك الذي باغت أبناء المدينة المنكودة. ترى من يستطيع أن يتحدث أو يسمع دون أن يذرف الدموع. تُرمى الأم ورضيعها الذي على كتفها بسهم واحد، وليس من يسعف أو يرد السهم. داستهم حوافز خيول المضطهدين على حين غرة، وعصرتهم معصرة الغضب. كانت السهام تنهمر عليهم في الليل، وفي الصباح كان الظلام أكثر كثافة من جراء السيوف والرماح التي فتكت بهم حتى الساعة التاسعة. وهم يسيرون في طريق الدم. واذ لمس فرسان الافرنج الشقاة عجزهم عن انقاذ الشعب، قرروا الهرب فطاردهم الأتراك. أما مشاتهم فلجأوا الى حصن مهجور قريب، ودخلوه

مع الشعب البائس، فصرخت الأرض من هول النكبة التي حلت بالمسيحيين، حيث تسلط السيف عليهم كتسلط السيف على السنابل، والنار على الهشيم، وتكدست جثث الكهنة والشمامسة والرهبان والأعيان والفقراء كالأغمار. وبالرغم من موت هؤلاء المؤلم، فانهم لم يتعذبوا مثل الذين بقوا على قيد الحياة، سقطوا وسط نار حقد الأتراك. فنزعوا عنهم ثيابهم وأحذيتهم. والزموهم، تحت العصا على اللحاق بالخيول رجالا ونساء وهم عراة، بعد ان شدوا أيديهم الى الوراء، ومن تهاوى منهم وسقط على الأرض شقوا بطنه وتركوه ليموت في الشارع فصاروا طعاما للحيوانان وقوتاً للطيور، ونتن الهواء برائحة الجثث وامتلأت آثور من السبايا.

قتل معظم فرسان الافرنج، ولم يعثر على جثة بغدوين صاحب كيسوم. اما جوسلیین الشرير فأفلت وهرب الى شميشاط، كما نجا المطران باسيليوس. وقبض على مطران الارمن مع عدد كبير منهم وبعض الافرنج. وفي حصن كوكب المهجور قاتلوا الاتراك الذين لحقوا بهم الى هناك، دفاعا عن نفوسهم، وفي الليل تراجع الاتراك الى السهل لسلب الثروات من ذهب وسواه، تلك التي كانت مخزونة منذ اجيال في المدينة المنكوبة، فحملها اصحابها وخرجوا، ولكن بسبب السيف المسلط عليهم، استهانوا بكل شيء. وبعد تراجع الاتراك، تسلل الذين في الحصن ليلا وهربوا الى شميشاط .

بلغ مجموع ماقتل في الاحتلالين ثلاثين الفا، وعدد الذين استعبدوا ستة عشر ألفا، ونجا الف من الرجال فقط، اما النساء والاطفال فلم ينج منهم أحد، اذ قتل بعضهم، وشرد الآخرون في شتى البلدان، وخلت الرها وصارت مثالا للرعب وهي متشحة بحلة سوداء وسكرى بالدماء. ونتنة بجثث ابنائها وبناتها، ترعى وتمرح فيها الوحوش ومختلف الحيوانات ليلا، لتقتات بجثث البشر، وغدت مأوى لبنات آوى، فلم يعد يدخلها سوى

الساعين وراء اكتشاف كنوزها. واخذ اعداؤها من بني حران وغيرهم ينبشون الكنائس ودور الاعيان قائلين «هه هه قد رأت بها اعيننا» .

كلمة توجيهية من وحي خراب الرها: بقلم ديونيسيوس مطران آمد

« لقد حُتم عليها الفناء والزوال، لم يبدأه الغرباء، بل بدأه المسيحيون اولا. ترى ماذا يقول السفهاء ؟ من الذي بدأ هذا التأديب وما اسبابه ؟ فان زعموا ان مصدره الرب، قلنا هذا غير ممكن، لان ذاك لايشاء بهلاك جبلته. ان الاعداء هم الذين شرعوا بالسلب والقتل وهتك العذارى وما الى ذلك. واذا قالوا ان الاعداء قهروهم دون تدخل ومؤازرة الرب، قلنا: هذا تجديف، لان الرب لا يهمل لكنه يسمح بقهرنا من قبل اعدائنا الخفيين او الظاهرين، اذا ما انحرفنا عن طرقه - ومن هنا علينا ان ننظر الى الضربة على انها توبيخ - ويصدر الحكم بما يتناسب ومدى الانحراف. ويجب الاّ يغيب عن بالنا، باننا مسؤولون عن كل ما يلحق بنا من خير او شر. فاذا رغبنا في الخير وعملنا من اجله، فان الرب يؤازرنا ويساعدنا على تحقيقه. اما اذا انحرفنا نحو الشر بمحض حريتنا، فان الشيطان هو الذي يشجعنا على تحقيقه، والرب نفسه يأذن بان تطيح بنا التجارب بسبب هذا الانحراف مثل اهل الرها الذين صارت آخرتهم أشر من اوائلهم، وحلت بهم للمرة الثانية نكبة رهيبة وخوف يعجز اللسان عن وصفه .

فلا تعتقدوا ايها الناس، بان مثل هذه النكبات تنزل بمجرد خطيئة شعب فقط، بل بسبب خطايا كثيرة ترتكب، في كل مكان. فليعرف هذا، اولئك الذين لم يدركوا بعد مدى خطورة ضربة المؤدب، وليتخذوا عبرة من عكار الذي اخطأ وحده، لكن العقاب طال جميع ابناء جلدته. وكذلك بسبب خطيئة أبناء عالي طال الدمار كل اسرائيل. فاذا كان اولئك الذين اخطأوا قلة وقد طال العقاب الشعب باسره، فكم بالاحرى يطالهم، في

عصرنـا هـذا الشرير الـذي فيـه انحـرف الجميـع عـن العدالـة. وانغمسـوا بالمنكرات وابتعدوا عن العفة واستمرأوا الخبث ؟ الا يستحق بعض النـاس والبـلدان التأديب بسبب خطاياهم الجماعية التي فاقت شعور الرؤوس .

فلنخّس الله ايها الاخوة، وننبذ الشراهة واصفاد الخطايا. وعلينا ان نفهم ذواتنـا، فـلا نصـب كـل اهتمامنـا بهـا، لئـلا يدركنـا الغضـب الـذي لا مناص منه اذا ما سقطنا علـى ظـهورنـا وتمرغنـا بحمـأة المفاسـد. ونكتفـي الآن بهذا المقدار.

فصل

في نزوح عدد كبير من الناس من الغرب على اثر تلقيهم اخبار الرها المشئومة. وشيوع عبارة الشياطين بين اليونان. وبعض ما جرى في الكنيسة من احداث في هذه الفترة

في ٢٥ كانون الثاني، شوهد مذنب في كبد السماء باتجاه المغرب، دام مدة شهر. وفي فجر يوم ١٥ شباط شوهد آخر في المشرق، دام خمسة ايام، وانحبست الامطار وجفت الينابيع .. وفي هذه السنة ولدت جارية في القسطنطينية طفلا له عينان وفم واضراس وذنب في مؤخرته – انه امر ضد الطبيعة .. ظهرت في هذه السنة بدعة شنعاء في القسطنطينية، يسميها اصحابها « فوكولموس Fogolmos»، انضم اليها عدد كبير من الرهبان والشعب وحتى بطريركهم فنحي وقام آخر بدلا منه، ثم اكتشف بانه هو الآخر من اصحاب هذه البدعة الذين يعتقدون بان المسيح انسان بسيط، ويزعمون أن ثبات هذا العالم منوط بالشياطين، وانهم موعودون بالغني والسلطة ويشمئزون من السجود للصليب، وقد تم بهم، كخلقيدونيين، قول الرسول الآلهي « الذين اساءوا الى أنفسهم اذ حسبوا انفسهم حكماء»، فقد انحرفوا عن الحق وزاملوا النساطرة، واستبدلوا الحق بالاثم لكي يغرروا بالسذج فاهملهم الله وتخبطوا بضلالهم، واضحت مدينة قسطنطين الظافر قاهر الشياطين، مسرحا لعبادة الشياطين. لقد عم هذا الضلال الى درجة ان رئيسهم انجرف الى الهوة، وتم فيهم قول النبي اشعيا «من اسفل القدم الى الرأس ليس فيه صحة،، ٦/١ » .

سنة ١٤٥٨ احتل طمرطش صاحب ماردين دارا، وبالمقابل، غزا غازي بن زنكي صاحب الموصل منطقة ماردين، فتقابل الطرفان استعدادا

للحرب، وقررا ان تكون المدينة للذي ينتصر، فتوسط بينهما بعض قضاتهم، فاعاد صاحب الموصل ما كان قد سباه واخذ المدينة. ومنذئذ تشجع الاتراك، فدخلوا مناطق الافرنج من كل الجهات .. دخل ميغلاصلان ابن السلطان مسعود، مرعش عن طريق جيحون، وسباها، وتقدم الاتراك نحو منطقة كيسوم فاستقبلهم دنكد الذي تولى حكم كيسوم بعد مقتل أخيه بغدوني. وفي هذه الاثناء خرج مانوئيل ملك اليونان وتصدى للسلطان مسعود، فجمع السلطان الامراء الاتراك والجيوش من بغداد وخرسان وبقية المناطق. ولما اوشك المعسكران على خوض المعركة، تدخل الافرنج فعقد الصلح، وعاد كل من ملك اليونان والسلطان الى بلاده ليحميها .

قصة

لما وافت انباء النكبات التي حلت في الرها، ملوك ايطاليا، تدفق الناس باعداد لا تحصى، بينهم ملكان وعدد كبير من القضاة. فكان مع ملك الالمان تسعمائة الف، ومع ملك فرنسا خمسمائة الف، وغيرها من الشعوب ذوي لفات مختلفة، فخاف ملك اليونان من ان يقضوا على مملكتهم اذا اجتازوا البحر وسيطروا، فتحالف مع الاتراك، لكنه ماطلهم مدة سنتين. وفي سنة ١٤٥٩ اثاروا حربا ضد القسطنطينية قاصدين تدميرها، فاعطاهم ملك اليونان اموالا واقسم لهم بالصليب والاسرار المقدسة بان يدلهم على سواء السبيل ولا يخدعهم، فوثقوا به وعقدوا معه صلحا. لكنه حنث باقسامه، وارسل امامهم أذلاء مخادعين فقادوهم الى جبال وعرة جدا. وبعد مسيره خمسة ايام، دون ماء، تنصل اولئك المخادعون وتركوهم معذبين، فمات منهم عدة ربوات جوعا وعطشا. فلما شعروا بانهم خدعوا، عادوا غاضبين على اليونان، فانتهز الاتراك فرصة تنازعهم واعملوا السيف في كل الجهات، وقضوا على عدة مجاميع تائهة وبلا طعام حتى كلوا من كثرة ما قتلوا، وامتلأت بلاد الاتراك من ثياب

الافرنـج وفضتهـم، حتـى غدا ثمـن الفضـة فـي ملطيـة كثمـن الرصـاص، وصُدّرت الى فارس .

كان اليونـان يخلطـون الكلس بـالقمح ويبيعونـه للذيـن عـادوا الـى سواحل البحر، فكانوا يتساقطون موتى اكداسا اكداسا لدى اكلهـم أيـاه. انـه حدث يثير الدهشة ويستحق التدوين للاجيال القادمة، ان يُقضى على شـعب لا حصـر لـه مـن غير قتـال، بـل لمجـرد خدعـة أثيمـة. ولـدى عودتهـم غاضبين، سيطر الافرنج على حصن واحد لليونان فدخلوه وقتلوا مـن فيـه .. لقد مات ملك رومية على اثر مرض، اما ملك الالمان والقضـاة الثلاثـة فوصلوا الى القدس، وهناك غـدر بهـم مـرة ثانيـة، لـدى تحـالفهم مـع ملـك الافرنج في القدس ومحاصرتهم دمشق. فقد ارسـل اهـل دمشـق الـى ملـك القدس سرا يقولون : لا يغرنك هذا الملك العظيـم، فسـوف لـن يدعـك فـي القدس اذا سيطر على المدينة، ونحـن نؤثـرك علـى هـؤلاء. وسنرسـل لـك اموالا لترسلها بدورك الـى الذيـن فـي البحـر لتبقـى مملكتـك لـك. فوعـدوا بأعطائـه اربعمائـة الـف دينـار، ومئـة الـف لحـاكم طبريـة. فـاخذوا المـال وعادوا الـى القـدس، ولـدى فحـص الذهـب وجـد انـه نحـاس مـن الداخـل، فوقعوا في خيبة أمل. ولما شعر الملك الالمان بانه خدع مـن قِبَـل اليونـان والافرنج، عاد الـى وطنـه كئيبـا. والـى هـذا المصـير انتهـى اولئـك الذيـن خرجوا لينتقموا دون اذن الله .

بعد تدمير الرها بالكامل، وصل مطرانها باسيليوس الى شميشـاط، فوش به بعضهم لدى جوسلين متهمين اياه بالتواطؤ مع الاتـراك، وقـالوا : اذا أفلت منك عاد اليهم، فيجـب ان يمـوت لئـلا يغـرر بقـى ويعيدهـم الـى الاتـراك. فقبـض عليـه جوسـلين وسـجنه فـي قلعـة رومانيـة مـع اسـرى مسلمين. فامضى هناك ثلاث سنوات، وكتب بعـض المقـالات عنهـا وعـن بقية الاحداث، كما رد على الذين يقولون ان البركة التي بـارك بهـا الـرب الملك أبجر قد زالت. وبعد مغادرته السجن اخذ يتجـول ويجمـع الصدقـات

لكي يفتدي ابناء جلدته الاسرى لدى الاتراك، فوصل الى انطاكية والقدس، ورحب به ملك الافرنج وبطريركهم، وفي طريق عودته وصل الى الموصل والتقى زين الدين نائب زنكي الذي كان يدير شؤون الدولة مع ابن زنكي، فاحتفوا به وخصصوا له راتبا لمعيشته. وبعد فترة شخص الى البطريرك اثناسيوس الموجود يومذاك في آمد بين النهرين، وطلب أن يعينه لابرشية سيببرك والشمال التي كانت يوما مناطة بمطران الرها .

فصـل

قصة الرها بقلم مطرانها مار باسيليوس

بعد الطوفان الذي حدث في ايام نـوح، بنـى الملـك غـرود مـن آل كنعان الرها، وكان من ادر ساره اعني القرية التي سكنها الكلدانيـون، فقـد اضاف كلمة «اعني» لتعطي معنى مدينة الكلدانيين، كقولنا اورشليم، مدينة السلام. وقد ازدهرت فترة طويلة ثم بادت .

(يتحدث يعقوب الرهاوي عن خرابها فيقول)

لم نعثر علـى اسـم مدمرهـا، ومـن المعتقـد انهـا دمـرت فـي عهـد سنحريب الذي صعد الى أورشليم، وظلت مهجورة حتى أُعيد بناؤهـا فـي عهد الاسكندر. فقد انشأها الذي رافقوه مـن مقدونيـة وسموها « اريسـا » اي المحبوبـة باسـم مدينتهـم فـي مقدونيـة، لـذا اضيـف اليهـا اسـم سـورو مقدونوس. وبناء على هذا فانها تبعت التقويم الذي يبدأ بسولوقس نيقـاطون لانها أنشئت من قبله. وبعد ٣٠٠ سنة تولـى الحكـم فيهـا ابجـر بـن معنـو الذي آمن بالمسيح، وبعد الاباجرة، خضعت لسيطرة ملـوك روميـة الذيـن كانوا لا يزالون وثنيين عابدي الاصنام، وظلت تحت سيطرتهم ٣٠٠ سـنة أخرى. وفي هذه الفترة تكلل المعترفون الظافرون، شمونا وكوريا وحبيـب وقوزما وروميان. وازدهرت فيهـا المسـيحية فـي عهـد الملـك قسـطنطين، فشيدت فيها كنائس فخمة. ولما حكم بامينوس الوثـني، فشـل فـي السـيطرة عليها، وكذا واليس الهرطوقي. بعد عهود هؤلاء نعمت المسـيحية بالسـلام

حتى عهد مرقيان الهرطوقي. ولما اشتد الاضطهاد في عهد يوسطنيان وخلفائه، وظهر العرب في عهد هرقل، انتقلت الى نفوز ملوك العرب منذ عهد عمر بن الخطاب. حتى ظهور الاتراك اي نحو ٤٠٠ سنة. وفي عهد الاسلام انهار سورها المتين الذي كان قد أقيم في عهد سلوقس وأشاد به مار افرام.

اما سبب تدميره فهو: ان منصور دونيقي، بعد سيطرته عليها، بنى له قصرا في الرقة، وطلب من الرهاويين اعمدة رخامية صغيرة من التي في الكنيسة الكبرى، فرفضوا، فغضب عليهم، فتمردوا بدورهم فحاصرها ودمر كنيسة مار سرجيس، ثم خرج اليه بعضهم خلسة واتفقوا على تسليمه اياها اذا اقسم بان لايسيء الى أحد، فاقسم بانه لن يقتل او يسيء او يغير شيئا او يأخذ شيئا من المدينة باستثناء فرس واحدة بيضاء ويقتلها رمزا للانتقام. فلم يفهموا ما الذي عناه بالفرس حتى دخل وسيطر فكشف لهم أن السور هو المقصود بالفرس. فدك ذلك السور العجيب ولم يترك منه سوى برج واحد تنساب منه مياه الطواحين. وبعد ٤٠ سنة، وفي عهد المأمون اعاد بناءه ابو شيخ الكندي الذي تمرد على الخليفة المأمون. وبعد فترة طويلة حكمها اليونان، وتم لهم ذلك عن طريق شخص يدعى سلمان احتال على الامير وسلم القلعة العليا المتخذة مقرا للحامية، الى شخص يوناني يدعىماينج، فاخذ كل من المسلمين والمسيحيين المقيمين فيها اولادهم وهربوا، لان المسيحيين كانوا منسجمين مع المسلمين من ناحيتي اللغة والكتابة. ومشمئزين من اليونان بسبب هرطقتهم وشرهم، لذا آثر المسيحيون المغادرة مع المسلمين. وبعد ان شعرت المدينة اضرم احد المسلمين نارا فأتت على البيوت والكنائس، فتسلمها اليونان خالية، ثم عاد اليها نفر يسير من الشعب، وتبدد الآخرون فوصل بعضهم الى تكريت. وبعد فترة قام فيها حاكم يوناني تقي يدعى ابا كنعب، وبطلب منه رسم البطريرك ديونيسيوس، اثناسيوس يشوع رئيس دير مار ابحاي صاحب المرقاة، مطرانا للرها فازدهرت في

ايامه بمساندة الحاكم الذي كان يحبه لانه جمع السكان من كل حدب وصوب. ثم سافر الى ارمنيا حيث منبع نهر الفرات وجلب خشبا وبنى كنيستين فخمتين، كنيسة والدة الله وكنيسة مار ثاودورس. ثم تولى الحكم فيها فيلاردوس .

في هذه الاثناء، قوي جانب الاتراك، فشخص فيلاردوس الى سلطان خرسان واشهر اسلامه، فلما سمع الرهاويون بما فعله فيلاردوس، قتلوا الوالي المدعو فرغيماوس. ثم حكمها بوزان فقتله توتش، فسيطر عليها تادروس بن حاتم قورابلاط مدة سنتين في عهد المطران اثناسيوس بن برابشاي، ثم سلمها الى الافرنج بعد ان رأى انه عاجز عن حمايتها، واول من تولى حكمها من الافرنج، هو قوميس بغدوني الذي قتل ابن حاتم. ولما توفي اخوه كوندفر ملك القدس، خلف اخاه في القدس وتولى حكم الرها بغدوني ملك القدس، اوصى بالملكية لابن اخته بغدوني الثاني، وأعطيت الرها لجوسلين الجبار، وبعد موته خلفه ابنه جوسلين الثاني. ومنه انتزعها زنكي، وخربت كليا بعد مصرع زنكي عام ١٤٥٨ .

فصل

في تولي طوروس الحكم في قيليقية، ومختلف الاحداث التي جرت في العالم، وفي كنيسة الله في هذه الفترة

سنة ١٤٥٩ اتخذ البطريرك ما اثناسيوس، آمد مقرا له للمرة الثانية، وأن يوحنا بن اندراوس اسقف منبج، غيّر ابرشيته بشكل غير نظامي ومن غير وجه حق. وقبل ذلك كان البطريرك والاساقفة مجتمعين في تل بشر للفصل في النزاع بين ابن اندراوس وطيمثاوس اسقف كرشنا. وبعد حوار طويل تبادلا الابرشيات، فاخذ ابن اندراوس كرشنا، وجاء ذاك الى تل بشر. ثم عاد البطريرك الى آمد، وتخاصم ابن اندراوس مع الحاكم فيلارطوس، الارمني الجنس والافرنجي الاخلاق، واليوناني في فكره الهرطوقي، فاضطر ابن اندراوس الى ترك ابرشية كرشنا، وتوجه الى دير للمتوحدين على نهر الفرات، للخلوة، فعاد اسقف كرشنا الى وظيفته .

بعد ان قبض ايواني ملك اليونان على لبون الارمني وأتى به الى القسطنطينية كما تبينا سابقا، انقسمت منطقة قيليقية، قسم تحت سيطرة اليونان وأخر تحت سيطرة الاتراك. وبعد وفاة الملك ايواني ووفاة لبون في القسطنطينية، تمكن ابنه طوروس من الافلات، وغادر القسطنطينية متنكرا ومشيا على الاقدام. حتى وصل الى مار اثناسيوس مطران المنطقة الذي كان يثق به منذ ايام والده، فسأله ان يطلب الى الله ليعيده اليه ارض آبائه، فباركه الاسقف القديس وهو يبكي، واعطاه ثمن فرس. فلما حصل على مركوب، تبعه ١٢ رجلا، فاتجه صوب حصن عامورا، واذ علم سكانه بوصول ابن سيدهم قبضوا على مَن فيه من اليونان وسلموا الحصن لطوروس، وفي اعقاب انتشار خبر هذا الحدث، خشي اليونان والاتراك

بأسه، وسرعان ما سيطر على عدة مناطق، والتف حوله الشعب من الارمن والافرنج، ولما جاء طوروس ليطلب يد ابنة سيحون الافرنجي صاحب رعبن، كان الاتراك قد غزوا المنطقة في اليوم نفسه. فتصدى لهم وقتل منهم ثلاثة الآف، وحرر الذين كانوا قد سبوهم مع سائر المنطقة، فعظم شأنه. ولدى عودته الى قيليقية، ترك اليونان والاتراك والمدن والحصون وهربوا من امام وجهه .

سنة ١٤٥٩ التي فيها سيطر طوروس، غزا نور الدين زنكي منطقة انطاكية، فابدى جوسلين ارتياحه لذلك. لحقده الدفين على بيدوي صاحب انطاكية الذي سبق وان رفض نجدته في محنة الرها. ورحب نور الدين صاحب حلب بموقف جوسلين وارسل وفدا وعقد صلحاً معه، ثم التقيا في السهل الواقع بين حلب وعزاز، واقسما على العهد، فاختلط الافرنج مع الاتراك واكلوا وشربوا سوية. لكن هذا صار سببا لسقوطهم .. في السنة نفسها غضب ملك جزيرة صقيليا على ملك اليونان لانه قضى على الافرنج غدرا، فقاتل مدينة تابيس انتقاما لشعبه، ودمر اليونان وهرب، ثم احتل اندريوبوليس وفيليبوبوليس. فحاول مانوئيل ملك اليونان الانتقام من الرومان، فحاصر احد الحصون، فارسل ملك صقيليا جيشاً عرمرماً بحراً على متن السفن، فانزلوا باليونان اقسى الكوارث، ووصلوا الى القسطنطينية، وتقدموا حتى اقتربوا من البلاط المشرف على البحر فامطروه بوابل من السهام، فترك ملك اليونان الحصن وعاد. وتصدى اليونان للافرنج ودرات معركة عنيفة في البحر. فقتل العديد من كلا الجانبيين. واخيرا عاد الافرنج الى بلدهم، وعاد اليونان وملكهم الى القسطنطينية .

سنة ١٤٥٩ انحبست الامطار في كل مكان، ونقصت مياه الينابيع، فتضايق الناس، فقد مرت عدة مناطق وخلت من السكان، لاسيما تلك الخالية من الانهار والعيون. واستمر انحباس الامطار حتى منتصف

كانون الاول من السنة التالية، وغدا الخريف كأنــه صيـف، واشـتد عطـش البشـر والبهـائم والطيـور، واخـيرا اشـفق الــرب ونــزل المطــر فــارتوت الارض، وجاء شتاء لطيف كالربيع .

فصـل

في غزو جوسلين لدير مار برصوم سنة ١٤٥٩

ايها الاحباء. لايفكرن احد، وهو يقرأ هذا الخبر، في ان يشك في قوة الله الحالّة في قديسيه ويقول، ان الذي صنع المعجزات الالهية، فشل تجاه الأثمة. بل عليكم ان تؤمنوا، كما يجدر بالمسيحيين، بان لاشيء حدث او يحدث دون معرفة الله الفاحصة كل شيء سواء اكان ذلك بمشيئته ام باذن منه. فكل ما يحدث وهو يؤول الى المنفعة العامة، يتم بموجب كلمة الله التي لا تستقصى واحكامه التي لا تدرك. فمثلما سمح لفرعون مصر ام يطغي لميله الى الطغيان، وقد كتب «ان الله قسىّ قلبه لكي يلقى مصيره غرقا في خضم البحر وهو يطارد الشعب المنقَذ. ومثلما ان الشعب المختار استعبد لنبوخذنصر في ازمنة متفاوتة، لميلهم الى الامم، والرب يعرف ذلك هكذا نستطيع ان نعرف نحن ايضا اليوم، تنوع الحالات التي نحن فيها. هناك امران يشيران الى الاسباب التي ادت الى غزو هذا المكان المقدس في ايامنا هذه. الاول هو خطايا ساكنيه الذين ضلوا وساروا في الطريق الرحب المؤدي الى الهلاك، فتركهم القديس، بل روح الله الحال فيه، لهذه الصُفعة. والثاني ان جوسلين تشبها بسليمان بن داود، ترك آله آبائه المؤمنين وسلم نفسه لعبادة الشيطان والشهوات السمجة. واذ لم يرتدع بانتهار العناية الالهية اياه، تركه الرب ليقسو قلبه مثل فرعورن ويستهين بالقوة القادرة الحالّة في القديس، وآسلم لذهن مرفوض. فلم يَبح بفكره الشيطاني لاي من الزعماء الذين معه خشية ان يُسرّوا الى الرهبان بما يدور في ذهنه باعتبارهم مسيحيين. فجميع قواته متظاهر بأنه يتجه صوب منطقة الاتراك لينهب ويسبي، لكنه جاء الى حران. وبعد ثلاثة ايام صعد الى جبل حورا واستقر على نبع ايزا في

اعلى منطقة كلوديا، حتى شعر به الشعب فهربوا. كل ذلك من اجل ان يُلبس الرهبان تهمة خداعه وتهريب رهبان آخرين .

ولما علم بهروب سكان المنطقة، قال للذين معه. بما ان خطتنا قد فشلت، فلندخل الى اقرب دير للصلاة ومن ثم نعود. وصباح يوم السبت ١٨ حزيران، باغت الرهبان الذين فرحوا بمقدمه ظنا منهم بانه جاء للصلاة، وسرعان ما سقط الجباة في شراك محبة المال التي هي عبادة اوثان كقول الرسول الآلهي. لقد ظن جوسلين انه سيجد هناك ذهبا كثيرا، وظن الرهبان انه جاء حاملا اليهم الذهب، لذا خرجوا لاستقباله لدى الباب الجنوبي وهم حاملون الصلبان والاناجيل. فما أن شاهد الصليب حتى ترجل وتظاهر وديعا امام الصليب. ولكن ما أن دخل وجلس حتى كشف مؤامرته لمن حوله من جند الشر وارسلهم ليكشفوا على القلعة. فشعر بعض سكان الدير بأن في الامر خدعة غير انهم لم يتمكنوا من افشالها. فصعد خمسة رجال واخرجوا من هناك راهبا شيخا وخادمين، ثم جمعوا الرهبان وحبسوهم في الكنيسة، ودعا الشيوخ واتهمهم باشعار الاتراك بوصولهم الى ملطية فهربوا. فأكدوا له عدم معرفتهم بذلك. فقال: لوكنتم صادقين بقولكم انكم لا تساعدون الاتراك، اذن اعطونا كل اموال منطقة الاتراك المودعة عندكم. فقد علمنا بأن الاتراك أخفوا عندكم اموالا طائلة. فعليكم أن تعطوا هذه الاموال للمسيحيين لكي يقوى جانبهم، فينتقموا من الاتراك الذين نهبوا اديرة زابار. فقالوا: لوفعلنا هذا سوف لن نستطيع العيش في هذه المنطقة. فهاج وماج واخرجهم من الكنيسة، وسجنهم ذلك اليوم في بيت سابا المعروف بالقاعدة، وارسل قسوساً إفرنجاً فدخلوا الكنيسة واخرجوا كل ما وجدوه فيها من أطباق فضية وآنية البخور وكؤوس وصلبان ومباخر وقناديل ومراوح واناجيل وكتب. ثم اوعز الى جنده ففتشوا القلالي وجمعوا كل ما وجده من ذهب وفضة ونحاس وحديد والبسة وبدلات وفرش الكنيسة. فلما رأى ذلك بعض الاخوة (الفرير) الذين معه، قالوا له: نحن رافقناك لنحارب الاتراك ونساعد المسيحيين، وليس

لنهب الكنائس والاديرة، فتركوه وعادوا دون أن يأكلوا خبزا او يشربوا ماء .

اما الشقي وقد تركه الله وعميت بصيرته ونفسه، فلم يفكر بأن سقوطه صار قاب قوسين او أدنى. فصرف يوم السبت بالنهب أخذا كل ما يمكن حمله، واخرج الرهبان والشعب من الدير مساء يوم الاحد، واصطحبهم معه وباتوا عند كرم يدعى «كرم الفيل» على شاطئ النهر، وترك الشقاة حامية في الدير من بعض قطاع الطرق الاشرار من الافرنج والارمن. وفي الصباح وبتحريض من الشيطان، عاد الى الدير المنكوب وارخى العنان للسراق والمفتشين، فاعادوا تفتيش كل القلالي، وصعدوا الى المعصرة ودخلوا غرف الخدم ونهبوا كل ما وجدوا وحملوا الجمال والبغال كل ما جمعوه من اثاث الكنيسة وقطع النحاس وغيرها من الاشياء بينها صليب ذهبي، كسره الطاغية ووزعه على زبانيته، واخذ بغال الدير الاثني عشر، واصطحب معه الرهبان الذين عادوا الى الدير، وكانوا نحو خمسين، ووصلوا الى غوتي يوم الاثنين .

دخل جوسلين الدير يوم السبت ١٨ حزيران ١٤٥٩، ويوم الاثنين طرد الرهبان فوصلوا يوم الثلاثاء الى حصن منصور، فانتشر خبر هذه العملية، فخاف الناس. واوصى بأن لايترك الدير خاليا لئلا يدخله الاتراك. وفرض على الرهبان دفع عشرة الاف دينار ليسلم اليهم الدير. فجلب الرهبان الصندوق الموضوع فيه يمين القديس، وآنية اربعة اديرة كانت مودعة عندهم، وهي دير ما ابحاي، ودير سرجيسيه ومديق وحرصفتا. وكان في الدير بعض الرهبان والخدم يرئسهم راهب شيخ يدعى ابراهيم مودعل. ووضع جوسلين في القلعة العليا عشرين جنديا ارمنيا وغيرهم فمن نهبوا ديرنا دوغا انصاف، بما فيه من حنطة وخمر وزيت وعسل وثياب واشياء أخرى، فاخذوا ذخائر القديس والرهبان الى تل بشر، وهناك افتداهم بالذهب بعض الافرنج والسريان والامن، لكنه أبقى معه نفرا من

الرهبان وثلاثة من الشيوخ هم داود ويعقوب وسرجيس، وعاد البقية الى الدير في آب وطردوا منه الارمن، وكان يرئسهم الشيخ لعازر ويساعده قسطنطين، واصطحبوا معهم مار ايوانيس اسقف كيسوم. ولدى رؤيتهم المذبح المقدس قد تهدم وتدنس، بكوا بكاء مرا طيلة ذلك النهار. وطلب الجند وعددهم ١٥٠ الى الرهبان والخدم ان يقسموا بأنهم لن يغلقوا الباب بوجه جوسلين او ابنه فاقسموا مرغمين. وامض الجند الارمن والافرنج نحو ٧٠ يوما في الدير، لم تُقدم خلالها الذبيحة الآلهية او اية خدمة أخرى. فكتبوا الى البطريرك فاوعز الى مطران كيسوم ليقيم شعائر تطهير الاماكن المقدسة، ويعيّن الراهب لعازر رئيسا، كما عين ساعورا للكنيسة ومدبرا للخدمات الاخرى بحسب تقليد الدير ونظامه المعمول به منذ اجيال، هذا وقد تبرع الرهبان والخدم بكل ما يمتلكون من أموال لتدفع فدية لهذا المكان المقدس .

وعليه، وكما سبق القول، فأن ماجرى لم يكن بمنأى عن معرفة القدرة الآلهية الحالّة في يمين سيدنا مار برصوم، بل بسماح منه، من اجل توبيخنا وابطال طغيان جوسلين الذي أهان الآنية المقدسة مثل بلشاصر الوثني الطاغية والذي ضُرب في حينه باشارة من اليد التي ظهرت باعجوبة. وهكذا ايضا وبكل عدل ضُرب هذا ضربة قاضية كما سيأتي الحديث بعونه تعالى. هذا وفي ما دوناه هنا عن غزو الدير المقدس، الكفاية .

ماجرى في مدينة ملطية في هذه الفترة من جراء هذا الحدث

كان الامير غازي والد دولة التركي حاكم ملطية، قد فرض ظلما، ضرائب على الدير يدفعها لملطية. فلما سمع دوله بدخول جوسلين الدير،

ظـن ان الرهبـان سـلموا الحصـن لجوسـلين تخلصـا مـن الضـرائـب التـي ضوعفت عليهم ظلما، وكانوا يتذمرون منها. فافرغ هذا الامير حقده علـى مسيحيي ملطية وقال لهـم: سـأنتقم منكـم لان ابنـاء دينكـم سـلموا الحصـن للافرنـج، وبذلـك اضيـف همّ آخـر الـى همهـم مـن نهـب الديـر، وبطلـت الصلوات من الكنائس، ولم يقرع الناقوس مدة ثلاثة ايام. ولدى تـأكده مـن عدم تسليم الرهبان الحصن لجوسلين، انمـا دخلـه بالاحتيـال، توقـف فـوار عن اضطهاد الملطيين. وحشـد جيشـا وتـأهب لاخـراج الافرنـج، فـاحتلوا الحصن فعلا. وبتدبير الهي حضـر الـى كلوديا ١٢ راهبا ونحـو خمسـين خادما واخذوا الثـيران والامتعـة وجـاءوا الـى ملطيـة ليحتمـوا فيهـا ريثمـا يقرروا مصيرهم. وقـد سـاعد مجيئ هـؤلاء علـى تهدئـة غضـب الامـير. وكان بينهم شيخ تقي يدعى ابراهيم ويلقب بـ «سورورديم» دخل الى الامـير وقال له: ان مجيئك سيلحق بك خسـارة كـبرى لانـك لـن تسـتطيع احتـلال المنطقة عسكريا، كما ان اسلوب السرقة لن يفلح، لكن تمهـل قليـلا ونحـن نرسم خطة لاحتلالـه، فحسـن لـه هـذا الكـلام. واغدق علـى الذيـن طلبـوا حمايته خيرات سخية، كما ساعد الدير فيما بعد، حيث انه عفاهم عـن دفـع الضرائب في تلك السنة وطلب اليهم ان يتعهدوا لـه فاقسـموا، ثـم التمسـوا من البطريرك العفو عنهم لقسمهم، لانهم اقسموا لجوسلين مكرهين .

وارسل جوسلين الى الامير دوله يقول: لقد اغتصبت اديرة زابـار العائدة لي ودمرتها. اما انا فأخذت دير مار برصوم وهو أعلى من غـيره، فهو كالنسر بين الطيور، وها هوذا قد اعدتـه اليـك - وبطلبـه الصلـح مـع الامير يكون قـد حلّ القسـم الـذي وضعـه علـى الرهبـان - فاجـاب دولـه: مثلما تسعى انت الى السلم، كذلك نفعـل نحـن ايضـا. ولكـن قـل لي، بماذا تؤكد رغبتك في السلام، بعد ان برهنت على ان لا ايمان لك. ان المسلمين يقسـمون بكتـابهم، ويقسـم المسـيحيون بـالصليب والانجيـل، امـا أنـت فقـد انتهكت حرمة الانجيل، وكسرت الصليب. فلا شأن لك بالايمان المسـيحي، فافصـح عمّا تعتقد بـه، هل انت يهودي ام وثني ؟ لكي على اساس معتقـدك

نعمل على تحقيق السلام معـك. وبهذا الكـلام يكـون الـتركي الـبربري قد بكت المسيحي الكذاب. واخـيرا سـقط جوسلين، فعـاد الرهبـان الـى الديـر المقدس، وبعناية الله اصلحت الامور من كلا الجانبين .

انتهى هذا الخبر المشئوم حول نهب دير مار برصوم

فصـل

في مصرع صاحب انطاكية، وبغدوني وارغس انغد صاحب كيسوم. واغتصاب الاتراك ثيران واغنام الدير

في هذه الفترة، اشـهر هـرون السجستاني اسقف حديثة اسلامه، وكان قد سكن ديـر مـار متـى، ورسـمه المفريـان، غنـاطيوس اسـقفا لتلـك الابراشية الواقعة في بلاد فارس. وبعـد ان اسلم نـدم وعـاد فلـم يُقبل فـي ابرشيته ولم تعُد اليـه درجـة الاسـقفية، فذهـب الـى القسـطنطينية واعتنـق الخلقيدونية، تلك الوحدة المليئة حمأة والتي تستقبل كل خنزير يسعى اليهـا. لكنه عاد تائبا ثانية. فقال البطريرك اثناسيوس، ولئن لا يستحق الكهنوت، غير انه ليس مـن اللائـق رفـض التوبـة، فقبلـه وأذن لـه أن يقـرأ الحسـاي (صـلاة استغفار). فنشـب نـزاع بين البطريـرك والمفريـان. فقـد عـاتب المفريان البطريرك لقبوله اياه قبل ان ينفذ قوانييـن التوبـة، فـي حين اتهـم البطريرك المفريان برسامته قبل فحصه، فتراجع المفريان عن موقفه بعدم قبول توبته، غير انه عاد ولام البطريرك لانـه ارتكـب نفس الخطـأ الـذي ارتكبه هو، اذ قد ارتد ذلك الشقي الى الاسلام ثانية بعد فـترة مـن اعـلان توبته، وتردد مع الفقهاء بضعة أشهر ثم ندم أيضا وتوجه الى القـدس، فلـم يقبله ابناء الكنيسة فذهب الى الموارنة في جبل لبنان، وتوفي هناك.

فـي ايـار عـام ١٤٦٠ شـوهدت علامـة فـي الجهـة الشـمالية مـن السماء، مايشبه حربة طويلة، واختفت في الساعة الثانية مساء. ثم شوهدت في الجهة الغربية علامة على هيئة صليب، واختفـت بعـد وقـت قصـير .. يوم الاربعاء السابق لخميس الصعـود، هطلـت امطـار غزيـرة فـي القـدس وضواحيها، صحبتها قطرات «دم» مشيرة الى سفك الدم الـذي جـرى فـي

مناطق الافرنج في تلك السنة. وكان ذلك في شهر ايار. وبدلا من ان يكون طلاً منعشا، اذا به دم يشير الى المذابح الرهيبة وسفك الدماء.

في كانون الثاني عام ١٤٦٠، دخل نور الدين صاحب حلب الى انطاكية ونهب المنطقة بأسرها ثم حاصر بغرا ولم يكن بيدوي صاحب أنطاكية فيها. فلما علم بالامر، عاد سريعا لكنه لم يدخل انطاكية بل اجتازها، وكان يرافقه حشيشي العربي الذي اختلف مع نور الدين وساعد بجيشه الافرنج، فانتصروا على الاتراك فهربوا وهم عراة مرتعبون .. وفي هذه الاثناء دخل قراوصلان صاحب حصن زياد الى منطقة آمد، واتفق مع جماعة من سكانها ليسلموها له، لكنه لم ينجح فسبى ابناء المنطقة، وبعد ان ساقهم معه يوما كاملا، تعبوا بسبب كثرة الثلج والجليد، فاشفق عليهم وحررهم قائلا: لم يخطئ هؤلاء بحقنا، فعادوا الى مساكنهم. وحشد جوسلين جيشاً ودخل منطقة الرها وحران ومارس اعمال اللصوصية، في حين دخل الاتراك منطقته واجهزوا على العديد من جنده عن طريق الكمائن.

وبدافع حقده الدفين، انتهز نور الدين صاحب حلب الفرصة، فحشد جيشاً. في حين اهمل الافرنج نفوسهم، نظرا الى كبريائهم، لا بل الى ترك الله اياهم بسبب اعمالهم الشريرة، فلم يكتفوا بعدم تحصين انفسهم لدى سماعهم عن حشود الاتراك لكنهم سهلوا الامور لاعدائهم بتركهم قراهم ككروم دون اسيجة وبيوت دون ابواب. وتوجهوا الى مناطق العرب كتوجه الغزال نحو الفخ، وكالأيل الذي يقتبل السهم في كبده. ولم يصنع بيدوي لمرافقتهم حشيشي العربي الذي اذ لاحظ دخولهم وسط اعدائهم بصورة غير عقلانية، قال له: «الى اين ايها الملك واعداؤك يحيطون بك من كل جانب؟ امكث في بلدك وحامِ حدودك حتى يتشتتوا، واذا حاولوا دخول بلدك اقهرهم». فاستهاب بهذه المشورة، ومن دون تفكير زج نفسه وسط الاتراك، فتألبوا على الافرنجي الشقي ليلا واحاطوه من كل جانب.

فدنا منه حشيشي وقال: لقد سقطنا لانك لم تستمع لي. وبالرغم من ذلك اسمعني الآن وهلم نهرب ربما ستنجو قلة مناَ لان قوات هائلة تحيط بنا. فاذا اصبحنا ونحن هنا، قضوا علينا. غير ان السيء الحظ لم يذعن. وفي الفجر وقبل الضوء الاول، اندفع الاتراك كالجبل وهجموا عليهم، فذبحوا الكبار والصغار، ونشروا القامات الجميلة كالاشجار في السهل، فقتل فرنيز بيدوي ذلك الاسد الجبار صاحب انطاكية، وسقط رنغد صاحب كيسوم، شبل الاسد. ومجمل القول، لم ينج منهم حتى مخبر، وغدا ذلك الحشد الهائل اكداساً من الجثث .

كان ذلك اليوم مشئوماً، اذ لحقت بالمسيحيين فيه ضربة قاضية، ولم يشعر اهل انطاكية بالكارثة، حتى مسح الاتراك المنطقة وسبوا اهلها، وحاصر نور الدين المدينة، وارسل رأس بيدوي الى بغداد، وانقسم اهل انطاكية على انفسهم، حيث مال بعضهم الى الاتراك، والتجأ البعض الآخر الى ملك القدس الذي تمسك بمن بقي واقام بطريركهم رئيساً عليهم. فلما سمع جوسلين ان صاحب كيسوم قتل لم يهتم للامر، اعتقادا منه بان الحكم سينتقل الى زوجة ذاك وهي ابنته، لذا جاء ليتولى الحكم على كيسوم وعلى بيت الفلاح. كما ظهرت سخافة جوسلين بتصرفه مع قليغرسلان بن مسعود صاحب أبلستين ومنطقتها الذي كان قد اصطحب أباه وحاصروا مرعش بعد سبيهم المنطقة، واذ شددوا عليها الخناق، طلب اهلها تعهدا لحياتهم، فتولى السلطان الحكم على مرعش. وبناء على تعهده، سمح للافرنج الذين فيها بما فيهم الاسقف والكهنة بمغادرتها الى انطاكية، لكنه ارسل اتراكا وقتلهم في الطريق. وخلال احتلال مرعش هذا، فقدت مقتنيات الكنيسة عبر الكهنة الذين كانوا قد تمردوا على مطرانهم، وبينها كوز الميرون وكوؤس وصينيات ومباخر فضية واغطية ومفروشات .

وفي السنة نفسها، اذ رأى الامير قراصرن صاحب حصن زياد ان الاتراك استحلوا عدة مناطق افرنجية وحكموها، لان الرب قد تركهم،

اذ سبقوا فتركوه - ارسل جيشه واحتل بابولا على شاطئ الفرات، فخاب ابناء منطقة جرجر والتجأوا الى جبل مار برصوم، فعجت المناطق المحيطة بالدير بالرجال والنساء واسرهم، حتى ان الرهبان الاتقياء ضجوا وتذمروا لكنهم لم يجرؤا على طرد هؤلاء اللاجئين لوجود بعض اقاربهم من رهبان وخدم في الدير. فلما دخل الاتراك منطقة جرجر، وجدوا القرى مقفرة وعلموا ان الناس التجأوا الى جبل دير مار برصوم، فاتجهوا صوب الجبل يوم الاحد ١٥ آب واحاطو بهم من ثلاثة محاور، وفي الصباح هجموا ونهبوا الاملاك والثيران، وقتل ثلاثة من الخدم وشخصان تركيان، ثم ارسل الاتراك من يقول: «نحن نحترم هذا القديس ونقدم له النذور، ولم نأت لنسيء الى الدير، انما نستهدف اولئك الذين التجأوا الى هنا باننا لن نستعبدهم، بل فاذا سلمتموهم لنا، اعدنا اليكم كل ما اخذناه منكم، واننا نعد باننا لن نستعبدهم، بل نعيدهم الى قراهم». فانقسم الدير فئتين، فئة تحبذ تسليمهم، والفئة الاخرى ترفض. وقد اوشكوا على خوض معركة لو لم يوفق بينهم احد الشيوخ الاتقياء بحكمته، فقد اصطحب معه أفرادا من كلا الطرفين، وقال للاتراك اذا كنتم حقا لا تتوون استعباد هؤلاء الناس، فليرافقنا بعض زعمائكم الى الامير في حصن زياد. انكشفوا، فتوحدت كلمة سكان الدير على عدم تسليم أي شخص حتى لو أدى ذلك الى موتهم. حينذاك أحرق الاتراك كل ما كان خارج الدير من بيوت ومعاصر واسيجة الكروم، واخذوا الغنم والثيران وبعض الاسرى ورحلوا. فذهب الرهبان الى حصن زياد وقابلوا الامير، فملأ الله قلبه رحمة، بدعاء القديس، فاعاد كل شيء، الناس والغنم والثيران، وعم الفرح المؤمنين في سائر ارجاء المنطقة، ومجد الله كل لسان، واشاد بالقديس كل فم .

ان القديس ما برصوم، ولئن سمح أن يُنهب بسبب خطايانا، الا أنه لم يهملنا ويدعنا نهلك، كما لم يهمل الطاغية نفسه، علّه يتوب فيحيا. فقد ظهر في الحلم لثلاثة من جنده ليكونوا شهوداً، لانه «على فم

شاهدين أو ثلاثة تقوم كل كلمة». فقد شاهد ثلاثتهم الدير مضاء والقديس واقفاً فوق أعلى مكان فيه بهيبة تفوق الوصف، وقال لهم: «اذهبوا وقولوا لملككم، اني غاضب على رهباني هؤلاء لانهم اخطأوا واغضبوا سيدي، وقد سلمتهم بيدك لتضغط عليهم فيندموا ويرجعوا، واني آمرك ان تدعهم يعودون الى الدير». فلما استيقظوا تأكد كل منهم بان ما شاهده هو رؤيا وليس حلماً عابراً. فذهب الواحد الى الآخر، وسمع كل من زميله نفس الكلام الذي قيل له. لذا تشجعوا وطرحوا عنهم الخوف، ودخلوا الى جوسلين الشقي وقصوا عليه ما سمعوا. فوعدهم «فرعون الثاني» باعادة الرهبان لكن قلبه تقسى فيما بعد، فنكث بوعده ولم يسمح بعودة أحد. وكان يكره الناس على دفع المال له، فبعد أن قبض خمسة الاف، الزمهم بدفع البقية. غير ان اناة الله دعته الى التوبة ثانية، عن طريق افراد اسرته الذين شاهدوا الصندوق الحاوي يمين القديس، يلمع ويضيء كالشمس، وقد انطلق منه سيف ناري، وسمع صوت يقول: ياجوسلين، ان لم تدعني وشأني وتدع الرهبان يعودون، فاني سأبيد المنطقة بهذا السيف. فلما اخبره افراد اسرته بهذا، ارسل الراهبين الشيخين داود ويعقوب الى الدير في ٥ أيلول سنة ١٤٦٠، وحجز عنده الصندوق الذي يحوي يمين القديس مار برصوم ووضعوه في كنيستهم في تل بشر لحين ان يدفع الرهبان خمسة الآف أخرى بموجب ما فرضه عليهم. واخيرا سُلط عليه قضيب العدالة من قبل القوات التركية، كما سيأتي الحديث في مقدمة الاخبار التي سنوردها أدناه. وان هذا الحديث سيدور حول ملوك الارض، وكيفية نزوح الشعوب واحاطتهم (بالدير)، وكيفية تشتتهم وتركهم اياه باعجوبة باهرة التي لا يقوى على صنعها سوى الله القادر على كل شيء، وغير المحدود. فهو الذي يمنح الفاعلية لعظام ورفات خائفيه حيثما يشاء ويناسب من اجل خلاص النفوس.

فصـل

في سيطرة الاتراك على المناطق التي كانت تحت نفوذ الافرنج، وسقوط جوسلين. وكيفية عودة يمين مار برصوم الى الدير

في الوقت الذي سمح جوسلين بعودة الرهبان الى الدير، حجز يمين القديس فتضاعف بذلك غضب الله عليه. فقد جلب تعالى من الشمال ابناء جوج وحاصروا تل بشر. فصرخ الافرنج والسريان والارمن بصوت واحد، ففزع جوسلين وامر باخراج يمين القديس وصعدوا الى السور وزيحوها هناك على مرأى من الاعداء، وهم حاسرو الرؤوس. ووعد جوسلين باعادة القديس الى ديره في حالة رفع حصار الاتراك، كما وعد بالامتناع عن اغتصاب اي شيء من الدير، لابل وعد بالتعويض عن كل ما سلبه سابقا. فقبلت توبته في تلك اللحظة مثل زكا (العشار) وحق له ان يقول «تأديب الرب فتح أذني.. أظهر عجائب». لان من يمعن التأمل يدرك ويؤمن بأنه لا يحدث شيء صغيراً كان أم كبيراً الا باصبع الله. وبناء على الحاح الجمهور اذعن الطاغية لطلب المغفرة. وإن الله الذي قبل توبة فرعون بشفاعة موسى، فخفف التأديب عنه ليمتحن طاعته، هو نفسه الذي هز هنا معسكر الاتراك واضطرهم الى الرحيل فراراً عن المدينة. وبفضل هذه الاعجوبة أنقذ المسيحيون، واعترف الجميع بأن أصبع الله وراء مجيئ الاتراك ورحيلهم. فأرسل جوسلين الى الدير من يطلب له السماح. فغادر بعض الرهبان الشيوخ لجلب القديس، وفي كل قرية او مدينة يمرون بها، كان يستقبل بترحيب وحفاوة وابتهاج والتراتيل والمشاعل والبخور حتى وصلوا الى الدير في اول كانون الثاني اي عيد الملافنة القديسين .

في هذه الفترة، حركت العدالة السلطان مسعود فحشد ربوات من الاتراك ليغزو مناطق الافرنج التعساء، فصار الافرنج الذين كان واحدهم يهزم ألفاً يرتعبون خوفاً من صوت اوراق الاشجار التي اخذت تقول: ان غضب الله يتمثل بالاتراك الذين تجمعوا ليبددوا المسيحيين الذين تجاسروا على القديس مار برصوم. كما اعترف جوسلين نفسه، بعد أن رأى نفسه محاصراً من كل جانب من قبل الاتراك، بأن ما يحدث ما هو الا ضربة من لدن الله وباصبعه تعالى. فوعد بالتوبة ولجأ الى القديس مار برصوم. عليه ليّن الله قلب السلطان الذي أتى به، فوافق على الصلح مع جوسلين بعد أن اقسم على الخضوع له. أن مصدر هذا التدبير هو من فوق. فقد رحل السلطان الى بلاده، واعاد جوسلين يمين القديس مار برصوم الى ديره .

وبعد فترة عاد جوسلين الى تصرفاته الشاذة مثلما يعود الكلب الى قيه. غير أن العدالة لم تصبر عليه طويلاً، فكانت نهايته على يد الاتراك الذين خضع لهم جزاء ذنبه. وذلك أن نور الدين صاحب حلب حليفه السابق، دخل هو نفسه منطقته وقتل وسبى شعباً كثيراً واحتل حصنين. وفي سنة ١٤٦١ نفسها، أرسل قراسلان صاحب حصن زياد أحد كبار قواده يدعى الدي، وحلوا في منطقة جرجر. وفي احدى الليالي هجموا على حصن بالقرب من الدير يدعى تغنبر واحتلوه عسكرياً، وأسروا منه خمسمائة نفس، ووجدت فيه اشياء كثيرة وثياب كانت قد سرقت من الدير لدى غزوه من قبل جوسلين. ومن هنا أثبت بأن مشيئة الله وراء كل ما حدث. فقد ادرك غضب الله كل مكان وجد فيه شيء مسروق من الدير .

لقد اتفق اليونان والافرنج على نجدة الذين في جرجر، فاجتمعوا مع باسيل صاحب حصن منصور وكيسوم، فتجمع من غوتي وسواها نحو ٥٠٠ فارس وعدد كبير من المشاة، ومعهم الف حمل حنطة، لاقتحام حصن جرجر. فدنوا من الحصن دون أن يشعر بهم الاتراك، لكنهم اتخذوا

قراراً سخيفاً بترك عوائلهم خارج الحصن والتقدم لضرب معسكر الاتراك الذين كانوا يفوقونهم عدداً. اعتقاداً منهم بأنهم سينتصرون عليهم. غير ان الله دحرهم أمام الاتراك، فقُتل معظمهم والقي القبض على باسيل الجرجري وكريكور الغوطي وماهي الافرنجي حاكم كيسوم. ولم ينج أحد من الفرسان، واستولي على الحنطة. وبعد ان حقق الاتراك هذا النصر العظيم، جاء قوراسلان، وبكل عزة نفس حرر الاسرى واعادهم الى بيوتهم، واعطى اصحاب الحصون مقاطعات في بلده، فاعطى باسيل، بعد أن سلم جرجر، ابدهار ومنطقة صمحا، واعطى كريكور، بعد أن سلم غوتي، سجمان. وبذلك يكون الاتراك قد سيطروا على جرجر وغوتي وحصن منصور .

وخرج جوسلين متجها الى انطاكية برفقة ٢٠٠ فارس، كان يعتقد أن بأمكانهم مجابهة ألف. وفيما هم سائرون ليلا بالقرب من عزاز، صادفهم نفر من الاتراك، فخاف الافرنج لمجرد سماعهم الصوت وهربوا، لان قوة الله الظافرة كانت قد تخلت عنهم، وفيما كان جوسلين يهرب تخيل انه اصطدم بشجرة فسقط، ولم تكن هناك أية شجرة بشهادة الذين معه، لكن سقوطه كان نتيجة تخلي الله عنهم. فعثر عليه شخص تركماني ولم يعرفه، فاراد أن يبيعه للمسيحيين. فالتقى بهما رجل يهودي في احدى قرى الاتراك فتعرف عليه، فاخذوه الى حلب فاشتراه الوالي من التركماني بألف دينار، فكبل بالسلاسل والقي في السجن حيث قضى نحبه هناك معذباً، بعد أن أمضى فيه تسع سنوات، عُزّز خلالها بالهدايا والوعود ليشهر اسلامه، لكنه لم يجب، فهددوه بالعذاب فلم يخف، لكنه صمد على ايمانه معترفا بأن ما اصابه هو بسبب خطاياه. وارسل الى دير مار برصوم وبقية المسيحيين طالباً أن يصلوا من أجله لكي يقبل الله توبته. ولما دنا اجله وهو في الزنزانة طلب أن يؤخذ الى أسقف المدينة فاعترف أمامه وتناول القربان المقدس. وبعد وفاته سلموه الى المسيحيين فشيع

ودفن في الكنيسة، وحضر دفنه عدد كبير جداً من المسيحيين والمسلمين، وهم مندهشون مما حدث .

فصـل

في ما بعد سقوط جوسلين واستيلاء الاتراك على كافة المناطق

في ٢٩ كانون الاول عام ١٤٦١ حدثت هزة أرضية. وفي ١٥ آذار حدث خسوف استمر من منتصف الليل حتى الفجر. وفي ٢٣ آب هطلت امطار غزيرة وحدث فيضان في عدة مناطق وبخاصة في حصن زياد حيث غرق صبي وبغلان وحما.. رُسم في هذه الفترة رجل شيخ بطريركاً للخلقيدونيين، وكان قد رسم اسقفاً في صباهُ وعاش متوحداً، ولما رشح للبطريركية غره حب الرئاسة فلم يكشف عن كونه اسقفاً، وبعد فترة وجيزة من رسامته ثانية، افتضح امره فنفي مع الذين شاركوا في رسامته.

سنة ١٤٦٢ مر شتاء قارص وسقط ثلج بكثافة، وكأنه يهبط من ابواب السماء ساقطاً على مناطق لم تر ثلجا سابقاً، وبارتفاع ذراعين. وفي آذار سقط ثلج أحمر، ويحلل علماء الطبيعة ذلك بقولهم: عندما تحمر الابخرة والرياح يتصاعد الى السحب غبار أحمر، وبسبب احمرار الغبار، يظهر لونه بلون الدم. وهكذا عندما ترفع الرياح غباراً الى السحب تنشر رذاذاً من غبار ناعم. هذه الامور كلها تحصل من اجل توبيخنا .

وفي آذار نفسه، سقط في ملطية ثلج لم يشهد أحد نظيراً له أو سمع عن كثرته. وفي ٢٣ من الشهر نفسه، شوهدت في الجهة الشمالية، علامة شبه شعاع نوراني .. وفي السنة ذاتها، سقطت صخرة ضخمة من جبل على قرية بمنطقة قليسوريا فدمرتها بما فيها من الناس والبهائم .. وفي السنة عينها كثرت الامطار في كل مكان واتلفت الزروع والغلات وبخاصة على شواطئ الانهار حيث تلف كل ما كان مزروعاً فيها .

لدى علمه بسقوط جوسلين، غزا السلطان مسعود كيسوم يوم احد العنصرة، وكان يحكمها رجل افرنجي يدعى رنغد، كما كان جوسلين الطفل ابن جوسلين قد اقيم حاكما على تل بشر. فلما عاين ابناء كيسوم هول الجيش التركي هربوا، واوفدوا المطران ايوانيس ليأخذ تعهداً من السلطان بالسماح برحيل الافرنج الى عنتاب، فكان لهم ما ارادوا. وسيطر السلطان على كيسوم والحصون ورعين وفرزمان وحاصر تل بشر، وخطّب لنور الدين صاحب حلب، ابنته التي كانت مخطوبة لابن أخي ملك اليونان. فاعطاه تل بشر، وغادرها السلطان عائدا الى بلاده. فجاء ملك القدس واصطحب زوجة جوسلين وأولاده وجميع الافرنج الى القدس، وحل محلهم جماعة من اتباع ملك اليونان. ولكن ما أن استقروا حتى غزاهم الاتراك المسيطرون على تل بشر وعنتاب وعزاز، وسلموا هذه المناطق الى نور الدين، فحكم صاحب حلب تل بشر وعنتاب وعزاز والمناطق المحصورة بينها، وبقيت مرعش وفرزمان ورعبن وكيسوم والحصون تحت امرة السلطان، وكانت حصة قوراسلان، بابولا وجرجر وغوتي وحصن منصور. واخذ طمرطش صاحب ماردين، بيرا وشميشاط وخورس وكفرسوس. وبذلك يكون الاتراك قد احكموا سيطرتهم على سائر هذه المناطق .

كان جوسلين قد عين رجلا ارمنيا يدعى ميخائيل حاكماً على القلعة، وعلى اثر انهيار جوسلين ارسل ميخائيل الى زوجته وأولاده، وهم بعد في تل بشر، ليطلبوا الى غريغور جاثليق الارمن الموجود في هوزب اي البحيرة، لكي يحضر الى القلعة لنجدة ميخائيل، فلما حضر غدر بميخائيل وعذبه واغتصب كل امواله وطرده، وسيطر على القلعة لوحده .. سنة ١٤٦٢ دخل آكوب اصلان الى منطقة قابرا من بلاد اليونان فسباها واخذ ما أخذ ورحل. وفي الوقت نفسه، خُذل مانوئيل ملك اليونان امام الافرنج فهرب، وبالكاد استطاع الافلات الى القسطنطينية .. وفي السنة نفسها خنقت ابنة صاحب زنكي الارمنية والدها بوتر القوس،

وجاءت باخيه من منطقة ويبريج فتزوجها وتسلم الحكم .. كان في دير سريخا اليوناني بمنطقة بنطس صليب ذهبي كبير يحتوي على جزء من خشب الصليب الحي، وقد تمت بواسطته عدة معجزات، فقرر الحاكم الاستيلاء على الصليب، فهيأ رجلا يونانيا شريراً على شاكلته، فأخذ الصليب بالحيلة، لكن الامير انتزع منه الصليب وكل شيء آخر وطرد الرهبان ووضع اتراكاً في الدير، لكنه اعاد الدير الى الرهبان بتوسط وتأثير بعض رجالاته الذين كانوا يكنون الاحترام للدير، فأخذ من الرهبان غنما وذهبا وجزية سنوية لقاء ذلك. ترى ما رأي اليونان المجدفين ؟ لقد تهللوا طرباً عندما غزا جوسلين الشرير دير مار برصوم، واستهزأوا كما اليهود وجدفوا على الرب. نرى كيف يدافعون عن انفسهم بعد أن أُعيد دير مار برصوم، واشتهر امر انتصاره بين الشعوب ؟ فقد أُعيد سبعة أضعاف ما نهب منه، وساد الفرح المؤمنين في كل مكان كفرح الرسل يوم قيامة الرب. فاستوجب والحالة هذه، أن يقال لهم: اقطعوا السنتكم التي تجدف على القديسين واعترفوا بأنه، لولا خطايانا، لما حدث لدير مار برصوم من قبل جوسلين ماحدث، وكماَ شاءت العدالة توجيه تلك الضربة الينا، وكذلك الامر بالنسبة الى الصليب في دير سريخا .

في هذه الفترة، سقط بعض اساقفتنا، منهم هرون اسقف سجستان الذي أتينا على ذكره سابقاً. فقد اسلم بعد أن رسمه المفريان اسقفاً على حديثه، ثم ندم وصار يونانيا فمارونيا. واسقف آخر يدعى ابن الاتراك وهو من حصن زياد كان البطريرك مار يوحنا قد رسمه اسقفاً لرعية تل بشر بعد أن أبعد عنها ابن اندراوس، ولما أعيد اليها ابن اندراوس، ارسلوا ابن الاتراك الى سيمندو وهناك ظهر زيفه، فطرد وأرسل الى حابورا، فلم يمتنع عن تبذله وزناه فطرد، فذهب الى ارمنيا الكبرى، وغير زيه الخارجي بزي العمال وخدم احد زعماء تلك البلاد ترافقه امرأة مومس، لكنه لم يستطع أن يحصل من ذلك العمل ما يسد رمقه ورمق تلك المومس، وكان يشتاق، كقول الكتاب الآلهي، أن يملأ بطنه من الخرنوب

الذي تأكله الخنازير، ولم يوجد من يقدم له، ومع ذلك لم يرجع الى الرب الرؤوف، لكنه انتقل من سيء الى أسوأ. فقد ارتدى الاسكيم المقدس وتجول في أماكن لا يعرفه اهلها، يجمع الصدقات بأسم الاديرة والقديسين، ويلتهم وتلك المومس، بشراهة كل ما يقدم له. ولم تخف هذه الحيلة ايضاً، فقتله الغيارى وانتهى الى مثل هذا المصير. واسقف آخر من مرعش يدعى كبريئل، وعرف بالأرمنية بأسم جاماكير (كتاب صلاة وطقوس) رسمه مار اثناسيوس اسقفا لسروج، ولما قيل أنه تدنس بالزنا، رئف به البطريرك واطال له الاناة، لكنه تمرغ في شرور اكثر فظاعة كما سيأتي الحديث عنه .

فصــل في شقين

الاول: الاعجوبة التي حدثت في انطاكية. والكنيسة التي انشئت فيها على أسم مار برصوم. والثاني يتضمن توجيها

كلمة توجيهية من كتاب المطران ديونيسيوس

كثيراً ما يحاول الناس من دون وجه حق، فحص احكام اللـه غير القابلة للفحص ويتساءلون لَم لم يشفق الله على شعب دُعي باسمه وانقذهـم من الغزاة ؟ ويقولون: هوذا قد مر عليهم وقت طويل مذ ثقل عليهم نـير الاشوريين، حتى اخذ الكثيرون يتركون ايمانهم من جراء الضيق. فنجيبهم بايجاز لا يمكن أن تجري الامور بحسب ما تشتهون. فهنـاك أمـور كثيرة يعتبرهـا النـاس فـي بادئ الامـر سلبية، لكنهـا تعـود لصـالحهم مـن حيث النتيجة، فالجبلة لا تقول لجابلها، انك لم تجبلني بصـورة جيـدة كمـا كتـب. فعلينـا أذن أن نعترف بـأن معرفـة اللـه الفائقـة الادراك تجعـل كـل شـيء صالحاً. ويجب أن نتعقل وندرك، انه لولا خطايانـا، لَمـا اسـلمنا الـى ايـدي شعوب غريبة. من ترى لم ير أبا يغضب على ابنه المنحرف عن وصايـاه بعد ان سلم اليه أمواله واعطاه السلطان على عبيده ؟ فما دام الابن ملتزمـاً بأوامر والده فهو سيد ممتلكاته، اما اذا أخل بالشروط التي بموجبها سُـلمت اليـه الممتلكـات، فانـه بموجـب الفكـر الشـرير الـذي راوده، لكيمـا يتـأمل ارتفاعه الاول تم سقوطه الاخير .

اما بالنسبة الى الذين استسـلموا للعبوديـة خوفـاً، ومارسـوا أعمـال الوثنية والعادات المخالفة للشريعة فنقـول: أن العنايـة الآلهيـة التـي تعـرف كل شيء قبل أن يكون، تنقذهم في الوقت المناسب لمقـاصده تعـالى اذا مـا

ثبتوا على ايمان آبائهم واتوا ثماراً تليق بالملكوت. فقد قيل «لقد اخرج من بين الاسنان، واعاد من اعماق البحر». اما اذا لم يتتلوا بأعمال ساداتهم، ومارسوا الشر منذ طفولتهم وحتى شيخوختهم، واسلموا ذواتهم لعبودية الشهوات كالشعب الذي لا شريعة له ويخفون ثعلبتهم تحت ستار جلد الاسد، فانهم يسلمون الى ذهن مرفوض الذي ارادوه لانفسهم، والذي من اجله كانوا مستعدين لوضع اعناقهم تحت نير عبوديته. وبهذا نختم .

علينا أن ننحي باللائحة على انفسنا من جهة رئاسة الكهنوت التي صارت موضع سخرية واحتقار كما سبق وتحدثنا عن هرون اسقف سجستان وغيره من الذين ازدادوا فساداً بعد افتضاح امرهم. فيتوجب الآ نسلم الخدم المقدسة، دون فحص، لاناس مشبوهين لهم استعداد للانحراف، ولا نودع سيف الروح بايديهم، لئلا يفترسوا النفوس بدلا من قطع دابر الشر كما حدث «وفسد ملحناً ولا يوجد اسمه في جلعاد، او كل يعمل كما يشاء». فنحن بحاجة ماسة الى موسى وصموئيل ليشغفا فينا لكي يعود الله فينير وجهه علينا ويشفي ضرباتنا الخفية منها والظاهرة. تُرى اي شكل من اشكال الرياء لم يدخل الكنيسة، وأي نوع من المحرمات لم يقترف فيها؟ فان الثروة والرشوة تزهوان وكذا الحقد والعجرفة. اما ذوو العفة والودعاء فمهانون، في حين ارتفع صوت المضلين والوشاة. ان الرب وحده هو الذي يرحم شعبه ويعيد مسكن داود المنهار .

قصة الاعجوبة التي صنعها القديس مار برصوم في انطاكية سنة ١٤٦٢

تسلق ذات يوم ابن احد الزعماء الافرنج شجرة تين المتكاثرة في المدينة، فسقط وكسر عظم كعبه فعالجه الاطباء دون جدوى، فاصبح معوقا، الامر الذي آلم والده جدا لكونه ابنه الوحيد وهم منحدرون من ارومة ملكية. فأولاه اهتماماً مضاعفاً، وانفق عليه مالا وفيراً. واذ كانت شهرة القديس مار برصوم قد اتسعت لاسيما بعد سقوط جوسلين، واخذت الالسن تشيد بسيرته وبما صنعه الله على يده من معجزات، واستجاعة المتشفعين به. صلت والدة الطفل المعوق بدموع سخية طالبة من الطوباوي شفاء ابنها. فجاء احد رهبان الدير وهو يحمل صورة القديس كالعادة المألوفة، فاستدعوه الى دارهم وتبركوا من الصورة. وبعد يوم واحد ظهر لها القديس بهيئة ملك مهيب. فتساءلت عمن يكون هذا الملك، فاجاب الحشد المحيط به، انه القديس مار برصوم. ثم سمعت الطوباوي يقول: أود أن تبني لي كنيسة هنا. كما تراءى القديس للراهب المذكور في اليوم نفسه وقال له: اذهب الى دار هاوي الافرنجي وشيد كنيسة لي في بستانه، واراه ثلاثة مذابح، ثم تكررت له الرؤيا مع توعد، فخاف الراهب صليبا، وهذا اسمه، فاسر بما حدث لباسيليوس اسقف الرها المتواجد في انطاكية يومئذ. وفيما كان الشك يراود كليهما، اذا بوالدي الصبي قد حضرا واخبراهما بما تراءى لأمه، فاصطحب الاسقف الراهب والصورة وذهباً الى بيت اولئك الافرانج وباشرا الصلاة على المريض، فيما احاط بهما والداه وهما يتضرعان ويطلبان له الشفاء، فنعس المريض ونام، واذا به يصرخ بصوت عال ويقفز ويقف على رجليه، فخاف والده وافراد اسرتهم، وشاهدوا الصبي باسطا يده كمن يمسك به شخص وهو ينظر الى فوق بانشراح. فأعد والداه الشموع والبخور، وتجمهر عدد كبير من

الناس، فالتفت الصبي وقال: لقد تراءى لي القديس مار برصوم وهو يمسك بيده صليباً ذهبياً كبيراً يلمع كالشمس، فامتلأالبيت من شعاعه، وكان يرافقه جمع من الرهبان، فامسك بيدي وقال قم لاتخف، فاني جئت بناء على ايمان وصلوات والدتك. فقلت كيف استطيع أن أقوم فان كعب رجلي مكسور. فلمس المكان فعاد سليماً وكأنه لم يكن مكسورا .

بعد هذا الحدث الواقعي ترى من يشك في أن الرب يسوع الذي شفى حماة بطرس، حالّ في القديس مار برصوم، وأتم فيه قوله «من يحفظ وصاياي، فالاعمال التي أنا اعملها يعملها هو أيضا، ويعمل اعظم منها لاني ماض الى أبي». فالله اذن حال في قديسه وهو يفعل مايشاء حيثما وكيفما يستوجب الأمر.

لقد تسلم والدا الطفل ابنهما فرحين، وقصدا الكنيسة الكبرى تتبعهم مجموع الحاضرة، ومنها شخصوا الى الملكة، ثم احتشدت جماهير غفيرة من الافرنج والارمن والسريان وتوجهوا مع الملكة الى المكان الذي تمت فيه المعجزة، حيث اشار الصبي الى المكان الذي تراءى له فيه القديس، فانحنت الملكة الى الارض وبكت، فيما اخذت الجماهير ترابا من تلك البقعة للتبرك، وحيثما أُخذ ذلك التراب كانت تحصل الاشفية. وللحال باشروا بانشاء الكنيسة وتعهد الراهب صليبا بالاشراف عليها. وقد حدثت عدة معجزات أخرى خلال عملية البناء، نعجز عن سردها في عجالتنا هذه، وحضرنا مع شيوخ الدير تقديسها الذي تم يوم الاحد ٩ كانون الاول سنة ١٤٦٨ في عهد دنغد صاحب انطاكية، وبغدوني ملك القدس، وبطريركهم همري، وبطريركنا مار اثناسيوس. كما حضر حفلة تقديسها طوروس حاكم قيليقية وصاحب الفضل، والملكة وهاري وزوجته اليصابات وكافة الزعماء الافرنج والارمن والسريان، وجمع كبير من الكهنة والشمامسة ورهباننا ورهبان الافرانج والارمن. اما اليونان فقد ماتوا بغيضهم، وتمجد الله وقديسه. له المجد وعلينا رحمته دائماً ابداً .

فصل

في وفاة دولة صاحب ملطية وما حدث له ولبلاده وغيرها من الاحداث التي جرت في تلك الفترة والشجار الذي حدث بين المفريان اغناطيوس ورعيته

في احدى ليالي تشرين الاول سنة ١٤٦٣ هطل مطر غزير وجرف البيادر وكل ماكان منشوراً، وغرق العديد من الناس والبهائم بالفيضان الذي حدث، لاسيما في منطقة حصن زياد وصمحا، كما جرف السيل أتربة وصخوراً كبيرة حتى احجار الرحى الى الوادي الواقع بين قريتي ابدهار وترشنا. وشكلت سدا وسط نهر الفرات فتوقف جريانه مدة ثلاث ساعات. وانا شخصياً رأيت المكان، وكيف التقط الناس سمكاً من هناك حتى اشتدت قوة المياه وجرفت ذلك التراب والاحجار، وفتحت مجرى في لحف جبل كلوديا، وانسابت منه .. في هذه الفترة بنى قسيس أرمني يدعى يوسف من قرية بركيش بمنطقة هنزيط، كنيسة وزينها وكساها بـأللون الابيض من الخارج. وذات يوم خرج الامير قراسلان للتنزه كعادة الملوك فشاهد الكنيسة تلمع فاستاء جداً، وزاد في نار غضبه اضطراماً اتراك يكرهون ذلك القسيس. وبتأثير شيطاني قالوا له: كلما أُنشئت كنيسة جديدة مات حاكم المنطقة التي انشئت فيها. فاصدر أمراً بهدم تلك الكنيسة وزج القس المظلوم في السجن. فاجتمع ابناء حصن زياد المسيحيون ليشفعوا فيه، فأصدر الامير قراراً بأعدامه قبل لقائه، ونفذ يوم عيد الصليب ١٤ أيلول. ومنذ ذلك الحين وللسبب نفسه، صدر قرار بمنع انشاء كنيسة جديدة في منطقة بين النهرين او تجديد كنيسة قديمة، فتضايق المسيحيون كثيراً. وبعد وفاته قدم المسيحيون اموالا طائلة لابنه، فاصدر قراراً بالسماح بتجديد الكنائس القديمة التي تحتاج الى التجديد، فتنفس المسيحيون الصعداء على أثر هذا القرار .

سنة ١٤٦٣ جاء الافرنج مرة ثانية من روما، حاقدين على اليونان، لينتقموا منهم لغدرهم باخوتهم، فنهبوا ودمروا ووصلوا الى ابواب القسطنطينية، وكبدوا مملكة اليونان اضرارا جسيمة وعادوا. غير أن بعضهم وصلوا الى فلسطين للانتقام من المسلمين فلم يوفقوا لغياب القيادة عندهم،لكنه قتلوا بحد السيف واحرقوا بعض القرى في منطقة اعسقلان ثم ركبوا البحر ووصلوا الى مصر واحرقوا في الجهة الغربية منها مدناً بسكانها ثم عادوا الى بلدهم ..

يوم الخميس ١٢ حزيران من السنة نفسها، توفي دولة حاكم ملطية وتولى الحكم ابنه دولقرين، فخاف المسيحيون جداً، وكثرت المضايقات فكانت حافزاً الى التوبة. وفي ختام مجلس العزاء الذي أقامه اخوه يعقوب أصلان، أرسل تعزية الى ابنه ووالدته موصياً اياهما بالحفاظ على المدينة وعدم الخضوع للسلطان، فاعتمدوا عليه وارسلوا مواشيهم الى منطقته. لكن السلطان علم باتفاقهم على العصيان عليه، فجاء غاضباً على يعقوب اصلان. فلما رأى يعقوب قوته الهائلة اسرع واعلن خضوعه واعدا بعدم مساعدة ابن أخيه. ثم جاء السلطان الى ملطية. وفي ٢٤ تموز اجتاحت سلهبة ربوات الاتراك والشعوب الاخرى ودمرت، كما بنار، جميع القرى الجميلة المحيطة بها. وفيما كانت قوات السلطان تدمر من الخارج، كان الحكام وجندهم يعذبون الناس من الداخل بكل قساوة. فلما حوصر المؤمنون بين وحشين، تذكروا آنذاك بعض خطاياهم. لاسيما وقد رأوا أن الكأس قد مزجت، واستل السيف، فاستغرقوا في الصلوات والدعوات، واذا بخلاص الله يأتيهم بسرعة المتلهف الى الرحمة والرأفة. ومثلما أدرك العزاء السامرة بصلاة اليشع، هكذا وبشفاعة والدة رب اليشع، حل السلام في عيد انتقالها. وإن الصبي الذي تولى الحكم هو حفيد السلطان من ابنته، فرمت والدته نفسها امام ئارجل السلطان فوعد أن يبقى الصبي في المدينة اذا ما انحنى امامه وقدم له الخضوع، فلما فعل، قبله وثبت له الحكم.

فيما كان السلطان يحاصر ملطية، دخلت جماعة من الاتراك الموالين له منطقة كلوديا للسبي والنهب، واصطحبوا معهم رهبان وخدم دير بيت حنيش،غير ان السلطان اعادهم. وفي طريف عودتهم صادفهم لصوص عند جبل حزورين فدارت معركة بين الجانبين، فقتل ثلاثة من اللصوص واحد الخدم ووصل الباقون الى الدير.ولما استتب الامن في ملطية، سيطرت والدة الصبي وفرضت ضرائب ورسوماً باهظة على الاغنياء والفقراء بلا رحمة، وعذبت الناس من مسلمين ومسيحيين بمختلف صنوف العذابات، ولم تقبل شفاعة أحد وادعت بأنها هي صاحبة المدينة وليس أبنها، لا لان السلطان قبل التماسها فحسب، بل لانها انقذت المدينة عن طريق السحرة والعرافين. فاجتمع عندها عدد من السحرة والعاهرات اللواتي كن يتنبأن لها بطول العمر، وبانها ستتولى الحكم مثل يمينوس في زمانه، لذا فكرت في قتل ابنها ليستتب الحكم لها. بيد أن الله استمع الى صراخ المساكين، فطال غضب العدالة ايزابيل الثانية فانكشف مكرها فطردوها، فغادرت صحبة اولئك العاهرات اللواتي كن يتوقعن حظاً سعيداً وقد تم فيهن قول النبي في تبكيته للأثمة «الا انهضي بمجوسك وسَحَرتك، علّه تستطيعين أن تفيدي، فقد تعبت من كثرة افكارك». وبعد عدة ايام من مكوثها امام باب المدينة، طردت من هناك حافية عارية، فيما ثُبت ابنها في الرئاسة، فقتل جميع السحرة والمشعوذين الذين جمعتهم عندها. وصادر اموالهم، واصدر قراراً بحرق امثال هؤلاء وعدم ظهورهم أمامه، فهرب العديد منهم. وطمأن ابناء المدينة على الامن والسلام. والغى الضرائب الباهظة، فصار الخلاص للمسيحيين وعمّ الفرح. واذ شعر بأن بعض الزعماء يحاولون قتله بالاتفاق مع والدته، طردهم الواحد تلو الآخر، وصادر اموالهم، كي لا يعود أحد ويتآمر على ملكه.

غادر البطريرك اثناسيوس آمد الى حصن زياد. وفي تلك الاثناء توفي اسقفها، فاقام البطريرك فيها ثلاث سنوات، ثم رسم سكرتيره

سرجيس اسقفاً لها وسماه ايوانيس. غير انه ارسله الى آمد ليتفقد شؤونها ممثلا اياه. وفيما كان البطريرك في حصن زياد، زاره المفريان اغناطيوس، اي رئيس اساقفة المشرق للغاية التالية .

كان للمشارقة تقليد قديم يقضي بأن يرسم مطران تكريت المفريان، مطراناً لنينوى والموصل، وبعد رسامة المنتخب وتنصيبه مطراناً على تلك الابرشية الكبرى، لا يعود يخضع للمفريان كبقية اساقفة تلك المنطقة، بل يصير ندا له بحسب هذا التقليد الذي من شأنه افساد جمالية النظام. وبسبب هذا التقليد استمرت النزاعات في المشرق كما جاء في تاريخ ديونيسيوس التلمحري. فقد بدأ هذا التقليد منذ عهد البطريرك قرياقس. فلما تضعضعت ابرشية تكريت وبقيت ابرشية نينوى مزدهرة، اراد المفريان توحيد ابرشية نينوى مع ابرشية تكريت، فلا يرسم مطراناً لنينوى. فتنازع اهل تكريت مع المفريان بسبب ذلك. وهذا كان الدافع الى زيارة المفريان اغناطيوس للبطريرك اثاسيوس في حصن زياد. واذ لم يوافق البطريرك على فكرته، غادر ملطية ومن هناك الى دير سرجيسية. ولما غادر البطريرك حصن زياد الى دير مار برصوم جاءه المفريان ليقنعه بفكرة توحيد الموصل مع تكريت تحت رعاية المفريان. وامض الصيف كله هناك دون ان يحصل على موافقة البطريرك. فعاد الى ابرشيته في تشرين الثاني دون أن يغض النظر عن فكرته واهتمامه، منتظراً الفرصة المناسبة لتحقيق رغبته كما سيأتي الحديث فيما بعد. اما البطريرك فقد امضى بقية حياته في ديرنا دير مار برصوم، ولئن أثار ذلك حسد البعض .

انتهى هذا المقال وقد تضمن ١٤ فصلا وتناول فترة عشر سنوات قام خلالها ملكان لليونان وللافرنج وملكان للاتراك، وملك واحد للعرب في المقال الثامن عشر هذا، سنتناول بعونه تعالى الاحداث عتباراً من سنة ١٤٦٤ وهي السنة ١١٣٤ ميلادية وسنة ٥٣١ هجرية، وسنة ٩٣ للاتراك. وسنة ٦٦٨٣ لآدم وبدء الخليقة.

الفصل الاول

في انتزاع الافرنج عسقلان من المصريين وغيرها من الاحداث التي جرت في هذه الفترة

في هذه الفترة، رسم يعقوب المنطقي الملطي الذي سبق ذكره، اسقفاً لمرعش، وسبب رسامته هو............. (ناقص)

سنة ١٤٦٤ كان بغدوين ملك الافرنج في القدس مازال صبياً، وكانت والدته تسوس المملكة وكالة. ولما بلغ الملك ملء قامته وادراكه، اراد أن ينفرد .... (ناقص)

في هذه الفترة، اصدر امير قيصرية قبادوقية امراً بهدم الكنائس. وبسبب ذلك فأن الكهنة ..... (هنا نقص عشر صفحات)

فتح مخازنه في انطاكية واطعم الشعب من اوائل آذار حتى نيسان / انتهى .

...... انه نصب المنجنيقات واقام ابراجا من خشب مثبتة بالحديد، ولم يكن ليهدأوا طوال النهار، وراح ضحيتها عدد كبير من الشعب. وكان فيها أمير تركي من عشيرة الاتاتوركيين، له وزير داهية يدعى ابن نيسان كلام الدين، كان قد بسط سيطرته على كافة الامور، وكل شيء كان تحت امرته، الابواب والاسوار، والجيش، واهل المدن والقرى، والمال وكان الامير جمال الدين شيخاً وديعاً خاضعاً لابن نيسان ومنه يتناول الخبز ليأكله – لقد نهض بعزم ثابت وتغلب بدهائه على قوة الجيوش المحيطة

بالمدينة، فكان يحث الناس في الداخل بكلام معسول ووعود وعطايا، ليحافظوا على السور ويحاربوا الاعداء، في حين كان يهيئ مقاتلين للقتال في الخارج اكثر مما كانوا في الداخل، من رماة المنجنيقات والسهام. اذ أنه نصب منجنيقات في الداخل اقوى من التي في الخارج، وارسل ليلاً ثلاث مرات من يحرق اسلحة الذين في الخارج. وكانوا يهدمون الابراج التي يدور القتال حولها بقذفها بحجارة ضخمة، في الوقت الذي كان يثبت في الداخل اعمدة الحجارة والرخام الضخمة ويقويها بالكلس طولاً وعرضاً. وفي الوقت الذي كان يحارب، كان يرسل وفوداً بصورة مستمرة الى كل واحد من الامراء ليجعل منهم اعداء لاعدائه، فكان له ما ما اراد. فقد وجد من يتحالف معه وهو يعقوب ارصلان حاكم قبادوقية بالرغم من كونه حمو قرصلان. ذلك أن الرسائل التي وصلته من آمد، والاقسام بالخضوع له، جعلته ينشق على قراصلان وينقذ آمد من قبضته انتقاماً لما فعله به في موضوع ملطية. فلما دخل منطقته واوقع فيها النهب والسلب، ترك قراصلان آمد مكسور الخاطر بعد احتمال خمسة اشهر وانفاق مال وفير، ووصل الى حصن في بلده. ثم دعاه يعقوب ارصلان الى الصلح فلم يوافق، وسبى هو بدوره كيزان وخرسان وتل بطريق، واحتل عسكرياً حصن شمشكيخ، وجلا مئة الف شخص من رجال ونساء واطفال مع بهائم، وترك القرى خالية خربة، وجُلي فيمن جُلي اغناطيوس اسقف تللا الواقعة على نهر ارسينوس، واحتل قمح وعاد الى ملطية، كما قبض على مطران الحصن، وبعد يومين اطلق سراحه .

لسنين، وحتى المسلمين من اتراك واكراد وبقية الشعوب، كانوا يقصدون زيارة هذا الدير، لاسيما يوم عيده حيث تحتشد فيه اعداد هائلة، وكثيرا ما كانت فترة الاحتفال تمتد لعدة ايام بسبب نعمة الشفاء التي يحظى بها الكثيرون. الا أن شحة المياه كانت تسبب لهم بعض الضيق، فكانوا يجلبون الماء على ظهر البغال من مكان بعيد. وكان مطران ماردين خبيراً بشؤون مسح الارض، وبامكانه مد قنوات المياه بسهولة

حيثما شاءوا. فاراد أن يخلد اسمه في ذلك المكان المقدس، فلم يوافق الرهبان بحجة أن عملاً عظيماً مثل هذا لايجب أن يتم والاتراك يحيطون بالدير من كل جانب. كما انهم لم يصدقوا أن تُمد الانابيب الى قمة الجبل بين الكهوف والمغاور، وقالوا: أن الاولين كانوا اكثر ذكاءً وحكمة منا وما يتمكنوا من انجاز مثل هذا العمل، فكيف نستطيعه نحن ؟ ومرت الايام ودُعيت أنا ميخائيل الضعيف لاكون رئيساً لهذا الدير، فالله الذي تظهر في الضعف قوته حفز ضعفي، فكتبت الى المطران مار يوحنا فلبى دعوتي بسرور. ولدى كشفه على الموقع اتضحت له امكانية وصول الماء الى الدير. فبوشر بحفر الارض وتهيئة المعدات اللازمة، واذ ادركهم الشتاء، عاد المطران الى ابرشيته على أمل العودة في نيسان. وهنا التزم الصمت بخصوص التذمر والمضايقة التي لحقت بي من الاخوة الرهبان الذين بتأثير الشيطان الذي لا يريد للناس الخير جسداً وروحاً، والذي حرضهم شيوخاً وشباباً لينتقموا على ضعفي - قالوا: انيَ اهدر الاموال، واخشى المحيطين بي. واجمع الكل على أن الدير سينتهي الى الخراب. فيما كنت احتمل، برحابة صدر مستعينا بصلوات القديس مار برصوم، اللدغات، واحاول اقناع البعض بالكلام لكي اخفف من حدة غيرتهم، واستميل الأخرين بالصلاة عوض الشتيمة لكي اخجلهم .

حل الربيع، وحضر الاسقف البار كوعده، وبدلاً من الحسد الذي كنا نتوقعه من الحكام المجاورين، تلقينا التشجيع والعون سواء من المسيحيين ام المسلمين، فتشجع الرهبان ووافقوا على العملية بقوة صلاة مار برصوم الذي استظهر على حسد ابليس، فاندفع كل واحد الى العمل محاولاً أن يكون في مقدمة العاملين، لاسيما وقد ظهرت بعض العلامات في الاحلام وخلال العمل، تشير الى رغبة القديس في هذا العمل ولئن كان غريباً - لايجوز للذين يعتبرون الاحلام مجرد خيال، أن يستهينوا بمثل هذه الاحلام - فقد ظهر القديس لبعض الرهبان والخدم الذين كانوا ضد

الفكرة وحاولوا تعطيل العمل، وهو يلوح بخيط في يده ويقول: «اود أن اوصل المياه الى هنا» .

لقد جرى خلال العمل الحدث التالي: فيما كانت عملية الحفر جارية، اذا بصخرة كبيرة تعترضهم، فاحاطا بها الرجال وحركوها ليدحرجوها، فسمع صوت سقوطها، ومن شدته تحرك احد الرجال وانزلقت رجله فسقط تحت الصخرة، وتدحرجت عليه تلك الصخرة، ولا اقول جبلا، فهرع الناس ليروا فيما اذا بقي شيء من عظام ذلك الشاب، وأسمه برصوم، الذي حوصر بين حجرتين صغيرين، فوجدوه حياً سالماً دون أي خدش في جسمه. لقد رأينا جميعاً هذا الحدث بأم أعيننا ولمسناه بأيدينا .

واذا كان البعض قد شك في حينه في الاعجوبة الفائقة للطبيعة والتي ورد ذكرها في سيرة القديس بخصوص الشاب الذي سُحق الحديد تحت بطنه وظل حياً. فهذا الحدث يؤكد ذاك لأن الشاب انحصر بين حجرين. فالقوة التي احيت ذاك هي نفسها حفظت هذا. ومهما طال الحديث، يظل عاجزاً عن استيعاب كل المعجزات التي حدثت خلال هذا العمل. فأنا لم ادون سوى نزر يسير، ومع ذلك يجب أن أدون بأيجاز الاعجوبة التي حدثت في ختام العمل. فقد ادركتنا خيبة أمل عندما اعترضت طريق الماء دون أن يصل الى الدير، صخرة عالية، ولم يكن من الممكن شقها أو بناء سد ازاها. فتراءى القديس لراهب غريب وقال له: اذهب وقل للفعلة ورئيس الدير، لاتفتر همتكم فسوف تجدون مجرى للماء في المكان الفلاني. فلما قص الرؤيا، لم يصدقه أحد، لان الموقع المؤشر اليه من الجبل كان صخرة صماء. بيد أن الراهب حفر في المكان المعين لمفرده، واذا به يكتشف شقاً في الجبل طوله خمسمائة خطوة لا اكثر ولا أقل، فبهت الجميع ومجدوا الله. فقال بعضهم أن الشق قديم، وقال آخرون، لا بل أن الرب قد شقه حديثاً. أما أنا فأقول: سواء اكان

الشق قديماً ام حديثاً، فأن قوة الله الحالّة في القديس مار برصوم اكدت أن العمل من صنع الله وليس من صنعنا. وارجو الاّ يسيء أحد الظن فيّ فيعتقد بأني كتبت احداثاً غير صحيحة، بين ما جمعته من اخبار في هذا الكتاب. بل اني عزمت عن تدوين احداث كثيرة كي لا اطيل الحديث. كما وارجو الاّ يعتقد أحد بأني احصي نفسي مع المجاهدين. فأنا لم اذكر مما احتملته سوى اليسير، فأنا لا اتجاهل ضعفي. وإن ماكتبته، كتبته طمعاً بصلاة الافاضل الذين يقرأون ويعرفون أن العمل انتهى في ٢٤ آب سنة ١٤٧٤.

فصـل

في تولي بوهيموند بن بيدوي الحكم في انطاكية. ودخول أمري ملك القدس مصر. ووفاة يعقوب ارسلان والمفريان اغناطيوس، وهزيمة الافرنج في حارم حيث القي القبض على صاحب انطاكية وطابو بوليس

سنة ١٤٧٦ شحت الحنطة في كل الامصار ولاسيما في منطقة انطاكية وقيليقية. حيث بلغت قيمة نصف الكيل ديناراً، واخيراً اختفت كلياً.. في السنة نفسها اغتيل جمال الدين الوزير الذي كان في الموصل والمذكور آنفاً، هو فارسي الاصل، وكان قد اوفد المفريان لدى ملك الايباريني الاتراك. وقد عينه زنكي مديراً في الموصل واعطاه العشر من دخلها فأثرى وعظم شأنه. وكان يمثل ...... (ناقص)

بعد أن القى الاتراك القبض على دنغد واعتقل في حلب، ادعت زوجته بأنها وريثة والدها في السلطة على انطاكية، فعهدت اليها ادارتها. وكان لها ابن قد بلغ سن الرشد، لكنها لم تسمح له بتولي السلطة. وكانت موضع شك لدى الزعماء.

نظرا الى شتداد المرض على المفريان اغناطيوس والعذاب الذي تحمله بسببه، اراد أن يأتي الى دير مار برصوم، فأخذ بعض تلاميذه وكتبه وامواله، ووصل الى قرية تدعى حيل في كورة نصيبين .... (نقص سبع صفحات).

..... باللرهبة ايها الاخوة. فاذا كانت هزة أرضية تسبب خوفا بهذا المقدار ترى من يقوى على تحمل الدينونة العتيدة في ذلك اليوم الرهيب ؟

كنا في كنيسة دير مار حنانيا، وقد رمينا بانفسنا امام المائدة وامسكنا بها ونحن نترنح ذات اليمين وذات الشمال وندعو الله قلبياً ليؤهلنا للنهاية بالسلام. وبعد فترة عدنا ونحن مشدوهون وكأننا ناهضون من القبور، وسالت الدموع من مآقينا وصرنا مثل الذي يستيقظ للتو من نومه، والسنتنا تلهج بالتسبيح، لاسيما بعد أن تأكد لدينا سلامة الدير وسائر المنطقة من الاضرار. وزدنا شكرا لله بعد أن سمعنا بأخبار النكبات التي حلت في بعض المناطق والمدن، وقد دمرت بتأثير هذه الهزة مدينة بيروا اي حلب التي كثرت فيها المنكرات مثل سدوم وعمورة. فقد رأينا بأم اعيننا، انواع المنكرات التي تقترف فيها. فلم يكن يُسمح لالاف من المعتقلين المسيحيين الذين بالخروج سوى لارتياد الكنيسة يوم الاحد، وهم مكبلون بالسلاسل من أرجلهم واعناقهم، ويشق صراخهم عنان السماء. ترى أي لسان يستطيع أن يتحدث أو اية أذن تحتمل السماع عن صنوف العذابات التي كان يعاني منها المعتقلون ؟ اذا ما ارادت يد أن تدون بعض الشيء. ستحتاج الى عدة مجلدات. ولعل الجو نتن في تلك المدينة من جراء أبخرة تكالبهم الكريهة .

لقد جدف البعض، وهم يسمعون ويرون تلك التصرفات، وقالوا: أن عناية الله لم تصل الى هنا. ولكن قد تكون العدالة رئفت بهم في هذا التأديب، حيث انها منعتهم من الفواحش كالذين كانوا في ايام نوح لما حلّ الطوفان. وان الذين قالوا، أن الله يعجز عن انقاذ المعتقلين من ايديهم، صاروا اكداساً اكداساً بفعل الهزة، وانهارت بيوتهم واسوارهم، وتعفن الهواء والماء من كثرة الغرقى، وظهرت اخاديد وكهوف في المدينة، وسادها اللون الاسود، واضحت برمتها تلاً وركاماً. وما يؤكد بالاكثر أن سيف الغضب قد آستل عليها فقط، هو نجاة ضواحيها من مفاعيل هذه

النكبة. لقد سقط سور انطاكية الواقع على ساحل البحر، كما انهارت كنيسة اليونان الكبرى، ومذبح كنيسة مار بطرس الكبرى، وبعض الدور والكنائس هنا وهناك، وراح ضحيتها نحو خمسين نفس في انطاكية، كما انهارت جبال برمتها، وقسم كبير من طرابلس بما فيه الكنيسة الكبرى، ومن سائر مدن ساحل البحر. ولحقت كذلك الاضرار، من جراء هذه الهزة، بدمشق وحمص وحماة وكافة المدن والقرى. ولكن ما حدث في حلب لم يكن له نظير. فقد قص حاكمها فربلا شعره ولبس المسوح، وجمع الشعب وشخصوا الى قوصير، وطلب العفو من بطريركهم، والتمسوا منه أن يدخل المدينة. فقال: لا ادخلها مالم تخرجوا البطريرك اليوناني، فلما هموا باخراجه وجدوه مهشماً بسبب الهزة فحملوه واخرجوه من المدينة، فمات في الطرق. فدخل همري انطاكية واعيد بناء اسوارها وكنيستها. واعاد نور الدين بناء سور حلب، وفعل كذلك حاكم شميشاط. واعاد جميع الحكام الافرنج منهم والاتراك بناء مناطقهم .

اما بالنسبة الينا، فان الله آزر هذا النزر اليسير في كافة المدن. ربما لانه لم يكن ملك من شعبنا ولا ثري. فقد سلمت كنيستنا في حلب ولم تسقط منها كنيسة العذراء وكنيسة مار جرجس وكنيسة مار برصوم، وسلمت كذلك الكنيسة الصغيرة التي كانت لنا في جابولا، وكذلك الامر في اللاذقية وطرابلس. لقد حدث هذا تشجيعاً لقطيعنا الارثوذكسي الصغير .

الذهب الذي اعتادوا أن يقدموه احياناً، واعطوا رهينة، ضماناً لتقديمهم المال سنوياً، فأخذ الرهينة وعاد الى القدس، فاغتم اليونان. ومات عدد كبير منهم بسبب الشتاء، وبالكاد تمكنت بقية منهم من العودة الى بلادهم .. وفي السنة نفسها انجرف امير ملطية الشاب الغبي وراء الشهوات السمجة، فتبع مومساً ساحرة دفعته الى اقتراف صنوف الشر والمنكر بحق ابناء مدينته وجنده الاتراك، فاستاء كبار رجاله، غير انه زاد في طيشه واستحوذ على كل ما وجده من كنوز آبائه، واصطحب

المومس واتباعه وغادر المدينة مضطرباً. فلما علموا بما فعله محمود الشقي، اقاموا اخاه الشاب المدعو ابا القاسم رئيساً، فساد السلام المدينة على أثر تسلمه مقاليد الحكم. فيما اخذ ذاك يتنقل من بيت الى بيت. وسوف نأتي على ذكر مصيره فيما بعد .

لدى سماع ملك القدس، أن ميلحي حاكم قيليقية يسيء معاملة المسيحيين بمختلف الطرق وفي كل مكان، جاء لمحاربته، فاستنجد ميلحي بالاتراك فانجدوه، ودارت المعركة، وبمعونة الله انتصر الملك فهرب الاتراك، ولجأ ميلحي الى حصنه، فحاصر الملك الحصن وحاربه فتضايق ميلحي وندم واعتذر وتعهد بالخضوع للملك .. في هذه السنة توفي عز الدولة حاكم قلعة آغل فخلفه ابنه أسد الدين، فنشب نزاع بينه وبين عمه حاكم آمد، فأخذا يسبيان الفلاحين ويبيعانهم عبيداً .

..... والمنطقة، اغتصب ساحة كنيستنا في ماردين واعطاها للمسلمين فضموها الى جامعهم، الامر الذي حز في نفوسنا. وتواقح فريق منا فجدفوا على القديسين عوضاً عن توجيه اللوم لنا ولذواتهم بسبب ترك الله ايانا وافساحه المجال للشعوب أن توجه الينا هذه الضربة العادلة بسبب خطايانا. وعليه وبكل حق يقول لنا القديسون: لقد أهين اسم الله بين الشعوب بسببكم. الويل لذاك العبد الذي يهان سيده بسببه. وفي اليوم التالي سقط ذلك المخصي من مركوبه وندم، واراد اعادة الساحة لكنه خاف من المسلمين .. في السنة التي توفي فيها مطران شمبشاط، توفي ايضا يوسف الذي اقيم عن غير جدارة، على تل ارسينوس، فارتاح منه المؤمنون، لانهم لم يكونوا يثقون به .

فصـل

في وفاة حاكم الموصل وخليفة بغداد، ونزول نور الدين الى الموصل ونهب دير مار متى. وعقد مجمع دير مار حنانيا.

في تلك السنة، اسلم في ماردين الراهب حسن بن كوميب لخلاف بينه وبين اخوته الرهبان، فاستولى المسلمون على ديرهم المعروف بدير الابكار في جبل ماردين واحالوه مصلى للمسلمين الاكراد .. في هذه السنة باشر المطران الملفان مار ديونيسيوس بتجديد كنيسة والدة الله في آمد، ووضع فيها كاتبه الشماس ابراهيم الذي فتح كتّاباً لتعليم الاطفال، وجدد أرضية الكنيسة من ماله الخاص ومما جمعه من المؤمنين .. وفي السنة نفسها شيدنا كنيسة في دير ابي غالب بمنطقة بيرتا في جرجر، وفيها عقدنا المجمع الثالث في دير مار حنانيا، ورسم اغناطيوس اسقفاً لتل ارسينوس، وايوانيس لسيبيرك، واحدهما من دير سرجيسية والآخر من فسقين بمنطقة ملطية .

في آب عام ١٤٨٢ توفي اتابك اتبج قطب الدين حاكم الموصل واثور، فألب شقيقه فقهاء المسلمين لمعاملته اياهم بالحسنى، ولحرصه على اداء الصلاة في اوقاتها، وتجنبه شرب الخمر حتى اضفى عليه المسلمون لقب «النبي». فقسى قلبه على المسيحيين ليحسن اكثر في اعين المسلمين. فأمر بهدم كل الابنية الجديدة في الكنائس والاديرة. فهدموا الحائط الذي كان قد اضيف الى كنيسة مار يعقوب الكبرى في نصيبين التي كانت تحت سيطرة النساطرة منذ عهد برصوم الهرطوقي، ونهبوا ممتلكاتها ونحو الف كتاب. وفعلوا مثل هذا في عدة اماكن. وقد عين نور الدين فقيهاً من انسبائه يكره المسيحيين، يدعى ابن عصرون، قاضياً، وارسله ليتجول

ويهدم كل بناء جديد في الكنائس شيد في عهد والده وأخيه. وحيثما كان يتجه، كان يرتشي فيقسم على أن البناء قديم. أما اذا لم يُقدم له مايعمي العيون (الرشوة) فكان يهدم ويدمر. حتى علم بذلك نور الدين فعزله، ثم انتقل نور الدين من نصيبين الى سنجار وفتحها دون مقاومة. وفي كانون الاول من السنة نفسها، حاصر الموصل. وفيها توفي الخليفة المستنجد فخلفه ابنه المهتدي، فخفف من حدة حقد نور الدين للمسيحيين لاسباب ستتضح من جداول السنين .

لقد طال الفيضان الذي جرفنا بسبب خطايانا، حتى دير مار متى بمنطقة نينوى والموصل. فبعد وفاة اتبج قطب الدين خلفه ابنه سيف الدين. وفي تلك السنة وصل نور الدين حاكم حلب الى المنطقة ليحاربها. فعلم الاكراد المجاورون للدير بذلك، وفهموا أن نور الدين يضرب المسيحيين، فانتهزوها فرصة وقرروا تدمير الدير، فكانوا يحاولون نهبه ليلاً، لكن الرهبان كانوا ساهرين، وكثيراً ما كسروا سلالمهم وقتلوا بعضاً منهم. واخيراً تجمعوا وجاءوا اليه في النهار وحاربوه. فجاء ابناء قرى منطقة نينوى لنجدة الرهبان وانتصروا على الاكراد. فلجأ الاكراد الى الاحتيال وعقدوا صلحاً مزيفاً مع الرهبان ودفعوا لهم ثلاثين ديناراً كعربون للمحبة، فانطلت الخدعة على الرهبان وصرفوا ابناء القرى. وللحال تجمع الاكراد ودحرجوا صخرة ضخمة من اعلى الجبل فارتطمت بالسور في الموضع الذي يدخل منه الماء الى الدير وفتحت ثغرة (مازالت الحجرة موجودة حتى الآن). فاجتمع الرهبان لسدها بالحجر والكلس، فهجم عليهم الاكراد واخذوا يرمونهم بالسهام. واذ شعروا بتقهقر الرهبان صرخوا بصوت واحد واستلوا سيوفهم وهجموا عليهم، فقتلوا بعضهم والتجأ البعض الآخر الى قلعة الدير العليا فنجوا، وقتل الراهبان متى ودنحا الحبيس، وكان عدد الاكراد الف وخمسمائة، وحملوا دوابهم من ممتلكات الدير اضافة الى ماحملوه بايديهم، حيث كان ابناء المنطقة قد هربوا اموالهم الى الدير لتكون في مأمن .

وبعد أن غادر الاكراد، اخذ الرهبان الكتب وكل ما كان في القلعة العليا ونزلوا الى الموصل، فخلا الدير من السكان والخدمة. انه لمشهد يدعو الى الشفقة. لقد استأجر ابناء المنطقة حراساً لحراسة الدير لمنع هدم ابنيته من قبل الاعداء، ودفعوا لهم ثلاثين درهما شهرياً. ولما علم حكام الموصل بما فعله الاكراد بالدير، ارسلوا جيشاً وقتلوا عدد كبيراً من منهم. وكردِ فعلٍ لهذا العمل، دمر الاكراد تسع قرى في منطقة النساطرة وقتلوا سكانها وبهائمها ونهبوا ممتلكاتهم واحرقوا البيوت .

فصــل

في محاربة نور الدين الموصل وغيرها من الاحداث التي جرت في تلك الفترة

في ايلول عام ١٤٨٣ طرد الرهبان جبرائيل الشيخ رئيس دير مار برصوم، فجاء عندنا الى دير مـار حنانيا. فتوجهنا الـى الديـر للنظـر فـي أمره وغيره من القضايا، يرافقنا ايوانيس مطران كيسوم رغم مرضه، وقد توفي في دير مار برصوم يوم السبت ٢٤ من ذلك الشـهر. وكـان متبحّـراً في علم الاسفار الآلهية ولبقـا فـي الكـلام وذا شـهرة واسـعة فـي الكنيسـة. وبعد شهرين اي فـي تشـرين الثـاني عـام ١٤٨٣ ازداد حـزن شـعبنا بفقـد كنيستنا الارثوذكسية، لمار ديونيسيوس يعقوب اسقف آمد، الاستاذ الحاذق. وكوكـب زمانـه الـذي هـو جدير بلقـب «محـب العمـل» نظـير يعقـوب الرهاوي، لانه عمل كثيرا في حقل العلم وجمـع ووضـع كتبـاً رائعـة، فقد فسّر كتب الانبياء أي العهد القديم برمته، كما وضـع تفسيراً جليلا للانجيـل والرسـائل واعمـال الرسـل، ولتعـاليم غريغوريـوس اللاهوتـي ومؤلفـات باسيليوس وكتـاب ديونيسـيوس الاريوفـاغي ولمصنفـات غريغوريـوس النوسي ولكتب القديس سويريوس ولكتـاب بطـرس الرقّـي ولمئـات حِكـم اوغريس المتوحـد. كمـا وضـع كتابـاً فـي الجدل ضـد البـدع والمذاهـب المخالفـة لعقيدتنـا الارثوذكسـية، وتفسيراً لكتـب المنطقيين مثـل ارسـطو وسواه. وكتاباً في العنايـة الآلهيـة، وكتابـاً فـي التـاريخ، وكتـاب الرسـائل، وكتاباً حوى مجموعة كبيرة من اناشيد كافة كنائسنا. فاغنى الكنيسـة بمثـل هذه اللالحان، واغنى نفسه بحفظ القوانيـن المقدمـة. وقـد كتبنـا مقـالاً عـن سيرته واعماله وجهوده، فليرجع اليها من يشاء. اودع جثمانـه فـي كنيسـة

والدة الله في امد، في الجهة الجنوبية الى جانب البطريركيـن ابن عبدون وابن شوشان. ليرحمه الرب ويغفر لمن يقرأ ويصلي من أجل ضعفي .

لدى محاصرة نور الدين الموصل، كان فيها خمسة من اولاد أخيه ومربيهم، وهو خصي يدعى فخر الدين عبد المسيح من كورة أنطاكية. وحيث انه كان يساعد المسيحيين مثل مردخاي في زمانه، حقد عليه المسلموم كحقد هامان لذاك. ويقال أن نور الدين نفسه جاء الى الموصل غيرة من فخر الدين الذي كان يدير المدينة بكل حكمة. فلما رأى عجزهم عن مقاومة نور الدين لميل الجميع اليه، ارسل وسطاء للمصالحة، ثم خرج هو نفسه واخذ تعهداً بعدم انتزاع المدينة من ابن أخيه. فدخل نور الدين وصعد الى القلعة. ولكي يحتفظ بها لنفسه، عين لها خصيا يدعى سعد الدين، وترك المدينة ومنطقتها لابن أخيه، وقسم المناطق الاخرى على اولاده وبناته، كما أعطى لكلاً من الاخوة نصيبه. وسجل باسمه مناطق ماردين وقلعتها، وعين والياً في كل منها .

لقد اثقل على المسيحيين بالضرائب، وزاد الجزية، وأمر بأن يتمنطقون بزنار وبالأ يرخوا شعور رؤوسهم لكي يتميزوا فيسخر منهم المسلمون. كما أمر بأن يضع اليونان رقعة حمراء على اكتافهم من اجل تمييزهم .

في هذه الاثناء زار امري ملك القدس، ملك اليونان في القسطنطينية، فنفحه بالمال والسلاح وعاد. فسمع نور الدين بعودته فرجع مسرعاً مصطحباً معه الخصي لئلا يساعد المسيحيين اذا بقي. فلما رحل الى حلب تنفس المسيحيون في آثور وبين النهرين الصعداء هذه الاحداث كلها جرت في آذار عام ١٤٨٣ .. في هذه الفترة كان يحكم ملطية شاب بن ١٥ سنة هو شقيق الحاكم الذي اضطر الى مغادرتها مهاناً، فزوجوه من ابنة قراصلان صاحب حصن زياد. وفيما هم يتمتعون بمراسيم

الزواج، خرجوا للعب كمألوف عادة الاتراك والجنود، فسقط من على متن الحصان ومات، فاستحال فرفرحهم حزناً، وظن الجميع انهم سيعيدون الحاكم الاول، غير أن الاتراك لم يوافقوا فاجتمعوا واقسموا، كما اقسم المسيحيون ايضا، على انهم لن يقبلوا من سبق وتركهم. وعليه فقد أقاموا الاخ الاصغر المدعو فريدون رئيساً للمدينة وزوجوه امرأة أخيه من غير رضاها .

لقد ثَمُل نور الدين بنشوة المجد الباطل لاعتبار المسلمين أياه بمثابة نبي كما سبق القول، وكان يحاول بشتى السبل الانتقاص من قيمة المسيحيين لكي ينظر اليه المسلمون كأمام لعقيدتهم. وازداد تصلفه بعد أن سيطر على سورية ومصر وآثور وكأنه سيطر على المسكونة برمتها. وحرضه الشيطان على القضاء على المسيحيين، فأرسل كتاباً الى الخليفة جاء فيه «إن قول محمد النبوي الوارد في القرآن بأن لا يؤذي المسلمون المسيحيين مدة خمسمائة سنة، قد انتهى مفعوله بانتهاء تلك السنين، وعليه ينبغي أن يقض على المسيحيين في كافة مناطق نفوذ المسلمين. فمن لا يعتنق الاسلام منهم يُقتل». واشار في رسالته هذه الى استعداده للحضور عنده، الامر الذي افزع الخليفة معتبراً خطوته هذه خدعة كي يطرده كما فعل بالنسبة الى سلطان مصر، ويتخذ الخلافة لنفسه لانه كان يدعي النبوة. لذا خذله الخليفة. وحدث أن توفي الخليفة في تلك الفترة بالذات وخلفه ابنه فقتل الوزير لانه لم يكن يرغب فيه، واذ كان الوزير يكره المسيحيين، أحبهم الخليفة نكاية به، فاطلق سراح الرؤساء من آل توما المعتقلين، واعاد اليهم بيوتهم وكنائسهم، فاخبروه كيف أن والده أبعد رسل نور الدين لدى اكتشافه خداعه. فكتب اليه يقول: «لا يحق لك أن تدعي النبوة وتضع الشرائع كآله. فانك لم تفهم كلام محمد بالنسبة الى السنين على حقيقته. فان الله لم يأمر أن نقتل الناس دون ذنب». فخجل وارسل رسلاً آخرين طالباً السماح له بزيارة ضريح الخليفة الراحل. الامر الذي كان لصالح المسيحيين، حيث ثبت للخليفة الجديد أن نور الدين يعمل ما

في وسعه لدخول مدينتهم بقصد السيطرة عليها. فاجابه متوعداً ولم يأذن له بالقدوم اليه. علينا أن لا ننسى أن الله ولئن سلط علينا المسلمين والاتراك بسبب خطايانا، لكنه لم يحرمنا يوماً ما أي شكل من اشكال رحمته، بل يشملنا دوماً بعنايته ورعايته ويحمينا من مبغضينا، رحمة منه بكنيسته .

فصـل

في مجيئ السلطان قليغ أسلان الى ملطية وعودته. واجماع الامراء على محاربته بتحريض نور الدين. وبث اشاعة كاذبة عن موت نور الدين. وتنازع الاتراك والعرب في منطقة حكمه

رُسم في هذه السنة ابراهيم سكرتير مار ديونيسيوس اسقفاً لآمد. وفي السنة نفسها، شيدنا في دير مار برصوم جناحاً للبطريرك والمطارنة الزائرين. وفيها بوشر بتجديد كنيسة ملطية الكبرى الشهيرة بكنيسة الساعي، وذلك على النحو التالي: كانت قبتها قد اوشكت على السقوط، وكلما حاول المؤمنون ترميمها منعهم الرعاة بحجة خوفهم من الحكام، وربما كانوا على صواب. فقد خافوا ان يباشروا العمل ولا يستطيعون انجازه، فترك الامر حتى الآن، حيث ارتأى بعض وجهاء المدينة المباشرة بالعمل، فاستشارونا كبطريرك انطاكية، فرحبنا بالفكرة ووافقناهم. ودفعت خمسين ديناراً للمباشرة بالعمل كدفعة اولى. فهدموا القبة والبابين القبلي والشمالي، وباشروا بالبناء. فثار علينا الثلاب بحسده ليعطل فوائد الروح والجسد. ولكن وجد من يؤازر ضعفي، منهم الارخذياقون ابو الحسن والوكيل رومانس المعروف بعوجان الذي أبدى همة شماء بدافع ايمانه. وما أن تم بناء الابواب، حتى اندفع المعارضون ليصيروا في مقدمة المهتمين، وهكذا اخذوا يهدمون جزاءاً من تلك الكنيسة الكبيرة ويعيدون بناءها، حيث اسهم كافة أبناء المدينة حتى الارامل والفقراء الذين كانوا يقدمون سرا مما عندهم للوكيل رومانس. وكانت هذه الكنيسة قد انشئت عام ١٢٨٠ بهمة المطران اغناطيوس الشهير بالساعي. وقد بوشر في هذا التجديد عام ١٤٨٣ واستغرق ست سنوات وانجز عام ١٤٨٨ وبلغت الكلفة ألفي دينار .

تميز في هذه المنطقة، جماعة من الافرنج في مساعدة المحتاجين، غير أن ابليس اوقعهم في هرطقة مفادها: عدم امكانية استحالة الخبز والخمر الى جسد ودم الله، وأن ليس فضيلة سوى عمل الصدقات والرأفة بالمحتاجين، والمحبة والوفاق بين الناس. وقد تزايد عددهم حتى بلغ الالآف والربوات، وصار لهم اساقفة وولاة وانضم اليهم حكام المناطق. واضافوا الى هرطقتهم عملاً اكثر فظاعة ألا وهو تأميم نسائهم. فلما افتضح امرهم، عقد رئيسهم الذي في رومية المدعو افسطس مجمعاً مسكونياً لايقافهم عند حدهم. واذ لم تكن لنا امكانية الذهاب الى تلك البلاد كتبنا مذكرة ضمناها أين وكيف أبدع الشيطان هذه الهرطقة، واسماء الآباء الذين حرموها، وارسلنا هذه الحجة مع الحصاصيين. كما كتبنا الى المفريان كأخ. فلما علم بزيارة الحصاصيين لنا، انزعج معتبراً ذلك اهانة بكرامته، واعلن في أبرشياته حرم هؤلاء الحصاصيين والذين يقبلونهم، فاستغربنا، وارسلنا اليه وفداً من بعض الرهبان الوقورين، واعلناه بروح المحبة، كم احتمل أباؤنا القديسون قرياقس وديونيسيوس، وكيف قرر مجمع للخلقيدونيين قبولهم اذا عادوا، والسماح لهم بترديد العبارة. لكنه رفض مقابلة الوفد وثرثر بلهجة تنمم عن التمرد. وبعد عودة وفدنا، أنبه بعض العقلاء الاتقياء فندم وحضر عندنا فرحبت به، لكني قلت: يجب أن يُبت هذا الامر في مجمع، ثم عاد الى ابرشيته، وارسل ثانية وفوداً والتماسات. ولما عقدنا مجمعاً في دير مار برصوم وحضر هو واساقفته، كشفنا النقاب عن تعدياته على القانون، فاعتذر وكتب تعهداً بالخضوع القانوني، فصلينا عليه وعم السلام .

لدى سماع السلطان وليغصلان بالانقسام الذي حدث في ملطية سنة ١٤٨٣ بسبب الامير الشاب، تأهب لغزوها. وكان السكان قد اقسموا على أن يكونوا فكراً واحداً ويداً واحدة. فارسلوا في طلب الرجل الحكيم الخصي سعد الدين من حصن زياد، فقوى عزيمتهم وشجعهم ووفق فيما بينهم ووحد الجيوش وثبت خطوبة ابنة سيده للامير الشاب. فلما وصل

السلطان لم يتمكن من احتلال المدينة، غير انه ساق معه نحو ١٢ الف شخص من اهالي المنطقة .. اما نور الدين فقد حث امراء المنطقة مع امراء الموصل وماردين وحصن زياد والارمن على مرافقة جيشه، فاحتشدوا في سبسطية لدى اسماعيل، وكان السلطان في قيصرية. فأخذ يماطلهم طيلة فترة الصيف، واذحلّ الشتاء ادركوا انه يغريهم، فاندفعوا نحو باب قيصرية ليقاتلوا، فلم يتصدَّ لهم السلطان، فطلبوا اليه أن يسلمهم الذين سباهم من منطقة ملطية، وكان بعضهم قد قتلوا وجردوا من سلاحهم وثيابهم .

اما البقية الباقية فوصلوا الى مصر مع صلاح الدين ولبسوا الاسود حداداً. ووصلت الاخبار إلى انطاكية يوم كنا هناك .. في تلك الايام علم والي حصن حارم التركي، أن صاحب حلب عازم على القبض عليه وقتله، فتمرد عليه والتحق بالافرنج، واقسم له فريز بأنه لن يخرجه من الحصن، بل سيحافظ عليه ويساعده. وهكذا استسلم للافرنج وصار عدواً للاتراك. غير أن الافرنج اجرموا اذ تنكروا لعهدهم فاجتمعوا من القدس وساحل البحر، ومعهم قوبيس حاكم طرابلس ورافان حاكم قيليقية وقوميس حاكم فلانط، ورافق فريز حشدٌ كبير، وحاصروا حارم مدة اربعة اشهر، وقاتلوا بشتى الوسائط، واثقلوا كاهل الناس بالضرائب الباهظة، فمات عدد كبير في الحرب، وكان من العدالة أن لا ينصرهم الله، لنكستهم بقسمهم بالصليب والانجيل، ظناً منهم بأن النصر يأتيهم بقوة بشرية. أما الاتراك فاذ شعروا بضعفهم وهم داخل الحصن، اخذوا تعهداً من صاحب حلب وسلموا له الحصن فدفع خسائر فريز البالغة عشرين ألف دينار، وعاد فريز الى انطاكية خائباً، في حين ذاع صيت الآخر بما أخذه من مناطق أخيه شاهنشاه والتي اخذوها من ذنون ومن اولاد أخيه المعتقلين لديه، واعادها الى شعب ملطية، وخصص لاخيه عشرة الاف دينار سنوياً، ولم يعط أرضاً لأي منهم. لقد اجرم بحق اولاد أخيه، فذبح احدهم وشواه على النار ووضعه على طبق وارسله الى والده مع خبز كوجبة طعام،

وهدد أن يفعل الشيء نفسه بالآخرين اذا ما فكروا في الانتقام. فخاف الاتراك وعقدوا صلحاً مكرهين، وعاد كل واحد الى بلده، لحلول الشتاء اولا، ولخلو بلدانهم من الجيش ثانياً .

لما شاع خبر وفاة نور الدين، تقاتل العرب والاتراك، فسقط الالاف منهم، وخاف المسيحيون أن يُطاح بهم في ثورة الغضب، لذا خلت القرى من السكان، والطرق من المارة، في سائر انحاء سورية وبين النهرين وآثور. وبعد عودة جيوش الامراء من قبادوقية الى بلدانها في تشرين، تعافى نور الدين من مرضه وظهر متأكد الجميع من أنه حي، فتفرقوا ولم يعودوا يظهرون، وعم الصلح كافة البلدان. لقد سُبي من منطقة كيسوم خلال النزاع بين العرب والاتراك، نحو الف شخص، فاشتراهم أهل ملطية وتاجروا بالبشر .

في تموز سنة ١٤٨٣ اغتصب المسلمون كنيسة مار توما في ماردين، والسبب هو أن شخصاً يدعى برصوم من ماردين، زنى بامرأة مسلمة فقبض عليه، وبعد عذاب مبرح كاد يفضي به الى الموت، صدر حكم بمصادرة جميع املاكه. وحيث أن برصوم هذا كان قد رمم الكنيسة في عهد حسام الدين، قال المسلمون للوالي أن الكنيسة هي لبرصوم لانها شيدت بنفقته، فاغتصبوها وهدموها واحالوها جامعا، فتألم المسيحيون كثيراً حتى انهم جدفوا على العدالة، وحاولوا استعادة الكنيسة عنوة، لكن هذا الموقف زاد من السخط علينا. فقرر الشعب رفع شكوى الى الوالي. وحيث انهم لم يلجأوا الى الله، بل جدفوا عليه وعلى قديسيه، قسىّ الرب قلب الحاكم فرفض شكواهم، فتضاعف السخط، وازداد الضغط على المسيحيين لاسيما وأن الربان حسن بن كوميب المذكور آنفاً، وعلى أثر نزاعه مع شقيقيه الراهبين بسبب تجريده، اسلم في غمرة غضبه ثم ندم وهرب الى القدس وعاد الى المسيحية، فألقى الوالي القبض على شقيقيه وغيرهما من الرهبان فعُذبوا حتى الموت .

في ايلول عام ١٤٨٣ سقط فجأة مطر وثلج، وبرد الجو واتلف الكروم والزيتون، واسودّ القطن والسمسم وكأن نارا اجتاحتها. ولم يقتصر هذا التأديب على سورية وبين النهرين وآثور، لكنه امتد الى فارس وارمنيا وفلسطين ومصر، وغدت المسكونة وكأنها هشيم التهمته النار فاستحال رمادا ورميما. أنه لمشهد مريع ورهيب للناظرين الذين لم يموتوا كلياً، او يصيروا كصوان لا شعور لهم من جراء خطايا ومآثم مختلف الفئات التي تُقترف في هذا الجيل الشرير الخبيث الذي انحرف فيه كل منا عن مخافة الله وبكل قواه. فما حدث أذن عدل ولئن فاق ما كتب «طعامهم بعد في افواههم، فصعد عليهم غضب الله» (مز ٧٨).

فصـل

في مقتل اسماعيل حاكم قبادوقية وقيام عمه ذنون، وظهور نور الدين وتفشي المجاعة بسبب كثرة التاديبات

في هذه الفترة، اولينا اهتماما خاصابمكتبة دير مار برصوم، فجددنا الكتب القديمة بمعونة الله، وهيأنا ورقا لنساخة فنقيثين للدير احياء لذكرى عمي المطران اثناسيوس زكا ووالدي الاستاذ ايليا.. وفي السنة نفسها اصلحنا العين التي تزودالدير بالماء.. وفيها ضايق المسلمون اسقف الجزيرة بسبب الدير الذي اغتصبوه على اثر رسائل مزورة. ولما سجن في الموصل توجه ابناء رعيته الى بغداد، وبعد اداء خسارة مادية اعيد الدير واطلق سراحه.. في هذه الفترة وشى بعض الارمن في الرها بجثاليقهم الذي تعرض للعدالة يوما ما، وهم كل من المعلمين، القس كربيت والراهبان بورك واوسيج. فغضب عليهم الجاثليق وحلق لحاهم. فاستشاطوا غضبا وابتدعوا بدعة فتبعتهم نحو ٤٠٠ عائلة ارمنية ودعوا اوسيجيين. فثارت ثائرة الجاثليق وارسل رسلا وهدايا الى الحاكم وطلب اليه ان يطردهم من مدينته، فقبل الهدايا واذن للارمن ان يعاكسوهم، فقامت ضجة وتبودل الضرب. وقدم الاوسيجيون الهدايا الى الامير فاعطاهم صلاحية تدبير امورهم كما يشاؤون، فتبعوا الخلقيدونيين، فسخرنا منهم نحن والارمن. ثم التجأوا الى شخص من الاسكندرية يتقن اللغة العربية، فزار نور الدين ووشى بنا وبالجاثليق وبالرهاويين قائلا: لقد وصلت رسائل من ملك اليونان الى الارمن والسريان ليسلموا له الرها، فاخذ المطران اثناسيوس مع الارمن وآخرون من الرها الى حلب، ولدى التحقيق معهم ظهر كذب ذلك اليوناني فطرد، وهرب الى بلده وعاد الرهاويون بسلام.

سنة ١٤٨٤ قتل اسماعيل حاكم قبادوقية للسبب التالي: لقد تفشت المجاعة في ذلك البلد، فتضايق الناس لاسيما لدى حلول الشتاء، فسالوه ان يعطيهم طعاما. وبالرغم من توفر الحنطة لديه، لم يستجب لمطلبهم ولئن بنزر يسير، بل طردهم مهانين عدة مرات. فضاقوا ذرعا بسبب الجوع وقرروا قتله والاستيلاء على حنطته لياكلوها مع اولادهم. فاقسموا على ذلك وهجموا عليه وقتلوه وزوجته وهي اخت السلطان، مع خمسمائة من ابناء عشيرته ورموابهم فوق الثلج دون ان يدفنوهم. واستولوا على جميع ممتلكاته لكي يسدوا رمقهم بها. ولم يسمع خبر مقتله حتى شباط، بسبب انقطاع الطرق بسبب الثلوج التي حالت دون ان يتحرك احد بعد انتشار الخبر حتى اللصوص. غير ان الذين قتلوه ندموا كثيرا وتشاوروا ليقيموا مكانه شخصا من نفس العشيرة. فارسلوا الى عمه ذنون الذي كان السلطان قد طرده من قيصرية وهرب الى دمشق. وبناء على طلبهم وبمساعدة نور الدين، جاء مشيا بسبب الثلج. ولما دنا من الدير، خرج الرهبان وصرفوا خمسة ايام في تمهيد الطريق، وبالكاد استطاع ان يجتاز ويصل الى سبسطية ويتسلم زمام الحكم. وللحال قتل القتلة ورفاقهم، فاستحقوا الكاس التي مزجوها.

ثم ظهر نور الدين الذي كان يعتقد بانه قد مات، وخرج لاستقبال السلطان واغوغسلان امير كيسوم وهو خال السلطان الذي كان قد ترك كيسوم لشعوره بعدم ثقة السلطان به، وشخص الى نور الدين. وبعد ان تولى ذنون الحكم في قبادوقية، جاءه السلطان، فحشد نور الدين رجاله واحتل كيسوم وبيت حصنا ومرعش، وتغلغل في منطقة جيحون. فترك السلطان سبسطية وجاء لمحاربة نور الدين، فتقابل الجيشان في منطقة جيحون، وكلاهما خائفان، نظرا الى قوة وكثرة كل منهما، وتفشت المجاعة في المعسكرين وهلك بسببها عدد كبير،فاضطراالى عقد صلح عن طريق وسطاء، فاعاد نور الدين كيسوم.

اتحدث الآن ايها الاحباء عن النكبات التي فتكت بالناس والبهائم والطيور، تلك التي امر الله ان تعصف في هذا الزمان بسائر المعمورة تقريبا. وكان هذا في منتهى العدل لان روح العصيان تغلبت على الطاعة. فبعد ان تلفت الغلات في ايلول وتشرين، اخذ المنجمون يهذون ويقولون، سوف لن تنزل ضربة اخرى في هذه الفترة، لكن فألهم خاب، فقد ضاعف الله قصاصه. وقبل كل شئ، خيم ظلام دامس حتى بدا نور الشمس كنور القمر، وسقط ثلج كثيف كالميازيب وغطى الجبال والسهول، حتى لم يعد من اليسر الانتقال من قرية الى قرية فقط، بل من بيت الى بيت ايضاً، كما غطى شوارع وازقة المدن والقرى، وحوصر الناس في البيوت كما في القبور، وتجمدت الانهار والينابيع والعيون حتى هلك الناس والبهائم والحيواناتعطشاً كما هلكوا جوعاً.

اي لسان يستطيع ان يصف، اواية يد بامكانها ان ترسم صورة صحيحتللعذاب الذي طال كل ما يدب على الارض من حيوانات، ولتلك الطيورالتي كانت تندفع لتدخل الدور. فتشكل مشهداً مؤلماًيستدر الدموع لانها سرعان ما كانت تهلك، كما نفقت الثيران والحمير والحصن داخل البيوت، وتكدست الاغنام والماعز تحت الثلج، ونتن الهواء من رائحة الجثث. ومن بقي من البشر على قيد الحياة ذاق الامرين. حتى السمك لم ينج من هذه الضربة التي لم تقتصر على المناطق الشمالية، لكنها امتدت حتى الهند. لقد بلغ سمك الثلج في اماكن لم يعتد السقوط فيها ١٤ شبراً، وطمر مخيمات العرب الذين لم يعتادوا السكن في البيوت فهلكوا حتى لم يبقى من ينقل الاخبار من مخيم الى آخر. كما سقط عدد كبير من البيوت بسبب تراكم الثلوج عليها، وقضي على من فيها، وبادت عدة قرى عن بكرة ابيها، ولم ينحسر عنها الثلج حتى نيسان، كما باغتت عواصف ثلجية عددا كبيرا من المسافرين وطمرتهم في الطرق. وهكذا صام الشرهون مكرهين، وغدا السكارى زاهدين رغما عنهم، واسترسل الملوك والاثرياء والولاة والفقراء في الدعوات والبكاء وعمل الصدقات. اما ابليس فحاول

ان يحيد افكار الملوك والرّساء عن التوبة باصغـائهم الـى المنجميـن الذيـن عزوا سبب هذا الغضب الـى اقتراب زحـل مـن المريـخ ونشـوب صـراع بينهما، وقالوا: ان الغضب سيزول لدى ابتعاد الواحـد عـن الآخـر وسـوف لن يتكرر لسنوات عديدة، فـلا حاجـة للدعـوات او الصدقـات. وقـد صـدق الكثيرون مثل هذا الكلام حتى فضح الله دجلهم، حيث تكرر التأديب نفسـه فـي السـنة التاليـة، واسـتمر مـن آذار حتـى منتصـف حزيـران، فـاعترف حينذاك المغرر بهم بسقوطهم في حمأة المنجمين، وبأن ارادة الـرب لا بـد ان تتم.

لقد دونا هذه الاحداث لكي يجني منها الحكماء الفوائـد بالايمـان .. في هذه الفترة، نهب المسلمون كنيسة الاربعين شـهيدا فـي مـاردين عندمـا اخضعنا الله لضربة اخرى، وقد انقذت عنايته تلك الكنيسة باعجوبة.

فصـل

في وفاة نور الدين والملك امري. وانتقالنا الى آمد ووفاة الجاثليق نرسيس

جاءنا كاهنان من الاوسيجيين يرافقهم راهب منهم يشتكون على الجاثليق. فلاحظنا سوء فهمهم لاثناسيوس وكيرلس، حيث قالوا « انهما يذكران احيانا طبيعتين للمسيح واحيانا اخرى طبيعة واحدة، وعليه لنا الخيار ان نقول طبيعة واحدة او طبيعتين ». وبعد إقناعهم بالحقيقة استنادا الى الاسفار المقدسة، غيروا رايهم وعادوا الى الارثوذكسية، فزودناهم برسائل الى الجاثليق ليعفو عنهم. وفي غضون ذلك توفي الجاثليق نرسيس، فاقام هؤلاء الرهبان في أديرتنا، وتوجه رئيسهم الى انطاكية وانتمى نهائيا الى الخلقيدونيين، وتشتت البقية.

بعد ديونيسيوس، رسم سكرتيره ابراهيم لآم، ولم يعش سوى ثلاثة اشهر.. ألزم الحاكم الكهنة ليدفعوا له المئة دينار التي كان ابو سعيد المتمرد قد فرضها عليهم سابقا، وانفذ الينا رسالة يهدد فيها بهدم الكنائس إن لم نرسل له المبلغ، فسلمت نفسي بيد الرب وتوجهت الى هناك، فاندهش الحاكم لوصولي واكرمني جدا، فلما دخلنا وجدنا الكنائس مقفلة، وبعض قلالي البطريركية قد تهدمت والبعض الآخر ملآى بقطن الحاكم. ولا حاجة لذكر النقود والنفقات التي بذلت من اجل ترميمها. وبمعونة الله اعدنا بناء كنيسة دير قنقرت بالحجر والجص، وكانت مشيدة باللبن والخشب. وقد حررنا ابناء فريا لقاء ٣٠٠ دينار، فيما كان الحاكم يطلب ألفي دينار، وامضينا هناك طيلة فترة الشتاء. وبعد انقضاء العيدوتقديس

الميرون ورسامة ايليا الذي أعطي اسم ايوانيس، لكيسوم، وصلنا الى ماردين بعد الاحد الجديد.

لقداخذ الغررور نور الدين بعد أن اخضع آثور وبين النهرين وسورية ومصر، وغدا امراؤها كعبيد له. وبعد اخضاع قبادوقية وقيليقية، تأهب للقضاءعلى كلتا الدولتين، دولة الافرنج في القدس وانطاكية، ودولة الاتراك في بيثونية. فتحرك مبعوثوه الى كل حدب وصوب للاسراع في تعبئة الجيوش وحشدها في دمشق، فاحتشدت اعداد لا حصر لها، من العربية الداخلة ومصر وآثور وما بين النهرين وارمينيا وقبادوقية وسورية وقيليقية، فعم الخوف كل الاصقاع وبخاصة المسيحيين المغلوب على امرهم، لكن الرب الذي هو فوق كل مملكة في العالم، ويقيم فيها من ضعفائهم من يشاء، أمر فمات نور الدين فجأة في ٢٣ ايار سنة ١٤٨٥ وفشلت خططه، وطارت البشائر في كل مكان ليس بالنسبة للمسيحيين فحسب، بل الى الامراء ايضا الذين كانوا قد ضاقوا به ذرعا، اذ لم يكن ليسمح لهم بشرب الخمر في معسكره او بسماع الاغاني او الرقص، فكان الهدوء يسود معسكره دائما، ويسمع القرآن باستمرار لانه كان يعتبر نفسه مثل محمد ويتوقع ان يكلمه الله يوما ما كما حكم موسى، لذا سخر منه المسلمون الذين وقفوا على ما يدور بخلده، فسموه نبيا، فكانوا يقولون له: لقد ترائيت لنا في المسجد، فيصدقهم. حكم ٢٨ سنة، وخلفه ابنه صالح الذي تولى الحكم في حلب ودمشق.

كان لكل من شقيقي نرسيس جاثليق الارمن الذي توفي يوم الخميس ٨ آب، ابن اسقف، وحيث ان الاكبر تغيب، أعطى خاتمه للاصغر فنودي به جاثليقا. فأسرع الثاني بالمجيئ، غير ان الصغير منعه من الدخول، فالتجأ الى صهره ميليح حاكم قيليقية، فقدمه الى نور الدين، وعليه عاد حاملا توصية الاتراك، فخشي الشعب الارمني من ان يسلم المنطقة الى نور الدين عن طريق ميليح، فادخلوه الى القلعة الرومانية

دون ارادة الصغير، فقبض على ابن عمه ووضعه تحت الحراسة، ونصّب جاثليقا يوم الاحد ٢٥ ايلول سنة ١٤٨٤. وهنا افتضح امر هؤلاء المسيحيين الذين لم تكن رئاسة كهنوتهم تسير في الخط الرسولي. ويا حبذا لو كانوا كملوك عدول وليس طغاة.

لقد استدعى الجاثليق الجديد، كريكور، اساقفتنا القريبين منه، مثل غريغوريوس اسقف كيسوم، وباسيليوس اسقف رعبن، ليشتركوا في رسامته. وفي اليوم التالي ارسل الي وفدا حاملا رسالة جاء فيها «كنت اتمنى ان تحضروا رسامتي وتضعوا على رأسي يد غريغوريوس (المنور) مبشر الارمن، مانحة الرئاسة، لكننا اسرعنا في الرئاسة خوفا من الخطر المحدق بنا من قبل جيش الاتراك. فأسألك ان تحقق امنيتي هذه بالروح». فاجبته بقدر ما ساعدني ضعفي، مباركا وداعيا، لكني لم اغفل عن ذكر القوانين الرسولية، فحذرت، بروح المحبة، من ارتكاب خطأ فادح ببيع الكهنوت، حيث صار ذلك امرا مشروعا لدى الارمن، مذكرا بما قاله بطرس الكبير لسيمون الساحر. فاستحسن الشعب الارمني هذه الرسالة التي كانت وخزة لرؤسائهم. كما طلبت اليه ان يطلق سراح ابن عمه من السجن ففعل.

في هذه السنة كثرت الامطار في كل البقاع الى درجة انها الحقت الاضرار. فقد هدم الفيضان في بغداد نحو ثلاثين الف دار، وحدث مثل هذا في عدة اماكن، ولم تثمر الكروم والاشجار في تلك السنة، اما الحنطة وسواها من البقول، فلم تتم الا بعد هدوء زوبعة الفيضان.

المقال العشرون

نتناول في مقالنا العشرين، الاحداث من سنة ١٤١٦ ي. وهي سنة ١١٠٥ ميلادية، وسنة ٥٥٣ هجرية، وسنة ١١٤ للاتراك، وسنة ٦٦٥٥ لآدم

الفصل الاول

في زوال الرئاسة من آل طونشمان في قبادوقية. وتولي سلطان ايقونية الحكم فيها. وفي بدء مملكة بغدوين آخر في القدس. والعاصفة التي هبت على كنيستنا من قبل من هم منا.

في هذه الفترة، ثارت ضد ضعفي، وبسبب خطاياي، زوبعة لا يستهان بها نظرا الى غباوة الزمان، وربما لنشترك بآلام القديسين ولئن بمقدارخنصر، لكننا لم نضطهد من قبل الوثنيين كالرسل، ولا من قبل الهراطقة كالآباء، انما ثارت علينا الزوبعة من قبل اخوتنا، انه اضطهاد من نوع جديد. لكن الحق لا يخفى عن محبي الحق، وجزاؤه محفوظ لدى فاحص كل شيئ الذي يعرف ضعفي.

فعندما دعيت الى هذه الخدمة الخطيرة، رأيت من الواجب علي احترام القوانين المقدسة والدفاع عنها، ولاني دافعت، منذ البداية، عن تلك القوانين التي ديست وعطل مفعولها، نفذت القانون القاضي بعدم منح الرسامة بالرشوة، والقانون الذي يمنع اغتصاب ابرشية او كنيسة بنفوذ الملك او الحكام، كما حذرت من ان يضرب أحد الانظمة الكنسية عرض

الحائط، فينتقل من ابرشية الى ابرشية دون اذن شرعي. وبسبب ذلك قاومني كل من اسقف دمشق واسقف جيحون واسقف طور عبدين، ومن ثم اسقف الرقة المدعو ايوانيس دنحا الذي كان ابناء رعيته قد فقدوا الثقة فيه منذ عهد الطيب الذكر البطريرك اثناسيوس وقدموا ضده عدة شكاوى، وكثيرا ما اوقفه البطريرك بقصد تقويمه. فهؤلاء انفسهم رفعوا الي شكاوى ضده، لكني كنت انصحهم واصالحهم على قدر الامكان، كما كنت احثه على الاقلاع عن العادات غير القانونية، ليس مرة او مرتين بل على مدى ثماني سنوات، وفي كل سنة كانوا يجددون الشكاوى والدعاوى، ليس لعدم حفظه العهود فحسب بل لسلوكه المشين ايضا.

لقد عقد مجمع في دير مار حنانيا واستمع الى شهود موثوق بهم، اجمعوا على الشهادة ضده وامامه. وبناء على قرار المجمع امرناه بان يترك تلك الابرشية وينتظر في دير ابرشية ماردين مدة ثلاث سنوات، ريثما تعالج قضيته، فرضخ للقرار امام المجمع، لكن الشيطان حركه فيما بعد فداس القانون وشخص الى بعض زعماء النساطرة والمسؤولين في منطقة ماردين واشتكى على ضعفي، فاحتملت عذابا ليس بيسير، حتى انكشفت لهم اعماله فطردوه، فتوجه الى الوالي ووعده برشوة اذا ما قتلني، لكن الرب رئف بي لا بل بالكنيسة أيضا. فقد ارسل الوالي جندا ليقتادوني كمحكوم عليه بالموت، فمثلت امامه وتحدث الي بغضب، غير ان الرب الذي وعد المؤمنين به بانهم « سيعطون في تلك الساعة ما ينطقون به »، اعطاني انا الخاطئ ومن دون استحقاق وليس من اجلي ولا من اجل البلد، بل من اجل كنيسته _ قوة! فدافعت ببعض كلمات ظهر فيها الحق. فطرد الواشي، ولم يكن معي آنذاك، باستثناء الله، سوى شخص واحد هو الاستاذ ابوكير ارخدياقون ماردين، ليرحمه الله.

ثم دس الشيطان فيه حقدا علي، فتوجه الى ملك الموصل ووشى بي واعدا اياه بألف دينار، فأرسل جندا واقتادوني الى نصيبين ورافقني

مار اثناسيوس اسقف الرها ومار يوحنا وعدد من الرهبان. فلما بلغنا المعسكر، ادخلوني الى نائب الامير سيف الدين، فتحدث الي بمرونة وقال: لا يحق لكم، وقد وضعكم الله تحت امرتنا، ان تقاوموا الارادة الملكية. فعليك ان تنفذ ارادة الملك الظافر قبل ان تهان وتسلم للتعذيب. فقد امر ان يكون هذا المطران راعيا للمدن التي تحت نفوذه وهي بين النهرين والرقة وحران وسروج ومنطقة حابورا. وعليه يجب ان تعود بسلام الى مقرك، والا فسيحدث ما لا تحمد عقباه. فاستمديت القوة من الله، وهيأت نفسي للموت، واجبته بكل شجاعة وقلت: لقد اودعت الشرائع في ثلاثة كتب، التوراة للعبرانيين، والنجيل للمسيحيين، والقرآن للمسلمين، فابحثوا في ثلاثتها، ولا سيما في كتابكم، وانظروا كيف ان الله أمر الملوك ان يديروا شؤون البلاد بالسلطة، اما الايمان فلا يكون بالاكراه بل بالخيار. وهذا ما جعل الملوك العدول الذي جاءوا بعد محمد وحتى يومنا هذا، ان يحفظوا شريعة الله ولا يتعدونها. وانهم، بحسب امر الله، فرضوا على المسيحيين الجزية والطاعة، ولكنهم لم يتدخلوا في قضايا الايمان. فاذا حاولتم تغيير نهج الملوك السالفين، فاعلموا ان ما ستفعلونه لن يكون ضدي، بل ضد موسى والمسيح ومحمد، لانكم ستكونون بذلك فد تعديتم كتب ثلاثتهم او بعبارة أخرى،قد تعديتم امر الله. والانكى انكم تصدقون الكذاب، فلو شئتم استطعتم اكتشاف كذبه بكل سهولة. فالمدن التي قلتم انكم اعطيتموها اياه ما زالت تحت نفوذكم. فاذا كان قد تعين بامركم، فلِمَ يرفضه اهلها؟ ولكنه قد اقترف جريمة بحق شريعتنا، والتجأ الى السلطة الملكية ليكرهني على تعدي شريعة الله بضغط منها، وانا أفضل قطع رأسي على ان افعل ذلك. فكشفت عن عنقي وقلت: هوذا أمد عنقي بمحض إرادتي، فلكم ان تقطعوه، فإني لن اتعدى وصايا الشريعة. فدخل قائد الجيش الى خيمة الملك، ثم خرج وامسك بيدي وادخلني ولم يسمح لاحد بمرافقتي، لا للاساقفة ولا للرهبان.فدعوت للملك، ثم قال لي نائبه باشا: ايها البطريرك ادعو للملك سيف الدين، فقد امر ان ننفذ شريعتك، فلن يكون من يعصي امرك، فكررت دعائي وشكري، وخرجت وانا اشكر

الله بالدموع، وفرح الاساقفة والرهبان، ولحقت خيبة امل بالواشي الذي كان واقفا هناك، فحاول ان يقتلني جسديا، فيما كان يموت روحيا، فصرخ امام حشد المسلمين قائلا: اعلموا ان هذا الشيخ مضل،وهو يحاول ان ينصر المسلمين في بلد الاسلام، وهاكم البرهان. واخرج رسالة كنت قد كتبتها عن ابن كليب. فلما تلاها امام المسلمين،ثاروا وتناولوا حجارة ليرجموني،فهرب الرهبان الذين معي. بيد ان الله زاد من رأفته بي. فلدى فحص الرسالة وتبين انها عن ابن كليب،احضر الله في تلك اللحظات،جماعة من مسلمي ماردين،شهدوا بأن ذاك كان راهبا ولم يكن مسلما. ثم زودنا سيف الدين برسالة وعدنا بسلام. اما الاسقف فتوجه الى بغداد ليرفع شكوى ضدي امام الخليفة،فكتبت الى المؤمنين هناك فطردوه. واخيرا جاءنا الى انطاكيا واعتذر فصلينا عليه وارسلناه الى جبل الرها بانتظار تعيينه في مكان ما بعد عودتنا الى دير مار برصوم. لكن المنية وافته قبل وصولنا، رحمه الله.

بعد وفاة نور الدين وتولي ابنه صالح الحكم، غزا الملك امري دمشق وسباها، ثم حاصر بانياس فخاف المسلمون لا سيما وانهم كانوا يستعدون لاحتلالمناطق الافرنج مستغلين فرصة مهاجمة الافرنج لمناطقهم. فارسل اهل دمشق وفدا الى الملك يعدونه بدفع الضرائب له كالسابق، فرفض ولم يبد استعدادا للصلح معهم، اذ كان مزمعا ان يعاقبهم بنفس العقاب الذي كانوا يفكرون به بالنسبة الى المسيحيين، غير ان بعض القضاة رفضوا، ثم فتر اندفاع الملك بعد ان باغته مرض وشعر بدنو اجله، فأسرع وقبل المال من الدمشقيين وعقد صلحا معهم وعاد الى عكا حيث وافاه الاجل هناك في مطلع تموز سنة ١٤٨٦، بعد اربعين يوما من وفاة نور الدين. فقد حكم ١٢ سنة واوصى بخلافته لابنه الفتى المدعو بغدوين باسم المرحوم عمه، والبالغ من العمر ١٥ سنة، فأقر الصلح الذي عقده والده مع ابن نور الدين.

في صيف عام ١٤٨٦ وعلى اثر سماع ميغاصلان سلطان ايقونية بموت نور الدين الذي كان يساند بني طونشمان، تغلغل في اراضيهم، فاحتاروا في امرهم، وتمت فيهم نبوة ارميا النبي « ملعون الرجل الذي يتكل على الانسان ويجعل البشر ذراعه وعن الرب يحيد قلبه يكون مثل العرعر في البادية ١٧ ». فقد سيطر عليهم السلطان ودمرهم واخذ منهم سبسطية ونيوقيصرية وقونية وسائر مدن وحصون قبادوقية، فارتفع شان السلطان ميغاصلان وقويت معنوياته. وهرب الامراء كل الى جهة ليحمي نفسه، وهرب زعيمهم الى ملك اليونان، ولكنه خذله. وهكذا انتهت الرئاسة من بني طونشمان التي ابتدأت منذ خروج الاتراك وانتزاعهم هذه المناطق من اليونان سنة ١٣٦٦ وحكموا مدة ١٢٢ سنة، وقام من هذه العشيرة ستة رؤساء الواحد تلو الآخر.

في هذه الفترة، انتهت رئاسة بني طونشمان في قبادوقية .. اخذ العشب ينمو في هذا الصيف وتضاعفت الغلات بعد المجاعة الكبرى التي عمت سورية وفلسطين وآثور وارمينيا وبلاد فارس وحتى سجستان، وطالت كذلك حدود الهند الكبرى، اما الآن فقد غير الرب القادر على كل شيئ الامور باشارة منه. فعم الشبع وبخاصة في مصر، حيث كثرت الغلال ولا سيما الحنطة حتى غدا حملي جمل دينارا واحدا.

فصــل

في مقتل امير ملطية ومليح حاكم قيليقية وامين الدين مسؤول ماردين ووزير الخليفة في بغداد، وذلك في فترة واحدة. وما جرى من احداث ومقتل مطران طور عبدين وصلاح الدين المصري الذي حكم العربية، وحاكم الموصل الذي استرجع منه المناطق المحتلة. وفي الاتراك الذين حكموا في جبل ساسون

سنة ١٤٨٦ قتل اغناطيوس مطران طور عبدين للسبب التالي: لقد كان مغرما بمحبة المال التي هي عبادة الاوثان، فاهتم بجمعه بشتى الوسائل، فوبخناه ولم يرتدع ولم يراع الشريعة، بل زاد في الشر شرا، فاهمل الرجاء بالله واتكل على الحاكم الزمني ليتمكن من جمع المال بقوة الملك، فتخلى عنه الله. وفي صباح يوم الاحد ترك الصلاة وشخص الى الحاكم ليزج في السجن كعادته، الرهبان والكهنة والعلمانيين بتهم مختلفة، وفي الليل صادفه الاكراد فسقط الشرير بايدي الاشرار، فهرب الذين معه، وضرب هو بقساوة وعذب، واخيرا ادخلوا خشبة (خازوقا) في مقعده وتركوه على آخر رمق، فعثر عليه بعضهم وما ان انتزعوا الخشبة حتى فارق الحياة. وقبل فترة وجيزة كان قد قتل عدد من الرجال المؤمنيين من آل قرياقوس في حاح وهم: القس مرزوق واخوه برصوم واولادهما، وساد الاعتقاد بانهم قتلوا بتحريض من المطران الغاشم، ولما قتل هو الآخر ساد الاعتقاد بان قتله تم بتحريض من طالبي الانتقام. ومهما كان الامر، فهناك سماح من الله.

وفي السنة نفسها تخلى عني الله كما يبدو بسبب خطاياي ايضا. فقد تمرد علي رهبان دير مار برصوم بسبب الاحترام والمحبة والدالة الزائدة. وسوف نورد فيما بعد الخبر اليقين عن ذلك.

بعد وفاة نور الدين، احتل ابن اخيه سيف الدين نصيبين والغى القوانين التي وضعها عمه، وحطم الحجرة الموجودة في الجامع والتي نقشت عليها تلك القوانين. واباح شرب الخمر جهارا. فزاره امراء ماردين وحصن كيفا، ثم ذهب الى حران واحتلها، وفعل كذلك بالنسبة الى سروج والرقة، وخضع له ابن عمه حاكم حلب، وحاكم دمشق، ثم عاد الى الموصل.. في السنة نفسها اجتاح صلاح الدين حاكم مصر، العربية الداخلة وعدة مناطق من بلاد النوبيين.. وفي السنة نفسها احتل الاتراك عدة حصون في جبل ساسون كان يحكمها الارمن منذ اجيال، ذلك بمساندة حاكم ميافرقاط الذي انجرف وراءهم، وضايق الارمن عن طريق التجويع، واضطروا الى تسليم الحصون لشاهزرمان صاحب خلط.. وفي تلك السنة انتزع ملك الايباريين مدينة آني من الفرس.. وفي ١٥ كانون الاول قتل الامير قطب الدين في قلعة ماردين، الخصي أمين الدين مسؤول المنطقة، وحمل رأسه بيده ودخل الى والده الشيخ وقال: لقد قتلته لانه اراد ان يقتلني، فلم يحرك ساكنا لانه كان مشوش الذهن.

وفي تلك السنة عينها، تمرد قادة جيش ميليح حاكم قيليقية بسبب اعماله القبيحة واقسموا على قتله، فترك المعسكر ليلا وهرب الى احد حصونه، غير ان حرس ذلك الحصن كانوا متفقين مع قادة الجيش، فقبضوا عليه وقطعوه اربا اربا ورموه طعاما للكلاب. ثم اتوا بابن اخيه رافان بن اسطيفان الذي كان متواريا في طرسوس هربا من عمه، وولوه عليهم، فقتل قاتلي عمه لانهم رموه للكلاب.. وفي السنة نفسها اعلن قطب الدين احد قادة جيش الخليفة المهتدي، العصيان في بغداد، وحشد جيشا وشن قتالاً في داره بغية تعيينه سلطاناً. فضاق منه الخليفة ذرعاً وصعد

الى سطح داره وصرخ باعلى صوته وهو يبكي ويطلب الى سكان المدينة انقاذه من القائد المتمرد، فتجمهر الناس. وقتلوا بعضا منهم، وهرب المتمرد صحبة ثلاثين الف فارس الى البرية لينجوا بجلدهم. وبعد خمسة ايام اشتد عليهم العطش، فارسلوا وفداً الى سلطان الموصل فوعدهم بمصالحة الخليفة. وفيما هم في طريقهم الى الموصل. هبت عاصفة شديدة الحرارة فيبستهم وصاروا ا مع بهائمهم كخشب أسود حتى أن الوحوش لم تأكلهم لان رؤوسهم تحجرت. ولم يصل منهم الى الموصل سوى مئة رجل يجدوا من يستطيع معالجتهم، وكان منظرهم مخيفاً.

يوم الاحد ١٥ شباط عام ١٤٨٦ اغتيل حاكم ملطية من قبل أخيه وولي عهده، الذي هرب وعاش ماجنا مدة خمس سنوات، حتى قبض عليه نور الدين ، بيد أنه تمكن من الافلات فيما بعد، وانضم الى الافرنج في انطاكية، واذ لم ترق له الحالة هناك، عاد الى الاتراك فاعطاه السلطان هرقلية في حين كان يأمل ان تعطى له ملطية لكنه لم يحظ بها، ثم سحبت منه تلك ايضا، فتوجه الى الاتراك في الشرق. فقبض عليه نور الدين وزجه في السجن في بيرا على شاطئ الفرات، فعاش هناك على الصدقة معذبا. وقد تجرأ رهبان دير مار برصوم وحملوا اليه صدقات، لانه كان يحب الدير في فترة حكمه، وجاءت هذه المبادرة بنتائج طيبة كما سيأتي الحديث. وبعد وفاة نور الدين خرج من السجن، وعلم ان زوجة أخيه غادرت ملطية لكرهها اياه وعادت الى ذويها في حصن زياد، فتوجه الى هناك فنال تشجيع اهلها، فعاد خفية - وصرح فيما بعد بأنه تشفع بالقديس مار برصوم ونذر له نذوراً وتعهد باعفاء الدير من الضرائب في حالة عودته الى حكم ملطية - ودخل باب المدينة مساء متنكرا بزي متسول دون أن يشعر به أحد سوى الشخصين اللذين كانا معه، فاخذاه الى بيت أحد مريديه من الاتراك. فاختفى هناك مدة يومين .

ومساء يوم الاحد، جازف بحياته وتسلل ومن معه الى الدور دون أن يشعر بـه الحـراس ودخـل الحدائـق، فوجـد سـلما ملقـى علـى الارض، فاسندوه على الحائط وتسلقوه ونزلوا الى الدار، فوجدوا ذلـك البـائس نائمـا مع مربية مسنة، فاستيقظا وارتعبا هلعا، فضربـه ضربـة قاضيـة، واخـذ مفاتيح ابواب المدينة والقلعة، وأمسك رأس أخيه بيـده، ثـم زار اولا بيـوت الزعماء الذين كان واثقـا مـن ولإئهـم لـه، ومـن ثـم زار الآخريـن. وكلمـا استيقظ احدهم ونظر رأس اخيه بيده، اسرع الى مبايعته، وبعد ان اقسم لـه ١٥ منهم، ولاح النهار، صعد الـى القلعـة برفقـة نحـو مئـة شـخص، وفـي الصباح حدثت ضجة وأعلن عن قيام أمير جديد، فاخذت الدهشــة الجميـع، واختفى المسيحيون في بيوتهم، واجتمـع الاتـراك عنـد مدخـل القلعـة وقـد تقلدوا سيوفهم، وامتطوا خيولهم، واختلفت اراؤهم بخصوص مقتل الامير، حتى أُلقــي رأسـه مـن السـور فقطعـوا حينـذاك أملهـم، واضطـروا الـى ان يقسموا بالولاء لمحمد. فلما استتب له الحكم، رفع الضرائب عن ديـر مـار برصوم، غيـر ان الرهبان عرضوا عليه دفع ٣٠٠ ديناراً سـنويا، وطلبـوا اعفاءهم فقط من تلك الزيادة التي اضافها الامير غازي. لان الدير لم يكـن يشعر بثقل الضرائـب قبـل الامـير غـازي الـذي فـرض علـى الرهبـان ان يدفعوا له ٧٠٠ دينار سنويا. وهـا هـوذا الديـر يتحـرر مـن ذلـك العـبء، لاسيما وقد سبق هذا الامير ووعـد بالغـاء كافـة الضرائـب، لكـن الرهبـان أصروا على الدفع تفاديا لحسد المسلمين. وبمقابل ذلـك اعطـاهم ديـر مـار دوميط .

فصـل

في خروج صلاح الدين من مصر وتوليه الحكم في دمشق وانتصاره على حاكم الموصل. وتحرير الافرنج المعتقلين في حلب

صباح يوم الاحد الجديد ١١ نيسان ١٤٨٧، وبعد انتهاء القداس، حدث كسوف وخيم ظلام دامس وظهرت النجوم والقمر، وبدا بالقرب من الشمس مشهد كئيب رهيب استدر دموع معظم الذين نظروه، وناطحت الغنم والثيران والخيول بعضها البعض من هول الخوف، وبعد ساعتين أخذ النور ينجلي. ومساء الاثنين ١٥ نيسان حدث خسوف في نفس المكان الذي حدث فيه الكسوف. المجد لعارف كل شيء .

في ربيع تلك السنة شحت الامطار فاشتد الحر وجفت الزروع والبقول، وخلت عدة قرى من سكانها بسبب العطش، وبخاصة في القدس وسائر فلسطين وسورية الداخلية ومنطقة نصيبين وطورعبدين. اما في الموصل فلم يحصدوا شيئا، ولم يكن لهم ماء لشرب الناس والبهائم .

سنة ١٤٨٧ غادر صلاح الدين حاكم مصر الى دمشق، بحجة اغتصاب صاحب الموصل حران والرها من نور الدين، مشيعاً إنه جاء لنجدة ابن سيده، وبهذه الحجة استطاع أن يسيطر على دمشق وضواحيها. غير ان ابن نور الدين الشاب وامه واوصياءه الذين كانوا في حلب خافوا منه، ولم يصدقوا الوفد الذي ارسله ليبلغهم انه جاء كجندي ليخدم سيده الشاب ويكون له وصيا ويحارب أعداءه، وعليه لم يفتحوا له الابواب، فثارت ثائرته، واحتل حمص وحماه عسكريا، وجلب اموالا طائلة من

مصر وبددها كتبدد التراب، وحشد جيشا عرمرما، واخرج من المعتقل بعض الشخصيات البارزة من الافرنج الذين كان نور الدين قد اعتقلهم في دمشق في مطلع حكمه، وباعهم باثمان بخسه وعقد صلحا مع الافرنج. اما سيف الدين صاحب الموصل فقد ارسل قواته ليطرده اعتقادا منه بانهم سيقضون عليه بسهولة، فسخروا منه وهزأوا به ونعتوه بالكلب الذي يتشبث بسيده. غير انه أرسل من يحدثهم بلطف ويقول: «نحن ابنا بيت واحد لايجدر بنا ان ننقسم على انفسنا». لكنهم أهانوا رسله وهجموا عليه لكي لا يعطوه فرصة للهرب فينجوا وولى ذلك الجيش اللجب الادبار، والقي القبض على معظمهم وجردوا عن اسلحتهم وخيولهم وجمالهم .

ولقد أتى صلاح الدين عملا آخر يستحق الذكر. ذلك انه لما رآهم يهربون رفع خوذته وهتف بصوت عال وقال لجيشه: لا تقتلوا أحدا، انهم اخوتنا. واطلق الاسرى بعد ان زودهم بالمال والخيول، فاشتهر بين المسلمين بمثل هذه الاعمال. ولما علم الذين في حلب بهذا الانتصار الرائع، ازداد خوفهم وارسلوا هدايا لصاحب انطاكية كي ينجدهم، وفتحت ابواب السجن واخرج المسجونون ليباعوا ويغادروا حلب بعد ان كانوا قد فقدوا الامل باطلاق سراحهم. ومن الذين بيعوا: قوميس حاكم طرابلس بـ ٨٠ الفا، وجوسلين بن جوسلين بـ ٥٠ الفا، ورنغد فرينز بـ ١٢٠ الفا، وقد سبق وان ارسلت له فدية عدة مرات، فكان يحرر بها آخرين، حتى تحرر الآن مع البقية.

بعد هزيمة سيف الدين صاحب الموصل، حشد جيشا مضاعفا وانضم اليه صاحب ماردين وحصن كيفا فبلغ عددهم ٦٠ الفا، فيما كان مع صلاح الدين ١٢ الفا فقط. فارسل اليه ينصحه بعدم اللجوء الى الحرب قائلا: اذا ما هزمت فلا ضير علي لاني عبد يهزم امام ساداته. اما اذا هزمت انت فسوف يلحق بك العار لكونك ابن الملوك. غير انه بصق عليه واهانه. فلما دارت الحرب، هرب قواد سيف الدين، لان صلاح الدين سبق

ورشاهم بسخاء، وبالكاد تمكن من الوصول الى الموصل على متن جمل وهو يجر اذيل العار. فقتل بعض الذين غدروا به وطرد البعض االآخر. ثم توجه صلاح الدين الى منبج فسلمها اياه المسلمون، وقبض على اميرها وهو امير الرها سابقا، وقد تميز بلين العريكة، فاغتصب املاكه وسجنه، وبعد خمسة اشهر اطلق سراحه فذهب الى الموصل. وعلى اثر ذلك، جاءه امراء تل بشر وعنتاب وبقية مناطق سورية وقدموا له الولاء، ثم مضى الى عزاز، وهناك هجم عليه المدعوون وطعنوه بالسكاكين، غير انه لم يمت، بل قتلهم وسبى مناطقهم واحتل عزاز عسكريا، ثم انطلق وحاصر حلب، فالتجأ أهلها الى الافرنج، فارسلوا رنغد الذي اطلق من السجن، فنصره الله ودمر معظم جيش صلاح الدين، ثم دخل الافرنج منطقة دمشق ودمروا وسبوا عددا كبيرا من الناس، وارسلوا جيشا الى مصر وسبوا البلاد. وبضغط من الافرنج اعاد صلاح الدين عزاز الى صاحب حلب وعقد صلحا معهم وعاد الى مصر على جناح السرعة.

ان سبب تفكير رهباننا بالتمرد الذي لا طائل تحته، يعود الى حدوث شغب في الكنيسة في اعقاب وفاة البطريرك يوحنا ابن شوشان. ذلك ان الرهبان طلبوا الى المجمع المنعقد في الدير لانتخاب رئيس، ان لا سلطان للبطريرك على الدير باي شكل من الاشكال. وقد لجا الرهبان الى ذلك تحاشيا تكرار ما فعله بعض اتباع البطريرك الذين جاؤوا الى الدير هربا من مضايقة الملوك اياهم، وشكلوا عبئا عليه، باخذهم منه بعض الآنية الفضية، او باستقراضهم مالا منه دون ان يعيدوه. فاعطاهم الاساقفة وثيقة بهذا الخصوص، غير ان البطاركة الذين تعاقبوا رفضوها محتجين بان البطريرك الموجود يومذاك لم يعط وثيقة بهذا الصدد، وعليه فان عمل الاساقفة الآن يعتبر غير شرعي، لذا اعتبرت الوثيقة باطلة المفعول الامر الذي اثار نزاعا بين البطاركة والرهبان. اما بالنسبة الي، فحيث اني نشأت في الدير اردت ان اقدم مساعدة للدير لكنها استحالت ضررا له. فقد وافقت على الوثيقة وضغطت على الاساقفة

ليوقعوها، ايمانا مني بان هذا الاجراء سيضع حدا للنزاع بين البطاركة والرهبان المقيمين في الدير،غير ان النزاع تفاقم لان القرار صار بمثابة لاجم للذين كانت طرق افواههم سالكة، اذ نشب نزاع في الدير نفسه وانقسموا فريقين.

فصـل

في وفاة نجم الدين حاكم ماردين. وقيام الحرب بين السلطان ميغرسلان ومانويل ملك اليونان. وبعض الاحداث التي جرت في هذه الفترة

لقد اشفق الرب، واجتـازت ازمـة شـحة الامطـار فـي هـذه السـنة، فتدفقت الينابيع والعيون، وانقذ الناس والبهـائم مـن العطـش الـذي كـان قـد اذابهـم، لكـن الجـوع كـان مـا زال منتشـرا فـي كـل مكـان لان الغـلال لـم تخصب حتى في هذه السنة (١٤٨٧)، لان غضب العدالة بسبب خطايانـا، كان ما زال قائما. فاصاب الهزال الناس، وارتفـع ثمـن كيـل الحنطـة فـي دمشق وحلب وبرية المليحة الى ثلاثة من الاحمر،(الذهب)، وسـرعان مـا اختفت لان قوافـل العـرب كـانت تـاتي وتحمـل جمالهـا، فكـثر الذهـب فـي سورية وهبط سعره الى النصف، وارتفع ثمـن الحنطـة فـي هـذه المنـاطق حتى بلغ ثمن المكيال دينارا .

في هذه الفترة، شوهد في الجهة الغربية من السماء ما يشبه نصف قمر، واتجه نحو المشرق ،وكلما تقدم كبر حجمه حتى غدا اكبر من القمـر بثلاث مرات، ثم اتجه الى منتصف السماء وانقسم ثلاثة اجزاء وهوى ولـم يعد يظهر. ولماانحدر ابن ملك اليونان، اعتقد الجميع بان ذلك المشهد كان اشارة اليه .

في ٢٢ تموز عـام ١٤٨٧ توفـي نجـم الديـن حـاكم مـاردين الـذي اشاع الطمأنينـة لابنـاء منطقتـه، ولاسيما للكنـائس والاديـرة والمسـيحيين، طيلة فترة حكمه التي استغرقت ٢٢ سنة، نظرا الى ما تميز بـه مـن حلـم

ووداعة. فخلفه ابنه قطب الدين فتصدى لعميه صاحب حاني وصاحب دارا فضايفهما حتى اعلنا ولاءهما له كما لوالده، عن طريق صاحب الموصل وصاحب حصن كيفا، فدخلا القلعة وقدما له الخضوع فتم الصلح بينهم، ثم اشيع عنه بانه مات، واوشكت بلاده على الدمار لولم يشفق الرب ويشفيه من مرضه. فقتل آلافا من العرب واستولى على ١٢ الف من جمالهم، وهرب الباقون فساد السلام المنطقة.

في هذه الاثناء خرج ملك اليونان للصيد فضربه خنزير بري واشيع انه مات، فغزا السلطان منطقته، فغضب الملك جدا لنكران السلطان جميله، وزاد من غضبه الامراء من آل طونشمان الذين هربوا من امام السلطان بعد ان استولى على مناطقهم وجاءوا الى القسطنطينية ملتجئين بالملك. وتقدموا جيشه لمحاربة السلطان. فقاد الملك جيشا عرمرما غطى وجه الارض من كثرته، وبلغ مناطق الاتراك وشدد الخناق على السلطان بقصد اعادة مناطق آل طونشمان اليهم ويعيد اليه ماكان له. فرفض السلطان فنشب النزاع بينهما. واعاد الملك بناء مدينتين، من التي كانت قد خربت منذ أمد بعيد، ووضع فيهما جيشا لمضايقة الاتراك، وقتل وسبى آلافا من التركمان، لكن التركمان دخلوا اراضي اليونان غير المحمية من الجهة الشمالية، وسبوا نحو مئة الف، فقتلوا جميع الرجال منهم وباعوا النساء والاطفال للتجار، حتى وصل بعضهم الى فارس. فغضب الملك وطارد السلطان الذي اخذ يهرب من جبل الى جبل، ولم يشأ ان يجابه الملك في القتال. فارسل الملك ثلاثين الف رجل مع الامير ذنون ليتولى الحكم في نيوقيصرية، فسلمها اليه الاتراك الذين فيها من هول الضيق. وبعثوا رسالة الى قائد جيش اليونان، فخافوا واخذوا يهربون، فخرج عليهم اتراك المدينة وهم يصرخون، مات الملك مانوئيل، ودمروا معظمهم، فقتل قائد الجيش وهو ابن اخت الملك، وهرب ذنون الى الجهة الشمالية، فقبض عليه اليونان وانتظروا امر الملك بخصوصه.

بناء على نداء الشريعة، وجهنا انظارنا الى اصلاح ما لحق بالدير من اضرار بسبب عدم استشارة الاتقياء. فقد تعاملنا مع الاساقفة والمتوحدين بالعصا وباسلوب الامر لئلا يستحيل الجرح الى آكلة، وغار الذين كانوا مملحين بالملح الرسولي غيرة آلهية واثروا على الآخرين ليعودوا الى رشدهم، وارسلوا جميع اخوة الدير الشيوخ الى ضعفي في دير مار حنانيا والتمسوا مرافقتهم الى الدير لحسم النزاع، فرافقناهم الى آمد حيث رحب بنا الحاكم. ويوم الاحد ٤ كانون الاول، وهو عيد الشهيرة بربارة، كرسنا بقوة الروح القدس، الكنيسة التي شيدناها هناك. وبصعوبة بالغة وصلنا الى الدير. وبعد حوار طويل تأكد لدينا ولجميع الاساقفة والشعب،ان تلك الوثائق التي صدرت بين حين وآخر، وبشكل او بآخر هي علة النزاع في الكنيسة، وكادت تؤدي بالدير الى الدمار. وعليه تقرر إلغاوها. وتم هذا بأيد من الله، فتمت المصالحة وساد كنيسة الله المقدسة وسكان الدير، السلام والبهجة، وذاق الجميع ثمار هذا الجهد.

فصـل

في هزيمة مانوئيل ملك اليونان امام السلطان ميغرسلان

لقد حـاول يوحنـا مطـران حمص، ذلـك الشـيخ الفـاضل القديـس، الاستقالة مرات عديدة بنية حسنة نظرا الى مرض الشـيخوخة وغيره من الاسباب التي تستوجب قبـول استقالته. غير ان الشعب كان يلتمس منه ويشجعه لكي لا يترك الرعية التي ائتمنها اياه الله راعـي الرعـاة. وكثيرا ما بكى وهو يستجيب للضغط عليه بالبقاء، بيد انه كان يطرح موضوع الاستقالة في السنة التالية. واستمر الامر كذلك مدة عشر سنوات. واخيرا خجلت من دموعه، ليس انا فقط، بل الاساقفة الحاضرون ايضا، فرسم لابرشية حمص، الراهب داود من دير مار حنانيا وسمي ديونيسيوس.

لدى سماعه عن مقتل ابن اخته عند مدخل نيوقيصرية، هرع مانوئيل ملك اليونان غاضبا، للانتقام من الاتراك. فأمر السلطان قواته بعدم البدء في الحرب،وتوجه كل فريق منها الى احدى جهات المعسكر الاربع، ليحرقوا القرى ومصادر طعام الناس والبهائم. ويدنسوا قنوات المياه والعيون والآبار بجثث الكلاب والحمير، كما امر الذين في الحصن بان لا يقاتلوا، بل يقتصروا على حماية الحصن ما امكن. أما اذا شعروا بالضعف فلهم ان يحرقوا المنطقة ويرحلوا. اما السلطان فصعد الى جبل وعر وتنقل فيه من مكان الى آخر، في حين اندفع الملك متغلغلا في اراضي الاتراك ولمسافة مسيرة خمسة ايام. واذ علم اتراك المنطقة بان ملك اليونان سيطردهم من مساكنهم، تجمعوا زرافات ووحدانا، واخذوا يحرقون ويدمرون ويقتلون كل من وجدوه خارج معسكر اليونان. ولما صار اليونان على مسافة يوم واحد من ايقونية،ومسيرة ثلاث ساعات من المكان الموجود فيه السلطان، دخلوا مكانا ضيقا في الجبل لا ماء فيه،

وكانوا نحو خمسة آلاف ومعهم عجلات محملة بطعام الناس والبهائم والسلاح وخشب المنجنيقات والاموال والكنيسة (المتنقلة) والصلبان من كل الاصناف، ولدى مشاهدة الاتراك الملك وجيوشه، ابتعدوا عن معسكراته وعن العجلات الحاملة الذخيرة، والتف خمسون الف منهم وراء المعسكر وشرعوا بنهبه،فوقع الذعر في صفوف قوات الملك، لاسيما لدى علمهم بان اموالهم وارزاقهم قد نهبت، فشعر الاتراك بذعرهم، فاخذوا يقذفونهم من على الجبل بحجارة كبيرة ويسحقون البشر والحيوانات، فهرعت تلك الربوات وتكدست فوق بعضها داخل الخندق، وركبهم ترتجف خوفا من الاتراك، ولم تكن المسافة بينهم شاسعة بحيث ان سهام الاتراك كانت تطالهم.

وفي منتصف الليل، ارسل الملك ينشد صلحا مع السلطان، فوافق فورا لانه هو الآخر كان خائفا، فأخذت الوفود تتبادل بينهما جيئة وذهابا طوال الليل على ضوء المشاعل، فأعطى الملك للسلطان المدن التي كان قد شيدها. وفي الصباح اعلن الاتفاق، فانزعج الاتراك وشتموا السلطان ناعتين اياه بالكافر لقبوله الصلح. وطلب الملك الى السلطان ان يرافقه ثلاثة من امرائه خشية ان يتواقح الاتراك، لكنهم لم يسكتوا، بل اخذوا يضربون معسكر اليونان من كل الجهات عندما هموا بالرحيل فقتلوا عددا منهم. ولما استفسر الملك من الامراء عما يجري بعد الاتفاق، اجابوا: ان ما يحدث هو بامرنا، لذا نصب لهم الملك كمائن، وقتل نحو عشرين الفا.

لدى وصول الملك الى القسطنطينية، ارسل كمية من الذهب للسلطان واخذ الصليب الذي كان يحتوي على جزء من خشبة الصلبوت. وارسل السلطان الى كافة الامراء والى خليفة بغداد وسلطان خرسان، عبيدا وإماء واسلحة ورؤوس نفر من اليونان معلقة برؤوس الحراب واذناب الخيل فطافوا فيها الشوارع وهم يرقصون امامها.وبهذه النهاية

المؤلمة رحل ملك اليونان. ترى من لا يعترف بان كل ما يحدث على الارض، هو باشارة من السماء وباحكام لاتدرك ؟

فصــل

في تولي السلطان ميغصلان الحكم في ملطية وبقية الاحداث التي جرت هنا وهناك في هذه الفترت

في هذه الفترة ايضا وجه الرب الى الارض تأديب شحة المطر بسبب خطايانا، فتلفت الغلال وتفشت مجاعة قاسية في سورية وفلسطين وآثور وبين النهرين وارمنيا، حتى ارتفع سعر كيل الحنطة الى دينار اذا ما وجد.اما في دمشق وضواحيها فاختفت الحنطة وغيرها من الحبوب كليا، ومات الكثيرون جوعا، وهاجر آخرون الى بلدان نائية جدا. ولم ينقطع المسيحيون من الصلوات والدعوات، كما ان ملوك المسلمين الذين كانت لهم حنطة وغيرها من الحبوب وزعوها على الفقراء والمحتاجين، كما وزع همري بطريرك الافرنج في انطاكية، الحنطة وسواها من الحبوب بسخاء. واخيرا وبعد فقدان الامل، اشفق الله فانفتحت ميازيب السماء في منتصف الربيع، فروى الرب الارض، وطاب المناخ، وطابت قلوب الناس ورفعت السنتهم المجد لله لوفرة الغلات، وشبع الناس في كل الامصار.

في الوقت الذي عقد السلطان صلحا مع ملك اليونان، غزا ملطية، وكان فيها يومذاك امير من آل طونشمان سيء الصيت، كان قد قتل اخاه. فغادرها معظم المسيحيين لانتشار المجاعة في كل مكان وبخاصة فيها. واحتمل سكانها صنوف الضيقات والعذابات من جوع وسجن وسواها. فتذكروا آنذاك ان ما قلته لهم سابقا حيث قاله آخرون ايضا، فاشفقنا عليهم وكتبنا نقول لهم: لماذا انحرفتم نحو اليسار وتركتم تقاليد آبائكم الحسنة، واستحقيتم توبيخ النبي القائل « اختلطوا بالشعوب وتعلوا

عاداتهم ». وعليه فقد اخذهم الهلع وانكمشوا، وفتحت آذان قلوبهم عندما باغتهم التأديب كما كتب « تأديب الرب يفتح لي اذني » فتابوا بالدموع والحسرات، فاستجاب الرب والقى الخوف في قلب الامير فقال: « لابد من ان الاتراك سيحقدون علي، فيقتلونني ويسلمون المدينة ». لذا ارسل الى السلطان خفية يطلب الامان، ثم غادر وتوجه الى حصن زياد، فدخل السلطان وتسلم مقاليد الحكم يوم الاربعاء ٢٥ تشرين الاول ١٤٨٩ فعم الارتياح الجميع. وكانت الجيوش قد حاصرتها مدة اربعة اشهر دون ان تهاجمها، حتى انهم شيدوا لهم دورا من اللبن، واخرى للسلطان من الحجارة الموجودة على القبور ليشتوا فيها، وهكذا افتقد الله بالراحة، وبحسب احكامه الفائقة الادراك، هذا الشعب المنكود.

بعد رسامته لحمص بسنتين، غادر المطران داود الحياة الدنيا. ونزولا عند رغبة وإلحاح الابرشية، ضغطت على الشيخ مار يوحنا، فعاد الى خدمته.. في هذه الاثناء توفي المطران اثناسيوس ورسم المتوحد ابو غالب لجيحون. وقد حلت وفاته في الدير المعروف بدير ابي غالب في منطقة جرجر. وفي السنة نفسها، توفي يوحنا اسقف ارشميشاط في دير مار حنانيا، وفي ملطية توفي اغناطيوس رومنس مطران تل ارسينوس بمنطقة جرجر ودفن في كنيسة آبائه.. تمت رسامة شقيقنا الربان صليبا باسم اثناسيوس، في دير مار حنانيا، يوم الاحد ٩ تشرين الاول.

فصـل

في خروج صلاح الدين من مصر الى فلسطين وهزيمته امام الافرنج وهروبه الى مصر. والاحداث التي جرت في هذه الفترة

بعد تعييننا بنعمة اللـه، مـار اثناسيوس فـي مـاردين، غادرنـا الـى انطاكية حيث رُسم مار ديونيسيوس لحلب.. وشـي برهبـان لـدى السـلطان الذي تولى الحكم فـي ملطيـة، بـأنهم سـاعدوا الامير السـابق فاعفـاهم مـن الضرائب. ففرض عليهم السلطان دفع خمسـمائة دينـار سـنوياً كضرائـب، وحذرهم من الاتصال مع الامـير الـذي طـرده، كمـا حـذر جميـع الاتـراك الذين كانوا يتعاملون مع آل طونشمان .

نشب نزاع بين ضعفي والمفريان يوحنـا بخصـوص الحصـاصيين في منطقة تكريت الذين كانوا قد انشـقوا مـن الكنيسـة منـذ أيـام البطريـرك قرياقس بسبب عبارة «الخبز السماوي»، وقرروا الآن العودة الينا، فطلبـوا الي أن أرسم لهم اسقفاً فقلت: بل ليرسم لكم المفريان اسقفاً باعتباره رئيـس أساقفة تكريت، فليـس مـم اللائـق أن تكونـوا منعزليـن عـن اخوتنـا هنـاك. فامتعضوا واعتبروا ذلك اهانة لهم، ووعدوا بالخضوع للمفريان فـي حالـة رسامتنا اسقفاً لهم. فقلنا: تريثوا اذن قليلاً لنتفق مع اخوتنا تجنباً لكل شك. وعلى هذا الاساس اعدنا الحصاصيين وكتبنا الى المفريان بـروح الأخـوة، غير انه اعتبر مجيئهم الينا اهانة بحقه، فاعلن حرمهم وحـرم من يقبلهـم، فاندهشـنا لـدى سـماعنا بهذا الاجـراء، وارسـلنا وفـداً مـن بعـض الرهبـان الوقورين وكتبنا اليه بروح المحبة مذكرين اياه بما احتمله آباؤنا القديسـون قرياقس وديونيسيوس، وبما قرره مجمع خلقيدون وبخصوص قبولهما فـي

حالة عودتهما والسماح لهما بترديد اللفظة. غير انه رفض الوفد معبراً عن روح التمرد. وبعد عودة وفدنا، أنبه بعض الحكماء والاتقياء فندم وشخص الينا فلم اقبله وقلت: ينبغي بحث مثل هذا الامر في المجمع، فعاد الى مقره وارسل وفد التماس. فعقدنا مجمعاً في دير مار برصوم، حضره مع اساقفته، وكشفنا عن تعدياته للقانون، فاعتذر طالباً السماح، وتعهد خطياً بالخضوع الشرعي. فصلينا عليه وساد السلام .

في تشرين عام ١٤٨٩ خرج صلاح الدين من مصر على رأس ٣٣ الف من مرتدي الدروع اضافة الى المشاة وسواهم، ومعه ٥٢ الف جمل تحمل الذخيرة والالارزاق، ودخل القدس مدفوعاً بغيرة عمياء وقتل اول افرنجي قبض عليه ولطخ ثيابه بدمه فتطهر. وفي الوقت الذي فقد الجميع الامل، اشفق الرب على المسيحيين. فقد خاف الجميع لدى ظهور مرض الجذام على الملك الشاب بغدوني واخذ يذوب، لكن الله الذي يظهر القوة في الضعيف، شجع الملك المريض فخرج للمجابهة وحشد بعض القوات، وترجل عن فرسه وخر ساجداً امام الصليب، وتضرع بكلمات شجية مع سكب الدموع، فتأثر الذين معه بهذا المشهد، فوضع الجميع ايديهم على الصليب واقسموا على انهم لن يتراجعوا عن الحرب، وعلى أن يعتبر جاحداً كل من يهرب في حالة الاندحار امام الاتراك. فلما رآهم الاتراك قلة، فرحوا ظنا منهم بانهم سيبلعونهم، في حين ترجل الافرنج لدى مشاهدتهم الاتراك وهو كرمل البحر، وقصوا شعور رؤوسهم وتبادلوا التحية، ودعا الواحد للآخر ثم خاضوا المعركة. وفي تلك اللحظات هيج الله عاصفة هوجاء حملت التراب من جانب الافرنج وقذفت به على الاتراك، فتحقق الافرانج من أن الله قبل توبتهم، ففرحوا وتشجعوا وولى الاتراك الادبار فطاردهم الافرنج وهم يفتكون بهم طيلة النهار، ونهبوا جمالهم واموالهم، وتاهت جيوش الاتراك، وظل الافرنج يتعقبونهم مدة خمسة أيام حتى وجدوهم مجاميع مجاميع، منهم مَن قضى، وغيرهم يلفظون انفاسهم الأخيرة فقضوا عليهم وجمعوا اسلحتهم وامتعتهم. وعاد

النزر اليسير الذي تبقى مع صلاح الدين الى مصر متألمين ولبسوا الاسود. ووصلت الاخبار السارة الى انطاكية وكنا هناك يومذاك .

في تلك الاثناء، شعر والي حصن حارم التركي، بأن صاحب حلب ينوي اعتقاله، فالتحق بالافرنج فأقسم له فرينز على أن لايخرجه من الحصن، بل يحميه ويساعده. فقدم لهم الولاء وصار عدواً للاتراك. غير أن الافرنج اقترفوا أثما عظيما بحنثهم بأقسامهم. فقد تجمعوا من كافة الجهات، من القدس وساحل البحر، وانضم اليهم قوميس حاكم قيليقية، وقوميس حاكم فلانط وحاصروا مع فرنيز حصن حارم مدة أربعة اشهر، وقاتلوه بمختلف الوسائل وفرضوا ضرائب باهظة على المدينة والمنطقة بأسرها، وذهب عدد كبير من الناس ضحية القتال، ورغم كل ذلك لم ينصرهم الله العادل لانهم حنثوا بقسمهم بالصليب والانجيل، متوهمين أن باستطاعتهم انتزاع النصر بقوة بشرية. فقد ارسل اتراك الحصن واخذوا تعهداً من صاحب حلب وسلموه الحصن. فجاء واعطى لفرنيز عشرين الف دينار، فعاد الى انطاكية بقلب كسير. وهذه كانت النتيجة .

في هذه الفترة، نزح عدد كبير من ابناء العربية بسبب الجوع ووصلوا الى شواطئ الفرات فمنعهم الامراء من اجتيازه باعتبارهم السبب في المجاعة، غير انهم اجتازوه فقصدى لهم الاتراك وقضوا على نحو مئة الف منهم، وحاول الباقون الاجتياز الى الجانب الآخر من الفرات، ولكن لدى وصولهم مع النساء والاطفال والجمال وسط النهر، ارتفعت المياه وجرفتهم فغرقوا وقُذفوا الى الشاطئ كالقفف .. في ايار ١٤٨٩ وفيما كنا في انطاكية، سقط هناك مطر غزير، وحدث فيضن وجرف الدور والناس والبهائم وغرق عدد كبير منهم، ووصل الفيضان باب المدينة واشتد بحيث لم يكن بوسع الابواب تصريف المياه، فارتفعت اكثر من علو السور، ونكبت المدينة وعم الرعب .. وفي السنة التالية ونحن مازلنا في انطاكية، جاء شتاء أشبه بالربيع .. وفي ايار شب حريق في المدينة وأتى على

العديد من البيوت والدور المحيطة بكنيسة مار بطرس الكبرى، لكن الله حفظ البشر فلم يمسهم أذى .

وفي السنة نفسها، ونحن مازلنا في انطاكية، ارسل بابا رومية وفداً الى بطريركي الافرنج، الانطاكي والاورشليمي، ثم استدعاهما، لسبب البدعة التي ظهرت هناك، فأرسل الينا بطريركهم الانطاكي اسقف وكاهني طرسوس يسألنا أن نرافقه للسبب نفسه. ولما تحرينا الموضوع، علمنا أن بعض الافرنج، بدافع الرأفة بالمحتاجين، اسقطهم الشيطان ببدعة مفادها أن الخبز والخمر لا يمكن أن يستحيلا الى جسد ودم الله، وأن لافضيلة سوى الرحمة والتصدق على المحتاجين ومحبة الناس ووفاقهم مع بعضهم البعض، وقد ارتفع عددهم الى الآلاف والربوات، وصار لهم اساقفة، وانضم اليهم حكام واصحاب بعض المناطق، ومن افظع ما ادخلوه الى اخوتهم، اباحية النساء. ولما افتضح أمر هذا المنكر، ومن أجل القضاء عليه، قرر ذاك الذي في رومية المدعو افوسطوس عقد مجمع مسكوني. اما نحن فلم يكن بامكاننا السفر الى تلك البلاد، ولكن شرحنا لهم متى وكيف خلق الشيطان هذه البدعة، وكيف حرمها آباؤنا .

فصـل

في حجنا للقدس للمرة الثالثة، وغيره من الاحداث

فـي تشـرين الاول عـام ١٤٩٠ غادرنـا انطاكيـة والتقينـا فـي عكـا بـالملك الشـاب بغدونـي، فرحـب بنـا بعـد أن اطلعنـاه علـى وصيـة والـده، فزودنا هو الاخر برسالة مع عهد. ولدى وصولنا القـدس، جاءنـا وفـد مـن مرقس البطريرك الاسكندري في مصر، واخبرونا عن الشقاق الذي حـدث بين صفوف اخوتنا الاقباط، بسبب شخص مفوه أعمـى يدعـى مرقـس بـن قنبر ادهش الناس بلباقته، فاخذه الغرور من كثرة الثناء الذي أجزلـه عليـه بعض التافهين، فتوهـم بأنـه شـيء عظيـم، فـأخذ ينشـر الاضـاليل ويظهـر لسامعيه بمظهر البرارة فيجذبهم اليه كقول الرسول بولس «ولا عجب لان الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور، فليس عظيماً ان كان خدامـه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للـبر ٢ كـو ١١». وانتقـد المصرييـن لاهمـالهم الاعتراف بالخطايا، كما كان البطريرك عندنا قـد منعـه فـي فـترة مـا. واذ تبعـه بعضهـم، تمـرد علـى البطريـرك. واتصـل بنـا لكـي نوصـي بدورنـا المؤمنين بالاعتراف بالخطايا بمقتض القوانين الرسولية، كما يفعل هو. ثـم وصل الينا وفد من البطريرك يحمل رسائل، كما وصل وفد آخر مـن قبـل ابن قنبر. وتبين من الرسائل أن تعاليمـه تحمـل زيفـاً كالافسـنتين بالعسـل، وانه مغرر به من قبل مضللين قذرين، ويأخذ برأي لمغطيوس ومفاده: أن الجسد يغدو غير مادي، وأن كل من يعترف بخطاياه يتعدى التـألم ويكـون كجسد المسـيح، وعنـدذاك يشـترك بجسـد ودم المسيح. واسـتناداً الـى هـذا الرأي مال الى القول بطبيعتين ومشيئتين وفعلين للمسيح. واذ شممنا مثـل هذه الرائحة النتنة من رسالة ابن قنبر، ارسلنا اليـه كتـاب توبيـخ مطـول، لجمنا عنفه ببراهين من الكتـاب المقدس، واثبتنـا أن الاعـتراف بالخطـايـا،

ولئن كان محببا، ولكن ليس هو كوجهة نظره القبيحة. فعممنا منشوراً على الاساقفة والشعب حرمنا فيه بعدل ابن قنبر، كما حرمه البطريرك مرقس. وفي الوقت نفسه كتبنا الى البطريرك بأن لايهمك الاعتراف بسبب ضلال ابن قنبر، واخيراً انتمى ابن قنبر الى الخلقيدونيين، واسترسل في الشرور .

في تشرين، اجتمع ملوك الافرنج مع بغدوني في المكان المعروف بـ «عبارة يعقوب» على نهر الاردن، وباشروا ببناء مدينة، تمكنهم من الضغط على دمشق، وجاء صلاح الدين من مصر الى دمشق للقضاء على عصيان امير بعلبك وهي هليوبوليس - مدينة الشمس. فحاصرها وشدد عليهاالخناق بشتى الوسائل، فارسل اميرها مرات عديدة هدايا الى الافرنج مع تعهد بالخضوع لهم، فلم ينجدوه فخاب أمله، فاضطر الى الاتصال بالذي كان يحاصره واخذ تعهدا منه وسلم له المدينة. الامر الذي شجع صلاح الدين فاندفع نحو القدس، فتألب عليه الافرنج فهرب ووصل الى دمشق، فسبى الافرنج المنطقة وعادوا الى مسافة مسيرة يوم. ولما حطوا الرحال باغتهم صلاح الدين وقبض على مئة مقاتل منهم، بينهم رئيس اخوة الفرير، فحزن المسيحيون. ثم عاد على جناح السرعة الى الموقع الذي انشأوه حديثا فحصنه، وكان في داخله نحو خمسمائة أخ، الذين القوا انفسهم في النار واحترقوا. عندما علموا بانهم محاصرون، وألقى اخرون انفسهم في نهر الاردن وغرقوا، وسقط غيرهم من السور على الصخور وماتوا، والذين سقطوا بايدى المسلمين قتلوا بحد السيف .

المقال الحادي والعشرون

يبدأ من سنة ١٤٩١ ي وهي سنة ١١٨١ للميلاد و٥٥٨ للهجرة و١٠٩ للاتراك. و٦٦٦٠ لآدم وبدء العالم

الفصل الاول

في وفاة مانوئيل ملك اليونان، ومحاولة ابن وهبون التعدي على الشريعة وسقوطه كسقوط البرق من السماء

سنة ١٤٩١ ارسل السلطان ميغصلان جيشاً الى رعبن، فشخص أميرها – وكان تحت نفوز ذاك صلاح الدين المصري – الى دمشق وجاء بجيش من هناك. ولئن كان طرفا القتال اتراكاً، غير أن الذين جاءوا من منطقة حلب كانوا اكثر خبرة في الحرب، اكتسبوها من الافرنج، فهزم امامهم القبادوقيون .. في هذه الفترة، رُسم يشوع الكاتب الطورعبديني اسقفاً لحصن زياد، لكنه تمرد على القوانين منذ البداية فترك الابرشية التي رسم لها لكي يُعين في طورعبدين، ولهذه الغالية تقرب من الوالي سعد الدين فكتب الينا لننقل ايوانيس اسحق اسقف من طورعبدين الى حصن زياد، ونعطي طورعبدين ليشوع الكاتب. فاجبت الوالي بأن مطلبه ليس قانونياً، لان قوانيننا لاتسمح بنقل اسقف من مكان الى آخر، وعليه فليس بامكاني أن افعل هذا. واخيراً عُزل يشوع .

سنة ١٤٩١ مرض مانوئيل ملك اليونان، ولما شعر بدنو أجله، نادى بابنه الفتى الكس البالغ من العمر ١٢ سنة، ملكاً ووضع له التاج، ثم

ترهب، وعين أم الولد وصية وائتمنها كنوز المملكة، وعين ١٢ زعيماً لقيادة الجيش. لقد ساس مانوئيل المملكة بنجاح باهر مدة ٣٧ سنة، لكن الامور ساءت بعد وفاته. فقد زنت ام الفتى الذي أُسند اليه الحكم مع أحد الزعماء الاثني عشر، فحاول الاحدعشر الآخرون تنحيتها وابنها عن الحكم، والمناداة بزوج ابنة الملك من الزوجة الاولى، ملكاً لكنهم لم يفلحوا في تحقيق مأربهم، لان خطتهم انكشفت. فهربوا والتجأوا الى الكنيسة الكبرى، ونشب قتال وسفكت دماء داخل المدينة ولمدة ٧ أيام، واقاموا منجنيقات على كنيسة اجيا صوفيا. واخيراً توسط البعض بين الطرفين، وكفل بطريركهم ثاودوسيوس اولئك الذين هربوا واعتصموا في الكنيسة. ولما عادوا الى البلاط نكثوا بتعهدهم وكفالة بطريركهم وألقوا القبض على الزعماء الاحدعشر وسملوا عيونهم وقتلوا الذين تبعوهم، فازدادت عملية القتل، وعمل البطريرك على تقسيم المدينة، ومنع قرع النواقيس، وابطل الصلاة في الكنائس والاديرة اعتباراً من اوائل شباط حتى تشرين، ولم يدفنوا موتاهم، وغادر البطريرك المدينة واعتكف في دير بظاهرها .

سنة ١٤٩١ نفسها، عدنا من انطاكية الى دير مار برصوم، ولما ارسينا الاسس لبناء كنيسة فيه، جابهنا الشيطان ليعيق العمل، فوجد له عميلا يدعى تادرس بن وهبون الذي أتخذ موقف المعارض، وكرس كل جهوده لثلاث عشرة سنة لهذا الموقف. لذا استوجب الأمر التحدث مطولا. ولما كنا قد راعينا جانب الحقيقة في وضعنا هذا الكتاب كما يملي علينا الواجب، فسوف لن ندون هنا سوى الحقيقة ولن ندس فيها أي زيف، ونحن امام الله فاحص القلوب. وأن اخوتنا الاساقفة والرهبان والكهنة والشمامسة والعلمانيين يشهدون على حقيقة ما يُكتب خالية من التزوير. علماً بأننا سوف لن نسرد كل الاعمال السيئة التي اتاها المعارضون، بل سنقتصر على ماهو ضروري للتدوين فقط، لكي نوضح كيف بدأ هذا العمل الشيطاني وكيف انتهى .

لقد تواطأ خمسة من هواة الشر على شق كنيسة اللـه هـم: سـمعان اسقف ارزون الذي طمح للأنتقال الى ميافرقاط، واذ لم نوافق على طلبـه غير الشرعي، ثارت حفيظته علينا. والكاتب يشوع الذي رسم لحصن زياد وتوسـط بالحاكم لنقله الى طورعبدين، ولما عزل قانونياً، اتفق مع سمعان سراً وذهبا عند ابراهيم اسقف آمد المخلوع بسـبب اعتداءاتـه. وأن هـؤلاء الثلاثة غرروا باسقف سيبيرك الذي كان قد عُزل هو الآخر لتعديه القانون باخذه رشوة لقاء رسامة قام بها، وقـد تناسـوا التعهدات والحرومـات التـي وضعها كل منهم علـى نفسـه وخطهـا بيده، بـنزع رئاسـة الكهنـوت عنـه وصلاحية ممارسة اية رسامة اذا مـا تجاسـر وقاومنـا. واذا حـاول، تكـون الرسامة باطلة من الروح القدس. فقد وطئوا كل ذلك لان الله اسلمهم الـى ذهن مرفوض .

لقد توفر لهم رئيس للعصابـة، انـاء الغضـب والشـيطان المجسـم، بلايار الثاني، الـذي عُـرف لـدى الجميـع بوجـود مجموعـة الشـياطين فـي داخله. وكان قد طرد من ملطية بالرغم من كونه ملطياً، وافتضح امره في الرها ايضا، كما افتضح في القـدس فهـرب، وهـذا كـان شـأنه حيثمـا يمـم. واخيراً جاء الى ضعفي. وهنا لا بـد من أن اعـترف بأهمـالي مـن جهتـه، حيث اعتقدت بامكانية أصلاحه وجعلـه مـن ذوي اليميـن علـى اسـاس انـه مثقف وعالم، ولم اقصد سوى ماهو لصالحه كما يعلم الله فـاحص القلـوب ، فآويتـه فـي القلايـة البطريركيـة سبع سـنوات وانـا أسـدي اليـه النصـح واحتمل مساوءه، حتى انه تعدى الحد وسلك سبل الغش والخـداع، وجلـس امام قلايتي مثل أبيشالوم لكي يصطاد من يخدعه ويثير فيـه الحقـد. وبهـذا الاسلوب اسـتطاع أن يسـرق هـؤلاء الاربعـة ووعـد أن يعطـي كـلا منهـم أبرشيتين اذا مانصبوه بطريركاً. ولم اكن الوحيد الذي شك فـي تصرفاتـه، بل شك آخـرون ايضـاً بتلـك التصرفـات الشـيطانية التـي مـن شـأنها خلـق النزاعات الخبيثـة، فطـردتـه من دار البطريركية. واسـتطاع أن يؤثـر فـي هـؤلاء المخدوعيـن، فتعهـدوا لحـاكم آمـد بالمـال اذا سـاعدهم علـى اقامـة

بطريرك يجلس في مدينته ويجمع اليها الناس من كل صوب، ودفع له كذا وكذا. ولم يكن ذلك الحاكم مستعداً لخرق قوانين وانظمة الكنائس المسيحية فقط، بل وحتى قوانين الاسلام في سبيل المال. فزودهم بدعوة منه – أي من أبي القاسم بن حسن، بل قل من الشيطان – الى ابن وهبون، فاخذ ابراهيم اسقف آمد الدعوة، وتنكر بزي الاتراك وامتطى فرساً كضابط لكي لا يُعرف. والحق يقال أن هذا العمل كان اشارة الى تجريدهم. فبعد أن توجه الى ابن وهبون، طال غضب الله حاكم آمد فمات فجأة .

ولما كانوا قد دفعوا مالاً للحاكم، وغضوا الطرف عن الرجاء بالله، شخصوا الى ابنه واطلعوه على كتاب الدعوة الموجه من قبل والده، وقدموا له المزيد من المال، فسمح لهم ان يفعلوا ما يشاءون، فانتشر هذا الخبر في آمد، فغار ابناء المدينة والمنطقة باسرها، فتجمع الكهنة والرهبان والشعب، واثاروا ضجة امام الحاكم وقالوا: لن نسمح بهدم عقيدتنا. فقال لهم الحاكم. اذا زارنا بطريرككم، طردنا هذا. فوعدوه باحضار البطريرك، وللحال منع الآخرين عن رسامة ذاك، ريثما يتأكد من حضوري ام عدمه. ولما جاءني الكهنة والرهبان والعلمانيون النبلاء، رافقتهم وغادرت دير مار برصوم. لكن الشقاة زادوا في اثمهم، فدخلوا الكنيسة واوصدوا الابواب، ورسموا تادرس اللئيم بطريركاً ليلاً، وفي الصباح غيروا زييهم وخرجوا من باب المدينة واتجهوا الى الموصل لمقابلة المفريان .

عند ذاك شعرت بان خطاياي هي سبب كل ماحدث، وأن الله اهملني عدلاً، فتألمت لهذه الكارثة التي المّت بكنيسة الله والتي لم يكن لها نظير منذ اجيال. وعليه صممت على أن انتحى عن الخدمة المقدسة التي لم اكن مستحقاً لها. فلما علم الحاضرون بما عزمت عليه، قالوا لي، والدموع تترقرق في مآقيهم، اذا نفذت عزمك فأن الله سينتقم منك لدماء الشعب الذي سيفقد ايمانه. والحق يقال، لقد دخل الخوف قلبي وارتجفت

شفتاي ورأيتني محصوراً بين أمرين. فضغطت على ذاتي ولجمت ارادتي ورافقتهم الى آمد على أمل أن انفذ رغبتي خلال انعقاد المجمع. غير أن الحاكم طمأن اهل المدينة والمنطقة، مظهراً لهم المحبة، الامر الذي ملأهم عزاء. فجاءني الكهنة والرهبان والعلمانيون من كل حدب وصوب، فتوجهنا سوية الى دير مار حنانيا .

اما الشقاة الذين ذهبوا الى الموصل، فقد ساورهم الشك في الحصول على موافقة المفريان، بالرغم من اعتمادهم على ما حدث بيني وبينه من نزاع قبل فترة. فخذلهم المفريان وشخص الينا مع اساقفة ومنطقة نفوذه، وندد بهم شعب المشرق. فاخذوا يتنقلون من مكان الى آخر وهم في حيرة من أمرهم، وفي دارا نصحهم وجهاء المؤمنين واخبرونا عن مكان وجودهم ونحن في دير مار حنانيا. فتوجه اليهم المفريان يرافقه بعض الاساقفة والرهبان واتوابهم مكبلين، واعترفوا بجريمتهم أمام المجمع واستنكروا تحريريا عملهم الشيطاني. ولدى توجهنا الى دير مار برصوم حيث يلتئم المجمع العام ليقرر ما يريده الشعب والروح القدس خاصة. دخل الشيطان تادرس ثانية فجحد الايمان، ضاربا عرض الحائط الاقسام والحروم التي وضعها على نفسه، وسلك كعادته سبيل الخداع ووعد بالمال لبعض الاراذل الذين اتوا بجماعة من الاكراد واخذوه ليلاً الى مخبأ ريثما نغادر المكان .

فلما علم المفريان والاساقفة غضبوا علي لاني لم آذن لهم بسجنه. ثم اتخذ كل واحد جهة للبحث عنه، فعثروا عليه مختبأ فقبضوا عليه ثانية. ولدى وصولنا الى دير مار برصوم، اجتمع بقية الاساقفة وجمع غفير من المؤمنين، وطالبوا بتجريده، وكان كذلك. فحُلت جميع المشاكل الاخرى، وعاد كل اسقف الى ابرشيته حاملاً قرار المجمع بعزل ابن وهبون المنافق، المتخذ بارادة الله والكنيسة جمعاء. الا أنه أبى مغادرة الدير وطلب العفو فقبلته عملاً بتعاليم الانجيل، ووشحته باسكيم الرهبنة على

أمل التوبة واعطيته ما يحتـاج اليـه، وخصصـت غرفـة لسكناه وقلت: اذا واصل حالة التوبة وعزف عن الغش والخداع، فسأطلب الى المجمع الـذي عزله، أن ينظر اليه، لدى التآمه، بعين الرحمة بقدر ما تسمح به القوانيـن. وعلى هذا الاساس، تركتـه فـي ديـر مـار برصـوم وعـدت الـى ديـر مـار حنانيا. لكنه تنكر لعهوده كعادته، وانساق وراءالذين هم على شـاكلته. فقد صنع حبالاً ونزل من سور الدير ليلاً وهرب الى دمشق، حيث وضـع كتاباً باللغة العربية وتقرب من صلاح الدين ملك مصر وتعهد له بالمـال مقـابل تزويده بأمر بقبوله بطريركاً في سائر منطقة حكمـه، وقـدم وشـاية قـاصداً من ورائها قتلي. فلما تليت رسالته امام الملـك. سـأل عـن هويتـه، فاطلعـه بعض المؤمنين الذين في خدمته، على الجرائم التي ارتكبها فطرده، فذهب الى القدس وأثـار فتنـة بيـن الافرنـج ضـد القلـة مـن اخوتنـا الذيـن هنـاك، وبخاصة ضد اثناسيوس مطران القدس، لانه كـان قـد عـرض ألـف دينـار على بطريرك الافرنج لقاء اعادته الينا ديرمريم المجدلية في القدس. الـذي تحملت الكنيسة من أجله الشـيء الكثير، بارسـالها وفـوداً الـى هنـاك لهـذه الغاية، وقد طال أمد هذا الاضطراب بسبب سيطرة المسلمين على القدس.

لقد غادر ذلك المارق القدس، وسرعان ما اتجه الى المشرق لـدى علمه بوفـاة المفريـان مـار يوحنـا، وزرع زيوانـه فـي الموصـل ومـاردين واعدا كلاً من امراء الاتراك بكمية من المال، الامر الذي شجع الحكام في كل مكان علـى المطالبـة بالمـال، فدخلنـا والاخـوة فـي المشـرق فـي كفـاح مستمر حتى افتضحت اعمالـه القذرة فهـرب مـن هنـاك مثلمـا هـرب مـن فلسطين، وجاء الى جاثليق الارمن في احـدى القـلاع الرومانيـة، ووعـده، كعادته الشريرة حيثما يمم، باخضاع الشعب له في حالة مسـاعدته اياه، اذ قد سبق ووعد بذلك بطريرك الافرنج في القدس، فانخدع بوعـوده الكاذبـة ومدّ له يد المساعدة حتى هلاكه، كما وثق به جاثليق الارمن ايضاً. وقـاوم ضعفي بشتى الاساليب وبكل امكاناته. فقد حرك كل صخرة، واهدر اموالاً طائلة بشكل هدايا لامراء الاتراك في سورية وما بين النهرين، وعزم على

عزلي وتنصيب ابن وهبون بطريركاً على هذه القلة المنكودة من «اليعاقبة» طمعاً بخضوعه له بحسب وعده، لكن الله لم يوفقه وغم كل الجهود التي بذلها في سبيل ذلك في منطقة نفوذ الاتراك. فغادر القلعة بصحبة ابن وهبون وجاء الى البونِ حاكم قيليقية الارمني، فأثر عليه، فأمر بالمناداة بإبن وهبون بطريركاً في قطاعه، وزوده كل من الحاكم والجاثليق بكتاب، فاخذ يطوف البلاد ويطرد من الكنيسة كل راهب او قس او اسقف يرفض قبوله كبطريرك، ويجرده من ممتكاته. وهكذا احتمل الاساقفة والكهنة والرهبان والموجودون في تلك الاصقاع، من العذاب والاضطهاد مالم يحتمله المسيحيون من الوثنيين. إن المجال لايسعنى، انا الخاطئ، أن اتحدث عن ذلك .

لقد عقدت مجمعاً عاماً للمرة الثانية، وطلبتُ اعفائي عن الخدمة، اعتقاداً مني بأن الله ترك الحبل على الغارب لذاك المنافق لكي يعبث بكنيسة الله بسبب خطاياي. فلم يوافق الاساقفة، وقرروا الاجتماع بالجاثليق الظالم والصراع معه بالحوار والنقاش، وزيارة الحاكم ليون، فلما رأيت اصرارهم على بقاني في الخدمة، قلت لهم: أذن علينا، ايها الاخوة، أن لا نتكل على قوتنا أو على أي حاكم، حيث كتب «ملعون الرجل الذي يتكل على الانسان ويجعل البشر ذراعه»، بل لنلتجأن الى الله والى قديسه مار برصوم، وليصبنا ما يحلو له تعالى. فحسن هذا القول لدى المجمع، وباشرنا الصلاة والدعاء بدموع سكيبة وتألم وتوبة وتنهدات، وشاركنا الشعب الذي احتشد هناك بمناسبة عيد مار برصوم. وفيما كان يُطاف بيمين القديس، صرخنا بصوت واحد «اشفق ايها الرب يسوع المسيح على كنيستك بصلاة القديس مار برصووم. واظهر قوتك في من كان السبب في هذا الشعب، فان كنا نحن السبب امحنا من الوجود، وان كان غيرنا فامحه». وفي ذلك اليوم بالذات سقط جاثليق الارمن من فرسه وكسرت اصبع رجله، فقطعوها فتورم جسمه وشعر بدنو اجله، وبعد أن اعترف بذنبه مات. ومات بعده الاساقفة الارمن الاثناعشر الذين وافقوا

على ابن وهبون، والواحد تلو الآخر، وكل واحد بضربة مختلفة، كما أن صاعقة ضربت الرهبان السريان السبعة الذين تبعوا ابن وهبون فماتوا. وبعد اربعين يوماً طال غضب الله تادرس ابن وهبون نفسه فمات. لقد زرعت هذه الاحداث خوفاً في نفوس الجميع وبخاصة ابناء تلك المنطقة، حتى أن الحاكم ليون خاف جداً، فبعث برسائل وهدايا كثيرة الى دير مار برصوم والى ضعفي. فساد من ثم السلام كنيسة الله في كل مكان .

ايها الاخوة: لم ادون هذه الاحداث لتكون مؤشراً الى صلاحي. حاشا. فانا اعترف بأن خطاياي كانت السبب في أن تطوحني موجة الغضب مدة ١٣ سنة. وبأن الله هو الذي صنع الخلاص باسم القديس مار برصوم رحمة منه بكنيسته وبشعبه الارثوذكسي القليل العدد. له المجد الى الابد آمين .

فصـل

في وفاة حكام بين النهرين الاتراك بصورة فجائية. ومجيء السلطان الى ملطية واستدعائه اياي للالتقاء به. والحدث المشئوم أي احتراق دير مار برصوم الذي جرى في هذه الفترة

سنة ١٤٩٢ نشب خصام بين السلطان قليغرمان وصهره نور الدين لطرده ابنة السلطان وعشقه امرأة زانية. فاستنجد نور الدين بصلاح الدين حاكم مصر فلبى رغبته. فأمر السلطان بهدم اسوار كيسوم وجلاء سكانها. وحالف نور الدين مع صلاح الدين عند نهر سنجا. ولولا رأفة الله ووساطة الرجل الحكيم حسن الذي ارسله السلطان ليفاوض صلاح الدين من اجل السلام، لدمرت تلك المنطقة. اما السلطان فجاء الى ملطية ورمم السورين، وعاد صلاح الدين الى مصر .. في تلك السنة طلق فرنيز حاكم انطاكية زوجته الشرعية التي تزوجها في القسطنطينية في ايام الملك مانوئيل، وتزوج مومساً وسخر من القوانين التي فرضها عليه بطريرك رومية، فحرمه بطريركهم الانطاكي مع الكاهن الذي زوجه من تلك المومس، لا بل حرم المدينة باسرها بسببه، والغى قرع الاجراس، وابطل الذبيحة، حتى لم يُدفن الموتى. اما فرنيز فزاد في تعديه للشريعة بنهبه الكنائس والاديرة .

وبعد فترة، اجتمع القضاة والنبلاء وبطريرك القدس، وبتوسطهم اعاد فرنيز ما كان قد اغتصبه، وشُرع زواجه من تلك المرأة وتمت المصالحة .. في تلك السنة، تمرد الامير الذي كان يحكم حران والرها على صاحب الموصل، وانضم الى صلاح الدين وصار سبباً لسيطرته

علـى بين النهريـن، فحالفـه نـور الدين ايضـا. فـاجتمع كـل مـن صــاحب الموصل وحاكم مــاردين وحـاكم آمـد وحـاكم ارمنيـا، لمجابهـة المصـري، لكنهم ارتعبوا خوفاً منه فتفرق شملهم دون أن يحاربوا. وعليه وصل ملـك مصر الى الموصل وحاصرها ثم تركها بسبب غزارة الامطـار او لسـبب آخر وعاد، واستسلم له حاكما ماردين وسنجار، وحاصر آمد واعـدا نـور الدين باعطائها إيـاه. وشـرع يضربهـا يـوم احـد الشـعانين فـدارت معركـة عنيفة، وخلال بضعة ايام استولى على السور، فاضطر ابن نيسـان الشـقي الى تسليمها وغادرهامخذولاً، وتولى نور الدين صاحب حصن كيفا حكمها سنة ١٤٩٣ .

سنة ١٤٩٥ توفي قطب الدين حاكم ماردين، فجاء خالـه شـهرمان وولى الحكم لابنه الطفل .. سنة ١٤٩٣ توفي صـالح صــاحب حلـب وكـان قد اعطاها لعز الدين صاحب الموصل الذي تولى الحكم بعد أخيـه سـيف الدين فاعطاها بدوره لاخيه مقابل سنجار، وذلك بقصد ابعاده عنه .. وفـي سنة ١٤٩٤ تولى حكـم اليونـان اندرونيقـوس الـذي كـان قـد طـرده الملـك مانوئيل، اذ تمكن من دخـول القسـطنطينية بالاحتيـال متظـاهراً بـالخضوع للملك الشاب الكس، لكنه اعمل فيها السـيف والقـى زوجـة مـانوئيل وابنتـه وزوجها في البحر، وقضى على الكس الشاب، واحـرق الفـا مـن الزعمـاء بالنار وسمل عيون آخرين واغتصب ممتلكاتهم، وتزوج ذلك الشـيخ القـذر من ارملة الكس الشاب، وسبّب كوارث لاحصر لهـا. وطـرد الافرنـج مـن المدينة لانهم كانوا يساعدون الكـس الشـاب باعتبـاره ابـن امـرأة افرنجيـة، وبعد مغــادرة هـؤلاء بيوتهـم. احرقـوا ١٤ الـف ديـراً وقريـة فـي مختلـف مناطق اليونان. وجاءوا الى رومية مع جيش الافرنج، ثم جاء ملك سـلوقيا وفتك بمعظم مدن سورية الخاضعة لليونان ودمرها كلياً واحرقهـا وتركهـا خالية خاوية .

سنة ١٤٩٢ جاء السلطان ميغصلان الى ملطية وسأل عن ضعفي، وأنفذ الي رسالة محبة مع عكاز وعشرين ديناراً حمراء، الامر الذي استغربه الجميع. وفي السنة التالية، جاء ايضا الى ملطية، وقبل ان يدخلها، سمع عن الشغب الذي أثاره تادرس بن وهبون، فارسل رسالة الى ضعفي يستدعيني اليه، فتوجهت الى ملطية، ولاحظت أمراً غير مألوف فأخذتني الدهشة. ففي اليوم التالي لوصولي، جاءني ثلاثة أمراء مع عدد كبير من الفرسان ليصحبوني بكل اجلال. والحق يقال، لقد خامر بي الشك، وظننت أن في العسل افسنتينا. وفي صبيحة يوم الخميس ٨ تموز سنة ١٤٩٣ وصلنا مشارف ملطية، واذا بالسطان وجيشه وابناء المدينة يخرجون لاستقبالنا، وارسل من يقول: لقد أمر السلطان أن يدخل البطريرك عنده بحسب تقليد وانظمة المسيحيين، تتقدمه الصلبان والانجيل، فاكثر المسيحيون من المشاعل وعلقوا صلباناً في الرماح واطلقوا العنان لتراتيلهم. فاقترب مني السلطان ومنعني من أن اترجل أو اصافحه، بل عانقني باكتافه، ولدى حديثه معه عبر مترجم، أصغى الي بكل جوارحه. واذ لمست فيه لهفة للأستماع الي أطلب الحديث داعماً كلامي – بايآت من الكتاب والطبيعة، مضمناً اياه بعض التوجيهات، فسالت الدموع من مآقيه، فشكرت الله. ورفع المسيحيون آيات الشكر والتمجيد لدى رؤيتهم الصليب المسجود له يُرفع فوق رؤوس الملك والشعوب الاسلامية. وعلى هذه الصورة دخلنا الكنيسة، وفي ختام عظتنا، دعونا للملك والشعب .

وفي اليوم التالي اخبرنا السلطان بأنه رفع الضريبة المفروضة على الدير وحرر أمره بكتاب ملكي. ويوم الاحد، أرسل الينا يداً مغشاة بالذهب ومطعمة بالمجوهرات، تضم ذخائر القديس بطرس هامة الرسل. وامضينا في ملطية مدة شهر، كان يرسل الينا يومياً هدايا. وتبادلنا الاسئلة والاجوبة عن المسيح آلهنا والانبياء والرسل وغيرها من الامور. ولدى مغادرته ملطية، اوعز السلطان أن نصطحبه، فكان لنا حديث طويل في

الطريق مع فيلسوف فارسي من مرافقيه يدعى كمال الدين. وعلى مسمع من السلطان، وبحسب العادة، اوردنا المزيد من آيات الكتاب. وقد أثنى على حكمة السريان وعبّر عن فرحته بهم. لقد حدث هذا، لا لكوننا نستحق هذه الكرامة - اطرحوا هذه الفكرة جانباً - بل لان رحمة الله شاءت أن يعزي قطيعه الصغير وكنيسته التي وهنت بوشاية ابن وهبون، فادخل العزاء اليه، كما تفعل الوالدة لرضيعها برضعة حليب. اما نحن فقد اصابنا ما نستحق من الوهن .

ففي يوم السبت ٣٠ تموز عام ١٤٩٤ انتبهت العدالة لاثمنا فأدبنا بالرحمة حيث احترق ديرنا المحسودأي دير سيدنا مار برصوم. وتم ذلك على النحو التالي.

كان في الدير راهب شيخ يُدعى دنحا، دخل فجراً قلايته الداخلية، ونسي أن يطفئ الشمعة - قد يكون ذلك بسماح من الله - لدى خروجه الى الكرم، فتسربت النار من الشمعة الى الامتعة والاخشاب من فوق ومن تحت، ووجدت لها مؤونة كافية للاحتراق، اذ لم يكن سقوف الغرف فحسب من الخشب، بل وحتى اسسها كانت خشبية، وكانت منصلة ببعضها في ادوارها الاربعة، والخمسة في بعض الجهات، الامر الذي ساعد على التهاب النار. ففيما كنا نصلي صلاة الساعة الثالثة، سمعنا أصوات الاستغاثة، فاسرعنا الى الخزانة المحفوظ فيها رفات القديس واخرجنا الصندوق الذي يحتوي على يمينه. وما زاد من حدة التأديب، هبوب زوبعة الغضب، فآمنا بأن لارادة الله يدا في ذلك. فغادرنا الدير تاركين كل شيء طعمة للنار، باستثناء ذخائر القديسين مار برصوم ومار بطرس، فأتت النار على كافة الغرف سواء الخاصة بالرهبان ام تلك المخصصة للناس او الخدم، والتهمت الكنيسة القديمة بما فيها الكتب والآنية الفضية والنحاسية، واذابت الحديد، واحالت الحجارة كلساً، حتى أن أبواب الدير الحديدية انصهرت. وسقطت الاسوار. ومجمل القول: أن النار لم تبق شيئاً

ولم تذر، ولم يسلم شيء سوى الكنيسة الجديدة التي كانت قيد التشييد وبرج الدير الاعلى ومغارة الفرن والبوابة الخارجية المعروفة ببوابة جرجر. أما بقية الاشياء فاستحالت تلامن الرما .

ويوم الاحد، سقط ما كان قد تبقى من البناء وراح ضحيته شاب من منطقة جرجر جاء لينهب. لقد ظهرت ثلاث اعاجيب خلال هذا الحادث .

الاولى : عدم الحاق الاذى بأي من سكان الدير سواء من الرهبان أم المستخدمين، رغم مجازفتهم وتوغلهم في النار لانقاذ ما يمكن انقاذه من الممتلكات، وانهيار الانقاض عليهم في عدة اماكن. أن هذه المعجرة تشبه ما جاء في سيرة القديس عندما سأل الله فسقط برد واتلف الحقول المحيطة بكرم المؤمنين دون أن يمس الكرم أو أي انسان بأذى، واليوم ايضا يطلب القديس الى الله أن يحرق الممتلكات ويحفظ النفوس، لان افواهنا اعتادت على أن تنفتح على محبة المال .

الثانية : عدم الحاق الاذى بالصندوق الخشبي المودعة فيه ذخائر القديس والمحفوظة في الخزانة. ترى ألا يشبه هذا ما حدث للفتيان الثلاثة في اثور الذين اُلقوا في اتون النار في بابل ولم يمسهم أذى لان ابن الله كان معهم ؟. وهذا هو شأن هذه الذخائر التي حلّ فيها المسيح ابن الله وصانها تشجيعاً للمؤمنين .

الثالثة : احتراق الكتب التي لم يكن احد يفتحها ويقرأها وكأنها زائدة، في حين لم تصب بأذى الكتب المتداولة بالرغم من احاطة النار حولها. وهي نسخ الانجيل الثلاث ومجلد المواعظ الضخم وكتابات لمار يعقوب، وفنقيثان لمدار السنة .

لقد اقمنا مع الرهبان في البرج الاعلى مدة شـهر كـامل حتـى هـدأ الغضب، ثم شرعنا باعادة بناء الدير وانجزناه خلال ثلاث سنوات بصـورة افضل مما كان باضعاف، واستغرق بناء الكنيسة الجديدة ١٢ سنة، وانجـز بفضل الله .

فصل

في تولية اسحاقوس اي اسحق حاكم اليونان. ومختلف الاحداث العالمية التي جرت في هذه الحقبة

بعد عودتنا من ملطية، توجه السلطان ميغصلان الى بلاد الروم واحتل ١٢ حصناً يونانياً، وكتب الي رسالة جاء فيها: «من ميغصلان الكبير سلطان قبادوقية وسورية وارمنيا، الى البطريرك (فلان) صديق دولتنا والداعي من أجل نجاحنا، المقيم في دير مار برصوم والذي يسره أزدهار دولتنا. نعلن أن الله قد عظّم شأن دولتنا في هذا الزمان بصلواتك. لقد جاءنا من فيلادلفيا العريقة ابن ملك الروم واولاده وابدى خضوعه لعرش دولتنا، فارسلنا معه جيشاً قواته اربعون الفاً. غير أن الاعداء احتشدوا باعداد هائلة في المدينة الكبرى واستعدوا للحرب، فنصر الله جيشنا فطاردوهم وقضوا على اعداء دولتنا الذين اندحروا اندحاراً مريعاً، لن يقووا على النهوض لأمد طويل. وقد احتل جيشنا عسكرياً حصن ديادين الكبير، ثم سيطروا على كافة المنطقة الممتدة الى ما بعد الحصن وسواحل البحر فخضعت لنا، وهوذا الآن ندير، بحسب قوانين دولتنا، تلك البقعة التي لم يسبق وأن خضعت للاتراك. الحق يقال، أن الله اعطانا كل هذا بقوة صلاتك. لذا نطلب اليك أن لا تهداء من الصلاة من أجل دولتنا. كن معافى». ثم تليت هذه الرسالة ورسائل اخرى مماثلة من السلطان وصلت في اوقات متفاوتة .

كان الذين جاءوا الى السلطان ثلاثة اخوة، واخذوا جيشاً من الاتراك وتولوا الحكم في فيلادلفيا. وبعد فترة تصدى لهم اندرونيقوس

الطاغية، فقتل أحدهم بالحرب وهرب الآخران من أمام وجهه، وكان احدهم اسحق الذي قتل اندرونيقوس المنافق وتولى الحكم .

قُتل اندرونيقوس ملك اليونان، يوم عيد الصليب ١٤ أيلول، فتولى اسحق الحكم، في الوقت الذي كان اندرونيقوس يعد لقتله اسوة ببقية افراد الاسرة المالكة. فقد شعر اسحق بذلك فتقلد سلاحه، ولما استدعاه الملك رفض الذهاب فغضب اندرونيقوس وارسل قائد جيشه ليأتي به عنوة، فلما رآه غاضباً، علم بانهم يدبرون قتله فاستخف بالموت واستل سيفه وضرب قائد الجيش وقتله، وامتطى فرسه ولجأ الى الكنيسة الكبرى حاملاً سيفه الملطخ بالدم وهو يصرخ ويستنجد، فتجمهر الناس ودخل الى الكنيسة الزعماء الذين كانوا قد فقدوا الثقة في اندرونيقوس للجرم الفظيع الذي اتاه حينذاك، واتفقوا على اقامة اسحق ملكاً وهو من سلالة الملوك. فضغطوا على بطريركهم فنصبّه ونودي به ملكاً في الكنيسة. فغادر اندرونيقوس البلاط ليهرب عن طريق البحر، فادركوه وهو في السفينة واعادوه وعذبوه بقسوة، فقطعوا لحم أفخاذه بالسكين وهو حي، وعضوا جسمه بعنف وأخيراً احرقوه امام الجماهير .

في نيسان تلك السنة خرج صلاح الدين من مصر وحاصر حصن بارك، فتصدى له نور الدين وبقية امراء بين النهرين وحاربوه بالمنجنيقات وكافة صنوف الاسلحة، ثم انضم اليهم الافرنج فهرب الاتراك، وسبوا السامرة ومنطقتها وقتلوا عدداً كبيراً، لان الافرنج ظلوا في الحصن لحمايته، فلما علموا بالامر توجهوا اليهم فهرب الاتراك ونجا المسبيون .

في تلك السنة اشتد مرض الجذام ببغدوني ملك القدس، فسلم المملكة لابن اخته الفتى المدعو هو الآخر بغدوني. وبعد فترة وجيزة من التنصيب توفي الملك المجذوم .. وفي السنة نفسها توجه صلاح الدين الى

الموصل فلم يفلح في احتلالها، فعاد وحاصر ميافرقاط، وبعد معارك عنيفة اشتراها بالمال وتولى الحكم فيها ثم عاد الى الموصل. وبعد حوار طويل ووساطات وافق حكام الموصل على ارسال جيش ليكون تحت امرته اسوة بامراء ماردين وحصن كيفا، وهكذا تم الصلح بينهم .

في هذه الفترة، توفي اغناطيوس مطران القدس الذي قام بمهام رئاسة الكهنوت مدة ٤٥ سنة. وفي تشرين عام ١٤٩٦ أرسل الى القدس أخي المطران اثناسيوس، فأثيرت ضجة ضده من قبل الرهبان الشقاة هناك. ولما تم الوفاق بينهم وبينه، حرض الشيطان صنيعته تادرس بن وهبون، اريوس الثاني، فأثار شغباً ووضع المطران موضع الدفاع حتى طرد ابن وهبون .. وفي هذه الفترة، لدى سماعه عن احتراق دير مار برصوم، عبر كريكور جاثليق الارمن عن ارتياحه لان الحقد كان قد عشش في قلبه، وادعى بأن القديس مار برصوم طار وحط عنده، محاولاً أن يحظى بالكرامة عن طريق امثال هذه الخزعبلات. غير أن الله الحالّ في القديس، والذي ادبنا بعدل باحتراق الدير بسبب خطايانا، نبذه هو الآخر، فضرب ضربة قاصمة، ذلك أن ابن اخته شاهنشاه انتهز فرصة مغادرته القلعة الرومانية الى طرسوس، فتمرد عليه معتمداً على الاتراك، وكاد أن يسلمها اليهم لولم يرجع الجاثليق بسرعة، ويجمع جيشاً ويحارب القلعة، لكنه اضطر الى الانسحاب بعد أن قتل عدد كبير من جيشه، وجاء الى دير تكوش القريب من كيسوم يجر اذيال العار. فاعترف امام الجميع بأن القديس برصوم هو الذي أدبه هكذا واعلن عن ندامته وتوبته أمام ايوانيس مطران كيسوم، واخيراً تم الوفاق بينه وبين ابن أخته. بعد أن اعطى له تعهدات وكفالات باقسام مغلظة.

فصـل

في زعم المنجمين بقيام عاصفة تقضي على المسكونة برمتها كما فعل الطوفان في ايام نوح. وخيبتهم لعدم قيامها وغيرها من الاحداث التي جرت في هذه الفترة

جرى سنة ١٤٩٧ حدث، أرى من الضرورة القصوى تدوينه للاجيال القادمة، تمجيداً لله الذي يأخذ الحكماء بمكرهم، ويختار الجهال ليوبخ بهم حكماء هذا العالم. وهذه تفاصيل القصة .

لعدة سنوات خلت، أخذ المنجمون يقولون، أن الكواكب السبعة التائهة وهي: الشمس والقمر وزحل والمشتري والمريخ وعطارد والزهرة، ستجتمع في ايلول عام ١٤٩٧ في برج واحد، هو برج الميزان، ولم يحدث أن اجتمعت هذه الكواكب في برج واحد باستثماء اجتماعها في برج الحوت ايام نوح، والذي سبب الطوفان، وبما انها ستجتمع الآن في برج الميزان، فانها ستحدث طوفاناً آخر، وقد اكد هذه الشعوذة او النبوات الكاذبة الآف الاشخاص وليس واحد او اثنين. وبُثت اشاعة في كل مكان مفادها، أن الكواكب ستجتمع بعد ثلاثين سنة، وقد عنوا هذه السنة (١٤٩٧)، حيث أن عاصفة تثور في ١٤ ايلول وتدمر المدن والقرى وكل ما فيها من سكان وبهائم وحيوانات وطيور، حتى لن يشاهد شيء على الارض اطلاقاً. وقد انتشرت هذه الاشاعة ففي المشرق والمغرب ومصر والهند، كما أن بعض المؤمنين من سجستان كتبوا الينا يطلبون أن نصلي من اجلهم. وكان اليهود والمسلمون والوثنيون وكثير من المسيحيين ينادون بهذا ويقولون، ستتكسف الشمس في ذلك اليوم ويسود الظلام، وتهنز الارض وتعصف ريح صرصر وعاصفة تجرف التراب والحجارة

وتغطي المدن والقرى. وزعموا أن مذنبين سيظهران، وما اليها من امثال هذه الخرافات. فخزن كثير من الملوك والرؤساء طعاماً وشراباً في الكهوف، وشيدوا لهم بيوتا آمنة، وانتقل آخرون الى أمكنة اخرى، واستقروا في الكهوف والمغاور. اما المسيحيون الراسخون في الايمان فلم يصدقوا هذا الجنون، واستمروا مواظبين على الصلاة والصوم والدعاء والصدقات، وكان الوثنيون واليهود وبخاصة المنجمون، يسخرون من المسيحيين لمواظبتهم على الدعاء ويجدفون قائلين: من المستحيل، حتى على الله، ابطال ذلك الامر المحتوم والعتيد أن يكون. وكنا نجيب الذين يبعثون الينا برسائل استفسار عن هذا الموضوع بقولنا: لا يسقط عصفور في الفخ كما كُتب، ولا تتساقط ورقة من الشجرة الا باشارة من فوق، ولا صحة لما يُشاع من حدوث طوفان بسبب تجمع الكواكب في برج الحوت. ولم نقتصر في تدليلنا على هذا من الكتب فقط، بل ومن الطبيعة أيضاً.

واذا كان الطوفان في ايام نوح قد حدث بسبب اجتماع الكواكب كما يزعم المنجمون الضالون، علما بأن الناس كانوا آنذاك اكثر تمسكاً بضلال الكواكب، فكيف انهم لم يعلموا بحدوث الطوفان باستثناء نوح الذي أوحى اليه الله بذلك وقد سخر منه الضالون في حينه، كما حدث للوط فيما بعد في سدوم. لقد كان غير الراسخين في الايمان والمستسلمين للارواح يلهجون بكلمة «الرياح»، حتى صار كل فم يردد، الرياح الرياح، هوذا الرياح آتية، وستبطل التجارة والاخذ والعطاء. ولما دنا اليوم الذي قيل بأن الرياح ستهب فيه، شرع الناس يهربون ويختبأون في المغاور والكهوف. فلما اشرق ذلك اليوم هبت على وجه الارض نسمة رقيقة منعشة. واستمرت تهب بهوائها النقي لبضعة اشهر، فمجدت الشعوب كلها الله الذي وحده يدبر كل شيء، فاستهان الملوك بهؤلاء المنجمين، واعتبروا مهنتهم شعوذة.

أما أنا فأقول ايها الاخوة: ولئن كان زعم المنجمين بهبوب رياح أو سواها مجرد هذيان، لانهم اخطأوا الهدف، غير أن تجمع الكواكب في منطقة واحدة، بحسب الخطة الموضوعة بأمر الله لدورانها في الفلك، ممكن أن يكون، لان المصريين يعرفون حركة دورانها، وأن ميعاد كسوف الشمس يخضع لحركة الدوران. بيد أن الله الذي خلق العناصر، والذي بامكانه أن يغير ويخرج من الحجارة ماء كما صنع للعبرانيين، وأن يصنع من الماء حجراً، كما فعل بالنسبة الى بطرس، غير ميعاد الكسوف والخسوف في ذلك الوقت، شفقة بالبشر وخشية سقوطهم في الضلال ونسيان الخالق الذي اياه يمجد الكل، وهو وحده عارف بكل شيء ومدبر كل شيء .

بعد وفاة قطب الدين صاحب ماردين، توفي ايضاً ابن جلدته نور الدين صاحب حصن كيفا في آمد فجأة، وذلك بعد أن نقل اعمدة رخامية من الكنيسة الى داره حيث جاءته ضربة أودت بحياته. فخلفه ابنه الشاب قطب الدين، كما عُين لماردين شاب آخر يُدعى حسام الدين، وكلاهما ابناء إماء. اما عمر الدين شقيق نور الدين فاثار ضجة بعد وفاة شقيقه واخذ حصن زياد. كما توفي حاكم الارمن الامير الشيخ ميران شاهنشاه، ولم يوجد مَن يخلفه من اسرته، فتولى الحكم احد ضباطه يدعى بوختمار، وفي طريقه لتسلم الحكم، مَرّ امام جبل ساسون والتقى بابن اخت جاثليق الارمن الذي نزل من القلعة الرومانية، ولم يدع بوختمار يتحرك حتى تعهد له باعطائه حصون والده باكين .

في هذه السنة، عاث فرنيز صاحب انطاكية فساداً، بعد أن عقد صلحاً مع صلاح الدين واطمأن على عدم وجود من يتصدى له. فقبض على رافان حاكم قيليقية وكبله وزجه في السجن، وحشد جمعاً من الافرنج وهاجم قيليقية، واستمر القتال طيلة الصيف دون أن يتمكن من فرض سيطرته على أية بقعة منها، لان لبون أخذ مكان أخيه رافان وحامى

المنطقة بحنكة، فعاد فرنيز خائباً. ثم أعطى الارمن للافرنج ثلاثة الاف دينار والمصيصة وأدنه ومناطق أخرى، وأخرج رافان من السجن، وبعد اطلاق سرراحه تمرد على فرنيز وانتزع المناطق التي كان قد احتلها، الامر الذي دفع فرنيز ليعمل في قيليقية نهباً وسلباً .

في هذه الفترة، انتزع امير الرها، بأمر سلطان مصر، منطقة شبختان من صاحب ماردين، فحارب الوصي عن امير ماردين، شعب الرها لكنه هزم، فجاء صلاح الدين ليحكم ماردين، واذ فشل في احتلالها بالحيلة، اكتفي بخضوع اهلها حتى اقسموا متعهدين له بالولاء، وهناك مرض مرضاً شديداً عانى منه الامرين، وامض فيها الشتاء مع جيشه، وانتشرت اشاعة بموته، وبعد أن تعافى قبض على صاحب الرها مظفر الدين ابن زين الدين، وانتزع منه قلعتي الرها وحران، ثم اعادهما اليه بعد فترة فتصالح .

في هذه الفترة، رسم اسطيفان مطرانا لسجستان، وباسيليوس لبيرا جرجر، وباسيليوس آخر للرقة .. يوم احد تجديد البيعة، احترقت كنيسة مار يوحنا في الرها. وكان ذلك كما يلي: كانت قد شغرت منذ أمد طويل، ولم تُقم فيها الخدمات لعدم وجود كهنة، فأتخذها الحكام مخزناً للقطن، وكانت الحمام قد عششت في سقوفها وقد اعتاد البعض صيدها ليلا مستعينين بالمشاعل. وصادف أن نسوا أحد هذه المشاعل في الطابق العلوي وغادروا، ومنه تسربت النار الى الادوار العليا، والتهمت ليس الخشب فحسب، بل والاحجار ايضا حتى الاسس، واحترقت اعمدتها الرخامية الـ ٣٢ كالهشيم، وعادت الكنيسة كدسا من الرماد .. أما الكنائس التي دمرت في الرها في عهد المسلمين هي: الكنيسة الكبرى، كنيسة الرسل، كنيسة مار توما، كنيسة مار ميخائيل، كنيسة مار قومي «ام المنديل»، كنيسة مار جرجس، كنيسة مار فاروقا التي شيدها أبجر، كنيسة والدة الله المعلقة، وكنيستان أخريان باسم والدة الله، كنيسة الاربعين

شهيدا، وكنيسة اخرى كبرى باسم الاربعين شـهيدا، كنيسـة المعـترفين فـي باب الساعة، كنيسة مار اسطيفانس، كنيسة ثاودورس أمام القلعة .

في نيسان عام ١٤٩٧ قدمنـا مـن ديـر مـار حنانيـا إلـى ديـر مـار برصوم، وبنعمـة اللـه وشـفاعة القديـس مـار برصـوم تغلبنـا علـى ضعفنـا وأقمنا جدران كنيسة جديدة كنا قد أرسينا اسسها منذ سـبعة اعـوام، حيـث احتملنا وآخرون خلال تلك السنوات، ضيقات لا توصف في سبيل ذلك .

فصـل

في الحروب التي دارت بين الاكراد والاتراك وانعكاسها السلبي على المسيحيين الذين في مناطق المسلمين. وابادتهم لبقية الشعوب

سنة ١٥٠٠ جاءنا المفريان يوحنا ملتمسا اعفاءه من الرعاية، فضغطنا عليه ليتراجع فلم يذعن، فذهب الى دير مار يعقوب في جبل الرها، ثم ندم ورجع الينا، ثم عاد الى رعيته حاملا رسالة منا. وفيما كان نائما على سطح الكنيسة في قرية باخوديدا (قره قوش) سقط من السطح ومات فدفن في دير مار متى. فوجه الينا التكارتة والموصلة والنينويون رسائل صحبة وفد ملتمسين أن نختار ونرسم اساقفة بموجب القانون، واحاطونا علما بوجود رجل وقح عندهم يُدعى ابن ماسح يصارع من أجل الحصول على هذه الرتبة، ويسانده بعض الاراذل أمثاله، واكدوا لنا أنهم لن يقبلوا اطلاقاً ابن ماسح بسبب اعماله الرديئة السمجة وكنا قد سمعنا عن اعماله هذه من المفريان مار يوحنا، وبناء على ارشاد الروح، وجهنا دعوة قانونية الى ابن أخي وتلميذي الربان يعقوب فرسمناه، وهو رجل عالم، ينقصني الكلام للتحدث عن الفضائل التي وهبها اياه ابو الانوار الذي من لدنه تنحدر كل موهبة صالحة وكل عطاء متكامل. وتمت رسامته في دير مار دميط في كورة ماردين، يوم الاحد مدخل صوم سنة ١٥٠٠ وسُمي غريغوريوس رئيس اساقفة المشرق .. في هذه الاثناء توفي مار مرقس بطريرك الاسكندرية ومصر. بعد أن خدم رئاسة الكهنوت ٢٣ سنة، وحلت وفاته في كانون الثاني، وانتقل الى الحياة العدنية التي لا نهاية لها. ورسم للكرسي ايوانيس بابا أي بطريركاً .

منذ عام ١٤٩٦ بدأ التركمان حروبهم. فحاربوا ارمنيا وآثور وبين النهرين وسورية وقبادوقية مدة ثماني سنوات. ويعود سبب نشوب الحرب الى أن الشعب التركماني ساكني الخيام، اعتادوا قضاء الشتاء في البرية الواقعة جنوبي سورية حيث لا يسقط ثلج او تتجمد الارض، وحيث يوجد الكلأ. وفي الربيع يقصدون المناطق الشمالية حيث يتوفر الكلأ لمواشيهم. وبما أن مواشيهم الكثيرة، كانت تملأ الطرق خلال تنقلاتهم صعوداً ونزولاً، كان الاكراد المعتادين على السرقة حيثما وجدوا، يسرقون من مواشيهم وخيولهم وابقارهم وجمالهم، واحياناً كان يُقتل بعض منهم، لذا اخذ الاتراك يسيرون بشكل قوافل لحماية ماشيتهم. وذات يوم اكتشفوا في منطقة شبختان المجاورة لماردين كميناً قوامه مئتا كردي متهيئين لسرقتهم، فاجهزوا عليهم، فبان العداء الكامن بينهم، فاجتمع نحو عشرة الآف كردي، واكثر من هذا العدد من التركمان، فنشبت الحرب وقتل نحو عشرة الآف من كلا الجانبين، فازداد حقد الاكراد وتجمع نحو ثلاثين الف كردي من منطقة نصيبين وطورعبدين، واحتشد التركمان في منطقة حابورا، فهزم الاكراد وتناثرت اشلاء قتلاهم بين شاطئ نهر الخابور ونصيبين .

ونشبت في منطقة الموصل، معركتان بين التركمان والاكراد، ورغم تجمع الاكراد من عدة مناطق هزموا امام التركمان، وانتشروا في الجبال المتاخمة لقيليقية بقصدالحفاظ على اولادهم ومواشيهم ووضعهم لدى حدود الارمن، غير أن التركمان هجموا عليهم وابادوهم بحد السيف، بما فيهم الرجال والنساء والاطفال، ونهبوا ممتلكاتهم. فقضي على العنصر الكردي في سورية وبين النهرين، حيث أخذ التركمان يتجولون فرقاً فرقاً في السهول والجبال ويفتكون بالاكراد بلا رحمة وبلا مبرر حيثما عثروا عليهم .

لم يكن التركمان يؤذون المسيحيين في السنوات الاولى، غير انهم اخذوا يفعلون ذلك فيما بعد لسببين، الاول : هو أن التركمان علموا بأن الاكراد يخفون اموالهم في القرى المسيحية. والثاني : لم يكن الحكام يمنعون التركمان من السلب والقتل. الامر الذي دفع الشعوب للاتجاه نحو ارمينا الكبرى. ولكن بعد أن قضى التركمان على الاكراد وجّهوا انظارهم ليسبوا ارمنيا، فسبوا ٢٦ الف شخص وباعوهم عبيداً، واحرقوا القرى ودير كربيت الكبير بعد أن قتلوا جميع رهبانه ونهبوا كتبه وكل ما فيه، واحتلوا عسكرياً حصن تل العرب في منطقة شبختان وباعوا جميع سكانه عبيداً، وقتلوا ١٧٠ رجلا في تل سميا وآخرون غيرهم. واخيراً لما رأى الحكام دمار بلدانهم واقفار القرى من السكان، أثار كل منهم في منطقته حرباً ضد التركمان، فدارت المعارك في أرجاء منطقتي قبادوقية وملطية. وفي هذه الاثناء دخل التركمان منطقة كلوديا، فتصدى لهم الحاكم وراح ضحية القتال مئتا طفل من القرية وبقية المنطقة. أن اللسان ليعجز عن الحديث عما جرى من القتل خلال السنوات الثماني، فقد خلقت شرارة صغيرة لهيباً أتى على ربوات قبل أن تهدأ العاصفة .

في هذه الحقبة، كان في قبرص حاكم يوناني يدعى قومنا، تمرد على ملك القسطنطينية وجمع الاساقفة اليونان وامرهم أن يقيموا لهم بطريركاً ففعلوا، فنصبه ذلك البطريرك ملكاً، فنودي به ملكاً وبالآخر بطريركاً في قبرص. وصار ضحكا للذين في القسطنطينية حتى جاء ملوك الافرنج من رومية، وتولى ملك انكلترا الحكم في قبرص، فاعتقل ملكها وزجه في السجن في احد الحصون القريبة من انطاكية، كما توفي البطريرك المقام في قبرص ففشلت خطتهم السقيمة. ثم أعطى ملك انكلترا جزيرة قبرص للفرير. ولما غادرها الملك الافرنجي، ثارت كبرياء اليونان وتألبوا ضد الحامية الافرنجية، اعتقاداً منهم بانهم سينتزعون الملك اذا ما قتلوا الافرنج، ولكن لما شرعوا بالقتال هزموا، فنصب الافرنج ملكاً

لقبرص، كان سابقاً في القدس، وذلك يوم الجمعة ٤ ايلـول سـنة ١٤٩٨ .. في الساعة الثامنة، حدث كسوفـ، وظهرت الكواكب بالقرب من الشمس .

فصـــل

في انتزاع صلاح الدين سلطان مصر، القدس من الافرنج واخضاعها للمسلمين وغيره من الاحداث التي في هذه الفترة

سنة ١٥٠١ ارسلنا، الى السلطان صلاح الدين، بضغط من اساقفتنا وسواهم: جبرائيل رئيس الدير وابا الفرج اسقف القلاية، لشرح محاولة ابن ماسح. ولدى وصولهم الى دمشق، وقبل لقائهم بالسلطان الذي كان يحاصر عكا حينذاك، قبض عليهما كجواسيس وزُجا في السجن، وفقدا كل ما لديهما. غير أن الله اشفق ونجاهما على يد مظفر الدين بن زين الدين أمير الرها، وحصلا من السلطان على رسائل فاعلة وعادا مسرورين بشفاعة مار برصوم .

سنة ١٤٩٨ جمع صلاح الدين جيشاً من مصر والعربية وسورية وآثور، وتصدى للافرنج الذين غض الله الطرف عنهم بسبب خطايانا، فانهزموا شر هزيمة يوم السبت ٤ تموز، والقي القبض على ملك القدس وكبار رجالاته وقتلوا مع جميع الاخوة (الفرير). حدثت هذه الواقعة بالقرب من طبرية .. يقال أن حاكم طرابلس الذي كان يطمح الى الملوكية لم يفلح في الوصول اليها، فتمرد وهرب، وهو الذي غدر بالافرنج. اما أنا فأقول: ما كانوا ليهزموا لولم يتركهم الله، لان عصفوراً لايسقط في الفخ الا باشارة من فوق. وأن صلاحا بشخصه قتل الشيخ ارنغد و٣٠٠ فرير واغتسل بدمهم، ثم دمر طبرية وقتل من فيها، وللحال شخص الى عكا فهرب اعيانها الى صور عن طريق البحر فسلمها من بقي من السكان الى صلاح الدين. ثم سبوا قيصرية ويافا والسامرة والناصرة، وامتلأت الدنيا بالاسرى. أن اليراع ليعجز عن وصف ما احتمله المسيحيون في دمشق

وحلب وحران والرها وآمد وماردين والموصل، وفي سائر مناطق نفوذ المسلمين، من اهانة وتعيير وبصاق .

في تشرين الاول عام ١٤٩٩ اعطى صلاح الدين عهداً للافرنج الذين في عسقلان، واطلق سراح الملك المعتقل لديه وسلمها له. ثم توجه المسلمون الى القدس، أرض السلام وحاربوها ودمروا قسماً من الجهة الشمالية الشرقية من سورها، واذ لم يكن من ينقذ سكانها، ثم الاتفاق على أن يسمح لكل شخص يدفع عشرة دنانير بمغادرتها، فبلغ عدد الذين غادروها «بالبكاء وحسرات المصري على الحجارة» الآفاً وربوات، والذين لم يتمكنوا من الدفع استسلموا للعبودية، لكن صلاح الدين حرر عشرين الف رجل وامرأة، منهم اربعة الآف شيخ وعجوز. وخصص ستة الآف لخدمة قواته، وارسل خمسة الآف الى مصر ليبنوا الاسوار، وترك خمسة الآف في القدس لبناء الاسوار ايضاً وهيكل سليمان، والمبنى المعروف بـ «الصخرة» اي الحجر والذي اقامه المسلمون وطهروه بحسب شريعتهم، ومنعوا من أن يطأه رجل مسيحي، واغلقوا كنيسة القيامة وسواها. فكان المسيحيون المتبقون في القدس يقفون على الابواب يصلون ويبكون .

ثم وجه صلاح الدين انظاره الى مدينة صور الواقعة في قلب البحر، فواجه مقاومة، حيث كان قد وصل في تلك الاثناء حاكم من رومية يدعى مركيز، جاء ليحج الى القدس دون أن يدري بالذي يجري هناك. فشد عزيمته وشجع الشعب وحامى عن المدينة، فلم يفلح صلاح الدين في احتلالها، فتركها وذهب واحتل كلاً من صيدا وبيروت وجبيل وتبنيت. وفي عام ١٥٠٠ احتل صلاح الدين حصني كارخ وشوبخ الواقعين على ساحل البحر الاحمر اللذين كانا سبب نشوب الحرب بينه وبين الافرنج التعساء. وفي تلك السنة دخل صلاح الدين منطقة انطاكية واحتل عسكرياً كلاً من اللاذقية وجبلة وقلعة صهيون ونفرس وتربيسكد. وفي السنة

نفسها، عمت الاضطرابات مناطق قبادوقية. فقد نشب خلف بين ابن السلطان ميغصلان الذي اتخذ سبسطية مقراً له، وبين حسن نائب والده، فحرض حسن السلطان ضد ابنه، فتأهب لمقاتلة ابنه في منطقة قيصرية، غير أن الذين انضموا الى الابن تفرقوا اكراماً للشيخ، وعاد الابن الى سبسطية دون أن يحارب والده. وفي غمرة غضبه، أمر السلطان فقتل اربعة الآف من التركمان الموالين لابنه، ثم جاء صهر السلطان الامير بهرمشاه وتوسط من أجل الصلح. وبطريقة او أخرى، استحصل امرا من السلطان باعتقال نائبه حسن ومصادرة املاكه، ثم اطلقه وابنه وعبيده ليذهبوا الى سبسطية، فهجم عليهم التركمان في الطريق وقتلوا حسن واولاده وعبيده، ومزقوه ارباً ارباً وادخلوا اشلاءه الى سبسطية محمولة على رؤوس الرماح. وكانت وفاته يوم عيد الصليب .

في سنة ١٥٠٠ نفسها، بعد أن علم افراد عصابة ابن ماسح الشقاة بما حدث، رشوا الحاكم بألفين من الذهب وخمسمائة من الحمر واستحصلوا منه أمرا برسامة ابن ماسح تحت طائلة التهديد بالسيف، فرسموه بصورة غير شرعية مسوقين بروح الشيطان، فرفضه المؤمنون رفضاً باتاً .

لايجدر بنا أن ندون القبائح التي أتاها داثان الثاني، الا ما هو ضروري جداً لايضاح ما حدث. فقد زاد ابن ماسح من وقاحته واتفق مع ابن وهبون وجاء كلاهما الى ماردين مناديين بابن وهبون بطريركاً وبابن ماسح مفريانآ، ورشا الحاكم بألفي درهم، واخذا امراً بالسيطرة على المنطقة، فذاق شعبنا الأمرين، وتذمروا وبخاصة من عمال الحاكم الذين يتجولون بين القرى لجباية الضرائب من الشعب. واخيراً اخذت الغيرة ابناء ابرشية ماردين فجمعوا اموالاً واعطوها للحاكم واستحصلوا امراً بطردهما من المنطقة، فعادا الى الموصل، وهناك ايضا تحمس المؤمنون ضدهما، فطردوا اولا ابن وهبون، ثم جمعوا اموالا وقدموها للحاكم لقاء

الامر بالقبض على ابن ماسح اللئيم. فنزعوا عنه الاسكيم المقدس والبسوه ثياباً مدينة، وارسلوا وفداً من الاساقفة والكهنة والرهبان واصطحبوا من نصيبين المفريان القديس مار غريغوريوس، فدخل الموصل ورحب به الحاكم والجميع، وهدأت الاحوال بنعمة الله .

فصـل

في غيرة الشعوب الافرنجية الوافدة من ايطاليا، على القدس، وغيرها من الاحداث التي جرت في تلك الفترة

سنة ١٥٠٢ توفي ابن زين الدين صاحب اربيل، فترك اخوه الرها وحران وشميشاط وذهب ليتولى الحكم في اربيل فحالفه النجاح .. لقد اعطى صلاح الدين عدة مناطق في فارس لابن أخيه عمر تقي الدين الذي سُمي سلطان. وكان فظاً وسيئاً، يكره المسيحيين ويضطهد المسلمين ايضاً. فرفع نسبة الرسوم والضرائب على المسلمين والمسيحيين، واحتال على الامراء من بين باغوساج في منطقة سيبيرك واخرجهم من حصونهم، ومن هناك توجه الى ميافرقاط التي كانت سابقاً تحت سيطرته، ومنها ذهب واحتل جشيكور وقولب، ثم توجه الى منطقة خلاط في ارمنيا وامضى فيها خمسة اشهر ينهب ويسلب ويقتل بلا رحمة، وخاصة المسيحيين. بيد أن الرب صفعه بضربة فمات فجأة هناك. فتنفس الناس الصعداء، مثلما حدث يوماً ما ليوليانس الجاحد، فغادر ابناؤه وجيشه المنطقة وعادوا الى ميافرقاط. ولما تمرد ابنه على والده صلاح الدين، ارسل اليه اخاه المدعو الملك العادل وطرده من الرها وحران وشميشاط، واخذ منه ميافرقاط، واعطاه حمص وحماه، كما اعاد منطقة سيبيرك الى آل باغوساج، فخضعوا لقطب الدين صاحب آمد كالسابق .

في ٢٣ حزيران من تلك السنة، حدث كسوف، فاختفى اكثر من نصف الشمس، وشوهدت حولها الكواكب، والى جانبها القمر .

سنة ١٥٠٠ حكم ملطية ابن السلطان المدعو قيصرشاه معز الدين. وفي هذه الاثناء اندفع ملوك وجيوش الافرنج بغيرة عارمة، وارسلوا امامهم جماعات من مختلف الشعوب واللغات، لا تفهم جماعة لغة الاخرى، فحاصروا عكا في غياب الملك، ورافقهم اساقفتهم وكهنتهم مع الخيم المتخذة كنائس، فألب صلاح الدين جيشاً عرمرماً من المسلمين. فتقدم الجيشان حتى اصبح بوسع الواحد أن يرى الآخر. ولم يكن بوسع الافرنج احتلال المدينة لوجود نحو ٦٠ الف مقاتل داخلها، كما لم يستطع صلاح الدين التصدي لجيش الافرنج او حتى ابعادهم عن المدينة، فبنى الافرنج بيوتاً وكنائس واربعة الآف حي .

جاء ملك الالمان وقاتل اليونان في القسطنطينية فاخضعهم، ثم تحولوا الى ايقونية، وهناك تصدى لهم الاتراك بقيادة ابن السلطان، لكنهم هزموا، فتقدم الافرنج ودخلوا المدينة وقتلوا عدداً كبيراً، وفيها قتل ميخائيل المسمى بابا، ثم عقد السلطان صلحاً معهم، فاجتازوا الى باب قونية ومنها الى قيليقية حيث توفي ملك الالمان الشيخ غرقا في النهر، فنقل ابنه جثمانه الى انطاكية، ثم اتجهوا صوب عكا واحتلوها بعد معركة عنيفة وسقوط عدد غفير من كلا الجانبين قتلى، امتلأت الشوارع من جثثهم، فتولى الافرنج حكم عكا في مطلع تموز عام ١٥٠٢، وسلم الافرنج الى صلاح الدين، سكان المدينة من الاتراك الذين ظلوا على قيد الحياة، لقاء اطلاق اسرى الافرنج المعتقلين في دمشق. غير أن الشيطان قسى قلب صلاح الدين، فرفض تسليم ذوي السلطة من الاسرى، فغضب ملوك الافرنج وامروا بأبادة الاسرى الاتراك امام باب عكا. فقتل في ذلك اليوم ٢٥ الف شخص، وكدست جثثهم واحرقت امام باب عكا .

على أثر احتلال الافرنج عكا، ضعفت معنويات صلاح الدين، وندم كثيراً، وفي غمرة غضبه هدم مدينة يافا واسوار عسقلان لئلا يحتلها الافرنج. في حين تشجع الافرنج لاسيما بعد سيطرتهم على قيصرية،

فاعادوا بناء يافا ووضعوا فيها حامية، ثم بنوا اسوار عسقلان ووطنوا فيها جماعة منهم، فتحفز صلاح الدين وألب جيشاً ليتصدى بـه الافرنـج، فخرجوا هم الاخرون من عكا ليجابهوا الاتراك. وبعد أن تـأهب الطرفـان للقتال، اذا بهم يتفقون على هدنة أمدها ثلاث سنوات، اعتبـاراً من تشـرين الاول عام ١٥٠٤، ودفع صلاح الدين للافرنج تعويضات عن نفقات اعادة بناء سـور عسقلان، وهدم الاسوار من اساسها، وغدت المدينـة خالية خاوية. واقام الافرنج حاكماً في عكـا يدعى هنري وهو ابن اخت ملك انكلترا، وعادوا الى بلادهم، واعاد صلاح الدين بناء اسوار القدس، بـاكثر متانة مما كان عليه .

عُقد في هذه الاثناء، مجمع في دير مار برصوم، تقرر فيه حرم ابن ماسح واعُلن ذلك في الكنـائس.. شعرت في هذه الفترة، أن اللـه رد وجهه عني بسبب خطاياي، فلم اجد من يرضـى أن يتسلم رعاية ابرشية ماردين المنكودة بسبب ارهاقها تحت الاعباء الثقيلة التي وضعها عليها الحاكم، فاضطررت أن ارسم لها معترفاً رهاوياً في دير مار برصوم، بحضور مار اثناسيوس اسقف القدس الذي كان قد نجا كما ينجو بعض الهشيم من النار، غير انـه اعتذر عن الاشتراك برسامة ذلك المعترف البائس التي تمت في فترة كان الله قد تركني. فرحب به الجميع في بادئ الامر، لكنه طرد بعد ان ظهرت فيه صفات غير جديرة براعي الابرشية، فدخله لجنون الشياطين فجحد واراد ان يشـهر اسلامه، فـالتقى بـه بعض الخلقيدونيين من ملطية فتملقوه فذهب الى القسطنطينية وانضم اليهـم، فعينوه اسقفاً لخلقدونيي ميافرقاط.

في هذه الاثنـاء، انجزنـا بنـاء كنيسة في دير مـار برصوم التي استغرق بناؤها ١٤ سنة، فقد بوشر بها سنة ١٤٩١ كما ذكرنـا آنفـاً وانجزت في هذه السنة ١٥٠٤ بنعمة الله وشفاعة القديس مـار برصوم، واحتفلنا بتكريسها خلال انعقاد المجمع المقدس المنوه به اعلاه في حديثنا

عن ابن وهبون الذي توفي في هذه الفترة، وتم التكريس يوم الاحد السـابق لعيد العنصرة ١٥ حزيـران، بحضـور الاسـاقفة وجمـع غفـير .. فـي هـذه الاثناء توفي جاثليق الارمن وآخرون كثيرون.

فصـل

في وفاة كل من ملك الاتراك ميقرصلان سلطان بيثونية قبادوقية وارمنيا الصغرى، وصلاح الدين سلطان مصر والعربية وفلسطين وسورية. وغيرها من الاحداث التي جرت في هذه الفترة

ذكرنا أن كريكور جاثليق الارمن في قيليقية توفي في تموز عام ١٥٠٤، فرسم الارمن ابن اخته الشاب المدعو هو الاخر كريكور والملقب ديراسو .. وفي تلك السنة توفي ايضا همري بطريرك الافرنج الانطاكي، وقد حلت وفاته في حصن قوصير الذي يمتلكه، فنقلوا جثمانه ودفنوه في الكنيسة الكبرى في انطاكية، وقد ترك ثروة طائلة جداً. واقاموا بدلاً منه قساً شيخاً يدعى دنقل .

في هذه الاثناء، ارسل الينا مار ايوانيس بطريرك الاسكندرية ومصر، الاسقف الشيخ بطرس، وهو رجل عالم ودمث، حاملا الينا رسالة باللغة القبطية والعربية، تفيض ايماناً ووداعة ومحبة خالصة .. عندما بدأت حروب التركمان عام ١٠٩٦ بدأت معها ضربات الغضب وتكررت. فقد كثرت المجاعات القاسية، حتى أكل الناس لحم الموتى ومختلف أنواع النفايات، وباع الكثيرون أولادهم. فبيع مثلا في منطقة شبختان وحدها دون سائر المناطق الاخرى، نحو ٢٢ الف طفل وطفلة على أقل تقدير، وسيقوا عبيداً الى بابل. كما استمر الجراد حتى هذه السنة (١٥٠٦) يفتك بالزروع والكروم من حدود مصر وحتى ايبريا، ومن فارس حتى بحر البنطس. وارتفع سعر كيل الحنطة من النوع الكبير، في ملطية الى ١٦

ديناراً سلطانيا .. وفي سنة ١٥٠٦ نفسها، منع الملك العادل صاحب الرها قرع الاجراس في كنائس الرها، فامتعض المسيحيون جدا. رحماك اللهم .

على اثر اعتداء اولاده عليه، اخذ ميغرصلان يتنقل من بيت الى بيت، فتحمس له ابناء قونية واتوا به واجلسوه على كرسيه، فيما كان ابنه الكبير يحكم انسرا (لعلها انقرا)، فحشد ذلك الشيخ جيشاً وذهب لمحاربة ابنه، لكنه مرض وعاد الى قونية فتوفي في الطريق، وكان يرافقه احد اولاده الصغار، الذي ضم جثمان والده الى اجداده وتولى الحكم في قونية. لقد حكم السلطان ميغرصلان بنجاح باهر مدة ٣٨ سنة، وورثه اولاده الاثناعشر .. وعام ١٥٠٤ توفي صلاح الدين في دمشق، وانجب ٢٣ ولدا، وعهد بالرئاسة قبل وفاته لابنه الاكبر ووضعه في دمشق، وولى الابن الثاني على مصر والثالث على حلب، ومنح هؤلاء الثلاثة لقب «سلطان»، وأعطى لكل واحد من الآخرين منطقة معينة، كما منح لقب «سلطان» لاخيه الملك العادل واعطاه حران والرها وميافرقاط وشميشاط وقلعة جوبر وكرخ وشيخ .

تحالف صاحب الموصل مع اخويه اللذين في سنجار والجزيرة، وانضم اليهم صاحب ماردين، فتقدموا نحو حران لمحاربة الملك العادل والاستيلاء على مناطقه. فحشد جيشاً هو الآخر وتصدى لهم. وفجأه مرض صاحب الموصل وعاد، وتشتت الذين معه، فانتزع منهم الملك العادل، الرقة وحابورا وحاصر نصيبين، فاستسلموا له خوفا، كما سبقوا واستسلموا لاخيه، فأعاد لهم حابورا وتم الوفاق بينهم. ثم توجه ليحتل ارمنيا، لكنه عاد خائبا .. ولما توفي عز الدين صاحب الموصل، خلفه ابنه نور الدين .

لقد اذاق لبون حاكم قيليقية، فرنيز حاكم انطاكية، عذاباً اليما انتقاماً لمِا فعله فرنيز باخيه رافان، حتى وصل القاضي هرار عكا والتمس

العفو عنه فعاد الى انطاكية. وبعد وفاة السلطان، سيطر لبون على ٧٢ قلعة رومانية، اخذ بعضها من الاتراك والبعض الآخر من اليونان. وكان النصر حليفه في جميع معاركه مع الاتراك. الامر الذي حفز اولاد السلطان الى اللجوء اليه. وفي كانون عام ١٥٠٦ شخص اليه مالك صاحب ابلستين وقدم له الخضوع، ثم توجه لبون بدوره الى صاحب قيصرية وانتصر عليه وانتزع منه حصناً بالقرب من قيصرية .. توجه الملك العزيز سلطان مصر الى دمشق لمحاربة أخيه، فجاء عمهما صاحب الرها لمصالحتهما .

بعد الدمار الذي حل بالقدس، غادرها أخي المطران اثناسيوس وجاء عندي الى دير مار برصوم، فارسلته نائباً لي الى أبرشية انطاكية فاستقبلوه كملاك واكرموه جداً، ليس شعبنا القليل العدد فحسب، بل الافرنج والارمن ايضاً. وبعد أن أمضى في ررعاية المدينة سنتين، وافاه الاجل بأمر الله، على اثر مرض، وذلك يوم الخميس ٢١ تشرين الاول سنة ١٥٠٤، واودع جثمانه في دير داود الى جانب ضريح البطريرك مار يوحنا. ليرحمه الرب الاله، ويرحم كل من يصلي من أجله .

رسم للقدس اغناطيوس سهدا رئيس الدير .. في كانون، توفي ديونيسيوس اسقف ملطية وخلفه ايوانيس بن قانون اسقف قليسورا .. في تشرين عام ١٥٠٥ جاءنا الى دير مار برصوم المفريان غريغوريوس، يرافقه اربعة من اساقفته، وثبتوا تعهدهم الشرعي لابيهم الروحي. وبعد عودتهم الى كراسيهم، حرك الشيطان ابن ماسح مرة أخرى، فوشى بالمفريان لدى الحاكم مدعياً انه هرب ولن يعود ابدا. فلما عاد والاساقفة خزي واحتقره الشعب المؤمن، في حين استقبل المفريان بترحاب بالغ من قبل الحاكم والشعب. وكان ذلك عام ١٥٠٦ .. لقد ارسل لبون حاكم قيليقية من يسرق القلعة الرومانية ويصحب الجاثليق الشاب، وبعد فحص اعماله، عزله الاساقفة الارمن، فوضعه لبون في حصن جوبدرا تحت

الحراسة، فحاول ذلك الشقي الهروب، لكن صخرة سقطت عليه فمات، ولحق بالارمن العار. ثم رسموا لهم ابيراد ابن عم الشيخ، جاثليقاً، ودُعي هو الآخر كريكور.

نكتب بنعمة الله عن ممالك الاراميين القديمة، أي بني آرام الذين سُموا سريانا أي ابناء سورية. وقد جمعنا عنها شهادات صادقة من كتب راعت الدقة

يعتمد اوسابيوس الخبير بالشؤون التاريخية، على الكسندر فولسطور وابودينوس وغيرهما من الكلدانيين، في وضعه جدول تسلسل الملوك من آدم حتى الطوفان الذي حدث في ايام نوح، فهو يحصي عشرة ملوك خلف الواحد الآخر، وقد اتينا على ذكرهم في كتابنا هذا مع عدد سني كل منهم، وهم: الوروس، ١٠ «سارو»، الومفروس ٣ «سارو»، الميلون ١٣ «سارو» اماغلاروس ٨. دونوكس ١٢. اوادوبركوس ١٠. أمامون ٨. امافاسينوس ٨. اوطراطيوس ١٠. كسيسوتروس ٨. ويسمى هؤلاء كلدانا .

وبعد الطوفان قام اريوكوس الكلداني، وبعده كومسكيلوس. كما انه يشير الى قيام ٢٦ ملكا منذ عهد كسيسوترس الذي فيه حدث الطوفان، حتى عهد ملوك الماديين الذين سيطروا على بابل، وذلك استنادا الى شهادات كتب فولسطور وابودنيوس حيث يقول: أن فولسطور يذكر كل واحد منهم مع عدد سنيه، ثم يستطرد قائلاً: بعد أن اضمحلت دولة الكلدانيين، حكم ٢١ ملكاً ماديا على التوالي. ويتابع: ومن ثم تولى الحكم ٤٠ ملكاً كلدانياً، وهو يدرج اسماءهم وسني حكمهم. ولما قض الآشوريون على مملكة الكلدانيين هذه في عهد شميرام، توالى الملوك حتى بلغ عددهم ٤٦. ثم قام ملك كلداني يدعى فولوس وتسميه الكتب العبرية بول، وهو الذي جاء الى اليهودية. ثم جاء سنحريب بحسب ما يذكر فولسطور، وهو نفسه الذي يذكره اشعيا النبي بقوله «وكان في السنة الرابعة عشرة للملك حزقيا، أن سنحريب ملك آشور صعد على كل مدن

يهوذا الحصينة واخذها، ٣٦». ثم يستطرد في الحديث عن ربشاقي الذي ارسله سنحريب الى القدس، حتى يقول «فقال الياقيم وشينه ويواخ لربشاقي. كلم عبيدك بالارامي لاننا نفهمه ولا تكلمنا باليهودي» .

فمن هذه الشهادات الكتابية، ومن اللغة الارامية، يتضح أن ملوك الكلدانيين والآشوريين كانوا آراميين. أما لماذا دُعوا كلدانا، وكيف سُموا آشوريين ؟ فنستطيع أن ندرك ذلك من كتب فولسطور وابودنيوس الذين يعتمدهما يوسيفوس العبري، والتي اقتبس منها اوسابيوس فوليقيلوس اسقف قيصرية، الذي يقول لدى حديثه عن مواليد ابناء نوح الثلاثة «ولد لسام» الابن الثالث لنوح، خمسة بنين سكنوا آسيا التي تمتد من نهر قرطيس حتى بحر اسيانوس في الهند. فأعطي عيلام للعيلاميين وهم أصل الفرس، واسكن آشور مدينة نينوى، وسمى اتباعه آشوريين، ودعا اولاد ارفكشاد، ارفكشاديين، وسيطر الآراميون على ارض ارآم وهم الذين يسميهم اليونان سرياناً. ومنهم عوص الذي شيد طركونه ودمشق مابين فلسطين وسورية الداخلية، ودُعي جميعهم كلداناً، وآشوريين مذ سكن آشور نينوى .

لقد كتب يوسيفوس المؤرخ اليهودي مايتفق وكتابا اوسابيوس، فهو يدعو آشور «اسور» بحسب اللهجة اليونانية، فيقول: اسور، ومنه الاسوريون، بنى نينوى. وعن الكلدان يقول: «الذين منهم الاسوريون والاراميون، أي السريان». وبعد حديث طويل يقول يوسيفوس: هكذا يلفظ اليونان الهيلينيون هذه الاسماء من اجل جمالية اللفظ وليس مثلنا نحن العبرانيين. وان صيغة الاسماء عندهم تختلف عما هي عليه في لغتنا، اذ ليس لهم سوى صيغة واحدة للاسماء تنتهي جميعها الى شكل واحد، مثال ذلك نوح، فهم يلفظون نونوس، وهذه الصيغة تشمل كافة الاسماء لدى اليونان .

واستناداً الى مثل هذه الشهادات الواردة في الكتب الموثوق بها، نستطيع أن نعرف، أن اسماء جميع الملوك الذين قاموا في هذه المنطقة من كلدان واشوريين هي سريانية، وقد غيرها اليونان الذين سيطروا فيما بعد على آسيا. وفي وقت مناسب، سنتحدث عن فقدان الاسماء السريانية من الاسفار الآلهية .

ولترجعن الآن الى عهد سنحريب لنرى ما الذي كتب عنه. يقول الكسندر فولسطور عن سنحريب ونبوخذنصر مايلي: «لقد خلف سنحريب بول اخاه، فجاء بعزم الى بابل وانتصر عليها واصطادسرنيليبوس حيا وارسله الى آشور. ولما سيطر على البابليين، سلط ابنه اسور دنيسوس عليهم فاباد معظمهم، واقام له تمثالاً هناك تذكاراً لانتصاره، ودون الاحداث باللغة الكلدانية، وبنى مدينة طرسوس على طراز بابل وسماها ترشيش، وعاش ١٨ سنة بعد عودته الى بلاده، حيث قتله ابنه وتولى الحكم مدة ٨ سنوات، وخلفه ساموغيوس لمدة ٢١ سنة، ثم اخوه ٢١ سنة ايضا، ثم حكم نبوخزنصر مدة ٢٠ سنة، وخلفة بوندونو سورس. وأن مجموع السنين من سنحريب حتى نبوخذنصر ٨٨ سنة. يقول يوسيفوس: اذا بحثت في كتبنا العبرية بامكانك أن تجد اخبار الفترة مابين حزقيا ويوياقيم الذي غزاه نبوخذنصر. ويقول عن نبوخدنصر مستشهداً بكتاب قديم: لما سمع ابو بلاصر والد نبوخذنصر بأن سطرافيس الذي كان يتولى الحكم على مصر وسورية وفينيقية قد تمرد، ولم يكن بامكانه أن يقاتل، اوعز الى ابنه نبوخذنصر البالغ ملء القامة، فجمع شتات جيش وارسله الى المتمرد فقبض عليه، واعاد تلك البلدان تحت سيطرته. وفي غمرة هذه الاحداث، مرض والده وفارق الحياة بعد حكم استغرق ٢١ سنة، ولما علم نبوخذنصر بذلك، نظم الامور في سورية ومصر ويهوذا وفينيقية وامر بسوق المسبيين الى بابل، واسرع الى البرية مع نفر قليل وتدارك الامور التي يديرها الكلدانيون، وبعد تسلمه زمام الحكم أمر باسكان المسبيين، وزين هيكل بيل من غنائم الحرب، وجمّل المدينة القديمة وتلك

التي اضافها اليها حديثاً، وبنى ثلاثة اسوار عالية للمدينة الداخلية وثلاثة للحديثة من اللبن المشوي والكلس، لمنع المقاتلين، مواطنين كانوا ام غرباء من فتح مياه النهر اليها، وحصنها باحكام وزخرف مداخلها، واضاف الى القصور الملكية قصوراً اخرى، يطول الشرح لو اردنا أن نتحدث عن ارتفاعها وجمالها. وسحب رافد أرمفليس من نهر الفرات، وحفر بحيرة محيطها ٤٠ ذراعاً، وعمقها ٢٠ باعاً، وجعل لها بوابة لسقي السهول. كما سحب قناة من البحر الاحمر. وبنى مدينة طرايدون في مدخل العربية، وجمّل القصر الملكي بالاشجار والحدائق التي اعتبرت احدى عجائب الدنيا السبع.

وبعد حديث مطول يقول: لقد بدأ بنوخذنصر اقوى من هرقل. فقد غزا بلاد النوبة وايبريا ودمرها، وجلا اهل الجنوب عن طريق البحر، وقال متباهياً: «اليست هذه هي بابل العظيمة التي ابتنيتها لمجدي» كما جاء في سفر دانيال. ويقول الكلدانيون: لما صعد الى القصر الملكي أمسك به أحد الآلهة. فقال: ايها البابليون ها اني اخبركم، أنا نبوخذنص، بما سيلحق بكم من ذل. وقد اعتبروا الشيطان الذي دخله آلها .

نكتفي بهذا القدر اليسير من كتاب فولسطر ويوسيفوس لئلا ندخل في متاهات. لان هدفنا هو اظهار أن الدولة التي كانت تستعمل لغتنا وكتابتنا امتدت حتى عهد كورش الفارسي. واليها يشير ديونيسيوس التلمحري بقوله: لقد تنازع الاخوان قورس وقيليكوس في اثناء غربة بني اسرائيل في مصر، فرحل قيليكوس الى المنطقة التي داخل الجبل المعروف اليوم «بالاسود»، وباسمه دعيت قيليقية. ومكث قورس في المنطقة الواقعة غربي الفرات، وباسمه دُعيت سورية، وقسمت على العديدين، وقام فيها عدة ملوك يلقبون بالملوك السوريين، حتى أن ملوك الرومان دُعوا هم الآخرون سوريين. فقد جاء في الترجمة السبعينية، أن هدد ملك السريان سيطر على السامرة، وأن عبيد ملك السريان قالوا

لسيدهم: أن آله اسرائيل هو آلـه الجبال. وقـال ملـك اسـرائيل لعبيده، أمـا تعلمون أن جلعـاد هـي لنـا ونحـن لا نحـرك سـاكنا لاعادتهـا مـن ملـك السريان؟ فمن هنا يبدو أن سورية تقـع فـي الغـرب مـن الفـرات، وأن كـل الذين يتكلمون لغتنا الارامية يسمون سرياناً لانهم جـزء فقـط. اما البـاقون فقد استوطنوا الى الشرق من الفرات، اي في شاطئ الفرات حتى فارس .

قام في هذه المنطقة عدة ملوك. ففي آثور قام بيل ونينوس وعقبهم آخرون، وفي بابل، نبوخذنصر الذي تكلم اللغة الارمية مع السـحرة الذيـن استقدمهم ليفسروا الحلم. وفي الرها قام ملوك من آل أبجـر، ومـن العـرب الملوك الذين من آل سـنطروق. لقـد نوهنـا بهـذا لنـبرهن علـى أن سـكان غربي الفـرات يدعـون سـرياناً رسـمياً، وأن الرهـا هـي أصـل اللغـة، وأن لاصحة لادعاء بعضهم بعـدم قيـام ملـوك مـن هـذا الشـعب. فقد ظهـر أن ملوك الكلدانيين والاشوريين كانوا من هـذا الشـعب الـذي دعـي «الشـعب السـرياني» ومجموعهـم ١٩٤ عشـرة منهـم قبـل الطوفـان، و٧٦ بعـد الطوفان، و٤٠ ملكاً بعد الماديين، ومن نينوى ٤٥، وقـام بعـد الفـرس ٢٣ من آل سنحريب ونبوخذنصر. بعد أن جمعنا هذه الاسماء من الكتب بقـدر المستطاع، علينا أن نوضح الآن سبب غياب هذه الاسماء من كتابنـا هـذا. ودونك ذلك .

لقد قضت دولة الفرس التي اسسها كورش على الدول السابقة، ثـم دالت هي الاخرى على أثر مصرع داريـوس مـن قبـل الاسـكندر. وكـانت شعوب آسيا قد خضعت للفرس طيلة فترة حكمهم الذي امتد ٢٣١ سنة، ثم اضاف الاسكندر فترة آل سلوقس وانطيوخس الذيـن لقبـوا بملـوك سـورية والتي امتدت ٢٢٠ سنة، حتى قيام مملكة الـروم فـي غـايوس واغسـطس. وفي هذه الحقبة اشرق المخلص يسوع ابن الله. وبذلـك يكـون الملـوك قـد انقرضـوا من شعبنا مدة ٥٠٠ سنة. ولما انتشر تعليم الانجيـل وتلقفـه هـذا الشـعب بلهفـة، نبـذوا كافـة الكتـب الـواردة فيهـا اسـماء ملوكهـم الاوليـن:

واحرقوا، بدافع الغيرة الآلهية، تلك الكتب المتضمنة اخبار هؤلاء الملوك، والتي كانت متداخلة مع جداول اسماء الملوك الاخرين في جداول فترات حكمهم، او واردة في بعض قصص وثنيتهم الشيطانية. لذا غضوا الطرف عنها كما يغض المرء وجهه عن رائحة كريهة واحرقوها بالنار لئلا يتذكرها ابناؤهم والاجيال اللاحقة. يذكرنا بهذا سفر اعمال الرسل القديسين بقوله: «كان الذين يؤمنون، يأتون بكتب ابائهم التي كانت اثمانها باهظة ويحرقونها امام أرجل الرسل» (١٩) وقد فعلوا هذا في عدة اماكن ولعدة اجيال بعد اشراق المخلص، حيث اعتاد الاباء أن يحرقوا كل ورقة فيها ذكر للوثنية واخبار عن الهتها. وهذا سبب غياب اسماء الملوك الوثنيين من كتبنا، قد اتبع اباؤنا المسيح الاله وكفروا بضلال الوثنية. وهذا ايضا ما جعلهم أن يعتبروا قسطنطين الظافر اول ملك مسيحي، لانه آمن واعتمد باسم المسيح، ومن ثم الملوك المؤمنون الارثوذكس الذين جاءوا بعده. اما الذين انحرفوا عن الارثوذكس فاعتبروا دخلاء. وبناءً عليه، نحن لا نفتخر بدولة علمانية، بل بمملكة المسيح التي ليست من هذا العالم.

كتبت هذا ردا على اليونان المتعجرفين المتبجحين الذين اذ رأوا ان اباءنا القديسين قد ابتعدوا عنهم لابتعادهم عن المسيح، حاولوا أن يغروا بالبسطاء بثرثرتهم وهذيانهم، وقولهم بعدم قيام ملك من شعبنا، وهم يعتبروننا منفصلين عنهم لعدم وجود رئيس لنا، وأن كل ما يوجد هنا اقتبسناه من كتبهم لكونهم لم ينبذوا الوثنية بصورة تامة. ويشهد القديس غريغوريوس اللاهوتي، بانهم اقتبسوا سير آبائهم الوثنيين من تلك الكتب. وقد برهن اوسابيوس من كتبهم على صحة ما كتبنا، كما أيد يعقوب الرهاوي، بانهم استناداً الى كتبهم، قيام ممالك قوية من هذا الشعب، قهرت كل ممالك ذلك الزمان. واليوم، في الوقت الذي ننبذ ضلالهم، نتمسك بالمسيح ملك الكل، ونسأله أن يشمل بالنعمة البطريرك ميخائيل جامع هذا الكتاب، ويرحم كل من يقرأ او ينسخ، ويذكرني بالصلاة وليتقبل هو الآخر نعمة ربنا وغفران الذنوب آمين .

ندرج ادناه اسماء الملوك ورؤساء الكهنة الارمن، كما هي مدونة في كتبهم

بعد المبشرين برثلماوس وادى، قام على التوالي: كريكور ٣٠ سنة، رسطاباس سنة واحدة، ساهاك ٥ سنوات، زافين ٦ سنوات، اسفرجس، ساهاك بالهب ٥ سنوات، سورماك سنة واحدة، ففوان ٦ سنوات، صموئيل ١٠ سنوات، موسى ٨ سنوات، ساهاك ٥ سنوات، خسروف ٦ سنوات، لابون ٣ سنوات، نرسس ٩ سنوات، اوهانيس ١٧ سنة، موكسس ٣٠ سنة، ابرهام ٢٣ سنة، اوهان ٢٦ سنة، جوميداس ٨ سنوات، خريسطفور ٣ سنوات، ازار ١٠ سنوات، نرسيس ٥ سنوات، انسطاس ٦ سنوات، انائيل ١٠ سنوات، ساهاك ١٧ سنة، اجيا ١٣ سنة، ابهانس امانازسر ١١ سنة، تافيت ١٣ سنة، درتاد ٢٣ سنة، سيون ٨ سنوات .

أن الرب ولد في بيت لحم في السنة الاولى لابجر بن ارشم الملك، وهي السنة الـ ٤٣ لاغسطس، والـ ٣٣ لهيرودس، واعتمد في الثلاثين من عمره، وتألم وهو وهو ابن ٣٣ سنة، واذ علم ابجر بسر الآمه، ارسل اليه حنانيا فهوني، يرافقه عشرة آخرون، ولدى وصوله الى القدس التقى بفيلبس أحد التلاميذ فشرح له سبب مجيئه فقصه لاندراوس، وكلاهما نقلاه الى يسوع. وقد كتب يوحنا أن أناساً جاءوا الى القدس يطلبونأن يروا يسوع، فاخبر اندراوس وفيلبس يسوع، فاجابهما يسوع قائلا: «قد أتت الساعة ليتمجد ابن الانسان»، فهو يدعو الالام والصلب الذي به صار الخلاص للبشر، مجدا. ولم يشأ أن يذهب الى ارمنيا، لكنه رحب بحنانيا فهوني رسول ابجر، واوعز الى توما الرسول ليكتب جواباً لابجر، ووعد بارسال احد تلاميذه اليه بعد قيامته ليشفيه .

لقد سبق زكريا النبي ورأى هذا السر بعين النبوة، فاشار الى رسول ابجر والرجال العشرة الذين ارسلهم معه عند الرب بقوله « في تلك الايام يمسك عشرة رجال من جميع السنة الامم، يتمسكون بذيل رجل يهودي قائلين نذهب ... ٨». عاش ابجر بعد الآم الرب خمس سنوات. وأن مجمل فترة حكمه ٣٨ سنة، وتولى الحكم بعد ابجر ابن خاله سنطروق مؤسس نصيبين مدينة بين النهرين على نهر الفرات، وبعد انجازها امر أن يضع له تمثال ويوضع على سورها، وهو يمسك بيده درهما اشارة الى أنه لم يبق له بعد بنائها سوى درهم واحد. وهو الذي قتل الرسول تداوس في منطقة ادار. بعد سنطروق تولى الحكم اربند من نفس العشيرة وهو ابن ارسجوني من امرأة غير شرعية، وقد حكم ٢٠ سنة. وهو الذي قتل سنطروق، وبتحريك من الله، انتقاماً لدم أحد الرسل .

أن شخصاً يدعى كيد بكردوني أخذ صبياً من آل سنطروق يدعى ارشوك وهرب عند نارش ملك الفرس، وقدمه اليه، باعتباره ابن سنطروق، الذي نجا بعد مقتل اخوته، فتوّج الصبي واعطي كيد سبعين الف مسلح وارسله لمحاربة اربند، فقتله واخذ تاج سنطروق ووضعه على رأس ابن ارشوك. ودعوا ذلك المكان اربند ابند. وفي السنة العاشرة لاربند هذا، خربت اورشليم على يد وسبسيانس. وبعد اربند حكم ارشوك مدة ٤٠ سنة، وكان قد تزوج ابنه ملك الالنيين، وقد رافقها القديس سبياسينوس، حيث كان قد آمن واعتمد على يد سفياس تلميذ تداوس الرسول. وفي ايامه ظهر قديسون يعرفون بـ «بازاك» من آكلي العشب، ونال جميعهم اكليل الشهادة. بعد ارشوك حكم ابنه ادرسبد مدة سنتين، الذي يثرثر الارمن حوله كثيراً. من ذلك قولهم: أن جبابرة يعرفون بـ «كاشير» اخذوه الى جبل ماسيس وكبلوه بالسلاسل، وحاول التخلص منها ليعبث في الارض فساداً، لكن سلاسله كانت تتجدد بضربات مطارق الصياغ فيتعذر عليه الافلات. بعضهم بقولهم عنه: بينما كان يسير على جسر ارسك تعثر وسقط ولم يعثر على جثته، فاشاعوا انه مازال حيا حتى

اليوم. وخلفه اخوه طيرد مدة ١٧ سنة، فاخوه الآخر ديكران ٤٥ سنة، وخلفه ابنه بفرش ١٨ سنة، ثم ابنه كسرى ٤٨ سنة، وقد قتله اردشير ملك الفرس وتولى حكم الارمن مدة ٢٦ سنة. وبعد الفرس تولى الحكم درتاد بن خسروف ٥٦ سنة. وفي سنته الـ ١٦ وهي السنة الـ ٢٠ لدومطيانس، والسنة ٤٦٠ لآلام المخلص، خرج القديس غريغوزريس من بيراب وبشر الارمن مدة ٣٠ سنة وانتقل الى الرب. وخلفه ابنه الصغير رسداكس الذي بنى كنيسة اجيا صوفيا الكبرى في كاكج كويزان، لكنه قتل من قبل زعيم يدعى اربغابوس لانه كان ينتقد اعماله الشريرة. ثم قام براتنس الابن الاكبر لغريغوريوس مدة ١٧ سنة، ناصبته العداء امرأة تدعى ساتال ديغناس ديجين لتوبيخه اياها .

بعد درثاد حكم ابنه الصغير خسروف ٢٠ سنة، وبنى مدينة في سفح جبل يدعى كاجم على نهر ازاد وسماها باللغة الفارسية تبين اي فلار. وفي سنته الـ ١٦ رسم حفيده من ابنته، اوسيج جاثليقاً للارمن ٦ سنوات، وخلف خسروف ابنه ديران ١٥ سنة، وحيث أن الجاثليق اوسيج كان يوبخه، امر بجلده حتى فارق الحياة، ولما سمع الخوري دانيال احد تلامذة غريغوريوس، لعن الملك وكل ما يملك، فأمر الملك الخبيث بحرقه، ثم رسم فريرسا وهو رجل هادئ ووديع جاثليقاً، وبعد اربع سنوات قتله الملك. واخيراً قبض ملك الفرس على ديران وسمل عينيه، وهكذا اسلمه الرب بيد اعدائه نظرا الى شره، لقتله جاثليقين وتحطيمه الارمن .

تولى الحكم بعد ديران، ابنه ارشك ٣٠ سنة وهو الذي قتل ابن اخيه كنال بسبب امرأة تدعى فرنازيم. وفي سنته الرابعة رسم للارمن جاثليقاً هو ابن اثنابينا بن اوسيج بن غريغوريوس. جلس على الكرسي ٣٤ سنة، ولعن الملك ارشك لقتله ابن أخيه واخذه زوجته، كما لعن العنصر الامني لكي لا يقوم منه ملك. واحتجاجاً على ذلك ترك كرسيه ورحل الى بلاد اليونان. ثم دعا ملك الفرس ارشك. ملك الارمن، فلما

ذهب كبله بالاغلال واعتقله، فانتحر ارشك هناك بحسب بنوّه الجاثليق نرسيس، فعين ملك الفرس شخصاً فارسياً يدعى مهرجان رئيساً ارمينيا، فالتمس الجاثليق نرسيس من ثاودورسيوس الكبير ملك الروم، فاعطاه جيش ارشك المعتقل فقاده ابنه أباب وانتصر على مهرجان وتولى الحكم مدة ٧ سنوات .

في هذه الفترة بنى ثاودوسيوس مدينة في ارمنيا بواسطة انطوليوس قائد جيش الروم الذي رافق اباب وسمى المدينة كارنوكاجاخ، ثم اعطاها اسم الملك فدعيت ثاودوسيوبوليس. لقد سلك اباب سلوك والده الشرير، ولم يحجم الجاثليق نرسيس عن توبيخه، فخشي أن يلعنه كما لعن والده ويضطر للرحيل عند اليونان. فقتله مسموما، فحرم باسيليوس الكبير اباب وقرر عدم رسامة جاثليق للارمن من كرسي قيصرية. لان جثالقة الارمن كانوا يرسمون حتى ذلك الحين من ابرشية قيصرية. وقد لاحقت لعنات باسيليوس اباب كالسهام. فقبض عليه انطوليوس وذهب به الى الملك ثاودوسيوس فأمر بطرحه في البحر كما قال موبسس برتاجاهير (ذو الكلام المنصف). وتولى الحكم بعد اباب بارزطن ارشاكونيان ١٠ سنوات. وكانت توليته بأمر الملك ثاودوسيوس حيث كان رهينة لدى الروم .. في هذه الفترة رسم ساهاك جاثليقاً للارمن دون أذن مطران قيصرية. وخدم ٦ سنوات، ثم خلفه اخوه زافن وخدم هو الآخر ٦ سنوات، وخلفه اسيفوراج ٥ سنوات .

بعد فاراستاد، تولى الحكم ابنا اباب، ارشك وباجرشك ثم حكم خسروف ارشكوني بأمر ملك الفرس، لان الارمن تمردوا على الروم مرة اخرى، وامتد حكمه ١٠ سنوات. وفي سنته الثانية، ارتسم للارمن جاثليق ساهاك بن نرسيس الكبير لمدة ٤١ سنة. بعد خسروف، تولى الحكم فرشابوه بأمر ملك الفرس ٢٢ سنة. وفي عهده تمكن الارمن من تهذيب خطهم بواسطة الطوباوي مسروب من قرية هاسجاس من منطقة طارون،

فنسخت به الكتب من قبل ساهاك، وخلف فرشابوه ابنه اردشير ١٠ سنوات، واذ كان سلوكه شائنا، اجتمع زعماء الارمن لدى الجاثليق ساهاك وطلبوا اليه أن يرافقهم الى ملك الفرس لكي يخلعوا ملكهم ويقيموا آخر، فرفض قائلا: حاشاي أن اسلم غصن المسيح بيد ذئب لا آله له، فغضبوا عليه ايضا وتوجهوا الى فرشابوه ملك الفرس ووشوا بملكهم وجاثليقهم، فقبض على اردشير واعتقله وارسله الى كوجصطن، وعزل ساهاك من الجثليقة. وبناء على طلب زعماء الارمن اقيم لهم رجل سرياني يعقوبي يدعى ابتيعا، مكار مخادع لم يدم سوى سنة واحدة، فخلفه صموئيل من العنصر نفسه وتوفي بعد سنتين، ثم قام شخص أرمني يدعى سورماك انضم الى الزعماء في الوشاية ضد الطوباوي ساهاك، وهو الاخر أُقيم بأمر ملك الفرس وتوفي بعد ٧ سنوات، كما توفي ساهاك أيضاً في قرية اشدشا بمنطقة طارون، وتوفي كذلك الملك خسروف. ثم اقام لهم الارمن شخصاً يدعى سبرابير، وكان اسمه ورطان من آل ماميكون، وهو حفيد القديس ساهاك .

جاء في سيرة الملفان اليشاع أن الارمن كانوا يخضعون للفرس احياناً، واحياناً أخرى يتمردون عليهم، كما سبق وتمردوا على الروم. اما ورطان فسار مع زعماء الارمن بالمحبة والوفاق مدة ٣٠ سنة، واستشهد في سبيل الكنيسة على يد جيش الفرس. وفي عهده رسم للارمن الجاثليق يوسف احد تلامذة مسروب الشهيد ولمدة ٨ سنوات، ثم خلفه كيد ١٠ سنوات، وفي ايامه اشتهر في الشعب الارمني كل من العلماء. موسيس بن تاكوهي واخيه ممسبرا بزنوك، والفيلسوف تافيت. وخلفه اوهان منكوني ٦ سنوات وهو الذي وضع طقوساً كثيرة في الكنيسة الارمنية، كالمواعظ التي تتلى خلال صلاة النهار والمساء، وطقس العماد وطقس رسامة الاساقفة والكهنة والشمامسة، وتقديس الكنيسة، وطقس الاستعداد لتقديم القربان. وفي أيامه عقد مجمع خلقيدونية فلم يوافق عليه. ثم قام فافكن ٦ سنوات .

خلف القاضي ورطان ابنه منغانوس ٢٠ سنة، فخلفه ابنه فاهان ١٥ سنة ثم ابنة أخيه ١٢ سنة، ثم مكاكبوني ٣٠ سنة. وفي السنة العاشرة وهي السنة ٧١٠ يونانية، والسابعة لفيلبس قيصر، والـ ١٤ ليوسطنيان الذي شيد كنيسة اجياصوفيا الكبرى، والسنة ٢٥٨ لغريفوريوس المنّور الارمن وضع تاريخا للارمن .

ثم قام الجاثليق صموئيل ١٠ سنوات، وخلفه موس ٨ سنوات،ثم ساهاك ٥ سنوات، ثم الفيلسوف خريسطفور ٦ سنوات، ثم ليون ٣ سنوات، ثم نرسيس ٩ سنوات، وهو الذي عقد مجمعا في سنته الرابعة في تبين وترأسه كل من بطرس ايسيونياس، فرشابوه، سرابيون، اكتيكو، وساناسون. وفي نفس الفترة عقد السريان مجمعا في مابين النهرين، وارسلوا الى مجمع الارمن وفداً مؤلفاً من سبعة رجال بارزين يحملون رسائل تتضمن تحديد الايمان الارثوذكسي بما في ذلك استعمال عبارة «يامن صلبت لاجلنا» بعد عبارة «قدوس انت الله». فلما اطلع عليها الارمن اتفقوا مع السريان وصارت عقيدتهم واحدة. وهذه اسماء الرجال الذين ارسلهم السريان: هرون كاهن الدير، تافيت كاهن الدير، مورديب، شافوريس، آكوب، ارستابوني، القس تافيت، القس سركيس. كما ارسلوا معهم صفي الله القديس ابديش ليرسموه كاهناً. وعربوناً للمحبة فقد رسمه نرسيس رئيس المجمع واعاده مكرماً ومحملاً بالهدايا، وحملوه رسالة تتضمن صورة ايمانهم. فلما اطلع عليها السريان فرحموا جدا، واتفق الجانبان على حرم مجمع خلقيدونية وطومس لاون .

بعد ماكبوني تولى السلطة في فارس كابد بن بارز. وفي هذه الاثناء أرسل المرزبان الفارسي شخصا يدعى ارتنشابوه الى الارمن ليرغمهم على عبادة النار، وقتل الذين رفضوا، واستمر حكمه ٨ سنوات، ثم خلفه فارتاد، وهو فارسي ايضا، ٧ سنوات. ولما توفي كابد ملك الفرس، تولى الحكم ابنه خسروف وعين هو الآخر مرزبان من ابناء

جنسه الفارسي كان اكثر شراً من الاول، حيث كان يغتصب نساء زعماء الارمن امام ازواجهن، فغار ورطان باتشك الارمني وقتل الفارسي وهرب لدى يوسطنيان ملك اليونان، فرحب به، وحيث أن كنيسة اجياصوفيا كانت قيد التشييد في تلك الاثناء، اطلق اسم الارمن على أحد ابوابها ولا يزال حتى الان يدعى باب الارمن. ثم اختار الفرس ارمنيا من آل ساروني واقاموه رئيساً على الارمن. وفي سنته الـ ١٢ ظهر محمد بن عبد الله، وبه ابتدأت دولة العرب، وهي السنة الـ ٧٢ بالنسبة الى القتويم الارمني، لقد استمرت رئاسة تافيت على الارمن ٣٠ سنة، ثم خلفه ثاودوسيوس رشيدباني ١٣ سنة .

رسم في هذا الوقت اوهانيس جاثليقاً ٢٧ سنة وخلفه موسى ٣٠ سنة، ابراهيم ١٣ سنة. وفي عهد قبل قيورون جاثليق الايبريين مجمع خلقيدونية وانفصل الايبريون عن الارمن .. في هذه الفترة هزّم الفرس اليونان وسيطروا على مدينتي جاروباجك وجدرشي. ثم الجاثليق اوهان، لكن اسمه لا يدرج في الجدول لانحرافه الى الخلقيدونيين وطرده. ثم قام كوميداس ٨ سنوات الذي بنى استراحة الشهيدة هربسيمي، وجدد تلك التي كان قد بناها غريغوريوس، ثم خلفه خريسطوفور ٣ سنوات، وعزل لتسببه في نزاع بين الرزعماء، فخلفه ازاد ١٠ سنوات، وفي عهده اي في السنة ١٠٠ للتقويم الارمني، زالت سيطرة الفرس على الارمن، بسيطرة العرب على ارمنيا وايبريا على يد عمر بن محمد. قام بعده نرسيس ٢٠ سنة. وقد بنى كنيسة مار غريغوريوس الكبرى في مدينة تشدي، ودعا قسطنطين ملك اليونان حفيد هرقل لحضور تقديسها. وحيث أن الملك لم يحترم الزعماء مثلما كانوا يتوقعون، نحوا الجاثليق نرسيس بعد مغادرة الملك بحجة أنه سمح بدخول خلقيدوني الى الكنيسة وتدنيسها. فلعن نرسيس زعماء الارمن وهرب الى بلاد الروم وتوفي هناك، فخلفه انسطاس ٦ سنوات. وفي عهده عمل الاستاذ انياني شيركاسي تقويماً للارمن، لانهم كانوا يستعملون تقويم اليونان حتى ذلك العهد. وبرز فيلون

ديراكسي الذي نقل كتاب سقراط من اللغة اليونانية الى الارمنية. قام بعده ايل ١٠ سنوات، وبعده ساهاك ٢٧ سنة وتوفي في حران فخلفه ايليا ١٣ سنة، ثم اوهانيس ١١ سنة، الذي عقد مجمعاً في ماكيرد .

أما بالنسبة الى الرؤساء، فقام بعد ثاودورسيوس رشدوني، همازازب، جورابكد، ماميكون، وتم تعيينه من قبل العرب، وحكم ٢٦ سنة، ثم خلفه كريكور برديج ٢٠ سنة، ثم اشور بكروني ١٧ سنة، ثم نرسيس جمسراجن ٢٠ سنة، ثم كيد بكروني ٢٠ سنة، ثم اشود بكروني بن باساج ١٨ سنة، ثم ابنه كيد ١٢ سنة .

اما بالنسبة الى ررؤساء الكهنة. فقد خلف اوهانيس الفيلسوف تافيت ١٣ سنة، ثم درتاد ٢٣ سنة، ودرتاد آخر... ثم سيمون ١٢ سنة، فاشعيا ١٣ سنة، ثم سدفنوس، سنتان، كيورك ٣ سنوات، يوسف ١٠ سنوات، زوباف ٦ أشهر، سليمان، سنتان، داود ٢٥ سنة، اوهانيس ٢٢ سنة، وفي عهده عين ماموبج اميراً للارمن في السنة الرابعة للتقويم الارمني، ثم زكريا الرجل الطيب ٢٢ سنة، كيورك ٢١ سنة، مشدوز الذي تنسك منذ صباه، قضى في الجثليقة ٨ أشهر فقط، اوفانس ٢٩ سنة وفي عهده تولى الحكم في ارمنيا كيد ابن اشود الارمني، ثم خلفه ابنه اشود الملقب بـــ «مساجير» اي آكل اللحم ٢٥ سنة. لقد اشترى بالمال منطقة ارشاجونيس من قبيلة جمسرخباس وغيّر نظام الحكم فيها، ثم تولى الحكم ابنه كيد المدعو ابلابس ٣٠ سنة. وكان في صباه قد أخذ رهينة الى السامرة في عهد اشدين وهمارا، وبعد أن تحرر، جاء وتولى الحكم في ارمنيا، ثم خلفه ابنه اشود ٢٠ سنة، بأمر عيس بن حشاك وبموافقة باسيل ملك اليونان، ثم خلفه ابنه كيد سنة ٣٣٩ بحسب التقويم الارمني، بايعاز من الامير احمد بن حشاك العيس وبامر لاون ملك اليونان، امض في الحكم ٢٢ سنة. وفي عهده وعهد والده اشود تمتعت ارمنيا بالاستقرار. وفي سنته الـ ٢٢ وهي ٣٦٨ بحسب التقويم الارمني، جاء الى ارمنيا

الامير يوسف بن بوشيج العربي على رأس جيش عرمرم، وتحالف معه ادوكرسا ملك اليونان وبخيج رئيس بسيوراجين واشود بن شابوه، وحاصروا كيد في منطقة تدعى جابويد، ثم احتلها وصلب كيد وسبى الارمن، واستحقوا اللعنة التي نطق بها النبي بحق بني اسرائيل .

لقد عثرنا على هذه الاخبار في كتاب ارمني يبتدئ من سنة ميلاد المخلص بالجسد حتى سنة ٣٦٠ بحسب التقويم الارمني، التي فيها قُتل كيد وسيطر العرب. ومجملها ٩٧٠ سنة، ومنذئذ لم يقم لهم ملك .

أسماء ملوك الارمن وعدد سنين حكم كل منهم

١- ابجر ٣٨ سنة
٢-سنطروق ٣٠ سنة
٣- اركاند ٢٠ سنة
٤- اردشاس ٤٠ سنة
٥- ارطابست ٢ سنة
٦-ديران ١٧ سنة
٧-ديكران ٤٥ سنة
٨-باعزرش ١٨ سنة
٩-خسروف ٤٤ سنة
١٠-بارسيجس ١٦ سنة
١١-فوبرخسروف ٧ سنوات
١٢-درتاد ١٦ سنة
١٣-ديران ١٥ سنة
١٤-ارشاك ٣٠ سنة
١٥-بربي ١ سنة
١٦-براستد ١٠ سنوات
١٧-ارشاك باجرشاك ٢٤ سنة
١٨-خسروف ١٠ سنوات
١٩-برمشابوة ٢٢ سنة
٢٠-اردشيس ١٠ سنوات

الى هنا انتهى عهد الملوك وقام رؤساء عرفوا بـ «المدبرين»

٢١-ورطان ٣٠ سنة
٢٢-مانكنوس ٢٠ سنة، في عهده اجتمع اليونان في سائر بلاد الارمن ونبذوا مجمع خلقيدونية وذلك في ايام زينون وانسطاس ملكي الرومان.
٢٣-باهان ١٥ سنة
٢٤-بارت ١٢ سنة
٢٥-ماكسنوني ٣٠ سنت

هنا انتهى عهد الرؤساء الارمن، فترأسهم ولاة فارسيون يسمون «مرزبانات» اي قضاة

٢٦-ارتنشابو ٨ سنوات
٢٧-بارزبا ١ سنة
٢٨-سوران ١ سنة، هنا قام رؤساء أرمن
٢٩-تافيت سهروني ٣٠ سنة
٣٠-ثاودوسيوس رشدوني ٢٤ سنة
٣١-همازاز كواشنج ٢٥ سنة
٣٢-كريكور ربدريج ٢٠ سنة
٣٣-اشود بكردوني ١٧ سنة
٣٤-نرسيس كمسرانك ٢٠ سنة
٣٥-كيد بكردوني ٢٠ سنة
٣٦-اشود بكردوني ١٨ سنة
٣٧-ابنه كيد ١٢ سنة

هنا ايضاً عاد عهد ملوك الارمن

٣٨-اشود مساكير ٢٠ سنة
٣٩-كيد فلافس ٣٠ سنة
٤٠-ابنه اشود ٤٠ سنة
٤١-ابنه كيد ٢٢ سنة. بعد مقتل هذا لم يقم ملك او مدير من الارمن، حيث سيطر ملوك وامراء عرب على ارمنيا الكبرى، وعقبهم امراء اتراك حكموا ارمنيا الكبرى حتى يومنا هذا .

(نقص خمسة عشر سطر)

١٦-صموئيل من فازيون من قرية ارزوحا ١٠ سنوات
١٧-مار موسى من قرية الغريز ٥ سنوات
١٨-مار اسحق من قرية اغابيج ٥ سنوات
١٩-مار خريسطفور من قرية بكرانيط ٦ سنوات
٢٠-مار لاون من قرية ارسد الصغرى ٣ سنوات
٢١-مار فرنسيس من قرية مجدل ٧ سنوات
٢٢-مار اهانيس من قرية ساجايان ١٧ سنة
٢٣-مار قلوسوس من قرية ارباد ٣٠ سنة خلال فترة حكمه اوعز بوضع تاريخ بشكل تقويم على غرار مافعله الارمن في ايام ماكنون .
٢٤-ابراهيم الاركادوني من قرية اغاش ١٣ سنة

في عهده هدأت الاضطرابات في منطقة نفوذ الارمن، والغوا تقاليد الروم استعداددا لقبول مجمع خلقيدونية، وكان جاثليق الايباريين آنذاك، قونيون الذي سبب انشقاقا

٢٥-مار اوهان من كوقمطا ٢٦ سنة لقد اقام اوهان جاثليقاً ارمنياً في ايام الجاثليق ابراهيم، وأعد دار رعاية لاوهان في قواداس بقرية نابان .

٢٦-مار كومرادس من قرية اغسي من عائلة هروفسيكي ٨ سنوات
٢٧-مار خريسطفور من بيت محّرة مار ابراهيم ٣ سنوات
٢٨-ازرينج من قرية فارزناغيرد الذي تربى في دار الجثليقة ١٠ سنوات
٢٩-مار نرسيس

هناك امور أخرى كان يجب أن تُدرج مع هذا الخبر، غير أني لـم استطع نقلها لانها كانت مخرومة من أولها وأخرها

يذكر يعقوب الرهاوي قيام تسعة ملوك من الشعب الارمني قبل دولة الفرس الاخيرة، اي قبل مجيء الرب، وهم

كسرى، ودرتاد، وكسرى، وطيران، واشاك، وفاق، وأورسط، واشاك، وبلاشك. وامتد حكمهم حتى قيام الملوك المسيحيين، وكان ملوكهم يتحالفون مع الملوك المؤمنين بعد اعتناق الارمن المسيحية. وغير أن ملوك الفرس فرضوا نفوذهم عليهم، ولم يسمحوا حتى بقيام ضباط منهم. هذا ما قاله الملفان مار يعقوب .

أما الارمن فيدعون أن اشاك وهو أحد ملوكهم، هو الذي قتل الملك انطيوخس وسيطر على سورية والقدس وسائر فلسطين وآثور وبابل، وملأ المحيط سفناً، واجتاز الى الغرب ودمر بلاد ايطاليا وسيطر على رومية، واقام تمثالين بين جبلين يستخرج منهما الذهب. ولما عاد من هناك وجاء الى مناطق اليونان، ضرب عمودا رخامياً برمحه فثقبه. فلما رأى ذلك حكماء اثينا قالوا: لا بد ان يكون رأس تلك الرمح ملطخاً بدم تنين سام فثقبت تلك الصخرة الصلدة. وقد سبى اشاك هذا جزيرة الايياريين وجاء بشعبها واسكنهم بين الجبال الشمالية ليكونوا عبيداً للارمن، وهؤلاء هم الذين يعرفون اليوم بالايياريين. وبعد أن حكم ٣٠ سنة توفي في نصيبين.

هذا ما ورد في كتب الأرمن، وهم يعتبرونه حدثاً واقعياً، لكنه أشبه بقصص الكلدانيين.

ندون اسماء جثالقة النساطرة

١- **آقاق:** تهذب في مدرسة الرها مع برصوم ونرساي، حيث درسوا كتب ديودورس وثاودورس في هذه المدرسة الارامية. ولما دخلوا بلاد الروم اتخذوا اولوس تلميذ ثودورس مرشداً لهم. ولدى عودتهم الى المشرق انتُخب اقاق هذا ورسم في المكان المعروف بالمدائن اي المدن. فقد جمع الاساقفة المؤيدين له في العقيدة، منهم برصوم العالم ويوحنا اسقف بيت كرماي، وقرروا عقيدة اقنومين وطبيعتين وجوهرين للمسيح ووحانية الشخص في الابن .

٢- بعد آقاق، ارتسم باباي في المدائن، ودبر ٦ سنوات. واصدر قرارا يقضي بزواج الكهنة اكثر من مرة، كما أقر زواج الجثالقة .

٣- **شيلا:** بعد باباي، قام شيلا اي مطلوب، وكان كاهنا وله زوجة وولد، وارتسم في المدائن، وامتدت مدته ٨ سنوات ومات ودفن فيها .

٤- بعد شيلا، رُسم نرساي لكنه لم يقبل من قبل كافة الشعب، لان رسامته لم تكن بالاجماع .

٥- **اليشع:** ارتسم اليشع خارج المكان المذكور، فنشب نزاع بينهم وانقسموا على اثره قسمين، حرم كل منهما الآخر. ولما توفي نرساي عزل اليشع.

٦- **بولس:** كان اسقفاً لجندسابور لدى انتخابه جاثليقا. وفرضوا عليه تجريد الاساقفة الذين رسمهم نرساي واليشع فجردهم واحد تلو الآخر. وبعد سنة واحدة توفي .

٧- **مار أبا:** ١٦ سنة. مجوسي الجنس، ذو ثقافة مدنية، رسم في السنة السادسة لحكم كسرى انوشروان الذي اثار اضطهاد على المسيحيين. وضع انظمة وقوانين للنساطرة وقرر عدم زواج الجاثليق، وشرح كتب ثاودورس ووسع افاق تعاليمه .

٨-**يوسف:** ١٢ سنة. كان طبيباً حاذقاً في مهنته، اضاف انظمة جديدة للنساطرة. وبعد ١٢ سنة من خدمة نصوح، ابتلي بداء محبة المال، فكان يجمع المال بلا هوادة ويرشي الحكام، ويتقاضى عن الرسامات. فاجتمع الاساقفة وعزلوه فتوفي بعد ثلاث سنوات، غير أن القوانين التي وضعها لم تلغ.

٩-**حزقيال:** ١١ سنة. كان تلميذا لمار أبا واسقف النعمانية، وبعد انتخابه ورسامته، رأس بصورة سلمية مدة ١١ سنة ومات .

١٠-**يشوعياب:** ١٥ سنة. يعرف بالارزوني. ضبط الطقوس. اوفده كسرى ملك الفرس الى موريقي ملك اليونان. في عهده حل غضب عارم في باجرمي، فأدخل صوم نينوى ذا الايام الثلاثة فزال الغضب. وفي ايامه تنصر نعمان بن المنذر.

١١-**سبريشوع:** ٨ سنوات. كان من باجرمي، رسم بتهديد من الحاكم الذي ضرب الاساقفة حتى اقدموا على رسامته وهو شيخ. توفي بعد أن دبر ٨ سنوات .

١٢-**غريغوريوس:** ٤ سنوات. من كشكر، يعرف بابن باباي، ارتسم في المدائن حيث أمض اربع سنوات ومات .

١٣-**يشوعياب:** ٨ سنوات. تزوج في شبابه. ارتسم بتهديد الحاكم في مكه في السنة الرابعة للهجرة، وتوفي بعد فترة. وظل النساطرة دون جاثليق مدة ١٨ سنة نظراً الى تضعضع احوالهم .

١٤-**مار امه:** ٣ سنوات. كان من ازرق وصار اسقفاً لجنديسابور، وبعد انتخابه ورسامته جاثليقاً دبر ثلاث سنوات .

١٥-لدى اجتماعهم، اتفق الاساقفة على أن يُجمعوا على من يتم انتخابه، ومن يعترض يُعزل. وبعد أن أخذ تواقيعهم قال: لقد انتخبت نفسي لاكون حاكماً عليكم فوافقوا مكرهين. لكن ادارته كانت جيدة. فقد لخص طقس القداس المطول جدا والذي وضعه نسطور. ولدى احتضاره اوصى برسامة تلميذه جرجيس الذي ساس فترة وجيزة ومات .

١٦-**يوحنا بن مرتا:** لقي معارضة قوية من الاساقفة، فترك الكرسي بمحض ارادته .

١٧-**حنانيشوع:** وهو المعروف عندهم بالاستاذ. بعد سبع سنين من اقامته جاثليقا، اعطى يوحنا مالاً كثيرا، فقال لحنانيشوع: أن هذا قد سبقك فعليك أن تسلمه العكاز والمصنفة لئلا يموت، فسلمها اليه خوفاً فدخل يوحنا المدائن محاطاً بالمسلحين بالسيوف واجبر الاساقفة على الاعتراف به لكنه توفي بعد فترة وجيزة، ثم لحق به حنانيشوع. وظلوا بلا جاثليق مدة ٢٥ سنة .

١٨-**صليبا:** ١٤ سنة. ابطل المناداة باسم الجاثليق يوحنا ونادى باسم حنانيشوع. وتوفي بعد ١٤ سنة من الخدمة .

١٩-فثيون: ١٢ سنة. كان من باجرمي، خدم في طيرهان كاسقف. وبعد أن دبر الجثلقة ١٢ سنة، توفي سنة ١٢٣ هجرية.

٢٠-**مار ابا:** ١٠ سنوات. يعرف بابن بريخ صبيانا، وهو من كشكر التي تسقف عليها أولا انتخب جاثليقا فخدم ١٠ سنوات ومات .

٢١-**سورين:** كان مطرانا لنصيبين، رشى حاكم المدائن فاكره الاساقفة على رسامته. غير أن وجهاء النساطرة قابلوا الخليفة (سحقي) فاقال الحاكم وعزل الجاثليق .

٢٢-**يعقوب:** ١٩ سنة. بعد أن صار جاثليقاً اعاد سورين الى درجة مطران، ومات بعد خدمة ١٩ سنة .

٢٣-**حنانيشوع:** ٧ سنوات. كان اسقفاً لداقوقا، ارتقى الى رتبة الجثلقة في السنة التي تولى المهدي الخلافة. دبر مدة ٧ سنوات ومات .

٢٤-**طيمثاوس:** ٤٣ سنة. وعد ابناء المدائن بالمال في حالة رسامته، لكنه لم يفِ بوعده. دبر مدة ٤٣ سنة وتوفي في ايام المأمون .

٢٥-**يشوع:** ٤ سنوات. كان من منطقة نينوى، رُسم سنة ٢٠٥ هجرية، وتوفي في دير «اكليل يسوع» .

٢٦-**كيوركيس:** ٤ سنوات. من المرج، يعرف بابن صباح، تزوج ثم ترهب ورسم مطرانا في جنديسابور، وبعد خدمة ٥ سنوات صار جاثليقاً، دبر ٤ سنوات ومات .

٢٧-**سبريشوع:** ٤ سنوات. كان اسقفا لحران، رسمه ايوانيس مطران الموصل، ونقله طيمثاوس الى دمشق. ولدى زيارة المأمون لدمشق يرافقه وجهاء نساطرة، احتفى بهم واكرمهم فانتخبوه جاثليقاً سنة ٢١٧ هجرية. دبر ٤ سنوات ومات .

٢٨-**ابراهيم:** ١٣ سنة. كان من مراغا، رُسم بامر الخليفة المعتصم. دبر ١٣ سنة ومات .

٢٩-**ثاودوسيوس:** ٥ سنوات. كان اسقفا لباجرمي، رقاه الجاثليق سبريشوع الى درجة مطران في انكر. فنشب خلاف لسببه، فعاد ولزم بيته بهدوء دون ابرشية مدة ٥ سنوات، ثم انتخب جاثليقاً .

٣٠-**سركيس:** ١٢ سنة. كان مطراناً لنصيبين، رُسم بامر الخليفة المتوكل سنة ١١٧١ بحسب التقويم السرياني. دبر مدة ١٢ سنة. شغر الكرسي بعده مدة ٤ سنوات .

٣١-**انوش:** ٧ سنوات. كان مطران للموصل. دبر ٧ سنوات ومات سنة ٢٧٠ هجرية .

٣٢-**يوحنا:** ٨ سنوات. يعرف بابن نرساي. كان اسقفا لهنابار وصار جاثليقا سنة ٢٧١ هجرية. دبر مدة ٨ سنوات ومات .

٣٣-**ايوانيس:** ٦ سنوات. هو ابن اخي ثاودوسيوس. صعد في عيد العنصرة المنبر وفسر مقال ثاولوغوس عن الروح القدس، فاستحسنه الاساقفة والشعب لتبحره في العلوم الكنسية. رُسم سنة ٢٨٨ هجرية. دبر ٦ سنوات ومات .

٣٤-**يوحنا:** ٤ سنوات. انقسم الاساقفة النساطرة قسمين، قسم يرشح ثاودوسيوس مطران جنديسابور، والاخر يوحنا بن عيس الاعرج. وبعد أن تكبدوا خسائر فادحة، تم الاتفاق على القاء القرعة، فوقعت على يوحنا فرُسم. دبر ٤ سنوات ومات .

٣٥-**ابراهيم:** ٣٢ سنة. كان اسقفا لباجرمي. رُسم جاثليقا في عهد الخليفة المكتفي. دبر ٣٢ سنة ومات .

٣٦-**عمنوئيل:** ٢٢ سنة. رُسم سنة ٣٢٦ هجرية. دبر مدة ٢٢ سنة ومات.

٣٧-**اسرائيل:** ٢٦ سنة. كان اسقفا لكشكر فرسم جاثليقا. دبر مدة ٢٦ سنة ومات .

٣٨-**ماري:** ١٤ سنة. كان من الموصل، صار اسقفا فمطرانا في فارس، ثم رُسم جاثليقا ودبر مدة ١٤ سنة ومات .

٣٩-**يوحنا:** كان اسقفا لمنطقة تدعى سنا، صار مطرانا في فارس، انتخبه البغداديون جاثليقا سنة ٣٩١ هجرية. وصادق المفريان اي جاثليق اليعاقبة في تكريت، اغناطيوس بن قيقي. دبر ٩ سنوات ومات .

انتهى هذا (الجدول) الذي عثرنا عليه في كتاب وضعه الشماس كوريا سنة ٢١٩٩ (لعلها ١١٩٩) يونانية. (اصل النسخة بهذا التاريخ - هذه العبارة مكتوبة بالكرشونية)

بعون الله رب الكل، ندرج اسماء البطاركة الذين قاموا في كنيستنا الارثوذكسية واحد تلو الآخر، اعتباراً من الطوباوي سويريوس حتى يومنا هذا

١- **سويريوس** : من دير تيودور في غزة اقتبل الرسامة في تشرين الثاني بحسب تقويم أصهـ، رسم هذا الطوباوي سنة ٨٢٣ في مجمع حضره ١٢ اسقفاً، وضع عليه اليد ابراهيم اسقف حلب في ايام الملك انسطاس. خدم في سورية ٦ سنوات. ولما توفي الملك الارثوذكسي، ثار الهراطقة ضده في عهد يوسطنيان. فغادر انطاكية في ٢٩ ايلول سنة ٨٢٩، خدم البطريركية وهو مضطهد ٢٩ سنة. وتوفي في شباط في مدينة سخا بمصر، ودفن جثمانه الطاهر في ديره.

٢- **سرجيس** : بعد وفاة مار سويريوس، رسم الارثوذكس سرجيس التلي من دير دحلا، بطريركاً لكرسي انطاكية. وضع عليه اليد مار ايوانيس مطران انازربا. خدم لفترة قصيرة .

٣- **بولس الاسود:** من دير الجب الخارجي، رسم في الدير نفسه، وضع عليه اليد توما مطران الرها. خدعه الملك يوسطنيان فاشترك مع الخلقيدونيين على أمل نبذهم لمجمع خلقيدونية، واذ حنث الملك باقسامه، حرم المجمع، لكن الارثوذكسيين لم يقبلوه .

٤- **بطرس الرقي** : تمت رسامته وبولس مازال حيا. وضع عليه اليد يوسف مطران آمد. قوّم انحراف دميان الاسكندري. توفي سنة ٩٠٢ واودع جثمانه بدير الجب الخارجي .

٥- **يوليان** : كان سكرتيراً للبطريرك. وهو من دير قنسرين، وفيه رسم ، وضع عليه اليد يوحنا اسقف تللا. خدم البطريركية ٣ سنوات .

٦- **اثناسيوس الجمال** : من شميشاط. درس في دير قنسرين وفيه ارتسم. وضع عليه اليد سويريوس مطران القدس. حقق الوحدة بين الكرسيين الانطاكي والاسكندري. خدم ٤٥ سنة. توفي سنة ٩٤٦ واودع دير الجوميين .

٧- **يوحنا سكرتير البطريرك اثناسيوس**: من دير الجب الخارجي. وضع عليه اليد ابراهيم مطران نصيبين. خدم هذا البطريرك الملقب «بابي السدرات» ١١ سنة. توفي ودفن في دير مار زعورا في آمد في ١٤ كانون الاول عام ٩٦٠.

٨- **تيودور**: من برية الاسقيط، دعي من دير قنسرين. وضع عليه اليد ابراهيم مطران حمص. خدم البطريركية ١٨ سنة .

٩- **سويريوس المعروف بابن مشاقة**: من دير فيجوم اي سفولوس. وضع عليه اليد يوحنا ابن العبرانية مطران طرسوس. نشب نزاع بينه وبين الاساقفة خدم ١٢ سنة.

١٠- **اثناسيوس**: من دير بيت ملكي الكبير، رسم خلال انعقاد المجمع في دير سفولوس في رأس العين. وضع عليه اليد حنانيا اسقف ماردين وكفرتوث. خدم ٣ سنوات .

١١- **يوليان**: من دير قنسرين. رسم في تشرين الثاني سنة ٩٩٩. وضع عليه اليد اثناسيوس اسقف سروج بمدينة آمد. خدم ٢٠ سنة. توفي سنة ١٠١٩.

١٢-**ايليا:** من دير الجب الخارجي. كان اسقفاً لاوفيميا. وبعد أن خدم الاسقفية ٨ سنوات، دعي الى البطريركية سنة ١٠٢٠. خدم ١٥ سنة وتوفي في ٣ تشرين الاول وقد ناهز الـ ٨٢ سنة، ودفن في ديره .

١٣-**اثناسيوس:** من دير الجب الخارجي. رسم في نيسام عام ١٠٣٥. كان رئيساً لديره، وتمت رسامته في دير قرتمين. وضع عليه اليد ثاودوسيوس اسقف رأس العين. عمل وحدة مع الارمن. خدم ١٥ سنة، توفي سنة ١٠٥١ .

١٤-**ايوانيس:** كان اسقفاً لحوران. انتخب عن طريق الاقتراع بوساطة اثناسيوس النعال الذي عانى منه البطريرك الشيء الكثير. خدم ..... سنة. دفن في قرية كدّية على شاطئ الفرات .

١٥-**اثناسيوس النعال:** كان مطراناً لميافرقاط، وصار بطريركاً بأمر أبي جعفر خليفة المسلمين وليس بدعوة من الله. ولما جاء الى حران خنقوه.

١٦-**الطوباوي جاورجي:** دُعي وهو مازال شماساً. تمت رسمامته في منبج خلال مجمع مسكوني. قاومه بعض الخبثاء امثال يوحنا الرقي وداود الداري، فسجن في بغداد مدة ٩ سنوات. خدم حتى وفاته اي ٣٠ سنة. اودع جثمانه الطاهر دير مار برصوم .

من هنا فصاعدا، سندرج اسماء الاساقفة الذين رسمهم كل من البطاركة

البطريرك قرياقس: من دير العمود في الرقة. رُسم في ١٨ آب سنة ١١١٠ وضع عليه اليد ثاودوسيوس اسقف بعلبك. رسم الاساقفة التالية اسماؤهم .

١- شربيل صار اسقفاً لتكريت بالوكالة .
٢- فيلكسينوس اسقف جورجان .
٣- ملكيصادق اسقف رصفة بقرية حزّة .
٤- قسطنطين اسقف دليك بقرية تلعدا .
٥- توما اسقف دارا من دير قوبا .
٦- حنانيا اسقف ماردين وكفرتوث من دير الرقة ويعتقد انه هو الذي بنى دير الزعفران .
٧- توما اسقف طورعبدين من دير قرتمين .... وفي دير العمود .
٨- يوحنا اسقف ميافرقاط في قرية سحرتا بمنطقة حران.
٩- يوحنا اسقف مدينة الشعوب ودير العمود .
١٠-بولس اسقف لافرا بخرسان رسم في قرية كبدا بمنطقة حران .
١١-قرياقس اسقف القرمينيين في الرها .
١٢-داود اسقف نصيبين من دير قرتمين رسم في الرها .
١٣-باسيليوس اسقف الرها رسم في دير يوحنا بن افتونيا .

١٤-حبيب مطران اوفيميا رسم في مدينة دمشق .
١٥-انسطس اسقف تل موزل ليست بمنطقة الشام .
١٦-باسيليوس اسقف الرقة رسم في المدينة نفسها .

١٧-يعقوب اسقف مدينة قرقسيون رسم في دير مار زكى.
١٨-اثناسيوس مطران طرسوس رسم في مدينة حران .
١٩-ثاودوسيوس اسقف الرقة رسم في مدينة حران .
٢٠-جبرائيل اسقف ريشكيفا رسم في بلدة مريبة بحران .
٢١-يوحنا اسقف القرمينبين رسم في قرية كفرحان بمنطقة ريشكيفا .
٢٢-اثناسيوس اسقف مدينة فالونيقيا بارمنيا .
٢٣-يوحنا اسقف مدينة خلط الارمنية بمنطقة الرقة .
٢٤-سابا اسقف مدينة ارزون رسم في دير العمود بحران.
٢٥-لعازر اسقف نصيبين من دير قرتمين رسم في دير العمود .
٢٦-سمعان اسقف مدينة مرو من دير مار يعقوب .
٢٧-اسقف مدينة ممفسوسطا في قورس رسم في شباط وعزل في شباط .
٢٨-طيمثاوس مطران القدس رسم في دير مار يعقوب بقورس .
٢٩-داود اسقف التغالبة في جزيرة الموصل رسم في قرية النخلة لكرسي التغالبة .
٣٠-متى اسقف تل موزلت رسم في قيمن بسروج .
٣١-دميان اسقف سروج رسم في قرية مشرا بنفس المنطقة.
٣٢-فيلكسينوس اسقف نصيبين .
٣٣-دانيال اسقف شميشاط رسم في مدينة حران .
٣٤-يوحنا مطران حمص من دير بيرقوم .
٣٥-يعقوب اسقف منطقة دير يج .
٣٦-قورلس اسقف مدينة شميشاط رسم في كفرا .
٣٧-جبرائيل مطران طرسوس من دير سليمان .
٣٨-انسطاس اسقف ريشكيفا من دير شيلا .
٣٩-ايليا اسقف مدينة حدث رسم بدير العمود في الرقة.
٤٠-اليشع اسقف كرما والحصاصيين في تكريت .
٤١-ايوانيس اسقف شرزول بمنطقة تكريت .
٤٢-جاورجي اسقف مدينة ادرع من دير العرب .

٤٣-سركيس اسقف طورعبدين من دير قرتمين .
٤٤-عثمان اسقف التغالبة في الجزيرة .
٤٥-اغناطيوس اسقف انازربون من دير الناطف .
٤٦-يوحنا مطران حمص من دير بيرقوم .
٤٧-عرابي اسقف ثاودوسيوكيس رأس العين من دير السن .
٤٨-سليمان اسقف قورس من دير مار يعقوب .
٤٩-ماقيم اسقف قرقسيون من دير تللا .
٥٠-حبيب اسقف منطقة ارغونا من دير سرمن .
٥١-ديونيسيوس اسقف تللا من دير مار توما .
٥٢-سمعان اسقف العربية من دير مار زكى .
٥٣-ثاودوسيوس اسقف شميشاط من دير المشارقة .
٥٤-ثاودوسيوس اسقف كيسوم من دير مار يعقوب في كيسوم .
٥٥-لعازر اسقف كيشرا من دير مار ابحاي .
٥٦-ايوانيس مطران اسيد من دير مار اثوس .
٥٧-سمعان مطران الرصافة من دير آبين .
٥٨-ثاودوسيوس مطران الرها من دير قنسرين .
٥٩-بطرس اسقف ارزون من دير مار يوحنا الداري .
٦٠-سرجيس اسقف بعلبك من دير فسيلتا .
٦١-دانيال اسقف حلب، من دير العرب .
٦٢-يعقوب اسقف بلدة أورم من دير مار يوسف .
٦٣-جاورجي اسقف مدينة ارشميشاط .
٦٤-طيبري اسقف لافرا الخرسانية من دير الصليب .
٦٥-باسيليوس مطران ميافرقاط من دير فنحس .
٦٦-يوحنا اسقف مدينة قردو من دير حسمي الكبير .
٦٧-جاورجي اسقف حران استقال فيما بعد .
٦٨-جبرائيل اسقف ارمنيا الكبرى من دير مار سيلا .
٦٩-حبيب مطران مدينة طرسوس .

٧٠-اوغريس اخسنايا اسقف اردعت في بيثونيا .
٧١-اسحق اسقف مدينة طبرية وليس اسقف جوما .
٧٢-يوحنا اسقف مدينة تللا من دير قرقفتا .
٧٣-متودس اسقف تل بشمي من دير مار اثموس .
٧٤-جاورجي مطران ميافرقين من دير مار فنحس .
٧٥-باسيليوس مطران تكريت من دير مار سرجيس .
٧٦-ادى اسقف كرما من دير مار زعورا في سروج .
٧٧-حزقيال اسقف طورعبدين من دير قرتمين .
٧٨-جبرائيل اسقف ارمينيا من دير قرتمين .
٧٩-اغناطيوس اسقف ماردين وكفرتوث من دير حنانيا.
٨٠-جاورجي اسقف حران من دير قرتمين .
٨١-توما اسقف ريشكيفا من دير مار يعقوب .
٨٢-ايوانيس اسقف بالش من ... في كيسوم .
٨٣-رصفا من دير مار حنانيا في المنطقة نفسها .
٨٤-داود اسقف كرموس من دير مار يوسف .
٨٥-ثاوفيلا اسقف زوبطرا من دير اليشع .

خدم مار قرياقس البطريركية ٢٤ سنة. توفي في الموصل سنة ١١٢٨ يونانية، لتكن صلاته وصلاة الذين رسمهم معنا آمين .

البطريرك ديونيسيوس المعروف بالتلمحري. دعي من دير قنسرين، رُسم يوم الاحد مطلع آب عام ١١٢٩ في مدينة الرقة باشتراك ٤٣ اسقفاً. وضع عليه اليد ثاودوسيوس مطران الرقة. رسم الاساقفة التالية اسماؤهم

١-توما اسقف اردعت من دير تلعدا الكبير
٢-حبيب اسقف بيت بالش من دير الجب الخارجي
٣-ساويرا اسقف مدينة دارا من دير قوبا
٤-يوسف اسقف بيت فارس من دير سوقين
٥-باسيليوس اسقف شميشاط من دير قنسرين
٦-حبيب اسقف مرعش من دير مار يعقوب
٧-قسطنطين اسقف خرسان من دير قنسرين
٨-سرجيس مطران منبج من مربية
٩-سمعان اسقف سروج من كفرتوثا
١٠-يوحنا اسقف العربية من دير مار زكى
١١-يونان اسقف مدينة ارزون من دير شصراني
١٢-يوحنا اسقف تدمر من دير مار حنانيا
١٣-ايوب مطران اورشليم
١٤-توما اسقف زرنغ من دير قرتمين
١٥-دوما اسقف زوغما من دير مار شليمون
١٦-دانيال اسقف ملطية من دير مار برصوم
١٧-انسطاس مطران انازربا من دير قرقفتا
١٨-حنانيا اسقف قنسرين من دير الانفس
١٩-جبرائيل اسقف ارينيو بوليس

٢٠-يعقوب اسقف دليك من دير تلعدا
٢١-لعازر اسقف ارشيمشاط من دير قرتمين
٢٢-ابراهيم اسقف الجسر من دير قرتمين
٢٣-سرجيس اسقف قورس من دير الجب الخارجي
٢٤-ميخائيل مطران انازربا من دير مار يعقوب بقورس
٢٥-ايوانيس مطران الرصافة من دير سرمين
٢٦-دنحا اسقغف ريشكيفا من دير سفولوس
٢٧-ايوانيس مطران مدينة دارا من دير مار حنانيا
٢٨-حنانيا اسقف قليسوريا من دير الناطف
٢٩-يوحنا اسقف ارمنيا من دير النعال بمنطقة ميافرقاط
٣٠-قسطنطين اسقف اللاذقية من دير سريغتا
٣١-ثاودوسيوس اسقف الجرمانيين من دير بيزما
٣٢-اثناسيوس مطران اوفيميا من دير قنسرين
٣٣-اغناطيوس اسقف ارشيمشاط من دير قرتمين
٣٤-قوريقا اسقف هنزيط من دير قرتمين
٣٥-يوحنا اسقف التغالبة من دير قرقفتا
٣٦-سمعان اسقف تل بسما من دير النعال
٣٧-اغناطيوس اسقف القدس من دير بيزونا
٣٨-طيمثاوس مطران ميافرقاط من دير المشارقة
٣٩-اغناطيوس مطران آمد من دير قرتمين
٤٠-صموئيل اسقف الجرمابيين من دير قرتمين
٤١-طيمثاوس مطران دمشق من دير قرقفتا
٤٢-روبيل اسقف جونيا من دير سفولوس
٤٣-توما اسقف حليون من دير مار موسى
٤٤-توما اسقف التغالبة من دير بيرقوم
٤٥-ابراهيم اسقف هنرا من دير المشارقة

٤٦-ايوانيس اسقف تللا من دير قنسرين
٤٧-ابراهيم مطران ميافرقاط من دير حنانيا
٤٨-دانيال لتكريت من دير بيرقوم
٤٩-ايليا اسقف دليك من دير مار شليمون
٥٠-ساويرا اسقف كيشرا من دير مار باسوس
٥١-يوحنا اسقف بغداد من دير اوسيبونا
٥٢-ايوانيس مطران هنرا من دير مار شينا
٥٣-ابراهيم اسقف العربية من دير تلعدا الكبير
٥٤-ساويرا اسقف طبرية من دير كيسوم
٥٥-تومريقا اسقف قنسرين من دير النواويس
٥٦-يوحنا اسقف دليك من دير مار يعقوب بكيسوم
٥٧-جاورجي اسقف البحرين من وادي آدم
٥٨-ثاوفيل اسقف تل بسما من دير النعال
٥٩-يوسف (وزوق) اسقف التغالبة
٦٠-عبد الاحد اسقف جورجان من دير المشارقة
٦١-توما اسقف زوبطرا من دير المشارقة
٦٢-قورلس اسقف الرها من دير زوقنين
٦٣-يوحنا كدودا اسقف كينيسا
٦٤-تومريقا اسقف سروج من دير قنسرين
٦٥-ابراهيم اسقف مرعش من دير مار يوسف
٦٦-انسطاس اسقف رأس العين من دير قنسرين
٦٧-يوسيفس اسقف جورجان من دير المشارقة
٦٨-يوسف مطران القدس من دير بيزونا
٦٩-توما مطران ملطية من دير مار برصوم
٧٠-توما مطران تكريت من جبل الرها
٧١-اسحق اسقف دير النحل

٧٢-جبرائيل اسقف مرعش من دير مار شليمون
٧٣-ابراهيم مطران قورس من دير العرب
٧٤-باكوس اسقف ارمنيا من وادي آدم
٧٥-حبيب اسقف التغالبة من دير كنوشيا
٧٦-جاورجي مطران انازربا من دير النعال
٧٧-ايليا زقنا اسقف قردو
٧٨-قسطنطين اسقف قرقسيون
٧٩-جبرائيل اسقف كينيسا من دير رافين
٨٠-سرجيس اسقف سيفيس من دير تلعدا
٨١-يوحنا مطران ميافرقاط وهو الموسيقي النعال
٨٢-ابراهيم مطران منبج من دير بيزونا
٨٣-ابراهيم اسقف نصيبين من دير قرتمين
٨٤-الربان بنيامين مطران الرها من دير مار يعقوب
٨٥-ثاودورس اسقف كيشرا من دير مار عابي
٨٦-دمياط اسقف قردو من دير مار باسوس
٨٧-سبرا اسقف العربية من دير آطو
٨٨-ساويرا مطران انازربا من دير مار زكى
٨٩-ايليا مطران الرها من جبل الرها
٩٠-نانوس اسقف طورعبدين من دير قرتمين
٩١-جبرائيل اسقف شميشاط من دير مار برصوم
٩٢-داود اسقف افرا من جبل الرها
٩٣-توما اسقف كيسوم من دير مار يعقوب في كيسوم
٩٤-باسيليوس اسقف تللا من دير مار حنانيا
٩٥-جاورجي اسقف حدث من دير الجب الخارجي
٩٦-غريغوريوس اسقف كيسوم من دير بيرقوم
٩٧-زكريا اسقف الرقة من دير مار زكى

٩٨-جاورجي اسقف التغالبة

٩٩-يونان اسقف جورجان من دير مار شيلا

١٠٠-قسطنطين مطران الرها من دير قنسرين

خدم مار ديونيسيوس التلمحري هذا، البطريركية ٢٧ سنة، ورسم هؤلاء الاساقفة ورقد في آب سنة ١١٥٦، واودع جثمانه دير قنسرين، ليغفر لنا الله ذنوبنا بصلاة المرحوم والاساقفة الذين رسمهم .

البطريرك يوحنا من دير مار زكى في الرقة. رسم في دير مار شيلا سروج في ٢١ تشرين الثاني سنة ١١٥٨.
وضع عليه اليد مار حبيب اسقف طرسوس،
ورسم الاساقفة التالية اسماؤهم

١ - جبرائيل مطران الرصافة، رئيس دير مار زكى
٢ - عرابي مطران شميشاط
٣ - عبد الاحد اسقف هنزيط من دير شيلا
٤ - يوحنا طوبانا اسقف قرقسيون
٥ - اندراوس اسقف سجستان من دير مار زكى
٦ - باسيليوس مطران تكريت من دير مار برصوم
٧ - ايليا مطران قورس من دير المشارقة
٨ - سرجيس اسقف حلب من دير سريغتا (الحصيرة)
٩ - هرون اسقف سلوقية من دير مار آبم
١٠ - ايوانيس اسقف زوغما من دير قرتمين
١١ - طيمثاوس مطران شميشاط من دير مار شيلا
١٢ - هرون اسقف ميافرقاط من دير اتوناس
١٣ - داود اسقف ارشميشاط من دير مار موسى
١٤ - يونان اسقف افرا من دير مار اتوناس
١٥ - يعقوب مطران حمص من دير دحلا
١٦ - هرون اسقف قرقسيون من دير مار حنانيا
١٧ - يعقوب اسقف التغالبة من دير بيرقوم
١٨ - ساويرا اسقف اخزقون من دير قرتمين
١٩ - احودامه اسقف المعديين من وادي آدم
٢٠ - اسطيفانس اسقف ارنيوبوليس من تلعدا

٢١ - انسطاس مطران طرسوس من سفولوس
٢٢ - اغناطيوس اسقف حدث من دير مار زكى
٢٣ - هرون مطران انازربا من دير مار زكى
٢٤ - يوسف اسقف زوغما من دير مار يوسف
٢٥ - هرون مطران قورس من دير مار يعقوب
٢٦ - داود اسقف حران من دير قرتمين
٢٧ - ايوانيس اسقف قليسوريا من سفولوس
٢٨ - اليشع اسقف نصيبين من دير مار شليمون
٢٩ - يوحنا اسقف كفرتوثا وماردين من دير تل صفرا
٣٠ - ساويرا اسقف تللا من دير المعترفين
٣١ - يعقوب اسقف كيسوم من دير مار شليمون
٣٢ - ثاودوسيوس مطران اوفيميا من دير مار يعقوب بكيسوم
٣٣ - حبيب مطران آمد من دير مار حنانيا
٣٤ - باسيليوس اسقف كيثرا من دير المشارقة
٣٥ - قرياقس مطران الرقة من دير مار زكى
٣٦ - سرجيس اسقف قنسرين من دير فسيلتا
٣٧ - يعقوب مطران هره من دير بيرقوم
٣٨ - ثاودور اسقف كيثرا من دير بيرقوم
٣٩ - اشعيا مطران ميافرقاط من دير بيرونا
٤٠ - ساويرا اسقف شميشاط وهنزيط من دير مار حنانيا
٤١ - يوحنا مطران القدس من دير تلعدا الكبير
٤٢ - ديونيسيوس مطران الرصافة من دير النواديس
٤٣ - حنانيا اسقف طبرية من دير دحلا
٤٤ - دانيال اسقف تل بسما من دير اثانوس
٤٥ - دانيال اسقف كفربلا من وادي آدم
٤٦ - بطرس من وادي آدم
٤٧ - صمونيل مطران سجستان من دير مار متى

٤٨ - ملكيصادق مطران تكريت من دير والدة الله
٤٩ - ابراهيم مطران آمد من دير مار سمعان
٥٠ - طبري اسقف العربية من جبل الرها
٥١ - حبيب اسقف قردو من دير مار حنانيا
٥٢ - اغناطيوس اسقف ارمنيا من حربا
٥٣ - سليمان اسقف نجران وبني معد من دير كنوشيا
٥٤ - انتيموس اسقف دليك من دير مار عبد الاحد
٥٥ - بطرس اسقف افرا من متوحدي جبل الرها
٥٦ - باسيليوس اسقف قرقسيون من دير مار حنانيا
٥٧ - باكوس اسقف التغالبة من وادي آدم
٥٨ - سليمان مطران دمشق من دير مار يونان
٥٩ - ايوب اسقف افرا من تل صفرا- حران
٦٠ - نوح اسقف ارينوبوليس من دير زوقنين
٦١ - اياونيس اسقف اوفيميا من دير قنسرين
٦٢ - ثاودور اسقف رأس العين من دير سفولوس
٦٣ - طيمثاوس اسقف ارزون من دير مار زكى
٦٤ - اثناسيوس حكيم مطران دارا
٦٥ - فيلكسينوس مطران الرصافة من دير مار زكا
٦٦ - قورلس نوح مطران القدس
٦٧ - اليشع مطران ميافرقاط من دير مار حنانيا
٦٨ - اسحق مطران دمشق من دير فسيلتا
٦٩ - سمعان مطران منبج من دير قرية سابان
٧٠ - سمعان اسقف بعلبك من جبل الرها
٧١ - اسحق اسقف سروج من جبل الرها
٧٢ - اسحق اسقف قورس من جبل الرها
٧٣ - ابراهيم مطران هره من جبل الرها
٧٤ - اثناسيوس اسقف قنسرين من دير مار نوقا

٧٥ - لعازر مطران طرسوس من دير المشارقة
٧٦ - يوحنا اسقف العربية من دير مار زكى
٧٧ - سرجيس المنوحد مطران تكريت
٧٨ - يوحنا اسقف التغالبة بجزيرة الموصل
٧٩ - يوحنا اسقف ارينوبوليس من دير القويبين
٨٠ - جبرائيل اسقف كيثرا من دير المشارقة
٨١ - جرجيس اسقف زوغما من دير قنسرين
٨٢ - متى اسقف رأس كيفا من معترفي الرها
٨٣ - اغناطيوس اسقف ماردين من دير مار حنانيا
٨٤ - اسطيفانس اسقف قليسوريا من دير مار يوحنا

خدم مار يوحنا هذا البطريركية ٢٧ سنة، ورسم هؤلاء الاساقفة، وتوفي يوم الخميس ٢٣ كانون الاول سنة ١١٨٥ في دير سفولس، ونقل جثمانه الى ديره (مار زكى)

البطريرك اغناطيوس من دير حربا، رُسم سنة ١١٨٩ من قبل طيمثاوس اسقف شيمشاط .... الكرسي .... ادارة فريدة ..... على نهر الفرات. رسم هؤلاء الاساقفة التالية اسماؤهم

١ - ساويرا اسقف ريشكيفا من دير اخسنايا
٢ - ابراهيم مطران انازربا من دير مار عبد الاحد
٣ - سرجيس مطران قورس من دير لعازر - حران
٤ - قرياقس مطران الرها من دير مار يوحنا الداري
٥ - ابراهيم اسقف حلب من جبل الرها
٦ - يوحنا اسقف مرعش من دير زوقنين
٧ - ميخائيل اسقف شميشاط من دير اتموس
٨ - يوحنا مطران آمد من دير مار سرجيس
٩ - ابراهيم اسقف قرقسيون من دير مار حنانيا
١٠ - ايليا اسقف الحدث من دير مار سويريوس
١١ - سمعان اسقف زوقطره من دير مار يعقوب - كيسوم
١٢ - قورلس اسقف ميافرقاط من دير قنسرين
١٣ - جبرائيل اسقف سروج من دير والدة الله في البرية
١٤ - يعقوب اسقف بعلبك من دير فسيلتا
١٥ - قرياقس مطران انازربا من دير مار شليمون
١٦ - قسطنطين اسقف حران من دير قرتمين
١٧ - هرون مطران ميافرقاط من دير مار حنانيا
١٨ - جبرائيل اسقف العربية من دير سيبان
١٩ - متى مطران دارا من دير مار يوحنا الداري
٢٠ - ايوانيس اسقف ابديقون من دير مار شليمون دليك
٢١ - ساويرا مطران سجستان من دير تل صفرا - حران

٢٢ - ساويرا مطران الرقة من دير مار زكى
٢٣ - ثاودوسيوس اسقف مدينة دولة من دير قنسرين
٢٤ - يوحنا مطران منبج من جبل الرها
٢٥ - يوحنا اسقف دليك من دير مار يعقوب
٢٦ - ساويرا مطران اورشليم من دير زوقنين

خدم مار اغناطيوس هذا البطريركية خمس سنوات، وتوفي يوم ثلاثاء الآلام في مريبه واودع جثمانه كنيستها الكبرى

البطريرك ثاودوسيوس من دير قرتمين. تمت رسامته في مدينة آمد يوم الاحد ٥ شباط ١١٩٨.
وضع عليه اليد مار طيمثاوس اسقف شميشاط نفسه، ورسم هؤلاء الاساقفة التالية اسماؤهم

١ - اثناسيوس مطران تكريت من جبل الرها
٢ - ابوب مطران هرار من دير تل صفرا - كيسوم
٣ - ديونيسيوس مطران اوفيميا من دير والدة الاله
٤ - قورلس مطران انازربا من دير زوقنين
٥ - ديونيسيوس اسقف تللا من دير قرتمين
٦ - حزقيال اسقف ملطية من دير مار اثانوس
٧ - دانيال مطران دمشق
٨ - دنحا اسقف قليسورا من دير مار شيلا
٩ - جاورجي اسقف قرقسيون من دير مار يوحنا الداري
١٠ - جبرائيل مطران طبرية من دير ترعيل
١١ - ميخائيل مطران منبج من دير بيزونا
١٢ - يعقوب مطران شميشاط من جبل الرها
١٣ - اغناطيوس مطران افره بخرسان من جبل الرها
١٤ - حزقيال اسقف طورعبدين من دير قرتمين
١٥ - سلموس اسقف ارهن من دير مار عبد الاحد
١٦ - مار باسيليوس اسقف الارمن
١٧ - يونان اسقف ارينوبوليس من دير قرتمين
١٨ - حبيب مطران انازربا من دير سرجيس
١٩ - سمعان اسقف تل بسما من دير اثانوس
٢٠ - حبيب مطران الرصافة من دير الانفس - جبل الرها

٢١ - يوحنا اسقف سروج من دير الحبيس بطورعبدين
٢٢ - لعازر مطران طرسوس من دير شميشاط الكبير
٢٣ - ايليا ايقف كيثرا من متوحدي جبل الرها
٢٤ - حبيب اسقف كيسوم من جبل الرها
٢٥ - باسيليوس اسقف زوغما من دير الحصيرة
٢٦ - متى اسقف مدينة تللا من دير مار حنانيا
٢٧ - توما اسقف قرقسيون من دير مار حنانيا
٢٨ - توما اسقف ارينوبوليس من دير زوقنين
٢٩ - ساويرا اسقف دارا
٣٠ - يعقوب اسقف النجديين
٣١ - حبيب اسقف ارينوبوليس
٣٢ - سرجيس اسقف رأس العين من دير مار حنانيا

خدم مار ثاودوسيوس البطريركية تسع سنوات واربعة اشهر وتوفي في ٤ حزيران سنة ١٢٠٧ في دير قرتمين

البطريرك ديونيسيوس من دير بيت باتين حران. تمت رسامته ٢٣ نيسان سنة ١٢٠٨. وضع عليه اليد يعقوب مطران حمص وانجز الشرطونيات التالية

١ - ثاودوسيوس مطران الرها من جبل الرها
٢ - ايوانيس مطران شميشاط من دير سفولوس
٣ - طيمثاوس مطران دمشق من دير مار اثانوس
٤ - يوحنا اسقف العرب من دير مار يعقوب - كيسوم
٥ - يعقوب اسقف ارينوبوليس من دير تلعدا
٦ - اغناطيوس اسقف قنسرين من دير اوسيبونا
٧ - يوحنا اسقف زوبطره من دير مار سمعان
٨ - يوحنا اسقف حران من دير مار سويريوس
٩ - دانيال اسقف شميشاط من دير حرباز
١٠ - قرياقس اسقف بعلبك من دير يوحنا الداري
١١ - جبرائيل مطران قورس من الدير الكبير
١٢ - اسحق مطران هرار من الدير الكبير بمنطقة تللا
١٣ - فيلكسينوس (المطران) من دير شينا
١٤ - ديوسقوس مطران الرها من دير حرباز
١٥ - حبيب اسقف ارينوبوليس
١٦ - صموئيل مطران ميافرقاط
١٧ - ابراهيم مطران افره من دير سفولوس
١٨ - اسحق اسقف نصيبين من دير قنسرين
١٩ - يوحنا اسقف طورعبدين من دير قرتمين
٢٠ - ايوب اسقف قليسورا من دير قرتمين

٢١ - ثاودوسيوس اسقف رأس العين
٢٢ - قورلس مطران طرسوس من دير بيزونيا
٢٣ - ثاوفيلس اسقف زوبطره من دير مار حنانيا
٢٤ - دانيال اسقف ارمنيا
٢٥ - غريغوريوس مطران الرقة، وهو منها
٢٦ - يعقوب اسقف لابدين من دير بيت باتين
٢٧ - قوزما اسقف حدث
٢٨ - بطرس اسقف الرصافة من جبل الرها
٢٩ - يعقوب اسقف طبرية من دير مار يعقوب السروجي
٣٠ - موسى اسقف آمد من دير مار ملينا
٣١ - جرجيس اسقف حدث من جبل الرها
٣٢ - يوحنا اسقف ماردين من دير مار حنانيا
٣٣ - طيمثاوس اسقف قرقسيون
٣٤ - انسطاس اسقف لابديقون بخرسان
٣٥ - اثناسيوس مطران دمشق
٣٦ - اثناسيوس مطران طرسوس
٣٧ - ثاودريط مطران ميافرقاط من دير تلال
٣٨ - جبرائيل مطران اوفيميا من دير بيزونا
٣٩ - اسحق اسقف ارمنيا من دير مار متى
٤٠ - يعقوب اسقف دليك من دير مار يعقوب
٤١ - ايليا اسقف ملطية من دير بيت باتين
٤٢ - اغناطيوس اسقف ارنيوبوليس من دير مار يوحنا
٤٣ - ايوانيس مطران دارا وهو منها
٤٤ - اغناطيوس مطران آمد من دير حرباز
٤٥ - اسحق اسقف زوغما من دير اليشع
٤٦ - طيمثاوس اسقف شميشاط من دير مار سمعان

٤٧ - باسيليوس اسقف بيثونيا من جبل الرها
٤٨ - طيمثاوس اسقف الرها من دير رأس العين
٤٩ - يوسف اسقف سروج من دير مار سابا

خدم مار ديونيسيوس هذا البطريركية ١٣ سنة. توفي يوم الثلاثاء الراحة في نيسان سنة ١٢٢٠ في دير بيت باتين، وفيه اودع جثمانه الطاهر

البطريرك يوحنا من دير العمود في قورزحيل. تمت رسامته في دير تل صفرا في حران، يوم السبت ٢١ نيسان سنة ١٢٢١. وضع عليه اليد يوحنا مطران مرعش رسم الاساقفة التالية اسماؤهم

١ - توما مطران تكريت من دير العمود بجبل الرها
٢ - ايوانيس مطران هرار
٣ - دنحا اسقف كيسوم من دير سفولوس
٤ - ابراهيم اسقف دليك من دير نولبان
٥ - يوسف اسقف مرعش من دير تابش
٦ - ثاودوسيوس مطران ميافرقاط
٧ - يوسف مطران القدس من دمشق
٨ - ساويرا اسقف قليسورا من دير مار يعقوب - كيسوم
٩ - جبرائيل اسقف دليك من ديرمار يعقوب
١٠ - ايوب اسقف حلب من دير بيزونا
١١ - سمعان اسقف كيثرا من دير العمود
١٢ - دنحا مطران تكريت من كنيسة مار توما
١٣ - اسحق مطران حمص من دير فورجيل - حران
١٤ - اسطيفانس اسقف ايرنوبوليس
١٥ - يعقوب اسقف مدينة زوغما
١٦ - توما اسقف قنسرين من الحصيرة
١٧ - ثاودوسيوس اسقف النجديين والتغالبة من دير العمود
١٨ - سرجيس مطران الرصافة من دير مار زكى
١٩ - هرون اسقف كيثرا من دير قنسرين

٢٠ - صموئيل اسقف طورعبدين من دير قرتمين
٢١ - ثاودوسيوس مطران القدس من دير مار اثانوس
٢٢ - يوسف اسقف ارزون رئيس دير قرتمين
٢٣ - اغناطيوس اسقف ماردين من دير مار حنانيا
٢٤ - موسى مطران دمشق من دير شيلا
٢٥ - انتيموس اسقف ريشكيفا
٢٦ - قسطنطين اسقف مدينة تللا
٢٧ - اسحق مطران قورس من قورزحيل
٢٨ - ابراهيم مطران نصيبين من دير مار سمعان
٢٩ - لعازر اسقف ارينوبوليس من دير مار يعقوب
٣٠ - ديوسقورس اسقف رأس العين
٣١ - باسيليوس اسقف قرقسيون
٣٢ - يوحنا اسقف ملطية من دير مار برصوم
٣٣ - بولس اسقف افراه من دير مار برصوم
٣٤ - داود اسقف زوبطره من دير شليمون - دليك
٣٥ - اغناطيوس اسقف حران من دير حصن حاموصا
٣٦ - ساويرا اسقف الرقة من دير مار حنانيا
٣٧ - يعقوب مطران الرقة من جبل الرها
٣٨ - ايوانيس اسقف ارنيوبوليس من دير حصن حاموصا
٣٩ - حبيب اسقف تللا من دير قورزحيل
٤٠ - قرياقس اسقف بيثونيا من دير مار شليمون
٤١ - ساويرا اسقف تل بسما من دير اثانوس

خدم مار يوحنا هذا البطريركيـة ١٢ سنة. توفـي فـي السـبت الاخير مـن تشرين الثاني في دير سفولوس في رأس العين. ووري جثمانه في كنيسـته الكبرى .

البطريرك باسيليوس من دير سفولوس في بلدة مريبة. رسم يوم الجمعة ١٥ آب عيد انتقال والدة الله سنة ١٢٣٤. وضع عليه اليد مار حبيب اسقف انازربا. وقام بالرسامات التالية

١ - قرياقس مطران قورس من الدير نفسه
٢ - غريغوريوس مطران ملطية وكلوديا
٣ - اغناطيوس مطران انازربا من بلدة بللا
٤ - ثاودوسيوس مطران منبج من ارفانيا
٥ - ايوب اسقف ابديقون في فارس من الرها
٦ - ثاودوسيوس مطران شميشاط من جبل الرها
٧ - سمعان مطران حدث من دير يعقوب - كيسوم
٨ - يوحنا اسقف سروج من دير مار حنانيا
٩ - اسطيفانس اسقف ارمنيا من دير مار اليشع
١٠ - أيوب مطران طبرية من دير مار زكى
١١ - ايوانيس اسقف طورعبدين من دير قرتمين
١٢ - جبرائيل مطران دارا رئيس دير المشارقة
١٣ - يوحنا اسقف النجديين والمعديين من دير فرقفتا
١٤ - اثناسيوس مطران حمص من دير مار حنانيا
١٥ - اثناسيوس اسقف العرب من دير حرباز
١٦ - قورلس مطران القدس من جبل الرها
١٧ - ايوانيس اسقف سروج من دير مار برصوم
١٨ - فيلكسينوس مطران الرها
١٩ - داود مطران حمص من دير مار شيلا
٢٠ - يوليوس مطران ميافرقاط من دير العمود
٢١ - اثناسيوس اسقف بعلبك رئيس دير الرها

٢٢ - ايوانيس مطران آمد من دير مار برصوم
٢٣ - ايوب اسقف زوغما من دير الحصيرة
٢٤ - ديونيسيوس مطران شميشاط من دير مار سويريوس
٢٥ - غريغوريوس اسقف حدث من دير مار يوحنا
٢٦ - ابراهيم اسقف حلب من دير مار يوحنا
٢٧ - بطرس مطران سجستان من جبل الرها
٢٨ - سرجيس اسقف سروج من دير مار برصوم
٢٩ - ايوانيس اسقف كيثرا من دير مار زكى
٣٠ - ارميا اسقف حماه من دير حصن حاموصا
٣١ - بطرس اسقف ماردين وكفرتوثا من دير مار حنانيا
٣٢ - بولس مطران هرار من جبل الرها

خدم مار باسيليوس هذا البطريركية ١١ سنة و٧ اشهر. توفي يوم اربعاء الآلام ٢٥ اذار في الدير الشرقي. لتكن صلاته معنا آمين

البطريرك يوحنا من متوحدي الجبل الاسود. تمت رسامته في بلدة تلعدا بمنطقة انطاكية يوم الاحد ٢٨ آب ١٢٢٧. وضع عليه اليد مار أثناسيوس مطران طرسوس. رسم الاساقفة التالية اسماؤهم

١ - باسيليوس مطران تكريت من دير قرتمين
٢ - انسطاس اسقف حلب من دير سمعان
٣ - يعقوب مطران طبرية من دير مار يونان - دمشق
٤ - غريغوريوس اسقف رأس العين
٥ - متى اسقف ارزون من دير مار زكى
٦ - ايوانيس اسقف دلولا
٧ - ابراهيم اسقف حدث من دير مار زكى
٨ - ايوانيس اسقف قاسطن من دير مار اليشع
٩ - ايوانيس اسقف دليك من دير مار شليمون
١٠ - حبيب اسقف طورعبدين من قرتمين
١١ - باسيليوس اسقف شميشاط من قاقوسين
١٢ - اثناسيوس مطران افره من دير مار دانيال
١٣ - ساويرا اسقف قرقسيون من دير قرتمين
١٤ - يعقوب اسقف ميافرقاط من دير بيزونا
١٥ - طيمثاوس اسقف لوسطن
١٦ - اثناسيوس اسقف افره من سفولوس
١٧ - ايوب اسقف حمام وكنيسيا
١٨ - سرجيس مطران اوفيميا من بيزونا
١٩ - باسيليوس اسقف ارشميشاط من دير مار شليمون

٢٠ - ابراهيم اسقف ارمنيا من دير مار سرجيس
٢١ - سمعان اسقف قنسرين من الدير الكبير
٢٢ - ثاودوسيوس اسقف زوبطره من دير اثافوس
٢٣ - يوحنا مطران دمشق من دير الانفس - حلب
٢٤ - يعقوب مطران منبج من دير مار زكى
٢٥ - اثناسيوس مطران شميشاط
٢٦ - سويريوس اسقف ريشكيفا من بيزونا
٢٧ - يوحنا مطران انازربا
٢٨ - ايوب نطران نصيبين
٢٩ - يوسف مطران آمد من دير مار برصوم
٣٠ - اسطيفانس اسقف زوبطره
٣١ - بطرس اسقف كلوديا
٣٢ - ايوانيس اسقف سجستان
٣٣ - اغناطيوس اسقف مقاطعة ألس
٣٤ - فيلكسينوس اسقف حران من دير الانفس
٣٥ - ابراهيم مطران الرها من دير العمود
٣٦ - اثناسيوس مطران طرسوس
٣٧ - موسى اسقف مرعش
٣٨ - داود مطران انازربا
٣٩ - حبيب مطران الرصافة من دير مار زكى
٤٠ - ارميا مطران طرسوس
٤١ - اثناسيوس اسقف انازربا
٤٢ - اغناطيوس اسقف طورعبدين
٤٣ - يعقوب اسقف حمام وكنيسيا
٤٤ - ايوانيس اسقف لوسطن من آمد
٤٥ - ايوانيس مطران ملطية
٤٦ - ميخائيل مطران دارا

٤٧ – ارميا مطران القدس من جبل الرها
٤٨ – يوحنا اسقف فرنه

خدم مار يوحنا هذا البطريركية ١٧ سنة. توفي في ٣ تموز – عيد مار توما. اودع جثمانه ضريح المطران يعقوب الرهاوي في دير تلعدا الكبير. صلاته معنا

البطريرك ايوانيس من دير العمود في قورزحيل. رسم في بلدة تلعدا سنة ١٢٦٥. وضع عليه اليد مار يعقوب مطران الرقة. تمت على يديه الرسامات التالية

١- ايليا مطران ملطية من دير زوقنين
٢- يوسف مطران دمشق
٣- موسى مطران حمص من دير مار ابحاي
٤- باسيليوس اسقف زوبطره
٥- لوقا اسقف قرنه
٦- يوسف مطران نصيبين
٧- موسى مطران العربية
٨- سمعان اسقف افره بخرسان
٩- سرجيس مطران بعلبك
١٠- يعقوب مطران سيمندو

خدم مار ايوانيس هذا البطريركية سنتين. توفي يوم الجمعة الاخيرة من كانون الثاني في دير مار شليمون في دليك .

البطريرك ديونيسيوس من دير قرتمين. رسم في ٢٨ تشرين الثاني سنة ١٢٦٩. وضع عليه اليد مار يعقوب اسقف الرقة. رسم الاساقفة التالية اسماؤهم

١- لعازر مطران انازربا .
٢- يوحنا اسقف زوبطره من دير البارد .
٣- اثناسيوس مطران دمشق .
٤- ايوانيس اسقف ماردين من دير قرتمين .
٥- طيمثاوس اسقف حران، رسم في دير ترعيل .
٦- اغناطيوس اسقف كيثرا رسم في دير ترعيل .
٧- يوحنال مطران الرقة رسم في دير ترعيل .

خدم البطريركية عشرة اشهر، توفي في الربع من اذار، دفنه استاذه انسطاس اسقف حلب. صلاته معنا .

البطريرك يوحنا المعروف بـ «ذو الحصيرة» نظرا الى تمعنه في الزهد وهو من دير ترعيل. رسم يوم الاحد ٩ تموز سنة ١٢٧٦ في كفرنبيو بمنطقة سروج . وضع عليه اليد مار سرجيس. رسم الاساقفة التالية اسماؤهم

١- يوحنا اسقف رأس العين من دير العمود
٢- اغناطيوس مطران آمد
٣- ثاودوسيوس مطران دمشق
٤- يوحنا مطران هرار
٥- طيمثاوس مطران ميافرقاط من دير البارد
٦- فيلكسينوس مطران الرها، من جبل الرها
٧- اغناطيوس مطران ملطية
٨- ايوانيس اسقف طورعبدين
٩- باسيليوس اسقف ماردين
١٠-ايوانيس اسقف هرار بخرسان
١١-اثناسيوس اسقف قليسورا
١٢-ديونيسيوس اسقف حدث
١٣-ايليا مطران شميشاط
١٤-سرجيس اسقف حلب من عين القناة
١٥-يوحنا مطران طبرية
١٦-قرياقس مطران سروج من دير سرجيسة
١٧-ايوانيس مطران مرعش من دير البرية
١٨-اغناطيوس مطران دارا من دير قرتمين

١٩-سرجيس اسقف رأس العين من دير بطريق
٢٠-ثاوفيلا مطران دمشق من دير مار يونان
٢١-طيمثاوس مطران آمد من شغر دير مار هرون
٢٢-ميخائيل اسقف كلوديا من دير مار برصوم
٢٣-ثاودوسيوس اسقف حران من دير بيت باتين
٢٤-باسيليوس مطران سيمندو من دير والدة الله
٢٥-سرجيس مطران اوفيميا من دير اثانوس
٢٦-سمعان اسقف زوغما وجبّين بنهر البارد
٢٧-توما مطران القدس من دير ترعيل في مرعش
٢٨-يوحنا مطران قورس من عين القناة
٢٩-قوزما مطران الرصافة من عمود دير مار برصوم في سروج
٣٠-بطرس اسقف ارزون من آمد بمنطقة نهر البارد
٣١-حزقيال مطران دارا وحابورا من دير قرتمين
٣٢-سرجيس اسقف قرنه من عين القناة
٣٣-موسى اسقف منطقة كلوديا في مرعش
٣٤-باسيليوس مطران طبرية في قرية ارنوس
٣٥-قرياقس اسقف زوبطره من نهر البارد بمرعش
٣٦-بولس اسقف افره من عين القناة
٣٧-دنحا اسقف ارشميشاط من نابش في كيسوم
٣٨-زكريا اسقف سروج من دير نهر البارد
٣٩-باسيليوس اسقف سجستان من دير سرجيس بمرعش
٤٠-يوحنا مطران نصيبين من دير مار يوحنا بمرعش
٤١-ميخائيل اسقف قليسورا من دير مار يوحنا
٤٢-باسيليوس اسقف سروج من جبل الرها
٤٣-ايوانيس اسقف حمام من نابش في كيسوم
٤٤-بطرس اسقف حران من الدير الكبير في مرعش

٤٥-ثاودوسيوس اسقف مرعش من دير سرجيس وباكوس
٤٦-صموئيل اسقف حمام من دير مار فرغسيا في تجرا

خدم البطريركية ٢٥ سنة وتوفي في دير البارد. اودع جثمانه في الكنيسة التي انشأها .

البطريرك اثناسيوس الصلحي من دير مار هرون في شغر. رسم يوم الخميس ٢٧ تشرين الاول سنة ١٢٩٨ في قرية قطيني بمنطقة جيحون. وضع عليه اليد لعازر مطران انازربا. رسم الاساقفة التالية اسماؤهم

١- بولس مطران طرسوس من دير البارد .
٢- اندراوس مطران قورس من دير البارد.
٣- يوحنا اسقف ارشميشاط من دير والدة الله قليسورا.
٤- اسحق اسقف قليسورا من دير سرجيسة .
٥- بطرس اسقف سروج من دير مار برصوم.
٦- ايوانيس اسقف ماردين ورأس العين وكفرتوثا من دير مار سرجيس .
٧- فيلكسينوس مطران دارا من دير قرتمين .
٨- خريسطودولس اسقف بعلبك من دير مار يونان دمشق .
٩- قورلس اسقف ارمنيا من دير مار اليشع .
١٠- موسى اسقف شميشاط من دير نهر البارد .
١١- باسيليوس مطران بالش من كورة انطاكية .
١٢- طيمثاوس مطران منبج من دير موريقي .
١٣- ايوانيس مطران هرار من آمد ومن دير موريقي .
١٤- غريغوريوس اسقف البيرة من دير الساعي بملطية .
١٥- موسى مطران الرقة من دير يوحنا في قورس بملطية.
١٦- فيلكسينوس اسقف مدينة تللا من دير الاربعين في ابن جاجي ملطية.
١٧- أغناطيوس مطران تكريت من دير الأربعين في برجاجي - ملطية.
١٨- باسيليوس اسقف برقا من دير البارد .
١٩- يوحنا اسقف زوغما من دير البارد نفسه .
٢٠- اغناطيوس مطران الرها من دير ابن جاجي .

٢١-ديوسقورس مطران حمص من دير مار ماما .
٢٢-يوسف اسقف طورعبدين من دير قرتمين .
٢٣-توما مطران انازربا من دير مشرعا في نهر البارد .
٢٤-ديونيسيوس اسقف كلوديا وهو الكاتب .
٢٥-طيمثاوس اسقف افره من دير مشرعا .
٢٦-يوحنا اسقف طورعبدين من دير قرتمين .
٢٧-جبرائيل اسقف حلب من دير مار شليمون .
٢٨-ثاودوسيوس مطران ميافرقاط من دير مار يوحنا .
٢٩-ايوانيس اسقف ارشميشاط من دير البارد ــ مار دمياط .
٣٠-فيلكسينوس مطران منبج وكيشرا من دير والدة الله .
٣١-يعقوب اسقف بعلبك من دير مار يوحنا .
٣٢-دانيال اسقف ارمنيا من دير كيفا الارزانيين بنهر البارد .
٣٣-توما مطران طبرية من دير مار متى .
٣٤-بطرس اسقف عربوقس من دير مار برصوم .
٣٥-ابراهيم اسقف زوغما من دير والدة الله بمنطقة دير مار برصوم .
٣٦-يوحنا اسقف دليك من دير مار شينا .
٣٧-ايليا اسقف سيمندو من دير مار بطرس .
٣٨-اغناطيوس اسقف ارزون من دير مار برصوم .

خدم البطريركية ١٦ سنة. توفي في دير مار برصوم، واودع جثمانه الطاهر مدفن (خزانة) الكنيسة القديمة في الجهة الشمالية، صلاته معنا.

البطريرك يوحنا بن عبدون، من ملطية. عاش متوحدا في الجبل الاسود. تمت رسامته يوم الخميس ٦ تموز سنة ١٣١٥ في دير والدة الله في بندوقة بمنطقة جودفي. وضع عليه اليد بطرس اسقف حران. رسم الاساقفة ادناه

١-توما مطران شميشاط من دير الجبل الاسود .
٢-يوحنا مطران آمد تلميذ دير اثانوس .
٣-ساويرا اسقف ارزون من دير قرتمين .
٤-اثناسيوس مطران طرسوس من دير سرجيس وباكوس .
٥-اغناطيوس مطران ملطية من دير قينان في حدث .
٦-اثناسيوس مطران الرقة من دير مديق .
٧-يوحنا مطران ابرشية حوران بيثونيا من كنيسة صور.
٨-باسيليوس مطران هرار من دير قرتمين .
٩-ايوانيس اسقف حدث ورعبن من دير مار لعازر العرقي .
١٠-ابراهيم اسقف قليسورا من دير سرجيسة .
١١-بطرس مطران الرقة من دير ابدهار .
١٢-ماروثا مطران طبرية من مدينة كلش .
١٣-سمعان اسقف شيزر من دير مشرعا .
١٤-باسيليوس مطران انازربا من دير ابولاهور .
١٥-اسحق اسقف عرقا من دير برجاجي. كاتب البطريرك الذي صار خلقيدونيا فيما بعد.
١٦-ايليا اسقف زوغما من دير مار يوليان .
١٧-متى مطران سجستان من دير مار حنانيا .
١٨-اندراوس اسقف كيسوم من دير نابش .
١٩-باسيليوس مطران نصيبين من دير قرتمين .

٢٠-سرجيس اسقف سروج من دير مار يوليان كيسوم.
٢١-يوحنا اسقف رأس العين من دير مار حنانيا.
٢٢-يوحنا مطران دارا وحابورا من دير البارد .
٢٣-طيمثاوس اسقف قرنه وتل ارسينوس من دير مار برصوم.
٢٤-سمعان اسقف تللا ولاقبين من دير مار دمياط .
٢٥-قورلس اسقف حمام من دير والدة الله - انازربا .
٢٦-يوحنا مطران دارا من دير مار اباي في قلث .
٢٧-توما اسقف كلوديا من دير نهر البارد .
٢٨-يوحنا مطران القدس من دير كرشنا في انطاكية .
٢٩-ثاودوسيوس مطران دمشق من دير الاحمر في كرشنا .
٣٠-اثناسيوس مطران تكريت من دير والدة الله .
٣١-باسيليوس مطران من دير برجاجي .
٣٢-ابراهيم مطران طرسوس من دير قالينيقوس .
٣٣-اثناسيوس مطران جورفي كرشنا من دير السلالم .
٣٤-اغناطيوس اسقف حمام من دير ابولاهور .
٣٥-غريغوريوس اسقف البيرة من دير حرصفتا .
٣٦-قورلس مطران قورس من دير مار سابا .
٣٧-ديونيسيوس مطران ميافرقاط من دير زرنوقا .
٣٨-فيلكسينوس مطران افره من دير مار متى .
٣٩-فليكسينوس مطران القدس من دير برجاجي .
٤٠-باسيليوس اسقف حران من دير قرتمين .
٤١-موسى اسقف حصن زياد من دير مار هاون .
٤٢-اثناسيوس حايا اسقف ارشيمشاط من دير مار هرون - شغر صار بطريركا.
٤٣-ايوانيس اسقف دليك من دير ابولاهور .
٤٤-ابراهيم مطران شميشاط من دير السلالم .
٤٥-ديونيسيوس اسقف تل ارسينوس من دير السلالم.

٤٦-باسيليوس اسقف كلوديا من دير مار برصوم .
٤٧-ايوانيس مطران ارزون من دير قرتمين .

رسم الطوباوي اكثر من هؤلاء الاساقفة لم تدون اسماؤهم كما اشرنا في حديثنا عن سيرته اعلاه، لان اليونان قبضوا عليه ونفوه. خدم البطريركية ٢٦ سنة واستشهد في المنفى في بلاد البرجريين في ٢ شباط سنة ١٣٤١. صلاته معنا .

البطريرك ديونيسيوس يحيى رئيس دير لعازر بمنطقة ملطية. تمت رسامته يوم الخميس ١٤ تشرين الاول سنة ١٣٤٣ في دير مار ديميط في كلوديا، خلال فترة الاضطهاد من قبل الخلقيدونيين. وضع عليه اليد مار ابراهيم اسقف قليسور. رسم الاساقفة ادناه

١- فيلكسينوس مطران سيمندو من دير مار برصوم .
٢- اغناطيوس اشعيا اسقف البيرة من حرصفتا .
٣- يوحنا اسقف عرقا من دير تل بطريق .
٤- غريغوريوس لعازر اسقف مرعش .
٥- اثناسيوس اسقف جيحون من دير سرابيون .
٦- يوحنا مطران ملطية من دير مار شينا (غادر واستقر في آمد بمنطقة المسلمين هربا من اضطهاد اليونان).
٧- طيمثاوس مطران بالش من دير مار اثانوس .
٨- اثناسيوس يشوع مطران الرها رئيس دير مار ابحاي.
٩- ايوانيس اسقف بعلبك من الدير نفسه .
١٠- ايوانيس مطران انازربا من دير بوقا .
١١- باسيليوس اسقف حدث من دير مار هرون .
١٢- ايوانيس زكا اسقف طورعبدين من دير العابد .
١٣- قورلس مطران حمص من دير قلف .
١٤- يوحنا اسقف تللا ولاقيين من دير برجاجي .
١٥- ايوانيس برصوم اسقف حصن زياد من دير برجاجي .
١٦- طيمثاوس اسقف قليسورا من دير مار هرون .
١٧- فيلكسينوس متوشالح اسقف منبج من عرسليس .
١٨- المطران اثناسيوس من دير البارد في آمد .

١٩-ايوانيس مطران من دير الفرس .
٢٠-مرقس مطران افره من دير البارد .
٢١-ايوانيس مطران هرار من دير برجاجي .
٢٢-اثناسيوس مطران حمص من دير قلف .
٢٣-باسيليوس اسقف عرقا من دير ابولاهور .
٢٤-غريغوريوس مطران ارمنيا من دير مار جرجس .
٢٥-طيمثاوس مطران طبرية من دير زرنوقا .
٢٦-باسيليوس مطران تكريت سنة ١٣٩٦ .
٢٧-غريغوريوس مطران الرقة من دير برجاجي .
٢٨-ابراهيم اسقف ارشميشاط من دير شغر - برجاجي.
٢٩-ايوانيس اسقف قرقسيون من دير البارد .
٣٠-اغناطيوس اسقف ارزون من دير بن بوشير .
٣١-يوحنا اسقف كيسوم من دير مار يوليان الاحمر.
٣٢-اغناطيوس مطران آمد من الدير نفسه .
٣٣-بولس اسقف ماردين من دير قرتمين .

خدم ١٠ سنوات، وتوفي في ٢١ اذار، اودع جثمانه الكنيسة الكبرى في مدينة آمد .

البطريرك يوحنا من دير برجاجي وهو ابن اخ البطريرك يوحنا بن عبدون رسم يوم الثلاثاء سنة ١٣٥٣ في منطقة زرغما في فرزمام على حدود رعبن. وضع عليه اليد مار ايليا رئيس المجمع. ورسم الاساقفة ادناه.

١- يوحنا اسقف زوبطره رسمه مكرها .
٢- اثناسيوس اسقف نصيبين من دير قرتمين .
٣- ايوانيس اسقف حدث كاتب، ابو لاهور .
٤- زكريا مطران القدس من دير البارد .
٥- مرقس اسقف ارزون من دير اليشع .
٦- باسيليوس مطران طرسوس كاتبه .
٧- باسيليوس مطران انازربا من دير ابولاهور .
٨- بطرس أسقف حمام وبالنج من دير الشيوخ .
٩- طيمثاوس اسقف حدث من دير برجاجي في حانه.
١٠- سرجيس اسقف حلب من دير مار حبيب .
١١- باسيليوس اسقف طورعبدين من دير قرتمين .
١٢- بطرس مطران نصيبين من دير قرتمين .
١٣- توما مطران القدس من دير قرتمين .
١٤- اثناسيوس مطران شميشاط من دير مار لعازر .
١٥- ايوانيس عبد الاحد اسقف كرشنا .
١٦- توما مطران سجستان من دير حانه .
١٧- ايليا مطران بالش ابو الحسن، شماس من ميتان .
١٨- ديونيسيوس داود اسقف بيرة جرجر .
١٩- باسيليوس اسقف شميشاط في ليطور .
٢٠- ديوسقورس اسقف شميشاط في ليطور .

٢١-باسيليوس مطران افره من دير حانه .
٢٢-ايوانيس اسقف قليسور من تل بطريق .
٢٣-باسيليوس اسقف عرقا من دير الفرس .
٢٤-غريغوريوس اسقف ماردين وتل بسما ورأس العين.
٢٥-اثناسيوس مطران ارزون من دير عابد عابدون .
٢٦-ايوانيس اسقف جوباس من دير مار برصوم .
٢٧-بطرس اسقف كلوديا من دير حور .
٢٨-فليكسينوس اسقف حمام وبالنج و(سعيدنو) من دير والدة الله في الجبل الاسود .
٢٩-ايوانيس اسقف حلب من دير الحبيس في الجبل الاسود .
٣٠-ديونيسيوس مطران شميشاط من دير برجاجي .

خدم ١٤ سنة وعشرة اشهر. كان واقعيا في اختيار رساماته ومتأثرا بمعلمه. توفي يوم السبت ٢٤ ايار سنة ١٣٦٨. دفن في الجهة الشرقية من كنيسة والدة الله في آمد .

البطريرك اثناسيوس عائش. كان اسقفاً لارشميشاط. رسم للمرة الثانية بصورة غير اصولية في بلاد فارس. وضع عليه اليد باسيليوس اسقف حران. انتقد بسبب الرسامة الثانية.

رسم الاساقفة ادناه

١- غريغوريوس اسقف كيسوم .
٢- اغناطيوس اسقف عرقا من دير اركولا .
٣- طيمثاوس اسقف حصن بطريق من دير مار هرون شغرا.
٤- طيمثاوس اسقف تل بطريق من دير باعوث في حصن زياد.
٥- اغناطيوس سيمندو من دير البارد .
٦- اثناسيوس مطران حمص من المدينة نفسها .
٧- فيلكسينوس اسقف ارشميشاط من القلاية البطريركية.
٨- متى اسقف شميشاط .
٩- ايوانيس مطران ميافرقاط من دير حورعابر .
١٠- طيمثاوس اسقف مرعش من دير مار شينا .
١١- اغناطيوس مطران دمشق .
١٢- باسيليوس مطران حليون من الجبل الاسود .
١٣- ثاودوسيوس اسقف رعبين .
١٤- بطرس اسقف عرقا وهو ابن الطويل الذي انحرف الى الخلقيدونية بعد عودته من المنفى بسبب نزاع .
١٥- غريغوريوس اسقف بيرة جرجر .
١٦- اثناسيوس اسقف رحبون .
١٧- اغناطيوس مطران ملطية، ابن اخت البطريرك .

لقد رسم اساقفة آخرين لم تدون اسماؤهم بسبب النزاع الذي نشب على اثر خروج الاتراك. توفي سنة ١٣٧٤ وهو في الطريق الى القسطنطينية حيث اخذه الخلقيدونيون بحجة الحوار معه. واودع جثمانه دير مار هرون شغرا

البطريرك يوحنا بن شوشان الملطي. رسم في آمد في ايام البطريرك عائش لكنه تنحى. وبعد وفاة ذاك، اجتمع الاساقفة واضطروه على قبول البطريركية فباشر الخدمة ورسم الاساقفة ادناه

١ - اغناطيوس اسقف قلث ودارا وهو من قلث .
٢ - سمعان اسقف كيسوم من القلاية البطريركية .
٣ - طيمثاوس اسقف حران من كنيسة الرهاوين هناك.
٤ - طيمثاوس اسقف كلوديا من دير حرصفتا .
٥ - اثناسيوس مطران سيمندرو من دير البارد في حران .
٦ - باسيليوس اسقف لاقبين من دير لعازر في عرقا .
٧ - ديونيسيوس اسقف جوياس من برجاجي .
٨ - ايوانيس اسقف عرقا من برجاجي .
٩ - متى اسقف سروج لقد ترك ابرشيته .
١٠ - فيلكسينوس اسقف سبستان رفض الالتحاق بها فعزل.
١١ - اغناطيوس اسقف ارزون من منطقة ميافرقاط .
١٢ - طيمثاوس الامدي مطران القدس من دير مار ابحاي .
١٣ - اغناطيوس مطران الرقة من حران من الدير نفسه .
١٤ - باسيليوس اسقف ماردين من دير قرتمين .
١٥ - اثناسيوس مطران شميشاط من دير اشود.
١٦ - اغناطيوس اسقف دليك من دير ابو هوري .
١٧ - ايوانيس شاول اسقف ماردين من دير قرتمين .

خدم البطريركية ٩ سنوات. توفي يوم الثلاثاء ٢٧ تشرين الثاني سنة ١٣٨٤. واودع جثمانه في كنيسة والدة الله في آمد الى جانب ضريح مار ايوحنا بن عبدون .

البطريرك باسيليوس من دير مار برصوم في شنا. تمت رسامته في كانون الثاني سنة ١٣٨٥ في حصن منصور. وضع عليه اليد اثناسيوس مطران الرها. رسم الاساقفة ادناه

١-باسيليوس مطران انازربا من دير مار بحاي .
٢-غريغوريوس اسقف حلب من دير اشود ودير مار برصوم.
٣-يوحنا مطران سيمندو من دير برجاجي في دير مار برصوم وهو البطريرك ابن عبدون .
٤-اثناسيوس اسقف حصن زياد من دير مار برصوم .
٥-اثناسيوس مطران الرها في دير مار بحاي .
٦-اثناسيوس اسقف كرشنا في القلاية البطريركية في قنقرت .
٧-يوحنا مطران ومفريان تكريت من دير قرتمين .

خدم سنة واحدة وستة اشهر. توفي ودفن في كنيسة ميافرقاط مدينة الشهداء .

البطريرك يوحنا عبدون. كان مطران سيمندو واختطف البطريركية بالقوة. رسم الاساقفة ادناه .

١- ايوانيس اسقف تل حمدون .
٢- ايدموس اسقف عرقا .
٣- اغناطيوس اسقف ماردين وبوزير، اسلم في آمد .

ظل عبدون هذا على قيد الحياة لعهود أربعة بطاركة .

البطريرك ديونيسيوس لعازر رئيس دير مار برصوم. رسم في الدير نفسه. وضع عليه اليد مار يوحنا مطران تكريت سنة ١٣٨٨ . خدم سنة واحدة. ولم يرسم أي اسقف. توفي في حصن منصور .

البطريرك ايوانيس يوحنا المتوحد من منطقة كرشنا. رسم في ملطية سنة ١٣٩١. وضع عليه اليد اغناطيوس مطران ملطية والاساقفة الذين معه. رسم الاساقفة ادناه

١- يوحنا مطران القدس من دير البارد.
٢- طيمثاوس اسقف قليسورا من دير مار برصوم .
٣- اثناسيوس اسقف دليك ومنبج من دير البارد .

٤-باسيليوس مطران ميافرقاط من دير البارد .
٥-صليبا اسقف بالبخ من الدير نفسه .

خدم سنة واحدة وستة اشهر. توفي في دير البارد، واودع جثمانه الطاهر نفس الدير .

البطريرك ديونيسيوس مرقس رئيس دير البارد رسم فيه بحضور عدد قليل من الاساقفة لذا رفض، ولم يقبل حتى اخذ عبدون يعبث فساداً. رسم الاساقفة ادناه

١ - فيلكسينوس اسقف مرعش من دير مار برصوم .
٢ - متى اسقف رعبن من دير شمنوك .
٣ - باسيليوس اسقف حران من الدير نفسه .
٤ - ايوانيس اسقف ارشميشاط من دير الغابة الكثيفة .
٥ - فيلكسينوس اسقف حصن منصور من دير .... .
٦ - هرون مطران سجستان من دير مار هرون في الجبل المبارك .
٧ - باسيليوس شملي اسقف طورعبدين .
٨ - غريغوريوس لعازر للابرشية التي انقسمت .
٩ - يشوع اسقف انازربا من دير ابو لهوري .
١٠ - باسيليوس مطران كفرطاب وحمص .

خدم سنة ونصف وتوفي في دير زرنوفا .

البطريرك اثناسيوس ابو الفرج الآمدي. كان راهبا كاهنا في دير مار برصوم. رسم في ملطية يوم الاحد الاول من كانون الاول سنة ١٤٠٢. وضع عليه اليد مار طيمثاوس مطران تل بطريق. رسم الاساقفة ادناه

١-قورلس مطران القدس من القدس دعي من دير مار برصوم وهو سعدون ذو القراطيس السبعة .
٢- ايوانيس اسقف بالنج من بيثونيا في دير البارد .
٣-يوحنا مطران ملطية وهو سعيد ابن الصابوني الذي قُتل .
٤-باسيليوس اسقف بيرة جرجر. من دير مار بحاي .
٥- اغناطيوس مطران تل بطريق. من دير مار هرون .
٦-ديونيسيوس مطران ارزون من دير مار حبيب .
٧-باسيليوس مطران الرها، ابن الصابوني المعزول .
٨- ديونيسيوس اسقف كيسوم من دير مار برصوم .
٩- فيلكسينوس مطران منبج من دير كاسليود .
١٠-باسيليوس مطران سيمندو من دير البارد .
١١-طيمثاوس اسقف ارشميشاط من دير مار بحاي .
١٢-ايوانيس اسقف تل بطريق من دير سرسق .
١٣-باسيليوس اسقف سروج من جبل الرها .
١٤-غريغوريوس اسقف كلوديا من دير مار برصوم .
١٥-طيمثاوس اسقف كرشنا من دير برجاحي .
١٦-يوحنا بن توما اسقف لاقبين من كنيسة ملطية .
١٧-داود مطران القدس من غدير الليل وهو سعدون الذي غرق في البحر .
١٨-باسيليوس اسقف حصن زياد من بيث قنيا .

١٩-غريغوريوس اسقف رعبن من دير عرنيش .
٢٠-طيمثاوس مطران طرسوس من دير مار حبيب .
٢١-ايوانيس اسقف سروج من جبل الرها .
٢٢-طيمثاوس اسقف جرجر وهو ابن باسيل من دير سرجيسة.
٢٣-ايوانيس اسقف الرقة من كنيسة بالش .
٢٤-ايوانيس اليشع مطران ملطية من مرعش .
٢٥-ديونيسيوس موسى مفريان تكريت من دير البارد .
٢٦-باسيليوس اسقف حصن منصور، استقال بعد سنة، وعاش سنة واحدة. ومات.
٢٧-اغناطيوس اسقف حانه من طورعبدين .
٢٨-طيمثاوس اسقف مرعش من متوحدي دوير .
٢٩-طيمثاوس اسقف تل بطريق من دير فوقا .
٣٠-اغناطيوس اسقف كفرطاب من ديرنا في القدس .
٣١-باسيليوس اسقف دير قرتمين من الدير نفسه.
٣٢-اغناطيوس حسنون مطران القدس .
٣٣-قورلس مطران كفرطاب من دوير .
٣٤-فيلكسينوس اسقف بالنج من دير مار شينا .
٣٥-اغناطيوس مطران سروج من الجبل الاسود.
٣٦-طيمثاوس فريج الرهاوي مطران شميشاط وحصن منصور .
٣٧-اغناطيوس مطران ارشميشاط، رهاوي من حرصفتا .
٣٨-ايوانيس مرقس مطران ميافرقاط .
٣٩-طيمثاوس اسقف كلوديا، من دير مار برصوم.
٤٠-ايوانيس اسقف سجستان من حصن زياد.
٤١-ايوانيس مطران الرقة من دير عرنيش .
٤٢-ايوانيس اسقف قليسورا من دير مديق .
٤٣-اغناطيوس ابن السعيد مطران الرها من قلايتنا .
٤٤-باسيليوس اسقف جيحون من دير رومانا .

٤٥-باسيليوس بن عباس مطران ماردين من جبل الرها.
٤٦-ديونيسيوس اسقف الحصن من دير مار بحاي .
٤٧-ايوانيس اسقف حصن زياد من قلايتنا .
٤٨-اغناطيوس اسقف حران من قلايتنا .
٤٩-غريغوريوس اسقف كرشنا من دير البار.
٥٠-يوحنا مطران دمشق من عرنيش بدير مار برصوم .
٥١-يوحنا مطران راس العين وماردين بدير مار برصوم.
٥٢-باسيليوس مطران ميافرقاط في دير قنقرت .
٥٣-ديونيسيوس اسقف جوباس من دير سرجيسة .
٥٤-يوحنا مطران منبج من قلايتنا في قنقرت.
٥٥-يوحنا يوسف مطران ماردين نال شهرة كبيرة.
٥٦-فيلكسينوس اسقف كرشنا في كيسوم الاسود.
٥٧-طيمثاوس اسقف حازا في كيسوم .
٥٨-سمعان مطران انازربا في كيسوم .
٥٩-باسيليوس اسقف حصن زياد بدير مار برصوم.
٦٠-اغناطيوس اسقف عرقا من الدير نفسه.
٦١-يوحنا مطران سجستان من الدير نفسه.

خدم ٣٨ سنة. توفي في ٨ حزيران سنة ١٤٤٠. واودع جثمانه مدفن كنيسة دير مار برصوم القديمة، حيث دفن البطريرك اثناسيوس الصلحي.

البطريرك يوحنا موديانا رئيس دير الدوير. رسم في تل بشر، حضر رسامته الحاكم جوسلين وكبار رجاله، وضع عليه اليد المفريان ديونيسيوس. تمت رسامته يوم الاثنين ٧ شباط سنة ١٤٤٢. رسم الاساقفة ادناه:

١- اثناسيوس مطران ميافرقاط من الدير الانطاكي .
٢- اثناسيوس مطران الرها من المدينة نفسها .
٣- باسيليوس ابو الفرج ابن شومنا مطران كيسوم .
٤- باسيليوس اسقف لاقبين، من عرنيش عزل فيما بعد.
٥- ايوانيس اسقف ادنه من دير دوير .
٦- اثناسيوس اسقف صدد من دير مار متى .
٧- اثناسيوس اسقف انازربا من دير مار برصوم.
٨- ايوانيس اسقف يسبرك من الدير نفسه .
٩- باسيليوس مطران آمد من دير القدس .
١٠- ديونيسيوس مطران دمشق من الرها
١١- متى مطران سيمندو من دير بيث قنيا.
١٢- باسيليوس مطران ارزون من المنطقة نفسها .

خدم هذا البطريرك ٨ سنوات. توفي في دير دوير، ووري جثمانه فيه.

البطريرك اثناسيوس يشوع برقطرى، شماس ملطية. رسم في مدينة آمد يوم الاحد ٤ كانون الاول سنة ١٤٥٠. وضع عليه اليد المفريان مار ديونيسيوس. رسم الاساقفة ادناه:

١- اغناطيوس مطران ملطية وهو ابن اخت البطريرك .
٢- اغناطيوس رومنس مطران القدس راهب من دير ملطية .
٣- يوحنا مطران شميشاط من جبل الرها .
٤- اغناطيوس اسقف حلب من جبل الرها .
٥- المفريان اغناطيوس من سرجيسة في عين مار هرون .
٦- قورلس اسقف سروج من دير ابو لهوري بملطية.
٧- فيلكسينوس اسقف مرعش من ملطية .
٨- ايوانيس اسقف كيسوم من مديق سكرتير البطريرك.
٩- طيمثاوس يوسف اسقف جرجر الذي سقط .
١٠-فيلكسينوس اسقف كفرطاب من دوير في كيسوم .
١١-يوحنا اسقف قليسورا من ملطية دير مار برصوم.
١٢-ايوانيس اسقف لاقبين من دير سرجيسة .
١٣-ايوانيس مطران الرقة من مدينة آمد .
١٤-باسيليوس اسقف كلوديا من مديق .
١٥-ايوانيس اسقف حصن زياد من مقرونا تلميذ البطريرك .
١٦-باسيليوس مطران سيمندو من دير هرون بالجبل المبارك .
١٧-طيمثاوس اسقف ارشميشاط من دير مديق .
١٨-يوحنا اسقف طورعبدين من دير قرتمين .
١٩-اغناطيوس اسقف تل ارسينوس من دير سرجيسة.
٢٠-ديونيسيوس اسقف مرعش وهو يعقوب المنطقي. انتقل الى آمد.
٢١-سمعان مطران ارزون دير مار حنانيا .

٢٢-اغناطيوس اسقف عرقا من دير مار لعازر .
٢٣-ايوانيس موسى اسقف حانه من دير حنانيا بملطية.
٢٤-طيمثاوس اسقف حران من دير عزرون بسرجيس .
٢٥-ايوانيس اسقف جيجون ابن اخي الشيخ وكان الشيخ مازال حيا.
٢٦-يوحنا مطران حمام بدير مار برصوم. كان فاضلا جدا .
٢٧-اغناطيوس مطران آمد من دير مادو .
٢٨-ايوانيس جبرائيل اسقف ارشميشاط .
٢٩-اغناطيوس اسقف طورعبدين من المنطقة نفسها .
٣٠-ديونيسيوس اسقف لاقبين من ملطية. تركها فيما بعد.
٣١-طيمثاوس اسقف جوباس ابن اخي الشيخ الذي رسمه في حياته .
٣٢-باسيليوس اسقف مرعش من دير البارد.
٣٣-المفريان يوحنا رئيس دير مار يعقوب في جبل الرها .
٣٤-طيمثاوس اسقف كرشنا من المنطقة نفسها .

خدم ٢٧ سنة و٧ اشهر. انتقل يوم الخميس ١٤ تموز ١٤٧٧،دفن يوم الجمعة، عيد مار بحاي، حيث اودع جثمانه الطاهر ضريح كنيسة دير مار برصوم القديمة،حيث يرقد اثناسيوس الصلحي واثناسيوس الآمدي، واثناسيوس هذا برقطري. صلاته معنا.

(البطريرك ميخائيل)

ميخائيـل

أقول صدقا لا تواضعاً. اني لا استحق درجة البطريركية المقدسة حتى ولا الاسم. لكن هي احكام الله غير المدركة وعنايته الآلهية. فقد عقد المجمع المقدس في دير مار برصوم، حضره المفريان مار يوحنا، ومار باسيليوس مطران الرها ورئيس المجمع، ومار باسيليوس مطران جيجون، ومار ديونيسيوس مطران جوباس، ومار اثناسيوس مطران انازربا، ومار اغناطيوس مطران ملطية، ومار يوحنا مطران شميشاط، ومار ايوانيس مطران كيسوم، ومار باسيليوس مطران كلوديا، ومار يوحنا مطران قرتمين، ومار اغناطيوس مطران البيرة، ومار ديونيسيوس الملفان، ومار سمعان مطران أرزون، ومار اغناطيوس مطران طورعبدين، ومار اغناطيوس مطران عرقا، ومارديونيسيوس مطران لاقبين، ومار طيمثاوس اسقف حران،ومار ايوانيس الشاب اسقف جيجون، ومار ايوانيس مطران بيث رومنا، ومار ايوانيس مطران نصيبين، ومار يوحنا مطران قليسورا، ومار ايوانيس مطران الرقة، ومار باسيليوس مطران مرعش.

تمت الرسامة يوم الثلاثاء ١٨ تشرين الاول سنة ١٤٧٨. رسم الاساقفة ادناه

١- يوحنا مطران دمشق، رسم في القدس لتكون البداية من هناك. رسم يوم احد القيامة بحضور ٤ اساقفة .
٢- يوحنا مطران طرسوس، من دوير .
٣- اثناسيوس مطران انازربا .

٤- يوحنا اسقف ارشميشاط، سكرتير المرحوم البطريرك رسم في انطاكية .
٥- اغناطيوس ابو غالب مطران ميافرقاط من دير مار برصوم.
٦- فيلكسينوس مطران منبج من كاسليود رسم في الدير .
٧- ايوانيس ثاودور مطران شميشاط، وهو ابن اخ اندراوس .
٨- طيمثاوس قسطنطين اسقف لاقبين رئيس دير مار هرون في شغر .
٩- اغناطيوس برصوم اسقف تل ارسينوس رئيس دير سرجيسة .
١٠-ايوانيس اسقف سيبيرك، من دير هرون في الجبل المبارك، رسم في دير مار حنانيا بمرعش.
١١-اثناسيوس ابو غالب اسقف جيجون متوحد شيخ .
١٢-اثناسيوس اسقف الرها، وهو الربان دنحا من الرها .
١٣-باسيليوس يوحنا المتوحد اسقف رعبن .
١٤-غريغوريوس اسقف كيسوم من جبل الرها .
١٥-ابراهيم مطران آمد، من المدينة نفسها .
١٦-طيمثاوس اسقف كلوديا، رئيس دير مديق .
١٧-ايوانيس اسقف كيسوم من دير الصليب بطورعبدين.
١٨-يوحنا مطران الرقة من دير الشميشاطيين بمنطقة ماردين .
١٩-يوحنا سمعان اسقف ارشميشاط من دير مار هرون في الجبل المبارك.
٢٠-باسيليوس مطران سيمندو من الدير نفسه.
٢١-ايوانيس اسحق اسقف طورعبدين من دير برصوم.
٢٢-باسيليوس مطران سجستان تثقف في القلاية البطريركية .
٢٣-ديونيسيوس مطران حمص من دير مار حنانيا .
٢٤-يوحنا اسقف شليدين من دير مار برصوم .
٢٥-ابراهيم مطران آمد من دير شلبا سقط في ضلال ابن وهبون.
٢٦-اثناسيوس مطران القدس ابن اخي بالجسد .
٢٧-ديونيسيوس مطران بيروا، وهو الراهب مبارك الرهاوي .

٢٨-يوحنا اسقف حصن زياد وهو يشوع الكاتب من طورعبدين.
٢٩-اغناطيوس مطران ميافرقاط. من دير مار برصوم .
٣٠-ديونيسيوس مطران ملطية وهو غريغنوس بن سمعان
٣١-باسيليوس اسقف حصن زياد من دير الحصن .
٣٢-ايوانيس اسقف آمد، من دير هرون رسم في ملطية .
٣٣-ايوانيس اسقف رعبن من تل ارسينوس من دير مديق.
٣٤-اغناطيوس اسقف لاقبين، دعي من قلايتنا .
٣٥-اغناطيوس اسقف حران، نقل الى دمشق فاسلم في فترة اضطهاد القدس وهرب الى مصر .
٣٦-اسطيفان مطران سجستان، وهو اسطيهان رئيس الدير .
٣٧-باسيليوس اسقف بيرة جرجر، من القلاية البطريركية.
٣٨-باسيليوس سيمون مطران الرقة راهب من كورة انطاكية .
٣٩-غريغوريوس رئيس اساقفة تكريت اي مفريان. وهو يعقوب ابن اخي وابني الروحي، رجل عالم دعي من قلايتنا رسم سنة ١٥٠٠ بحضور خمسة اساقفة .
٤٠-اغناطيوس اسقف مرعش من دير كاسليود.
٤١-ايوانيس اسقف قليسورا، وهو ابن قانون الذي انتقل فيما بعد الى ملطية .
٤٢-يوحنا سوريانا اسقف ماردين سقط فيما بعد وشخص الى القسطنطينية وصار خلقيدونيا.
٤٣-طيمثاوس اسقف كلوديا من دير مديق .
٤٤-ايوانيس اسقف قيصرية قبادوقية وهو الراهب دميان من دير رومنه.
٤٥-ايوانيس ميخا مطران آمد، دعي من دير مار برصوم.
٤٦-يوحنا مطران دمشق، وهو الراهب غريغوريوس الانطاكي .
٤٧-اغناطيوس اسقف جوباس من دير مقرونا .
٤٨-باسيليوس مطران الرها، فارس قمة الجبل .
٤٩-باسيليوس اسقف حلب، وهو قسطو رئيس دير أبي غالب .

٥٠-فيلكسينوس برصوم اسقف رومنه .
٥١-غريغوريوس اسقف كلوديا من دير مديق .
٥٢-اغناطيوس مطران القدس، وهو سهدو رئيس الدير.
٥٣-باسيليوس اسقف قليسورا من الدير في الجبل المبارك.
٥٤-ديونيسيوس اسقف جيجون من دير البارد.
٥٥-ايوانيس اسقف حمص من دير ابي غالب وهو يوسف الآمدي .

انتهت جداول الاساقفة الذين رسمهم كل واحد من البطاركة، والمناطق التي رسموا لها. من يقرأ فليصل من اجل ميخائيل الخاطئ

اسماء رؤساء الكهنة الذين قاموا في القدس

١- يعقوب اخو الرب، ٣ سنوات
٢- يوسف بن قليوفا، ٥ سنوات
٣- زكا، سنتان
٤- طوبيا، ٣ سنوات
٥- بنيامين، سنة واحدة
٦- يوحنا، ٣ سنوات
٧- ماتياس، ٧ سنوات
٨- يوسطس، ٥ سنوات
٩- فيلبس، ٧ سنوات
١٠-يوسطس، سنة واحدة
١١-افرام، وهو افريس، ٣ سنوات
١٢-لاوي، ٤ سنوات
١٣-يوسف، سنتان

١٤-يهوذا، سنة واحدة (جميع هؤلاء كانوا من اهل الختان، واستمرت فترتهم حتى خراب القدس)
١٥-مرقس، من الامم
١٦-فاسينوس، ٣ سنوات
١٧-مكسيموس، ٥ سنوات
١٨-يوليانس،٦ سنوات
١٩-غايوس، سنتان
٢٠-سومكس، ٤ سنوات
٢١-غايوس، ٢٤ سنة
٢٢-يوليانس آخر، سنتان
٢٣-قافيطون، ١٨ سنة
٢٤-مكسيمنانس، ٨ سنوات
٢٥-انطونينوس، ١٠ سنوات
٢٦-واليس
٢٧-قلوبيانس
٢٨-نرقيسوس
٢٩-دايوس
٣٠-جرماليون
٣١-كورديانس
٣٢-نرقيسوس،هو هو
٣٣-انطونينوس
٣٤-واليس
٣٥-ماسيوس،٤ سنوات
٣٦-الكسندر
٣٧-مزخانيس
٣٨-هومانيوس
٣٩-أبادوس

٤٠-ارمون
٤١-يهوذا،حضر مجمع الـ ٣١٨ في أيام قسطنطين
٤٢-مقريس
٤٣-مكسيمنانس، سملت عينه خلال
٤٤-قورلس، الذي طرده الاريوسيون
٤٥-ارسانيوس الاريوسي
٤٦-الرنانوس الاريوسي
٤٧-قورلس، حضر مجمع ال ١٥٠
٤٨-براوالوس
٤٩-يوبينيلوس، سقط في الخلقيدونية
٥٠-القديس ثاودوسيوس الذي خنقه الخلقيدونيون
٥١-انسطاس
٥٢-مرطوريوس
٥٣-سالسطينس، هنا انشق اسقف رومية
٥٤-اليوس الذي طرد، بعده لم يقم اسقف للارثوذكس، حتى ظهور الاسلام وحكمهم
٥٥-قورلس
٥٦-ارميا
٥٧-توما
٥٨-يوحنا
٥٩-فيلكسينوس
٦٠-طيمثاوس
٦١-ايوب
٦٢-اغناطيوس
٦٣-يوسف
٦٤-يوحنا
٦٥-قورلس

٦٦-قزياقس
٦٧-ساويرا
٦٨-يوسف
٦٩-ثاودورس
٧٠-قورلس
٧١-ارميا
٧٢-توما
٧٣-يوحنا
٧٤-فيلكسينوس
٧٥-زكريا
٧٦-توما
٧٧-طيمثاوس
٧٨-يوحنا
٧٩-قورلس
٨٠-داود
٨١-اغناطيوس
٨٢-اغناطيوس
٨٣-اغناطيوس
٨٤-اثناسيوس
٨٥-اغناطيوس

اسماء رؤساء الكهنة الذين قاموا في الرها

١ - ادى
٢ - اجي
٣ - فالوط
٤ - عبشلما
٥ - ابن الاعمى
٦ - تير
٧ - برني
٨ - شلولا
٩ - عبدا
١٠ - كورا
١١ - عبدا
١٢ - ايزني
١٣ - استاسب
١٤ - علقي
١٥ - قونا
١٦ - شاعوث
١٧ - ايقالاها
١٨ - ابراهيم
١٩ - أقلوج
٢٠ - رابولا
٢١ - ايثالاها
٢٢ - حبسي
٢٣ - برني

٣٨ - اماهن
٣٩ - يعقوب
٤٠ - اسيفانس
٤١ - سويريوس
٤٢ - سرجيس
٤٣ - ثاودورس
٤٤ - بولس
٤٥ - يونان
٤٦ - اشعيا
٤٧ - شمعون
٤٨ - جبرائيل
٤٩ - طبريوس
٥٠ - يعقوب المنطقي
٥١ - حبيب
٥٢ - قسطنطين
٥٣ - زكريا
٥٤ - زكريا
٥٥ - باسيليوس
٥٦ - ثاودورسيوس
٥٧ - قورلس
٥٨ - بنيامين ربان
٥٩ - ايليا
٦٠ - قسطنطين

٢٤ - ابراهيم
٢٥ - برسا
٢٦ - اولوغس
٢٧ - قورا
٢٨ - سيلونا
٢٩ - فقيدا
٣٠ - يوجينس
٣١ - رابولا
٣٢ - هيبا الهرطوقي
٣٣ - نوتا
٣٤ - قورروس
٣٥ - بطرس
٣٦ - بولس
٣٧ - اسليف

٦١ - ثاودوسيوس
٦٢ - ديوسقورس
٦٣ - طيمثاوس
٦٤ - فيلكسينوس
٦٥ - ابراهيم
٦٦ - فيلكسينوس
٦٧ - اغناطيوس
٦٨ - اثناسيوس
٦٩ - اثناسيوس
٧٠ - باسيليوس
٧١ - اثناسيوس
٧٢ - باسيليوس
٧٣ - اثناسيوس
٧٤ - باسيليوس

اسماء رؤساء الكهنة الذين قاموا في آمد

١- لاونطيوس
٢- اوطرايوس
٣- اقسوس
٤- ماما
٥- دومطيانس، بعد فترة طويلة
٦- توما
٧- حزقيال
٨- غريغوريوس

٢٦-اغناطيوس
٢٧-ديونيسيوس
٢٨-ايوانيس
٢٩-ايوانيس
٣٠-اغناطيوس
٣١-حبيب
٣٢-ماما
٣٣-دومطيانس

٩- هرون
١٠-دانيال
١١-حزقيال
١٢-ايليا
١٣-يوحنا
١٤-غريغوريوس
١٥-ايوانيس
١٦-ايليا
١٧-حزقيال
١٨-اغناطيوس الساعي
١٩-ايوانيس
٢٠-اغناطيوس
٢١-يوحنا
٢٢-اغناطي
٢٣-يوحنا
٢٤-ديونيسيوس
٢٥-ايوانيس
٣٤-موسى
٣٥-اغناطيوس
٣٦-ايوانيس
٣٧-اغناطيوس
٣٨-يوسف
٣٩-اغناطيوس
٤٠-طيمثاوس
٤١-يوحنا
٤٢-باسيليوس
٤٣-اغناطيوس
٤٤-باسيليوس
٤٥-اثناسيوس
٤٦-اغناطيوس
٤٧-ديونيسيوس المنطقي
٤٨-ابرها
٤٩-ابراهيم
٥٠-ايوانيس الذي حرم
٥١-ايوانيس

اسماء رؤساء الكهنة الذين قاموا في تكريت بعد استشهاد بابي

١- كرماي
٢- ماروثا
٣- خريسطفورس
٤- يوحنا
٥- دنحا
٦- باكوس
٧- يوحناالكيوني
٨- شربل
٩- شمعون
١٠-باسيليوس
١١-توما
١٢-ملكيصادق
١٣-سرجيس
١٤-اثناسيوس
١٥-توما
١٦-دنحا
١٧-باسيليوس
١٨-قرياقس
١٩-اغناطيوس الذي اسلم(وتاب)
٢٠-اثناسيوس
٢١-باسيليوس
٢٢-يوحنا
٢٣-ديونيسيوس
٢٤-اغناطيوس
٢٥-يوحنا
٢٦-غريغوريوس المنطقي
٢٧-غريغوريوس المنطقي

الفهرس